

International Islamic
University-Islamabad
Pakistan
Faculty of Usuluddin
Department of Dawa
& Islamic Culture



الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد - باكستان كلية أصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

منهجية الشيخ أبي الحسن علي الندوي في القضايا الدعوية المعاصرة (دراسة تحليلية)

البحث المقدم لنيل درجة الدكتوراة في قسم الدعوة و الثقافة الإسلامية

إشراف:

الدكتور هدايت الرحمن كفيل حفظه الله

الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والفلسفة

الجامعة الإسلامية العالمية اسلام آباد

إعداد الطالب: عادل شاه

رقم التسجيل: 346-FU/PHDDIC/F18

العام الدراسي: 2018/1440 - 2024



الإهداء

إلى والدي العزيزة التي علمتني الحرص على العلم والتعلم والتخلق بخلق الإسلام النبيل
عرفانا بفضلها وحنانها.

إلى والدي بذل الغالي والنفيس من أجل تعليمي، وتعب في هذا السبيل كثيرا، أي
الغالية، وإلى جميع إخوتي وأخواتي إلى كل من كان عوناً لي في إخراج هذه الرسالة.
أهديهم هذه الرسالة وأسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناتهم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصّلاة والسّلام على سيّد الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين. وبعد:

التعريف بالموضوع:

إن معرفة ماضي أعلام الأمة وقراءة تاريخ مناراتها و دراسة نتاجهم و جهادهم الفكري هو أحد أهم سبلنا لتشخيص و علاج الحاضر و بناء المستقبل، تحفيزاً لأجيال الأمة على الاستباق على طريق الخير والتزكي والتزقي الذي برز على دربه هؤلاء الأعلام.

هذا وإن هناك سلسلة طويلة من علماء شبه القارة الهندية الذين ضحوا بكل غال في هذا المجال، والشيخ أبو الحسن علي الندوي -رحمه الله- (1333هـ -1420هـ) كان واحداً من هؤلاء الأعلام، اختاره الله تعالى لخدمة دينه، وله جهود كثيرة في الدعوة إلى الله ولم يكن مؤلفات فحسب بل كان مبلغاً ناجحاً في سبيل الدعوة إلى الله قد أفنى حياته في خدمة دين الله عزوجل تأليفاً وتبليغاً.

ويصل عدد طلابه إلى الألوف، وله كتب عديدة في هذا المجال ويصل عددها إلى أكثر من ثلاثين كتاباً. وله جهود مشكورة في صورة هذه المؤلفات القيّمة وإعداد الدعاة والمهتمين بالفكر الإسلامي المعاصر، إضافةً إلى أنه جادل الفكر العلماني والغربي بالمجادلة الحسنة لدعم قضية الإسلام في شبه القارة الهندية و خارجها.

ومن هنا اخترت هذه الشخصية العبقريّة لدراستي في مرحلة الدكتوراة بعنوان: "منهجية الشيخ أبي الحسن علي الندوي في القضايا الدعوية المعاصرة".

أهمية الموضوع

وهذه الدراسة قد جاءت لتسهم في بيان منهجية وجهود أحد هؤلاء العلماء الراسخين والدعاة الناصحين من خلال كتبه وأسهاماته في النواحي المختلفة لاسيّما القضايا الفكرية المعاصرة وهو الشيخ أبو الحسن علي الندوي -رحمه الله- فهو داعية ساهم في نشر الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر، وقد غير الشيخ بأسلوب فريد في عرض حقائق الإسلام والدعوة إليها والدفاع عنها.

ومما يزيد أهمية هذه الدراسة ما يلي:

1- أن الشيخ أبا الحسن علي الندوي-رحمه الله- قد تعرض لموضوعات أساسية و عناوين حيوية تتعلق بالتحديات التي يعانيتها المسلمون في العصر.

2- أن الشيخ قدم حلولاً مناسبة لكثير من مشاكل المسلمين الفكرية المعاصرة.

3- أن الشيخ أبا الحسن علي الندوي - رحمه الله- كان من الروّاد المستخدمين لوسائل و أساليب الدعوية الحديثة.

أسباب إختيار الموضوع

لقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب عديدة منها:

1- أن الشيخ أبا الحسن علي الندوي-رحمه الله- وأهميته في ميدان الدعوة ومؤلفاته القيّمة في تلك الساحة.

2- منهجية الشيخ أبي الحسن علي الندوي -رحمه الله- في الدعوة إلى الله من خلال مؤلفاته بحاجة إلى إبرازها في صورة ميسّرة لتفيد القارئ على الدعوة إلى الله في العصر الحاضر.

3- المكتبات الدعوية العلمية تحتاج إلى كتاب أو رسالة تناولت :منهجية الشيخ أبي الحسن علي الندوي في القضايا الدعوية المعاصرة.

4- الطريقة الناجحة التي تميز بها العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله في الدعوة إلى الله في العصر الحديث، حيث لم تذكر طريقته في جوانب كثيرة من الدعوة إلى الله في الرسائل التي كتبت حول الشيخ رحمه الله حتى الآن.

5- معرفة منهجه الناجح والعمل به يفيد في قبول الداعية في المجتمع بصفة عامة، ونجاح دعوته في اجتماع كلمة المسلمين ووحدة صفهم، وعودتهم إلى دينهم وتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، حيث كان للشيخ رحمه الله القبول العجيب لدى الدعاة وأهل العلم في المجتمعات الإسلامية، فمعرفة منهجه سيسهم بإذن الله في بيان العوامل المؤثرة في إعداد الدعاة في العصر الحاضر، وكيفية الإفادة من الوسائل والأساليب التي اتبعها الشيخ رحمه الله.

الدراسات السابقة

لقد كتبت بعض الكتابات حول الشيخ أبي الحسن رحمه الله، في مجالات مختلفة وبيانها كما يلي:

1- مراسلات أبي الحسن الندوي للملوك والرؤساء:

للباحثة: مسعودة بن الاحول، وهو بحث الماجستير في جامعة الشهيد حمّة لحضر- الوادي، في العلوم الإسلامية 2020م، ركز فيها على جمع رسائله الموجهة للملوك والرؤساء ودراساتها دراسة تحليلية قدم فيه المحاضرات التي ألقاها الشيخ أبو الحسن علي الندوي في اجتماعات التبليغ والدعوة.

2- Pioneers of moderation and renewal: Aspects of moderation and renewal at the thought of Imam Abu Al-Hasan Nadwi

الباحث: حسين خليل محمد، درس في جامعة الدوحة قطر 2012م، وهو بحث الماجستير في العلوم الإسلامية، تتناول هذه الرسالة عن فضائل ومآثر الشيخ الندوي وفاء بحقه وتعميماً لفضله وخيره إلا أن الباحث يركز على إبراز شيء مختلف فهو يعني بدراسة جوانب الوسطية والتجديد في حياة الندوي.

3- منهج الشيخ ابي الحسن الندوي وجهوده في الدعوة إلى الله:

هذه رسالة للباحث: عبد الله محمد سليم النيبالي، وهو بحث الماجستير في جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، نشر في 1433هـ.

هذه الرسالة انحصرت في بيان بعض الجوانب الدعوية حيث تكلم عن جهوده في كيفية الحفاظ على هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية، وحركة رسالة الإنسانية، ودعوة غير المسلمين، كما تكلم عن رحلاته الدعوية للعالم العربي والإسلامي، وكذا العالم الغربي، ثم تكلم عن جهوده في مواجهة الهندوسية وبعض الحركات الأخرى، كالقومية وغيرها.

4- مدرسة ندوة العلماء وجهودها الدعوية قبل تقسيم الهند: ضياء الله بن محمد جان

هذه رسالة تتحدث أساساً عن جهود مدرسة ندوة العلماء الدعوية عموماً، وتطرق في صفحات معدودة لجهود الشيخ الندوي رحمه الله في مجال الدعوة.

5- - الشيخ أبو الحسن علي الندوي وجهوده في العمل الدعوي: الباحث محمد طاهر بن محمد جان.

هذا بحث الماجستير في الجامعة الإسلامية العالمية اسلام آباد، الذي يتحدث عن جهود الشيخ الندوي عموماً في العمل الدعوي، وهذا وإن كان متعلقاً ببحثنا إلا أننا لا نتطرق إلى جهود الشيخ في صلب موضوعنا لأن عملنا "منهجية الندوي في القضايا الدعوية المعاصرة" يتركز أساساً على الاستمداد لمنهجية الشيخ أمام التحديات في الدعوة في عالمنا المعاصرة مركّزين على معالم منهجه وركائز عمله الدعوي وصلته بفقهاء الواقع المعاصر.

6- الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته: الشيخ محمد يوسف القرضاوي حفظه الله

هذا كتاب في ترجمة الإمام بالأساس ولكن المؤلف من خلال بعض صفحات هذا الكتاب (من 79-94) تطرق إلى ركائز منهجه في الدعوة، فبالتالي يختلف هذا الكتاب مما نحن فيه من فهم فقه الإمام والاستفادة منه في واقعنا المعاصر.

7- من روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله:

الباحث: محمد علي بن محمد الدقهلية، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية الدقهلية، الطبعة الأولى 2005ء

8- فكرة التغيير السياسي عند أبي الحسن الندوي:

هذا مقال للباحث: نورالدين ضيافي، نشر في مجلّة آفاق للعلوم 2020م هذه مجلة دولية علمية محكمة، بجامعة الجلفة، وفي هذا المقال درس فكر الندوي في تغيير الوضع السياسي المزري والتركيز على تغيير ما بالأنفس قبل الوصول إلى الحكم أو المناداة بتغيير أوضاعه.

9- تجديد المنهج في الخطاب العقدي عند أبي الحسن الندوي:

للباحث: جمال الأشراف، نشر في مجلة الشهاب، يونيو 2018م، يهدف هذا المقال إلى إبراز تجديد المنهج في الخطاب العقدي عند أبي الحسن الندوي.

10- من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر ومن رجال الدعوة والإصلاح أبو الحسن الندوي:

هذا مقال للباحث: حسن محمد بني عامر، محمد أمين، نشر 2005م في مجلة دراسات القانون وعلوم الشريعة.

11- عناية أبي الحسن الندوي باللغة العربية وأثره في الدعوة في بلاد الهند:

هذا مقال للباحث: د.بجيت عثمان جبار، نشر في يناير 2012م

ودراستي سوف تركز على ما يلي:

- 1- منهج الشيخ في تاريخ وأسس ومراحل الدعوة.
- 2- تقييم الشيخ للواقع الدعوي في الحركات الإسلامية.
- 3- خصائص الدعوة الزمانية والمكانية في فكره رحمه الله.
- 4- التعددية الدينية، والفكرية، وكيفية التعامل معها.
- 5- منهجه رحمه الله في التعامل مع الظواهر الفكرية المعاصرة أيضاً والتحديات المعاصرة (التبعية الفكرية، الإلحاد، الحرية المفرطة، والإباحية)

وهي كما ترى نقاط مهمة وجديرة بالدراسة، لم يتطرق الباحثون لها في أعمالهم، يحتاج إليها المجتمع بصفة عامة، والدعاة بصفة خاصة، ونحن سنتطرق لها، ونبينها بكل وضوح، وأسلوب مناسب، فأمل من المشايخ

الكرام، النظر في حالة المجتمع والدعاة، ومدى حاجتهم لتلك النقاط المهمة، والأمور الأساسية في القضايا الدعوية المعاصرة.

مشكلة البحث:

مامنهجته الشيخ أبي الحسن علي الندوي-رحمه الله- في القضايا الدعوية؟ وهذه المشكلة الأساسية مبنية أو محتوية على المشاكل الضمنية وفق ترتيب ابواب البحث وهي:

- 1- مامنهجية التعامل مع الواقع الدعوي (تاريخ وأسس ومراحل الدعوة) في فكر الأستاذ الندوي- رحمه الله- وتقييمه للواقع الدعوي في الحركات الإسلامية من خلال كتبه؟
- 2- ماهي خصائص الدعوة وأنواعها في فكر الأستاذ الندوي- رحمه الله-؟
- 3- مامنهجية الشيخ الندوي في القضايا الدعوية في العصر الحديث

منهج الدراسة:

منهجي في هذه الدراسة هو "المنهج التحليلي"

قمت بوصف أفكار الشيخ الندوي في تناوله للقضايا الدعوية ومن ثم استنتجت من خلال عرضه للقضايا الدعوية منهجيته، وطريقته الدعوية التي تميز بها عن غيره في مؤلفاته. وذلك بخطوات تفصيلية موفقة بإذن الله كما يلي:

- 1- قمت بجمع المادة العلمية المتعلقة بهذا الموضوع حسب استطاعتي من مصادرها و مراجعها.
- 2- قمت بعزو الآيات القرآنية إلى سورها مع الالتزام بالرسم العثماني و أضعها في قوسين مميزين ﴿ 》.
- 3- قمت بشرح الكلمات الغريبة الواردة في البحث، وترجمت للأعلام ترجمة مختصرة.
- 4- عند ذكر المصدر أو المرجع للمرة الأولى، استخدمت بكتابة بيانات كاملة عن الكتاب ثم رقم الجزء إن وجد فالصفحة.
- 5- وثقت أقوال العلماء من مصادرها الأصلية و وضعتها بين قوسين " " .
- 6- قمت بعرض القضايا الدعوية ثم حلها، وبيان استنتاج المنهج منها.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

بيان منهجية الشيخ أبي الحسن علي الندوي-رحمه الله-، وها الهدف يحتوي على الأهداف الضمنية حسب ترتيب ابواب الرسالة وهي:

- 1- توضيح خصائص الدعوة وأنواعها في فكر الأستاذ الندوي-رحمه الله-.

2- بيان منهجية التعامل مع الواقع الدعوي (تاريخ وأسس ومراحل الدعوة) في فكر الأستاذ الندوي- رحمه الله- وتقييمه للواقع الدعوي في الحركات الإسلامية من خلال كتبه.

3- بيان منهجية الشيخ أبي الحسن على الندوي- رحمه الله- في القضايا الدعوية في العصر الحديث.

فوائد البحث:

الذي يقرأ هذا البحث فيحصل على الفوائد التالية:

1- يعرف منهجية الشيخ أبي الحسن على الندوي- رحمه الله- في الدعوة إلى الله بكل وضوح.

2- يعلم منهجية التعامل مع الواقع الدعوي.

3- يعرف خصائص الدعوة إلى الله.

4- يعرف منهجية الشيخ أبي الحسن على الندوي- رحمه الله- في القضايا الدعوية في العصر الحديث.

خطة البحث:

تشتمل على مقدمة و ثلاثة أبواب و خاتمة و قائمة بالفهارس والمصادر والمراجع بالترتيب الآتي:

المقدمة: تشتمل على أهمية الموضوع، و أسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومشكلة البحث، ومنهج البحث، و أهداف البحث، وخطوات البحث و خطة البحث التفصيلية.

التمهيد و فيه أمران:

الأمر الأول: في مفهوم القضايا الدعوية تأصيلا و تفريعا

الأمر الثاني: في ترجمة حياة الشيخ أبي الحسن علي الندوي - رحمه الله - وجهوده ومآثره

الباب الأول

منهجية التعامل مع الواقع الدعوي (تاريخ وأسس ومراحل الدعوة) في فكر الأستاذ الندوي - رحمه

الله - وتقييمه للواقع الدعوي في الحركات الإسلامية من خلال كتبه

الفصل الأول: تاريخ الدعوة الإسلامية

المبحث الأول: تاريخ الدعوة السلمية و فقهاء

المبحث الثاني: منهجية الدعوة السلمية و فقهاء

الفصل الثاني: حكم الدعوة، وفضلها وغايتها وأركانها، وأصولها

المبحث الأول: حكم الدعوة، وفضلها وغايتها وأركانها،

المبحث الثاني: أصول وضوابط الدعوة في فكر الأستاذ الندوي

الفصل الثالث: مراحل الدعوة الإسلامية في العهد المكي وفقهاء

المبحث الأول: المرحلة الأولى، في بداية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أو في زمن الدعوة السرية

المبحث الثاني: المرحلة الثانية، الدعوة الإسلامية الجهرية

الفصل الرابع: مراحل الدعوة الإسلامية في العهد المدني

المبحث الأول: الدعوة داخل الجزيرة العربية

المبحث الثاني: الدعوة خارج الجزيرة العربية

الفصل الخامس: تقييم الأستاذ الندوي لواقع الدعوة في الحركات الإسلامية

المبحث الأول: موقف الأستاذ الندوي من الحركات الدعوية في تاريخ الإسلام

المبحث الثاني: موقف الأستاذ الندوي من الحركات الدعوية المعاصرة

الباب الثاني

خصائص الدعوة وأنواعها في فكر الأستاذ الندوي

الفصل الأول: خصائص الدعوة الزمانية في فكر الأستاذ الندوي

المبحث الأول: خصائص الدعوة في أزمنة التقهقر والخضوع

المبحث الثاني: خصائص الدعوة في عصر الغلبة والاستعلاء

الفصل الثاني: خصائص الدعوة المكانية في فكر الأستاذ الندوي

المبحث الأول: عالمية الدعوة الإسلامية

المبحث الثاني: خصائص الدعوة في البلاد الإسلامية

المبحث الثالث : خصائص الدعوة في الالبلاد الغير إسلامية

الفصل الثالث: أنواع الدعوة

المبحث الأول: أنواع الدعوة من حيث الداعي / المكلف بها

المبحث الثاني: أنواع الدعوة من حيث المدعو (أمة الدعوة، أمة الاستجابة)

المبحث الثالث: أنواع الدعوة من حيث مادة الدعوة وموضوعها (الدعوة في الأمور الحتمية واللازمة و في

التبرعات والفضائل)

الباب الثالث

منهجية الشيخ الندوي في القضايا الدعوية في العصر الحديث

الفصل الأول: التعددية الدينية و منهجية التعامل معها

المبحث الأول: الأديان السماوية

المبحث الثاني: الأديان غير السماوية

الفصل الثاني: التعددية الفكرية داخل الفرق الإسلامية ومنهجية التعامل معها

المبحث الأول: منهجية التعامل في العقائد الإسلامية

المبحث الثاني: منهجية التعامل في العبادات

المبحث الثالث: منهجية التعامل في المعاملات

الفصل الثالث: منهجية التعامل مع الظواهر الفكرية المعاصرة

المبحث الأول: التغريب والتبعية الفكرية

المبحث الثاني: الإلحاد والزندقة

المبحث الثالث: المادية

المبحث الرابع: الحرية المفرطة ومفهوم حقوق الإنسان

المبحث الخامس: الإباحية

الخاتمة: النتائج و التوصيات

الفهارس:

الفهرس المصادر والمراجع

الفهرس الآيات القرآنية

الفهرس الأحاديث النبوية

الفهرس الأعلام

الفهرس الأماكن

الفهرس الموضوعات

التمهيد

التعريف بالقضايا الدعوية وترجمة الشيخ أبي الحسن على الندوي

الأمر الأول :

التعريف بالقضايا الدعوية

إن الرسائل العلمية تعتبر نوعاً من أنواع البحث العلمي لقضايا الدعوة وغيرها، ولها أهمية كبيرة في حياة الانسان لأن علاقة الإنسان بالإنسان وبالكون والحياة، تتطور تبعاً لتطور التفكير الإنساني، ومن ذلك لابد من ظهور قضايا وعلاقات جديدة بين الحين والآخر لم تكن موجودة من قبل، وهذا يستدعي دراسة واعية على أسس منهجية علمية، يعالجها الباحث بروح الأصل القديم، وعقل الحاضر المستنير، مع ضرورة التنبيه أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجانب الديني والأخلاقي.

أولاً القضايا لغة و اصطلاحاً:

(القضايا)

في اللغة:

(قَضَايا) جمع قضية على وزن فعالي وأصله فعائل. وقضى عليه يقضي قضاءً وقضية، الأخيرة مصدر كالأولى، والاسم القضية فقط.¹

وجاء في مختار الصحاح²: القضايا جمع قضية ومنه "قَضَى" يَقْضِي، بِالْكَسْرِ "قَضَاءٌ: أي حكم ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾³.

وقد يكون بمعنى الفراغ يقال: قضى حاجته. وضربه "فقضى" عليه أي قتله كأنه فرغ منه، وقضى نحبه مات.

¹ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفى: 711هـ) 186/15، دار صادر - بيروت، ط:3، 1414 هـ.

² - مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، 1/155، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط:5، 1420هـ / 1999م

³ - سورة الإسراء: الآية: 23.

وقد يكون بمعنى الأداء والإنهاء يقال: قضى دينه كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ¹﴾.

وفي اصطلاح العلماء كما يلي:

جاء في التوقيف على مهمات التعاريف²: (قضايا) التي قياساتها معها "وهي" ما يحكم العقل فيه بواسطة لا تغيب عن الذهن عند تصور الطرفين نحو الأربعة زوج بسبب وسط حاضر في الذهن.

وجاء في المعجم الوسيط³: (الْقَضِيَّة) الحكم ومسألة يتنازع فيها وتعرض على القاضى أو القضاة للبحث والفصل .

ثانياً: (الدعوة):

نسبة إلى (الدعوة)، جمع دَعَوَات و دَعَوَات، والاسم دعوة، وهي مصدر للفعل الثلاثي (دَعَا) كما يقال: دَعَا يَدْعُو دَعْوَةً فهو دَاعٍ، ويقال داعيةً (للمبالغة)، والجمع دعاةٌ و داعون كقاض و قضاةٌ و قاضون.

وعند النظر في المعاجم اللغوية يتضح أن (الدعوة) لها عدة معان منها:

1. النداء و الطلب، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ⁴﴾، أي استغيثوا واطلبوا

مني لأني أنا الله رب العلمين، و في الحديث: (اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)⁵، أي إتق ندا المظلوم.

أيضاً يرد في كلام العرب كما يقال: كُنَّا في دعوة فلان: في ضيافته

¹ - سورة الإسراء: الآية: 4.

² - التوقيف على مهمة التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، 272/1، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط: 1، 1410هـ-1990م.

³ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، 743/2، دار الدعوة.

⁴ - سورة غافر الآية: 60.

⁵ - أخرجه البخاري في صحيحه، باب: الالتقاء والحد من دعوة المظلوم، 129/3، الرقم: 2448، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: 1، 1422هـ.

2. الإِدْعَاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾¹.

3. والدعاء، في قوله تعالى: ﴿دَعَّوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾².

4. والسؤال، قوله تعالى ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾³، وكل دعوة إلى دين أو فكرة تحتاج من الداعي أن يتوجه إلى المدعو بالدعاء طالبا منه الإقبال على إعتناق ما يدعوا إليه، حاثًا إياه على الاستجابة والتلبية مستخدما المتاح والمناسب في سبيل تحقيق ذلك.

فلفظ (الدعوة) جامع للمعنيين: الدعوة للخير والدعوة للشر كما ورد في كلامه - عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾⁴، وكل داع يتميز با المدعو بإضافته إلى ما يدعوا إليه من خيرٍ أو شرٍ، والإصطلاح أو المقام هو الذي يحدد المقصود من الدعوة.

وفي الإصطلاح: إن العلماء قد ذكروا للدعوة عدة تعريفات بتعبيرات مختلفة أذكر منها المشهورة:

حث الناس على فعل الخير و الهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزا بسعادة عاجل والآجل.⁵

تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحيات.⁶

الدعوة هي نشر الإسلام في كل بقاع الأرض وإعلاء كلمة التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى

¹ - سورة الأحزاب، الآية: 4.

² - سورة يونس، الآية: 10.

³ - سورة الأعراف: الآية: 55.

⁴ - سورة البقرة: الآية: 222.

⁵ - هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، (م 11 نوفمبر 1942)، ص: 18، دار الاعتصام، ط: 5، 1952.

⁶ - المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص: 18، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: 3، 1995م.

الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.¹

و هذا التعريف أشمل التعريفات وأحسنها ففيه تفصيل جيّد لما أجمل فيما سبق من التعريفات.

الأمر الثاني:

في ترجمة حياة الشيخ أبي الحسن علي الندوي - رحمه الله - وجهوده ومآثره

إسم الشيخ و كنيته:

هو السيّد أبو الحسن علي الحسني الندوي المشهور علي ميان، الندوي منسوب إلى ندوة العلماء، ليس لقباً بل كنيته.

حياته و أسرته:

ولد الشيخ ندوي - رحمه الله - (6 محرم 1333 هـ - 1914م) في بلدة تسمى "تكية كلان"² في منطقة راي بريلي بولاية أترابرايش بالهند، وتقع "تكية كلان" على بعد حوالي 85 كيلو ميتر من مدينة لكاناؤ التي استوطنها سيد فضيل نقشبندي - رحمه الله - المتوفي: (1096هـ) في القرن الحادي عشر الهجري.

كان الشيخ الندوي - رحمه الله - منارة الأسرة النبيلة التي كانت في الحقيقة عربية الأصل، ذات معرفة جيدة، ويرجع نسبه إلى سيّدنا حسن³ بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم -، ولهذا كان يكتب

¹ - مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، 157/15، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م.

² - بُنيت هذه القرية عام 1050 الميلادي على يد الشيخ سيد علم الله الحسني نقشبنديرحمه الله - (خليفة المجاز سيد آدم بنوري - رحمه الله) انظر! في مسيرة الحياة للعلامة أبو الحسن علي الندوي ص: 35، الناشر: دار القلم دمشق، الطبعة الأولى 1987م.

³ - هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمه فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان آخر ولاية الحسن رضي الله عنه تمام ثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولم يزل الحسن بالمدينة إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وله سبع وأربعون سنة، وقيل مات سنة خمسين، وهو أشبه بالصواب، وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن بالبقيع. (انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 66/2 .

حسني مع اسمه، كما ينتهي نسب جدته من جهة الأب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم- وينتهي نسب أمه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم- فهو نجيب النسب من جهتين.

على الرغم من مرور قرون طويلة على هجرة أسرته من المدينة المنورة، إلا أن كونه من أصل عربي، لم ينس نسبته والسير على منهاجهم منه الدعوة والعبادة والزهد، فبقي على ذلك في الهند حتى وفاته رحمه الله.

وجده سيد قطب الدين¹ المدني -رحمه الله- (581 هـ - 677 هـ)، الذي كان أول من ودع العرب وجعل الهند وطنه،² هل كان يعلم أنه في القرون القادمة سينجب نسله رجالاً مشهوراً سيتذكره العالم بأنه مفكر الإسلام؟

كان الشيخ الندوي -رحمه الله- ابن السيد عبد الحي فخر الدين، لم يكن والده عالماً دينياً فحسب، بل كان أيضاً طبيباً حاذقاً ورجلاً قدوةً لمثل مماثلاً سابقوا في الخيرات، وجده كان أيضاً رجلاً عبقرياً في العلم والعمل معروفاً باسم الشاعر والمصنّف بين الناس.

طبعاً جدّه من جهة الأم الشاه سيّد ضياء النبي الحسيني كان تقياً ورعاً وعالماً كبيراً، كان الناس يأتون إليه من كل مكان ويستفيدون من علمه وصلاحه وتقواه، ولهذا السبب أم الشيخ الندوي -رحمه الله-

¹¹ - هو الشيخ قطب الدين محمد بن السيد رشيد الدين أحمد بن يوسف المدني، ولد بمدينة بغداد في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وأخذ العلم والمعرفة عن فحول العلماء وأساتذة الزوراء منهم : والده العلامة ومنهم الشيخ عبد الرزاق بن عبد القادر الجبلائي، والشيخ العارف أبي الجناب نجم الدين الكبري، أخذ عنه بعد ما توفي عبد الرزاق المذكور، وانتقل من بغداد في فتنه المغول بعد ما استشهد والده، فدخل غزنة وأقام بها زمناً، ثم قدم الهند لعله في أيام قطب الدين أيك، فجاهد معه في سبيل الله وفتحت على يده الكريمة قلعة كزه ومانكيور، وهنسوه وغيرها من القلاع الحصينة المتينة، وكان السلطان شمس الدين الإيلتمش يكرمه غاية الإكرام، قال القاضي شهاب الدين عمر الزاوي الدولة آبادي في هداية السعداء: إن السلطان المذكور كان يجلسه في صدر المجلس ويقبل يده ويتبرك به وكانت وفاة الشيخ قطب الدين محمد في ثالث رمضان سنة سبع وسبعين وستمائة بمدينة كزه، وقبره مشهور ظاهر يزار ويتبرك به، كما في وفيات الأعلام للشيخ محمد يحيى. (انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسيني الطالبي (المتوفى: 1341هـ)، 117/1-119، دار ابن حزم - بيروت، لبنان، ط: 1، 1420 هـ، 1999م).

² - في مسيرة الحياة، ص: 29

كانت امرأة صالحة وعفيفة التي كانت الابنة الصغرى لسيد ضياء النبي الحسيني - رحمه الله-، فهذا الأثر يتضح في تربية الشيخ الندوي- رحمه الله-، الخلاصة: فهذه الصفات الوراثية التي ورثها من الجانبين أعطت عبادة دينية كاملة لحياة الشيخ التي رآها العالم- رحمه الله رحمة واسعة-.

حياته العلمية والعملية:

كانت أسرة الشيخ الندوي- رحمه الله- أسرة علمية وأدبية، كان والده عالما و طبيا، ووالدته حافظة زاهدة، وشقيقه الأكبر أيضا كان عالما و طبيا فتوفرت له بيئة روحية إيمانية تأثر بها تأثيراً عميقاً، وكان الشيخ- رحمه الله- يحب القراءة منذ الطفولة مع أن هذا السن يجب فيه الأطفال الرياضة، كما ذكر الشيخ الندوي في كتابه: "أذكر في هذا الصدد قصة لي طريفة، كانت قد اجتمعت عندي طائفة من النقود لانتاج قرشين، وكنت في الخامسة أو السادسة من عمري، لأعرف أن الكتاب لا يباع إلا في المكتبات، وأن لكل شيء دكانا خاصاً، فغدوت إلى سوق أمين آباد، ودخلت صيدلة من الصيدليات، ودفعت النقود لصاحب الدكان وطلبت الكتاب، وتفتن صاحب الدكان إلى أن هذا طفل ساذج بريء من أسرة كريمة، وكان عنده فهرس الأدوية بالأردية، فقدمه إليّ، وردّ معه النقود أيضاً، فلاتسأل عن سروري وبهجتي، فقد وجدت الكتاب ورجعت بالنقود أيضاً، ووصلت إلى البيت وأنا رافل في الفرح والسرور، وزينت بهذا الكتاب مكتبتني الصغيرة التي تكونت من تلك الكتب والرسائل التي كان والدي يستغني عنها ويتركها في مكان، أو يضعها في سلة المهملات، وهكذا كان حال أختي في حبهما للكتاب والشوق الزائد إليه" ¹.

إن الشيخ- رحمه الله- عندما بلغ عمره تسع سنين توفي والده - رحمه الله- (العلامة عبد الحي) يوم الجمعة، الخامس عشر من جمادي الآخر عام 1341 هجري، الموافق الثاني من فبراير عام 1923م، ومهنته الوالد الطب فموت الوالد يختم مهنته، والوالد كفيل وحيد في أسرته لهذا السبب تقع لأسرة الشيخ صدمتان: الأولى الصدمة الذاتية والثاني الصدمة الإقتصادية²، لكن الله - سبحانه وتعالى- حينما يختار لدينه من ذكر أو أنثى فيخلق له أسباب كثيرة كذلك يقع ههنا، أم الشيخ كانت مجتهدة و صبوراً أنها تربي تربية عظيمة، حتى تباع ميراث الأملاك التي تحصل من الوالدين و تنفق على تعليمه وتدريبه.

¹ - في مسيرة الحياة، ص: 58.

² - المصدر السابق، ص: 69.

أيضاً الأخ الكبير الدكتور سيد عبد العلي الحسني - رحمه الله - (1893-1961) أشرف على تربيته ورباه مثل الأب¹، ولم يدخر جهداً في تدريبه حتى أنه قام بتعيين متخصص لكل فن حتى لا يكون هناك نقص في دراسته، والشيخ - رحمه الله - لم يصرف القدرة والوقت في غير حصول العلم والمعرفة والاستفادة كاملة.

فالله - سبحانه و تعالى - بارك في علمه وعمره، وهذا وعد الله للمؤمنين والمؤمنات في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾².

بهذه الخلفية عندما دخل الشيخ الندوي - رحمه الله - في مجال الحياة العملية، من ناحية كان هناك غزو للمعرفة والحضارة الغربية ومن جانب آخر كان هناك الشرق المهزوم، والمتخلف في مواجهة القوة الاستعمارية للغرب، ومن ناحية أخرى كان أمامه تاريخ المسلمين المجيد، والإنجازات الكبيرة لاعتزازهم السياسي والثقافي وكانت رعاية البحث العلمي إنجازاً عظيماً، وتحت هذا المشهد كانت الصفحات المفتوحة لأعمال التجديد للشيخ مجدد الالف الثاني - رحمه الله -، والعمل الفكري والإصلاحي للشاه ولي الله المحدث الدهلوي - رحمه الله -، وحركة السيد أحمد بن عرفان - رحمه الله - المعروف بأحمد الشهيد البريلوي، للعلو الديني والعلمي، وعظمة الماضي المجيد للإسلام وهذه الصفحات الذهبية من الماضي القريب، ثم البؤس الحالي والانحطاط جعل قلب وعقل الشيخ الندوي - رحمه الله - في حراك وحاول أن يضع حياته العملية في ضوء علمه وحكمته على الطريق الذي من شأنه إحداث مثل هذا التغيير الذي من خلاله يمكن الماضي العظيم للمسلمين أن يؤثر على زمن حالهم.

موضوع التاريخ كان موضع اهتمام عائلة الشيخ الندوي - رحمه الله - وهذا الاهتمام مفيد للغاية في إلقاء الضوء على علو وانحطاط الأمم وأسبابها³، فالشيخ رحمه الله أعمل قدراته العلمية والأدبية وفكره الدعوي وشغفه بمسائل التاريخ وغيرها من العلوم في معرفة أسباب علو المسلمين في السابق والاستنتاج من ذلك، ومعرفة أسباب ضعف المسلمين في العصر الحاضر، وكيف يمكن تفادي ذلك وهو ما يمكننا معرفته من مؤلفاته، كما طرح الشيخ في دعوته وكفاحه الفكري الجانب الفني المعاصر ومختلف جوانب علم النفس الحياتي واعتمد الإستراتيجية المناسبة لذلك، وحاول الشيخ اعتماد أسلوب الشيخ مجدد الالف الثاني - رحمه الله - في مخاطبة الحكام، وفي التعليم والتدريب تبني أسلوب الفهم والتفسير للشاه

¹ - في مسيرة الحياة، ص: 71.

² - سورة العنكبوت، الآية: 69

³ - في مسيرة الحياة، ص: 35.

ولي الله المحدث الدهلوي-رحمه الله-، وفي مجال الفكر والحكمة اتبع أسلوب البحث والفهم عند الشيخ ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي -رحمهم الله- من القدماء¹.

ومن أجل إصلاح الأمة وعلو شأنها اختار طريق إصلاح الشيخ السيد أحمد بن عرفان المعروف بسيد أحمد شهيد -رحمه الله- وحزبه في إصلاح المجتمع في عصره.

كان الشيخ-رحمه الله- يقدر أسلوب الدعوة والإصلاح الذي تبناه الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي- رحمه الله- في زمانه، ويجب أسلوبه ويتخذه لنفسه منهجاً في الدعوة، كما اعترف الشيخ بتقديره للجهود الأخرى في عصره.

و بالإختصار على هذا، تبنى الشيخ أفكاراً وأعمالاً شاملين من أجل تحسين الأمة وتنميتها، وحاول التأكد من أن هدف إحياء الأمة وتنميتها هو الهدف المشترك للأمة بأسرها، بجميع فئاتها وأحزابها وعلى الأمة تحقيق ذلك، والعمل خارج خلافاتنا، وبالطبع كانت نتيجة صدق الشيخ في ذلك لكثير منه الطوائف تحترم الشيخ وتتفق معه على سبيل وحدة الأمة ولو نظرياً.

سلسلة الشيوخ:

من جهة حظي الشيخ برعاية أخ له صفات علمية وعملية، ومن جهة أخرى تلقى تدريباً مثالياً على يد أساتذة بارزين في عصره، ومنهم:

- 1- العلامة محمود علي (درس منه الشيخ كتب الفارسية الإبتدائية)
- 2- سيد محمد اسماعيل (درس منه الشيخ البوستان في الفارسية)
- 3- محمد زمان (علم منه الشيخ طريقة الكتابة والهندسة)
- 4- الشيخ خليل بن محمد بن حسين اليميني البهبوي² (درس منه الشيخ اللغة العربية والأدب)
- 5- الأستاذ خليل الدين الهنسوي (درس منه الشيخ الإنجليزية)
- 6- الشيخ خواجه عبد الحي الفاروقي (درس منه الشيخ بعض سور من القرآن بالتفسير)

¹ - في مسيرة الحياة، ص: 40.

² - هو الشيخ خليل بن محمد بن حسين اليماني، ولد في بھوبال سنة أربع وثلاثمائة وألف، واقتداره على اللغة العربية وآدابها بحكم أصله العربي وذوقه الأدبي، وله اشتغال بالعلوم ومهارة في التدريس، وقد مات لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف. (انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، 1219/8-1221).

- 7- العلامة سيد طلحة (درس منه الشيخ الصرف والنحو)
- 8- العلامة حيدر حسن خان¹ (درس الشيخ منه الصحيحين والترمذي وأبوداؤد حرفاً حرفاً)
- 9- العلامة فضل الحق رامبوري
- 10- العلامة شبلي الخيراتجوري (درس الشيخ منه الكتب الفقه)
- 11- الشيخ تقي الدين الهلالي (درس الشيخ منه كتب العربية والأدب بدرجة العليا)
- 12- شيخ القرآن العلامة احمد علي لاهوري² (درس الشيخ منه التفسير القرآن الكريم)
- 13- شيخ العرب والعجم العلامة حسين احمد المدني³ (يستفيد الشيخ منه في الحديث)
- 14- شيخ الأدب العلامة إعزاز علي

¹ - هو الشيخ الفاضل حيدر حسن بن أحمد حسن بن غلام حسين خان الياغستاني الأفغاني الطوكي، ولد حوالي سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف، ومشائخه: الشيخ غلام أحمد النعماني اللاهوري، والشيخ العلامة حسين بن محسن الأنصاري اليماني، والشيخ المحدث نذير حسين الدهلوي من كبار المشائخ، ه مشاركة جيدة في الفقه والأصول والكلام والحديث، وكان منهجه في تدريس الحديث منهجاً علمياً، هو أشبه بمنهج المحدثين منه بمنهج الفقهاء، يذكر المذاهب، ويذكر أدلتها وما يحتاج به أصحابها من الحديث، ولا يقصر في ذلك، ثم يحاكم فيها محاكمة، مبنية على علم الأصول والرجال، أكثر من الدلائل المنطقية والتعليقات العقلية، انت وفاته في الخامس عشر من جمادى الأولى سنة إحدى وستين وثلاثمائة وألف، ودفن في، المقبرة المعروفة بموتى باغ بطوك. (انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، 1217/8-1219).

² - هو الشيخ أحمد علي اللاهوري، (1887 - 23 فبراير 1962) (بالأردوية: مولانا احمد على لاهوري)، هو باحث الكبير والمفسر، ومترجم القرآن للأردية في جنوب آسيا. وقد مات الشيخ أحمد علي اللاهوري في 23 فبراير 1962 في لاهور، ودفن في لاهور، وقام ابنه الشيخ عبيد الله أنور بحمل تراثه في الدراسات الإسلامية بعد وفاته.

³ - هو الشيخ حسين أحمد بن حبيب الله الحنفي المدني، ولد في التاسع عشر من شوال سنة ست وتسعين ومائتين وألف بقرية بانكر مئو من أعمال أناؤ، ومشائخه البارزة منهم: العلامة محمود حسن الديوبندي، وباب الإمام العلامة المحدث رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ الأجل إمداد المهاجر المكي - رحمهم الله -، ولما اعتزل الشيخ العلامة أنور شاه الكشميري شياخة الحديث في ديوبند وانتقل إلى ذابھيل وقعا لاختيار على الشيخ حسين أحمد رئيساً للمعلمين وشيخاً للحديث في دار العلوم، فانتقل إلى ديوبند سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف، واستقل بتدريس الحديث ورئاسة المدرسة، فحافظت على شهرتها ومركزها وثقة الناس بها، واستفاد منه آلاف أبناء الدين والملة الإسلامية، حتى وافاه الأجل في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف وصلى عليه الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في جمع حاشد لا يحصى، ودفن بجوار أستاذه الشيخ محمود حسن الديوبندي والإمام محمد قاسم النانوتوي. (انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، 1212/8-1215).

15- شيخ الحديث العلامة أنور الشاه الكشميري¹

16- العلامة سيد سليمان الندوي²

17- الشاعر الشرق العلامة محمد اقبال

18- الشيخ عبد الماجد الدرابادي⁽³⁾

¹- هو الشيخ الفاضل العلامة أنور شاه بن معظم شاه الحسيني الحنفي الكشميري، أحد كبار الفقهاء الحنفية وعلماء الحديث الأجلاء، ولد في ودوان قرية من أعمال كشمير لثلاث بقين من شوال سنة اثنتين وتسعين ومائتين بعد الألف، وكان من مشائخه: مولانا إسحاق الأمرتسري، والشيخ خليل أحمد الأنبهلوي، والعلامة محمود حسن الديوبندي، الشيخ حسين بن محمد الجسر الطرابلسي صاحب الحميدية، والعلامة محمود حسن الديوبندي، كان الشيخ أنور نادرة عصره في قوة الحفظ، وسعة الاطلاع على كتب المتقدمين والتضلع من الفقه والأصول، والرسوخ في العلوم العربية الدينية والتفسير وعلوم الحكمة، وقد جمع بعض تلاميذه بعض إفاداته في درس سنن الترمذي، وسماه العرف الشذى في مجلد، له عدد من التعليقات والمؤلفات منها: تعليقات على "فتح القدير لابن همام"، و"الأشباه والنظائر"، و"تعليلات على صحيح مسلم"، و"نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين"، إضافة إلى عدد من الرسائل في عقيدة الإسلام، وقد مات الشيخ 1352 هـ/1933 م. (انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، 8/1195-1198، ومعجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين (مخدوف الأشعار)، 1/1403. الشاملة الذهبية).

²- هو الشيخ الفاضل سليمان بن أبي الحسن الندوي، وكان من أحد العلماء المبرزين في الفنون الأدبية ونوابغ الفضلاء والمؤلفين في القارة الهندية، ولد لسبع بقين من صفر سنة اثنتين وثلاثمائة وألف، ومشائخه البارزين منهم: الشيخ الجليل محي الدين المجيب البهلواروي، المفتي عبد اللطيف السنهلي، والسيد علي الزيني الأمروهي، والمولوي شبلي بن محمد علي الجيراجبوري، والشيخ الفاضل حفيظ الله البندولي، والعلامة فاروق بن علي العباسي الجرياكوبي والشيخ عبد الحي الكنوي- رحمهم الله-، وكان مع انقطاعه إلى العلم والتحقيق وشهرته التي طبقت الآفاق يحن إلى إكمال نفسه ونيل درجة الإحسان، ويشعر بحاجة إلى من يرشده في دقائق إصلاح النفس وكمال الإخلاص والتحقيق، وساقه سائق التوفيق والمناسبة العلمية إلى مولانا أشرف علي التهانوي، وبايعه في رجب سنة سبع وخمسين وثلاث مائة وألف، كان من كبار المؤلفين في هذا العصر، ومن المكثرين من الكتابة والتأليف مع سعة علم ودقة بحث، وتنوع مقاصد، له تكملة سيرة النبي لأستاذه في خمسة مجلدات كبار، كانت وفاته في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة وألف في كراتشي وشيعت جنازته بجمع حافل من العلماء والأعيان ودفن قريبا من ضريح العلامة شبير أحمد العثماني. (انظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، 8/1235-1238).

³- مولانا عبد الماجد دريادي (أو عبد المجيد دريادي) (16 مارس 1892 - 6 يناير 1977)، كاتب هندي مسلم ومفسر للقرآن الكريم، ومساهم في تعليق شامل موسع للقرآن باللغة الإنجليزية.

كتب داريابادي أيضًا تفسيرًا مستقلًا باللغة الأردية نُشر باسم تفسير مجيدي (أكاديمية البحوث والمنشورات الإسلامية، لكتناو). كما قام بتأليف كتاب حكيم الأمة عام 1950.

الكتابة والتأليف:

لقد كانت منّة خاصة من الله - سبحانه و تعالى- على الشيخ الندوي-رحمه الله- أنه حقّق التقدّم في اللغتين العربية والفارسية في سن مبكرة جدًّا، بسبب ذلك لم تشعر بأي صعوبة في الكتابة، ونتيجة لذلك، الشيخ الندوي- رحمه الله- كتب المقالة الأولى في سن السادسة عشرة بعنوان "ترجمة السيد الإمام احمد بن عرفان الشهيد " ثم أقنع نفسه باستمرار بالكتابة و كان له أكثر من خمسة و سبعين¹ (75) كتابًا إلى نهاية حياته، ومن تأليفاته الهامة في الدعوة إلى الله:

1. سيرة السيد احمد الشهيد (رحمه الله)
2. مختارات في الأدب العربي
3. القراءة الراشدة (ثلاثة أجزاء)
4. قصص النبيين للأطفال (خمس أجزاء)
5. مذهب و التمدن
6. القادياني والقاديانية
7. الأركان الأربع
8. إلى ممثلي البلاد الإسلامية
9. رجال الفكر والدعوة في الإسلام (أربعة أجزاء)
10. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية
11. النبوة والأنبياء
12. ماذا خسر العالم بإحطاط المسلمين
13. مذكرات سائح في الشرق العربي
14. الإسلام والحياة
15. المسلمون وقضية فلسطين
16. المسلمون في الهند

كما قام بتأليف سيرة ذاتية بعنوان مذكرات محمد علي الزاقي عام 1943، تأثر بشدة بأشرف علي ثانوي وحسين أحمد المدني، وكان داريابادي مرتبطا بنشاط مع حركة الخلافة، الجمعية الملكية الآسيوية بلندن؛ جامعة عليكرة الإسلامية بعليكرة ندوة العلماء في لكانا؛ أكاديمية شبلي نعماني ب أعظم كره، والعديد من المنظمات الإسلامية والأدبية الرائدة الأخرى.

¹ - في مسيرة الحيات، كتاب: ، ص:26.

17. روائع اقبال
18. الصراع بين الإيمان والمادية
19. إلى الإسلام من جديد
20. الطريق إلى المدينة
21. العاقبة للعرب والمسلمين
22. العرب يكتشفون أنفسهم
23. روائع من أدب الدعوة
24. التفسير السياسي للإسلام
25. إذا هبت ريح الإيمان
26. بين الصورة والحقيقة
27. الإسلام والعلم
28. حديث من الغرب
29. العرب والإسلام
30. الدين والمدنية
31. ردة ولا أبا بكر لها
32. نظرات مبدعة في الأدب
33. في مسيرة الحيات

وله جهود مشكورة عديدة أخرى غير المؤلفات من اعداد الدعاة والمهتمين بالفكر الإسلامي المعاصر، إضافةً إلى أنه جادل الفكر العلماني والغربي بالمجادلة الحسنة لدعم قضية الإسلام في شبه القارة الهندية و خارجها.

الرحلات:

أما رحلات الشيخ الندوي-رحمه الله- لاكتساب العلم والمعرفة، ولرفع صوت الدعوة والتفكير الإصلاحية في العالم، لقد أيقظ أذهان المسلمين.

في ما يلي نذكر أسماء البلدان والمدن باختصار التي نقلت فيها دعوتك:

5. إلى الحجاز المقدس، عام 1947م / 1959 / 1962 / 1965 / 1973 / 1974 / 1981 / 1984 / 1987 / 1988 / 1990 / 1995 / 1996 / 1997 / 1998،

6. إلى مصر، عام 1951م / 1994م

7. إلى السودان، عام 1951م

8. إلى الشام، عام 1951م

9. إلى لبنان، عام 1951م

10. إلى تركيا، عام 1951م / 1987 / 1996م

11. إلى باكستان، عام 1954م / 1955 / 1978 / 1997م

12. إلى الميانما، عام 1960م

13. إلى الكويت، عام 1962م / 1984م

14. إلى أوروبا، عام 1963م / 1964م

15. إلى الإنكلترا، عام 1969م / 1985 / 1988 / 1991 / 1992 / 1993م

16. إلى أفغانستان، عام 1973م

17. إلى إيران، عام 1973م

18. إلى المتحدة العرب الإمارات، عام 1974م / 1976 / 1988م

19. إلى سريلانكا، عام 1973م

20. إلى الأردن، عام 1973م / 1984م

21. إلى العراق، عام 1973م

22. إلى المغرب الأقصى، عام 1976م

23. إلى الولايات المتحدة الأمريكية، عام 1977م / 1993م

24. إلى الجزائر، عام 1981م / 1987م

25. إلى لندن، عام 1983م / 1986 / 1987 / 1994 / 1996م
26. إلى بنجلاديش، عام 1984م / 1994م
27. إلى اليمن، عام 1984م
28. إلى ماليزيا، عام 1987م
29. إلى نيبال، عام 1993م
30. إلى بخارا و ثمرقند، عام 1993م
31. إلى قطر، عام 1995م
32. إلى عمان، عام 1998م

و آخر رحلة الشيخ - رحمه الله - في الدعوة إلى الله أنه إلى جنوب الهند من مارس 1999م، نشر الشيخ - رحمه الله - الدعوة إلى الله في جميع أنحاء العالم تقريبًا، حيث كانت هناك حاجة ماسة، ستزورها مرارًا وتكرارًا، لقد ذكرنا دول العالم المختلفة المذكورة أعلاه، بالإضافة إلى أن الشيخ الندوي - رحمه الله - حاول تغطية أرض الهند ونشر دين نبيه - صلى الله عليه وسلم - هناك¹.

محاضرات:

إن الشيخ الندوي - رحمه الله - درس في دار العلوم ندوة العلماء لكتاؤ قرابة عشر سنوات، وألقى بعدها عدة محاضرات في جامعات الهند وخارج الهند نذكرها باختصار:

- 1- أمريكا: نظرة مؤمن واع إلي الحضارة الغربية.
- 2- بمكة المكرمة: هات صلاح الدين ثانية فينا، بمحضر ياسر عرفات.
- 3- بالأردن: الحل الوحيد لقضية فلسطين، بمحضر ولي العهد الملكي.
- 4- أبوظبي: أزمة هذا العصر الحقيقية.
- 5- دوحة: أكبر خطر علي العالم العربي.
- 6- جدة: إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

¹ - السوانح المفكر الإسلام ، بلال عبد الحي الحسني الندوي، ص: 24، السيد احمد الشهيد اكاامي يو بي، ط: 3، 1435هجري.

- 7- المدينة المنورة: الإنسانية تنتظركم أيها العرب.
- 8- مكة المكرمة: الدعوة الإسلامية ومجالاتها الواسعة.
- 9- قطر: السيرة النبوية وواقع المسلمين.
- 10- قطر: الفراغ في عالمنا المعاصر.
- 11- جدة: منة الإسلام علي الإنسانية الجمعاء دينا وحضارة.
- 12- عمان: المسلمون في الهند.
- 13- مكة المكرمة: حكمة الدعوة وصفات الدعاة.
- 14- في مدينة تورنتو: المدينيات المعاصرة في مرآة القرآن.
- 15- يمن: درس من الحوادث.
- 16- قطر: في ظلال البعثة المحمدية.
- 17- لكتناؤ: قصة تطفلي علي مائدة القرآن.
- 18- قطر: قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ودورها في العالم.
- 19- أبوظبي: كيف يستعيد المسلمون مكانتهم.
- 20- واقع العالم الإسلامي.

و الشيخ سيد عبد الماجد الغوري -حفظه الله- فرّغ جميع المحاضرات والمقالات تحت عنوان "محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة لسماحة الشيخ أبي الحسن الحسني الندوي"¹، وقد طبع في عدة مجلدات.

الجهود الدعوية:

إن دراسة حياة الشيخ الندوي-رحمه الله- تدل على أن الله تعالى قد أعطاه القدرة في الدعوة إلى الله من البداية، وكان تدريب الشيخ أيضاً في أيدي دعاة الدين الذين كانوا يسمون المصلحين في ذلك الوقت،

¹ - محاضرات الإسلامية في الفكر والدعوة لسماحة الشيخ أبي الحسن الحسني الندوي، سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير دمشق، ط:1، 2001م.

أعني العلامة إلياس كاندلوي -رحمه الله- المؤسس لجماعة التبليغ، العلامة عبد القادر رائبوري-رحمه الله- الإمام الصوفية في عصره والعلامة أحمد علي اللاهوري-رحمه الله- من كبار المفسرين في ذلك الوقت، وبسبب ذلك أنفق الشيخ -رحمه الله- كل طاقاته في الدعوة إلى الله، أنا أذكر بعض جهوده الدعوية البارزة فيما يلي:

1- منذ بداية تدريسه في دار العلوم ندوة العلماء لكاناؤ (1934 إلى 1939)، كان أعظم جهود الشيخ الندوي- رحمه الله- أن تغرس في الطلاب ذوقاً للقرآن واللغة العربية الأصيلة والأدب حتى يكونوا مفيدين للأمة و العالم¹.

2- كانت للشيخ الندوي- رحمه الله- جهود دعوية أخرى منها زيارة المدارس الدينية المختلفة في عام 1939م بقيادة الشيخ العلامة منظور احمدالنعماني-رحمه الله-، وشعرت بالحاجة إلى تنظيم جديد ينافس "حركة خاكسار"⁽²⁾ ويغرس روح الإسلام في الشباب المسلم، لهذا السبب ، في عام 1941م، أصبح الشيخ عضواً منتظماً في حركة الشيخ النعماني- رحمه الله-، ومن خلال هذه الحركة، أعاد إحياء الدعوة إلى الإسلام ليس فقط في المدارس الدينية ولكن أيضاً بين طلاب الكليات والجامعات.

3- عندما رفع الكونجرس شعار "أترك الهند" عام 1942م، برزت الأمة الهندوسية بشكل عام وعلى مستوى الجذور، وعلى الرغم من أن قادة المسلمين قدموا دعمهم الكامل، إلا أن الأمة الإسلامية ظلت متفرجة صامتة، فكان لذلك أثر عميق على الشيخ الندوي- رحمه الله-، لقد شعر أن السلطة ستكون في

¹- في مسيرة الحياة، ص: 151.

²- حركة سياسي في الهند، كما ذكر الشيخ منظور نعماني في كتابه: "ولم يمض نصف قرن على ظهور العلامة عناية الله مشرقي في بلدنا الهند وهو الذي قاد حركة (خاكسار) وكانت فلسفته ودعوته قائمة على أساس أن القوة المادية والسلطة والحكم هي الإيمان الحقيقي، وهي الإسلام، وعليه فإن مصداق المؤمنين الصالحين في زماننا هم أهل الأمم الأوروبية الذي يمتلكون القوة والسلطة.

وقد حاول عناية الله مشرقي أن يثبت هذه النظرية وهذه الفلسفة على ضوء القرآن الكريم في كتاب ضخيم يعد دستور دعوته وحركته، ومن رآه في زماننا لاحظ كيف اقبل عليه العديد من شبابنا الجديد بحماسة شديدة، وكيف تقبلوا هذه الدعوة فانضموا إلى صفوفه وأصبحوا جنوداً يأتمرون بأمره، والحقيقة أنه وأمثاله في أمتنا يعتبرون عبدة لنا" (انظر: الثورة الإسلامية في ميزان الإسلام، محمد منظور نعماني (كبير علماء الهند)، ص: 6، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، المصدر: الشاملة الذهبية).

أيدي الطبقة التي ستقدم أكبر قدر من التضحيات، إذا تحاون المسلمون في هذا الصدد، فلن يتمكنوا من المشي على هذه الأرض غداً، فقام الشيخ الندوي-رحمه الله- بنفسه بنشر هذا الفكر وجذب الناس إليه¹.

4- أيضاً أسس الشيخ في عام 1943م "الحركة تعليم الإسلام" (Anjuman-e-Taleemat-e-Islam)، حيث حاول تقوية التفكير التصحيحي والدعوي للناس من خلال تعليم القرآن، وتصدر هذه الحركة مجلة في عام 1948م، دعا فيها الشيخ المسلمين إلى الله وإلى الرسول، وكتب مقالاً نقدياً بعنوان: بعض نقاط الضعف في سيرتنا الوطنية (ہماری قومی سیرت کے بعض کمزور پہلو) وصف فيه تنامي ضعف المسلمين حتى يتجنبوها².

5- ثم حول الشيخ نشاطه الدعوي إلى العرب وكتب أولاً أطروحته الأولى باللغة العربية "دعوتان متنفستان"، والتي تركت أثراً كبيراً لدى كثير من العرب.

6- إن الشيخ الندوي-رحمه الله- قد أراد سفرًا إلى الشرق الأوسط عام 1951م، حيث كتب أطروحة بعنوان "المد والجزر في تاريخ الإسلام" وأيقظ في الناس الوعي الإسلامي ونظراً للوضع في ذلك الوقت فقد كتب كتاباً آخر بعنوان "ماذا خسر العالم بإحطاط المسلمين" واشتهر الكتاب وانتشر انتشاراً واسعاً في الشرق الأوسط³.

ثم بذل الشيخ-رحمه الله- بكل ما في وسعه، فلم يدخر جهداً في نشر الإسلام في كل الأماكن التي استطاع الوصول إليها بفضل سبحانه من بلاد أوروبا وأمريكا وغرب الأقصى وإيران وأفغانستان وبورما وسريلانكا وبنجلاديش وباكستان ودول الخليج للدعوة إلى الإسلام، فجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

المناصب التي كرم بها:

إن الشيخ الندوي- رحمه الله- بعد تحصيل العلم والمعرفة بدأ التدريس في عام (1934م إلى 1939)، وأصبح أستاذاً في دار العلوم ندوة العلماء اللفناؤ، لمادتي التفسفر والأدب، وبعد أنشأ مركزاً للتعلفر

¹- السوانف المفكر الإسلام، ص: 178.

²- المصدر السابق، ص: 179.

³- السوانف المفكر الإسلام، ص: 181.

الإسلامي مهتمًا بالسنة والسيرة والقرآن الكريم في عام 1949، وبعد ذلك بسنتين أسس حركة الرسالة الإنسانية بين المسلمين والهندوس (تحريك پیام انسانیت)¹.

أشرف الشيخ الندوي-رحمه الله- على إقامة المجمع الإسلامي العلمي بدار العلوم ندوة العلماء عام 1959، كما عُيِّن أمينًا عامًا لدار العلوم ندوة العلماء عام 1961، وشارك في تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند في 1964، كما أنه كان رئيسًا لهيئة الأحوال الشخصية لعموم الهند عام 1972، أما خارج الهند فقد أُنْتُخِبَ عضوًا مراسلًا للمجمع اللغة العربية في الهند والقاهرة، كما أنه أُخْتُيرَ لعضوية المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعُيِّنَ رئيسًا لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن عام 1983، وفي الأردن أصبح عضو المعهد الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية والبحث والتأليف والتحقيق.

كان الشيخ الندوي-رحمه الله- رئيسًا لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الرياض، وعضوًا للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، في الوقت الذي كان فيه ضمن فريق المجلس التأسيسي الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية في القاهرة، وكان عضوًا لرابطة الجامعات الإسلامية في الرباط واستشاريًا في جامعة ديوبند الإسلامية في الهند.

أشادة العلماء بالشيخ وثنائهم عليه:

طبعاً إذا كانت حياة الشيخ مكتوبة بأحرف من ذهب فهي أقل، لكننا ننقل هنا بعض الكلمات التي وردت في مدح الشيخ الندوي-رحمه الله- بلسان العلماء المعاصرة فيما يلي:

1. الداعي الكبير المفكر العلامة يوسف القرضاوي كتب كتاباً خاصاً بعنوان "أبو الحسن الندوي كما عرفته"، وأشتهر الندوي بأنه ساهم مساهمةً كبيرةً بنشر الإسلام، وعمل على صيانة الدين من التحريف، مكرساً حياته وطاقاته للعلم والتعليم، ويشهد له تجواله في العالم من أجل هدفه هذا.
2. أيضاً يقول الشيخ علي الطنطاوي عن الشيخ الندوي-رحمه الله-: أنه بنى للإسلام في نفوس تلاميذه حصوناً أقوى وأمتن من حصون الحجر، بنى أمة صغيرة من العلماء الصالحين والدعاة المخلصين².

¹ - في مسيرة الحياة، ص: 155.

² - انظر التقديم الكتاب "في مسيرة الحياة" ص: 15.

3. كما قال عنه العالم الدكتور مصطفى السباعي: "الندوي. ذخّر للإسلام ودعوته، وكتبه ومؤلفاته تتميز بالدقة العلمية، وبالغوص العميق في تفهم أسرار الشريعة، وبالتحليل الدقيق لمشاكل العالم الإسلامي ووسائل معالجتها"¹.

4. وكما قال الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء في الهند)، عن الشيخ الندوي - رحمه الله -: "هوشينا ورئيس جماعتنا وقدوة أبناء ملتنا الإسلامية في الغيرة للدين والكفاح لإغرازه والذب عن حوزته، وإقرار روحه وطبيعته الحقيقية، توفي بعدما نُهج للدعوة والتربية الإسلامية منهج الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع في الفكرة والتنفيذ، ومنهج النصيحة وحسن الخلق، والأسلوب العلمي المشرق في عرض الفكرة وفي التعبير، بعد أن أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته القيمة"².

5. وقال عنه الشيخ محمد الغزالي: "هذا الإسلام لا يخدمه إلا نفس شاعرة محلقة، أما النفوس البليدة المطموسة فلا حظ لها فيه... لقد وجدنا في رسائل الشيخ الندوي لغةً جديدةً، وروحاً جديدةً، والتفاتاً إلى أشياء لم نكن نلتفت إليها"³.

وفاة الشيخ الندوي - رحمه الله :-

توفي الشيخ الندوي - رحمه الله - يوم الجمعة، 31 ديسمبر، عام 1999م، وقد فقدت الأمة الإسلامية إماماً دعا للوسطية في التعامل ورفع الأمة، فنصح الحكام وجال في البلاد حاملاً لواء العلم، ليحوز مراتب عالية ويشهد له جميع من عرفه بالخير⁴. إنا لله وإنا إليه راجعون.

¹ - في مسيرة الحياة، ص: 15

² - السوانح المفكر الإسلام، ص: 15.

³ - الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، الشيخ يوسف القرضاوي، ص: 19.

⁴ - المصدر السابق، ص: 477.

الباب الأول

منهجية التعامل مع الواقع الدعوي (تاريخ وأسس ومراحل
الدعوة) في فكر الأستاذ الندوي- رحمه الله- وتقييمه للواقع
الدعوي في الحركات الإسلامية من خلال كتبه

الفصل الأول: منهجية الدعوة الإسلامية وتاريخها

المبحث الأول: تاريخ الدعوة السلمية و فقها

المبحث الثاني: منهجية الدعوة السلمية و فقها

الفصل الأول: منهجية الدعوة الإسلامية و تاريخها

التمهيد:

العبادة الواجبة بعد شهادة التوحيد والرسالة: إقامة الصلاة والصيام وأداء الزكاة والحج واجبة على المسلمين بأداب وشروط، ولكن الكثير من المسلمين لا يهتمون بهذا الواجب، ويهملونها بدون عذر.

مثل هذه العبادات المكتوبة، هناك واجب آخر مهم ألا وهو الدعوة إلى الله، إنها مأساة كبيرة أن يعيش معظم المسلمين بشكل عام حياة إهمال لهذا الواجب، وحتى المتدينين من المسلمين لا يدرك كثير منهم إلى حد كبير أهمية وضرورة الدعوة، وهم لا يعتبرون الدعوة واجباً فيطرح عليهم سؤال تحقيقها، هناك تعليمات واضحة في القرآن والأحاديث النبوية بخصوص واجب الدعوة، لقد تم تحذير الناس من العواقب الوخيمة لإهمال الدعوة، فالدعوة إلى الإسلام هي الحل الوحيد لمشاكل الحياة البشرية.

مفهوم منهجية الدعوة:

منهجية! مفرد، مصدر صناعي⁽¹⁾ من منهج، ومادته: "ن ه ج" والمعنى: نظام طرق البحث "منهجية البحث العلمي - طبق منهجية جديدة"².

والمنهجية: يقابلها في اللغة الفرنسية *Méthodologie* وهذا المفهوم مركب من كلمتين: *Méthode* وتعني المنهج، و *Logie* وتعني علم، وبذلك فالمنهجية هي العلم الذي يهتم بدراسة المناهج فهي علم المناهج.

وبذلك فالمنهجية هي أشمل من المنهج، ففي البحوث العلمية نستخدم مفهوم المنهجية في حال اعتمادنا على مجموعة من المناهج في إطار التكامل المنهجي³.

ما الفرق بين المنهج والمنهجية:

¹ - وهو أن يُراد على اللفظة ياء مشددة، وتاء التأنيث، كالحرية، والوطنية، والإنسانية، والهمجية، والمدنية. (شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: 1351هـ)، ص: 61، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض).

² - معجم اللغة العربية المعاصرة. د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

³ - مناهج العلوم القانونية، أ/ حوبه عبد القادر، محاضرات في المنهجية للسنة الأولى، المركز الجامعي بالوادى، معهد العلوم القانونية والإدارية، السنة الأولى: 2010/2009.

المنهج: الطريق الذي نسلكه للوصول إلى المعرفة. والمنهجية: الإطار النظري الذي يدرس طرق البحث ويحللها.

المنهج: هو التطبيق العملي. والمنهجية هي الإطار الفكري الذي يوجه هنا التطبيق.

باختصار شديد المنهجية هي دراسة المناهج، وتحديد كيفية اختيارها وتطبيقها وتحليلها علمياً.

والدعوة⁽¹⁾: كلمة عربية يعني النداء، لقد أرسل الله الأنبياء لتوجيه الأمم في مناطق مختلفة من العالم وفي فترات مختلفة، بدأت سلسلة النبوة مع سيدنا آدم (عليه السلام)، وانتهت بسيدنا محمد ﷺ، لكن فريضة الدعوة، وهي سنة الأنبياء والمرسلين، وهي واجبهم الأساسي، تستمر إلى يوم القيامة لأن الغاية الأساسية والحقيقية للدعوة هي إنقاذ عباد الله من الإلحاد والشرك والكفر ومحاولة هدايتهم فهي باقية إلى يوم القيامة، في القرآن هناك العديد من المصطلحات المستخدمة للدعوة: الصدع بالحق، والتبليغ، والتبشير، والانداز، والدعوة إلى الله، والتذكير، والتبين إلخ.

الدعوة تعني دعوة جميع عباد الله (رجالاً ونساء) إلى عبادة الله، وتحذيرهم من عبادة غير الله، ولهذا لا بد من عرض مبادئ الإسلام الأساسية: التوحيد والنبوة والآخرة بالحجج والحكمة، ليس من الممكن القيام بكل أعمال الدعوة في جلسة واحدة أو بضع جلسات فيما يتعلق بالوفاء بواجب الدعوة، ولكن من الضروري مقابلة المدعو والتحدث معه مراراً وتكراراً، يجب ألا يكون الداعي في عجلة من أمره للحصول على النتيجة ولكن يجب أن يواصل عمله بشجاعة وحماس، كما ينبغي أن يدعو الله سبحانه وتعالى بهداية المدعو، لأن من واجب العباد إيصال الرسالة، بينما والهداية بيد الله عزوجل، يرفع من يشاء بالهدى والحق.

فريضة الدعوة:

الدعوة والصلاة والصوم وواجبات أخرى لا تقل أهمية في الإسلام، هذا هو الشروط الأساسية للفوز في الحياة لقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْر... إِلَى آخِرِ السُّورَةِ﴾، فكما يجب على المسلمين أداء الصلاة والصيام وغيرها من الواجبات والأعمال، فكذلك يجب عليهم أداء واجب الدعوة، وقد أمرنا الله تعالى في القرآن الكريم بأداء هذا الواجب، فكما أن فوائد الصلاة لا يمكن الحصول عليها بعد ترك الصلاة، فإن التقوى والتطهير والتطور الروحي والأخلاقي غير ممكن بعد ترك الصيام، كذلك أولئك الذين يتخلون عن الدعوة لا يكمل إيمانهم ولا يتحقق له الفوز والفلاح في أمور دينهم ومعاملتهم، تتحقق علاوة على ذلك، ولا يمكن تجنب

¹ - انظر مقدمة البحث للتفصيل اللغوي والإصطلاحي.

العواقب الكارثية الناشئة عن التخلي عن الدعوة في العالم، غير أن في الآخرة، يجب على المرء أن يواجه غضب الله واستجوابه.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "هذه الدعوة كانت جديدة في الحقيقة بالأنبياء ومواهبهم وقواهم ورسالتهم وإيمانهم وجهادهم وثباتهم وفقهم وحكمتهم وإخلاصهم، ولكنها ليست خاصة بالأنبياء بل هي دعوة خلفائهم وأتباعهم كذلك، ودعوة كل عصر ومصر .. وحاجة الانسانية كلها والعصور كلها"¹ وفي هذا الصدد، تأمل في تعاليم القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾².

كما أكد النبي صلى الله عليه وسلم على الدعوة، معيار دعوته ﷺ محفوظ في كتب السيرة والأحاديث، وهناك أمثلة رائعة للدعوة في الحياة النقية للصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان، قامت هذه الشخصيات العظيمة برحلات صعبة إلى أجزاء مختلفة من العالم لدعوة الناس إلى الإسلام ودعوة إلى دول.

انتشر الإسلام في معظم دول وشعوب العالم، فليس جبل أو صحراء أو بحر يمكن أن يوقف به هذه الدعوة، الإمبراطوريات التي تجمدت لقرون لم تستطع إيقاف هذه الدعوة، ونتيجة لترويجها جاء نبع الإيمان والتقوى والرحمة والعمل الخيري والأخلاق والروحانية، إن جنة الإنسانية على قدم وساق، وتبددت غيوم الظلم والشرك والإلحاد والظلم والحرب والفتنة، أقيم العدل وسيادة القانون والنظام الإلهي تجاوزت هذه الدعوة حيث وصلت آنذاك، أرض شبه الجزيرة العربية، وأصبحت دعوة عالمية، ولم يكن أتباعها عرباً فحسب، بل نشأت أمة عالمية "الأمة المسلمة"، وأصبح الصحابة رضي الله عنهم قوة عالمية على أساس الدعوة.

أصبح الأشخاص الذين ينتمون إلى دول وقبائل مختلفة في العالم ويتحدثون لغات مختلفة تجسداً لمجتمع عالمي، مثله غير موجود في تاريخ البشرية³.

¹ - الإسلام والحكم للعلامة أبي الحسن علي الندوي، ص:12، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

ط: الأولى، 1398 هـ - 1978 م.

² - سورة البقرة، الآية:158.

³ - انظر! مقالات اسلامية في الفكر والدعوة للعلامة الندوي، إعداد: سيد عبدالمجيد الغوري، 87/2، دار ابن كثير

بيروت.

محركات الدعوة:

إن المحرك الحقيقي للدعوة هو فقط تحقيق الرضاء الإلهي وصالح الآخرة، يسعى الداعي إلى إيصال الهداية لمن حرموا من الهداية بالدعوة وإنقاذهم من نار جهنم بالدعوة إلى الله سبحانه.

لا ينبغي أن يكون هناك محرك آخر غير هذا المحرك الصافي والكبير للدعوة، يعتقد البعض أن الدعوة تهدف إلى زيادة عدد المسلمين، أو أن الدعوة قد تؤدي إلى عودة المسلمين للسلطة هذه وغيرها من المحركات المماثلة ليست صحيحة، ولم يكن الحال دائماً في التاريخ أن تم قبول الدعوة من قبل الجميع، تم العثور على المنكرون في كل عصر، بل بعض الأحيان، لم يرفض جميع السكان والأمة الدعوة فحسب، بل عارضوها بشدة، فالدافع الحقيقي للدعوة ليست الفوائد الدنيوية، على الرغم من أن للدعوة العديد من الفوائد الجانبية¹.

حلول العلل الاجتماعية والمعضلات الأخلاقية:

الطريقة الفعالة والناجحة لتقديم الدعوة الإسلامية هي انتقاد الشرور الاجتماعية والعيوب الأخلاقية بحكمة وتقديم الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة على أنها الحل الوحيد، عندما ندرس سير الأنبياء نجد أن ذكرها واضح في جهودهم الدعوية، فانتقدوا علانية الشرور الاجتماعية والأخلاقية الموجودة في أممهم، كانوا يدعو الناس إلى الإيمان بالله تعالى، وتحقيق عبوديته سبحانه بالطاعة والاتباع، وتقوى الله هذه الوصفة النبوية للقضاء على الفساد وتصحيح الشرور الاجتماعية والأخلاقية كانت أنجح وصفة لتحقيق المراد، ولم تنجح أي طريقة أخرى في العالم، هل هناك دين أو عقيدة غير الإسلام في تاريخ العالم حلت المشاكل الخطيرة للمجتمع البشري؟ طبعاً لا².

وفيما يلي نماذج من دعوات الأنبياء نشرح هذه النقطة بشكل جيد، يذكر القرآن الكريم جهود الدعوية التي قام بها سيدنا صالح في هذه الكلمات: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾³، الأمة التي أرسل إليها لوط -عليه السلام- كانت متورطة في اللواط والبغاء والفسق المفتوح في الاجتماعات، دعا لوط قومه إلى التوحيد، وحذرهم من شرور الشرك ومضارها، ودعاهم إلى الخوف وطاعة الله، في الوقت نفسه، انتقد بشدة الحالة الأخلاقية للأمة، كما في قوله: ﴿أَتُنْكُمُ اللَّاتُوتَ الرَّجَالِ

¹ - انظر مقالات اسلامية في الفكر والدعوة للعلامة الندوي، ص: 87/2.

² - المصدر السابق، ص: 87/2 .

³ - سورة النمل، الآية: 48.

وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ¹.

أيضاً عاش قوم شعيب في منطقة خصبة وخضراء للغاية، كان الازدهار الاقتصادي في ازدياد، ولكن بسبب العيوب الأساسية في الشرك، كان له عيوب كبيرة مثل الخداع التجاري، والاختلاس والابتزاز، ويعلق القرآن على نواقصهم بهذه الكلمات: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ².

سلسلة جهود الأنبياء الدعوية طويلة، وأخيراً انظر إلى جهود الرسول محمد ﷺ، قبل النبوة كان الرسول محمد ﷺ يندب شرور وبؤس قومه، ابتعد عن هذه البيئة وتأمل، أمضى أياماً كثيرة في عزلة في غار حراء بحثاً عن الحقيقة، وبعد تسلمه النبوة، حذر قومه من الشرك والفساد، وانتقد الشرور الموجودة في المجتمع، ودعا إلى الإصلاح، وأهم الشرور الاجتماعية والفساد الأخلاقي التي انتقدتها هي: الشرك وعبادة الأصنام، انتهاكات حقوق الإنسان، واضطهاد النساء والمحرومين، واليتامى والعبيد خاصة، والكحول، والقمار، والربا، والزنا، دفن الفتيات على قيد الحياة عند الولادة، والقتل، والسرقه والنهب، والاضطرابات والفوضى وما إلى ذلك³.

في العصر الحاضر هناك شرور اجتماعية أكثر وفي ازدياد مستمر، يتميز عصر اليوم بحقيقة أنه على عكس الماضي، حيث أصبح التعليم شائعاً اليوم، وأن العلم والتكنولوجيا في ازدياد، لقد بلغ العلم والفن ذروته، هناك قانون، وهناك محاكم، وهناك سجن ونظام شرطة، ولكن رغم كل هذا، فإن حياة الإنسان في مأزق، لا أحد يفهم الحل، إن الحاجة إلى التعليم والقانون والعدالة واضحة لكن العدالة لا تتحقق له، وذلك لغياب القانون والنظام الإلهي.

منهجية دعوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم محفوظة في سيرته الذاتية، دعا إلى التوحيد للقضاء على الشرور والفساد الموجود في الجزيرة العربية، يشهد التاريخ بأنه - صلى الله عليه وسلم - من خلال هذه

¹- سورة العنكبوت، الآية: 29.

²- سورة الأعراف، الآية: 85.

³- انظر! مقالات اسلامية في الفكر والدعوة، 45/2.

الدعوة أحدث ثورة سلمية وصالحة، إنها الحقيقة أن شرور ذلك الوقت في الجزيرة العربية قد انتهت، والسلام والنظام والرحمة والعدل حلت محله، لقد أفادت دعوته الرخاء وتنمية الناس، ولم يحرم أحد¹.

حكمة الدعوة:

الداعي لديه الفرصة للقاء والتحدث مع الناس، يجب على الداعي الاستفادة منها، بشكل عام، فعلى الداعي أن ينتقد تدهور الوضع والقضايا الخطيرة والعيوب الأخلاقية في لقاءاتهم وتجمعاتهم ويصرخ أن الجيل الجديد لا قدر الله سيتأثر ويبتلى به بهذه العيوب، ويشرح بأسلوب يناسب عصرهم كحل في الخطاب العام والخاص، تم ذكر اللوائح والتدابير لتعزيز التعليم، وما إلى ذلك لا يوجد نقص في القانون اليوم، التعليم شائع، أصبح أكثر شيوعاً، لكن على الرغم من ذلك، لا يبدو أن هناك أي تحسن بعيد المنال، حتى المتعلمين أكثر تورطاً في بعض الجرائم والآثام، وفي هذه المناسبات يعرض قضيته أمام الناس الحكمة والدعاء، يجب أن تكون المهمة الرئيسية للداعي هي خلق فكرة في قلوب الناس عن عدم استقرار العالم وفكر الآخرة، الهدف هو أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- على أساس دعوة الحقيقة خلق رجالاً جديداً ومجتمعاً جديداً في الظلام القاتم للجهل القديم لشبه الجزيرة العربية،² حتى اليوم، في عصر الجهل الحديث هذا، يتعين على المرء أن يلجأ إلى نداء الحق للتخلص من المشاكل، ففي هذا الفصل نحن نذكر تاريخ الدعوة ومنهجيتها من خلال فكر الشيخ الندوي رحمه الله.

¹ - انظر! مقالات اسلامية في الفكر والدعوة ، ص: 54/2.

² - المصدر السابق، ص: 59/2.

المبحث الأول: تاريخ الدعوة السلمية و فقها

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويكافيء مزيده، ويدفع نقمه، أحمده حمد الشاكرين، وأسأله سؤال الصالحين، وهو الله القادر رب العالمين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، أرسله تعالى هداية للخلق، فأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، صلى الله عليه وعلى آله، ورضي عن أصحابه اجمعين.

أما بعد:

فإن طريق الصالحين والعلماء يدفع مسيرة الأمة نحو العظمة والتعظيم، لأن هؤلاء المثقفين هم أنوار الطريق لمن يطمح إلى التقدم، والبحث عن المواهب الجيدة، وتقليدها، لجميع متطلبات التنمية في مختلف مجالات الحياة.

الإسلام هو آخر رسالة من الله تعالى، وقد جاءت كاملة وجامعة، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾¹.

فدين الله كامل، ومن جهة أخرى حقيقة أن الحياة متحركة ومتغيرة، وشبابها حاضر على الدوام، إن الدين الذي أرسله الله تعالى أخيراً لمرافقة هذه الحياة حتى يوم القيامة، وإن كانت قائمة على المعتقدات والحقائق الخالدة، إلا أنها مليئة بالحياة والحركة، فالله سبحانه وتعالى لديه القدرة على توجيه العالم في كل موقف، ودعم الإنسانية المتغيرة في كل وجهة، وليست حضارة عصر معين أو عمارة عصر معين هي التي حفظت في آثار الماضي، وخسر حياته ولكنه دين حي هو نموذج لصناعة العليم والحكيم.

الإسلام هو الدين الأخير والعالمي وهذه الأمة هي أيضاً الأمة الأخيرة والعالمية، لذلك من الطبيعي أن ترتبط هذه الأمة بأناس مختلفين في العالم وأزمنة مختلفة، الامر الذي لم يحدث لأمة أخرى في تاريخ العالم، ولمواجهة تأثيرات البيئة والتكيف مع تغيرات الزمان والمكان، وضع الله تعالى ترتيبين لهذه الأمة:

¹ - سزرة المائدة، الآية: 3.

أحدهما أنه أعطى النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل هذه التعاليم الكاملة والجامعة والحية التي يمكن أن تتغلب بسهولة على كل نزاع وتغيير، ولديها القدرة الكاملة على حل المشاكل والصعوبات في جميع الأوقات.

ثانياً: أخذ على عاتقه (يشهد التاريخ الحالي على ذلك) أنه سيستمر في إعطاء هذا الدين للناس في كل عصر، سيوجد الذين سيستمرون في ترجمة هذه التعاليم إلى الحياة، وبشكل جماعي أو فردي، سيحافظون على هذه الأمة الجديدة وفاعلة، في هذا الدين لوجد مثل هؤلاء الذين لديهم القدرة والقوة، لم تتجلى في أي دين من قبل.

والشيخ الندوي-رحمه الله- هو أحد العباقرة الذين اتخذوا المنهج السلمي للدعوة، حتى صار تاريخاً ومثالاً للآخرين، وهكذا أثبت الشيخ بكتاباته الشهيرة "رجال الفكر والدعوة في الإسلام، إذ هبت ريح الإيمان" أنه كلما احتاج الدين إلى رجل كان الله سبحانه وتعالى يقضي الحاجة في ذلك الوقت، وقد عرض الشيخ في هذه الكتب بشكل جميل تاريخ الدعوة السلمية من القرن الأول الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري، وفي هذا المبحث التالي سنذكر منهجية الشيخ الندوي في الدعوة.

تميز التاريخ ومثابرة دعوة الإسلام السلمية:

منذ البداية تعرض الإسلام للهجوم بطريقة لا يمكن لأي دين آخر أن يتسامح معها، ديانات العالم الأخرى التي غزت العالم في زمنها، لم تستطع الصمود أمام هجمات أقل، وفقدت هويتها، لكن الإسلام هزم كل منافسيه، وظل في شكله الأصلي.

إن روح الإسلام لم تهزم، ففي كل عصر كان هناك أناس كشفوا التحريفات والتاويلات، ووضحوا الإسلام الحقيقي والدين الطاهر، ورفعوا أصواتهم ضد البدع والتأثيرات العجمية، وأيدوا السنة النبوية بقوة، استنكروا علانية المعتقدات الخاطئة وحاربوا علانية ضد ممارسات وطقوس الشرك، وانتقدوا المادية والهواة النفسية، وأدانوا بشدة الكماليات وغزاة عصره، ورفعوا كلمة الحق أمام السلاطين الجائرين، مما أدى لكسر شوكته، وخلقه ذلك روحاً جديداً في الإسلام وأعاد المسلمين لعقيدتهم السمحة من جديد وحياة جديدة في المسلمين، ووقفهم الله تعالى لحماية هذا الدين وبقائه، ومهمة هداية العالم وارشادهم تؤخذ من هذه الأمة، والعمل الذي كان يأخذه من الأنبياء، والأنبياء الجدد، سيؤخذ الآن من نواب الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ومصلحي الأمة ومجدديها.

من ناحية أخرى، تفتقر الديانات الأخرى في العالم إلى الشخصيات التي يمكنها بث حياة جديدة في هذه الديانات وإعطاء حياة جديدة لأتباعها.

احتفظت المسيحية بروح وإرث بولس لقرون وحتى اليوم، وفي كل ذلك الوقت لم يولد أي شخص في العالم المسيحي تحدث ضد هذا النظام المسيحي الخارجي وغير الواقعي، ولا رفع راية التمرد ومحاولة العودة إلى النقطة التي ترك فيها سيدنا عيسى عليه السلام.

ابتكرت البوذية فكرًا جديدًا أو دينًا جديدًا، على أساس ترك العالم، والحضارة، والنضال ضد الرغبات، والرحمة، والتعاطف، والخدمة، والممارسة، وإنكار ومعارضة العادات والصراعات الطبقيّة في المجتمع الهندوسي، وقد أصبحت بارزة جدًا في الأيام الأخيرة، ولكن بعد فترة ضلت هذه الحركة الدينية طريقها أيضًا.

في الحقيقة لا يمكن لأي دين أن يعيش لفترة طويلة، ويحتفظ بهذه الصفات لعدة أيام، ويؤثر على الحياة المتغيرة ما لم ينتج من وقت لآخر أفرادًا لديهم إيمانهم القوي بمعتقداتهم الخاصة غير العادية، والروحانية، ونكران الذات، ومع تفوق العقل والذهن، وقدرة القلب تبث حياة جديدة في الجسد.

لا يمكن إنكار حقيقة أنه في هذا التاريخ الطويل والإضطرابات والحروب ضد الإسلام، لم تكن هناك فترة زمنية ولو قصيرة يتم فيها إغلاق الرسالة الحقيقية للإسلام بل هي مستمرة والله الحمد. هناك العديد من

الدعوات والحركات الدخيلة في الإسلام، والتي كانت قوية جدًا في زمانهم، ولكن وجودهم اليوم فقط في الكتب، مثل القدرية⁽¹⁾، والجهمية⁽²⁾، والمعتزلة⁽³⁾، والمرجئة⁽⁴⁾،

ومن يقول بخلق القرآن⁽⁵⁾ والدين الأكبري⁽⁶⁾، ورغم أنها كانت المعتقدات والأديان الرئيسية في زمانهم، إلا أن بعضهم كانت وراءهم إمبراطوريات عظيمة، وكانوا دعاة ورواد، ولكن في النهاية تغلب عليهم واقع الإسلام.

¹ - القدرية هم نفاة القدر، وفي الحديث: "لكل أمة مجوس ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر"، (أخرجه) وقد ظهرت بدعة القدر بشكل واضح في أواخر زمن الصحابة، ويقال: إن أول من تكلم بالقدر نصراني من أهل العراق أسلم ثم تنصر، وأخذ عنه معبد الجهني، وروى مسلم عن يحيى بن يعمر قال: "كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني"، وحاصل قولهم في القدر هو إنكار علم الله السابق بالحوادث، وأن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، فأثبتوا بذلك مع الله خالقا آخر، وهم ضد الجبرية، انظر: الفرق بين الفرق للبغدادى ص: 93، وما بعدها.

² - الجهمية نسبة لجهنم بن صفوان، مذهبهم في الصفات التعطيل والنفي، وفي القدر القول بالجبر، وفي الإيمان القول بالإرجاء، (الرد على الجهمية والزنادقة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) 59/1 لمعة الاعتقاد - (32/1).

³ - المعتزلة: نسبة إلى عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، سموا بالمعتزلة لاعتزالهم مجلس الإمام الحسن البصري رحمه الله في المسجد. يقوم مذهبهم على خمسة أصول لبسوا فيها الحق بالباطل، انظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، لعبد القاهر البغدادي أبو منصور (المتوفى: 429هـ)، ص: 20-21، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط: 2، 1977.

⁴ - الإرجاء على معنيين:

أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى (أرجه وأخاه) (الأعراف آية: 111) - أي أمهله وأخره). والثاني: إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني، فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وهذان المعنيان هما أشهر ما قيل في المرجئة، وهناك معانٍ وتقسيمات أخرى لا أطيل بذكرها، انظر الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، ط. الثانية 1/ 139.

⁵ - كالمعتزلة ونحوهم . انظر: (الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكنانى المكي (المتوفى: 240هـ) 19/1).

⁶ - . والدين الأكبري أو الدين الإلهي فلسفة أكثر منه ديناً يوفق بين الأديان قدمه الإمبراطور المغولي جلال الدين أكبر بعام 1582. كان الهدف منه مزج أفضل خصال أديان إمبراطوريته فيقضي بذلك على الخلافات التي قسمت رعيته. أساسه الإسلام و وأقتبس البعض من الهندوسية، ولكنه استمد أيضاً القليل من المسيحية والسيخية والزرادشتية. انظر

الموقع: (<https://ar.wikipedia.org/wiki>)

التاريخ في الحقيقة هو اسم الثقة والصدق والاعتراف بالحقيقة، ونحن نشاهد الدعوة السلمية للإسلام من خلال مناظير التاريخ، ونحن أمام الأمم غير المسلمة مباشرة، ولا بد أن نبقي رؤوسنا مرفوعة معترزة بتاريخها.

وفيما يلي سنذكر بعض الأشخاص الذين أحيوا تاريخ الدعوة السلمية بعد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وضحووا بحياتهم من أجلها، والذين ذكرهم الشيخ الندوي-رحمه الله- في تأليفاته المشهورة، مع ذكر أعمالهم الدعوية السلمية، كما في كتب الشيخ رحمه الله ثم نعقب ذلك بذكر طرق الدعوة في العصر الحاضر التي بها إصلاح الأمة.

الخلافة الأموية وأثرها:

1- سيدنا عمر بن عبد العزيز - رحمه الله- (61هـ - 101هـ)

قد ضعفت همة من كان قبل عمر بن العزيز من الخلفاء بعد الخلفاء الراشدين في الدعوة الإسلامية، لتوسع الدنيا عليهم، وحصل هناك بعض الخلل وبعض الظلم على الرعية مالم يكن موجوداً زمن الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم-، فجاء عمر بن عبد العزيز، وأصلح كل خلل قدر استطاعته، وواصل مسيرة الدعوة إلى الله، وأعاد للأمة سيرة الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم- حتى أصبح يقال له خامس الخلفاء الراشدين.

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي عدداً من المسائل والقضايا التي قام أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله بإصلاحها سائير إليها باختصار كما يلي:

أ: التفريق بين رجال الدين ورجال السياسة وانشغال الحكام بالسياسة والأعمال الإدارية فقط دون الدين.

ب: نقص أعداد علماء الإسلام والدين

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "وظّلت الحكومة - الأموية - تؤثر في الميول والنزعات، وفي مقاييس الحياة، وتفعل فعلها الطبيعي في المجتمع والحضارة والأخلاق والاجتماع وظّلت الشخصيات الدينية تفقد على مرّ الأيام وينتقص عددها"².

¹ - كان عمر بن عبد العزيز بن مروان بن حكم (الملقب: بأبي حفص) الخليفة الثامن في الخلافة الأموية، وتولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك، كما يطلق عليه خامس الخلفاء الراشدين لما يتمتع به من حسن الخلق، وشبه قوى في السلوك والسياسة بالخلفاء الأربعة وكان مشهوراً بالخليفة الصالح.

فتح عينيه بالمدينة المنورة عام 61 هـ، اسمه عمر بن عبد العزيز بن مروان أبو حفص، كان اسم والدته أم عاصم وهي ابنة عاصم بن الخطاب كانت حفيدة سيدنا عمر الفاروق، ولد بالمدينة المنورة، وكان والده حاكماً لمصر لمدة 21 عاماً متتالية، كان هناك الكثير من الثروات والدولة، لذلك نشأ في بيئة من النعيم، وقد استمر أثره حتى أصبح الخليفة، لقد كان شاباً حسن السيرة والخلق، فقد توفي عمر بن عبد العزيز عام 101 للهجرة بدير سمعان، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر. انظر! رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الشيخ ابو الحسن علي الندوي، 68/1-69، دار ابن كثير، بيروت، ط:3، 1428هـ/2007م، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، أبو محمد المصري (المتوفى: 214هـ)، 25/1، المحقق: أحمد عبيد، عالم الكتب - بيروت - لبنان، ط:6، 1404هـ - 1984م.

² - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 67/1.

بعد أن تولى عمر بن عبد العزيز رحمه الله الخلافة حاول معالجة هذه الأمور، وقبل كل شيء أحسن شؤون الحكومة على منهاج النبوة والخلافة الراشدة، ثم ألزم العلماء بالدعوة إلى الدين، ورتب لإحياء السنة النبوية، وقال عن الحكومة كلمته المأثورة التي سجلها التاريخ: "إن الله جل ثناؤه بعث محمداً - صلى الله عليه وسلم - داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه جانياً"¹.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- بعد أن ذكر مقولته الدعوية تلك: "وعلى هذا الأساس، وعلى هذه النظرة قامت دولته، وهو أساس "الهداية" التي بُعث لها النبي - صلى الله عليه وسلم -، وبهذا النظرة كان ينظر إلى قضايا الحكومة ومصالحها وهي نظرة "المُرشد" ونظرة "الداعي" ونظرة خليفة الرسول الهادي، فإذا تعارضت المصلحة المالية مع مصلحة من المصالح الشرعية، رجّح المصلحة الشرعية والحكم الشرعي، وكذلك رفع المكس"².

وقد انقسمت الواجبات من مدة طويلة بين طائفتين، فاستقلّت الخلافة بالأعمال الإدارية والمالية، وانفرد العلماء بالحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة والإرشاد، مع أن الخلافة بطبيعتها تجمع بين الناحيتين، ولذلك سمّيت "الخلافة الراشدة".

وبنفس الطريقة تم الترويج لتدوين العلوم الإسلامية، وإحياء السنة النبوية التي كانت أعظم حل لهذه المشاكل، وعبر الرسائل دعا الدولة الإسلامية كلها لتطبيق الإسلام.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "جاء عمر بن عبد العزيز فحارب هذه "الثنوية" وهذا الانقسام، وجمع بين الإدارة والإرشاد، والسياسة والدعوة، وأثبت أنه خليفة حقاً... فقد أقبل إلى تدوين العلوم الإسلامية التي هي من منابع الحياة في المسلمين، وقد تعرّضت للضياع لانصراف الناس إلى السياسة والإدارة والحروب"³.

القضايا الدعوية المعاصرة:

لو ننظر للقضايا المعاصرة بعد دراسة القضايا الدعوية في عصر عمر بن عبد العزيز، في القضايا الدينية والدنيوية فإن في العصر الحاضر غلبت المادة على الدين، وكان قبل خلافة عمر بن عبد العزيز غلبة السياسة على الدين، التي تنجذب بها أذهان الحكام إلى الدنيا أكثر من الدين، ويُنظر إلى المادية

¹ - الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري (المتوفى: 182هـ)، 144/1، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، الطبعة: طبعة جديدة مضبوطة - محققة ومفهرسة.

² - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 75/1.

³ - المصدر السابق، 80/1-81.

والجاه بقدر واحترام، وقد وصل الحال الآن إلى أن العلماء كذلك أكثرهم صاروا أهل دنيا، وليس لهم تأثير كبير على المجتمع والبيئة، يقدمون حاجاتهم ومصالحهم الشخصية على المصلحة الدعوية للأسف الشديد، لذا أصبح البعد بين الدعاة وعامة الناس لما عند الدعاة مثل هذه العيوب والنقائص، فالأمة بأشد الحاجة لمثل عمر بن عبد العزيز وغيره من أئمة هذا الدين وحكامه، وفيما يلي سأذكر بإيجاز بعض إنجازات عمر بن عبد العزيز رحمه الله الدعوية:

جهوده الإصلاحية الدعوية:

1. أعظم الإنجازات الدعوية والإصلاحية لعمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أنه أعاد الخلافة الإسلامية بإطار الخلافة الراشدة.
2. ولفت أنظار الناس إلى الأعمال والأخلاق التي لم يكن أمامها خليفة ولا ملك وكان دائما حريصا باهتمام التربية والأعمال والأخلاق.
3. وكان حريصا على تدوين العلوم الدينية وإحياء السنة النبوية.

2- سيدنا الحسن البصري - رحمه الله - (21 هـ - 110 هـ = 642 - 728 م)¹

أشار الشيخ الندوي رحمه الله إلى ضعف دور الخلافة في الدعوة إلى الله عقب وفاة عمر بن عبد العزيز رحمه الله وعادت الخلافة سيرتها السابقة، وأنشبت الجاهلية اظفارها في المجتمع الإسلامي، وصار الاهتمام بالدنيا وملذاتها أكثر من الاهتمام بمسائل الدين والدعوة من قبل الخلفاء وقد أخبرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذا الخطر قبل حدوثه، فقد روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه خطب قبل

¹ - هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وخبير الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - واستكتبه الربيع ابن زياد والي خراسان في عهد معاوية، وسكن البصرة، وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة لائم، وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار.

لقد كان هؤلاء الدعاة والمصلحون منبئين في الحواضر الإسلامية، مرابطين على الثغور، قائمين بالدعوة، وليس كل واحد منهم ذكره التاريخ، وليس كل أحد سجّلت مواقفه ونتائج دعوته وجهاده، ولكن إشتهرت منهم جماعة من فضلاء التابعين كان أشهرهم سعيد بن جببر، ومحمد بن سيرين، والشعبي، ولكن الذي حمل هذه الرواية، وتفرد من بينهم بالإمامة، وهو الحسن البصري، حتى مات رحمه الله في سنة 110 هـ - وكان دفنه بعد صلاة الجمعة - وتبع الناس كلهم جنازته. انظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام 1/ 99-102، المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276 هـ)، 440/1، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 3، 1992 م.

وفاته خطبة أُنذر فيها المسلمين بهذا الخطر وقال: "فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم"¹

فوقع الناس من جراء اهتمامهم بالدنيا في أمور من أخطرها:

أ: الضعف الخُلقي والايماي في الأمة

ب: النفاق والمنافقون في بعض دوائر الدولة الإسلامية

لكن الله لطف بهذه الأمة، إذ قَيَّض لمواجهته، والوقوف في وجهه رجالاً مخلصين، ودعاة مؤمنين، وعارضوا هذا التيار بكل ما عندهم من قوي ومواهب، ومنعوا عدداً كبيراً من المسلمين أن تجرفهم المادية وتستعبدهم الشهوات.

لقد كان من ذكاء الحسن البصري-رحمه الله- وفطنته الدينية، أنه اهتدى إلى أن النفاق لا يزال يعيش في بعض أوساط المجتمع الإسلامي، وسيطر على بعض القادة في الحياة السياسية، يشير إلى الجيش الإسلامي وقواده، وهكذا تناول الطبقات الممتازة في الأمة، وبيّن أن فيها النفاق والمنافقين، وأن لهم السيادة والغلبة، وكان من أعظم أسباب تأثير الحسن البصري في المجتمع، ونفوذه في القلوب والعقول، أنه ضرب على الوتر الحساس، ونزل في أعماق المجتمع، ووصف أمراضه، وانتقده انتقاد الحكيم الرفيق، ولقد كان عصره يغصُّ بالدعاة والوعاظ، ولكنّ المجتمع لم يخضع لأحد خضوعه للحسن البصري-رحمه الله-، لأنه كان يمس قلبه وينزل في صميم الحياة، ويعارض التيار.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فكان الحسن البصري -رحمه الله- جامعاً بين الدعوة والإرشاد، وبين التربية العلمية والتركية الخلقية والروحية، فاهتدى به خلائق لا يحصيهم إلا الله، وذاقوا حلاوة الإيمان وتحلوا بحقيقة الإسلام"²

جهوده الإصلاحية وتجديده في الدعوة السلمية:

1. أنه شخص أمراض المجتمع ووصفها وصفا دقيقا ليعالجها.
2. أنه جمع بين التربية العلمية والتركية الروحية، وعلى ضوءها كانت دعوته مؤثرة في الناس.

¹ - أخرجه البخاري في صحيحه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، كتاب الجزية، باب الجزية والمواذعة مع أهل الحرب، 84/5، الرقم: 3158.

² - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 111/1.

أتباع الحسن البصري-رحمه الله- وتلاميذه:

استمر منهج الدعوة والإرشاد عند أتباع الحسن البصري-رحمه الله- بعد وفاته، وهكذا اتصل تاريخ الإصلاح والتجديد والدعوة إلى الإسلام الحقيقي من جديد لانتخلله فترة، وأيضاً انتقلت العاصمة الإسلامية في اثنتين وثلاثين بعد المئة للهجرة من دمشق إلى بغداد، وأصبح العراق مركز الحضارة والسياسة في عالم الإسلام، وقامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية.

الخلافة العباسية وأثرها:

قال الشيخ الندوي رحمه الله: "الدولة العباسية فقد سرت فيها الروح العجمية، وأصبحت بعلل الحضارة العجمية وعيوبها، و اتسعت الدولة اتساعاً عظيماً، وامتدت على مساحة واسعة من آسيا¹ و إفريقيا²، قال ابن خلدون⁽³⁾: "ورأيت في بعض تواريخ الرشيد أنّ المحمول إلى بيت المال في أيامه

¹ - آسيا أكبر قارة في الأرض وأكثرها سكاناً، ويقع معظمها في نصفي الكرة الشرقي والشمالي. وهي تغطي 8.7% من مساحة سطح الأرض الكلية (أو 30% من مساحة أراضيها، تحديداً 44,579 مليون كم مربع)، ومع ما يقرب من 4,462 مليار نسمة، وتحتضن 60% من سكان العالم الحاليين، وقد تضاعف سكان آسيا أربع مرات تقريباً خلال القرن 20.

² - أفريقيا كما تُكتب إفريقيا أو إفريقيا، هي ثاني أكبر قارات العالم من حيث المساحة وعدد السكان، تأتي في المرتبة الثانية بعد آسيا تبلغ مساحتها 30.2 مليون كيلومتر مربع (11.7 مليون ميل مربع)، وتتضمن هذه المساحة الجزر المجاورة، وهي تغطي 6% من إجمالي مساحة سطح الأرض، وتشغل 20.4% من إجمالي مساحة اليابسة. يبلغ عدد سكان أفريقيا حوالي 1.2 مليار نسمة (وفقاً لتقديرات 2016)، يعيشون في 61 إقليماً، وتبلغ نسبتهم حوالي 14.8% من سكان العالم.

³ - ابن خلدون (732 - 808 هـ = 1332 - 1406 م)، هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والاندلس، وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس، وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزى بزي القضاة محتفظاً بزي بلاده، وتوفي فجأة في القاهرة.

كان فصيحاً، جميل الصورة، عاقلاً، صادق اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طامحاً للمراتب العالية.

ولما رحل إلى الأندلس اهتز له سلطانها، وأركب خاصته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه.

اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر - ط) في سبعة مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها. (الأعلام للزركلي، 3/330).

سبعة آلاف قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول¹.

وأمام هذه المدنية المضطربة والحياة المزدهرة وأمام هذا البذخ والرفاهية والغرور والمشهد، ابتعد الرجال عن الدعوة إلى الله وتنقية الروح ونشر المعرفة الدينية، والتفكير في التعلم والتعليم، وضعفت صلة الناس بالله أكثر.

ولكن كان هناك رجال من تلاميذ الإمام الحسن البصري وغيره من أئمة الدين رجال الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة حياتهم قائمة على الإيمان وتقدير القيم الروحية والخلقية، لهم محبة في قلوب الناس وضع الله عز وجل لهم القبول في الأرض يهاجم حتى السلاطين والحكام فإذا وقع صراعٌ بين هؤلاء وأولئك كان الانتصار في كثير من الأحيان للعلماء، ويتضائل الخليفة والأمير أمام عالمٍ كبير أو محدث جليل².

ذكر ابن خلكان⁽³⁾ -رحمه الله-: "قدم هارون الرشيد الرقة فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك، وتقطعت النعال وارتفعت العبرة، فأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج الخشب، فلما رأت الناس قالت: ما هذا قالوا: عالم أهل خراسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك، فقالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان"⁴.

¹ - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، 227/1، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: 2، 1408 هـ - 1988 م.

² - انظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 115/1-116.

³ - ابن خلكان (608 - 681 هـ = 1211 - 1282 م)، هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، أبو العباس: المؤرخ الحجة، والأديب الماهر، صاحب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - ط) وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً، ولد في إربل (بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقي) وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها، وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام. وعزل بعد عشر سنين. فعاد إلى مصر، فأقام سبع سنين، ورد إلى قضاء الشام، ثم عزل عنه بعد مدة، وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون، يتصل نسبه بالبرامكة. (الأعلام للزركلي، 220/1).

⁴ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، 33/3، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: 1 - الطبعة: 0، 1900، الجزء: 2 - الطبعة: 0، 1900، الجزء: 3 - الطبعة: 0، 1900، الجزء: 4 - الطبعة: 1، 1971، الجزء: 5 - الطبعة: 1، 1994، الجزء: 6 - الطبعة: 0، 1900، الجزء: 7 - الطبعة: 1، 1994.

ولهذا السبب فإن الحياة الدينية التي يسود فيها الإيمان والتقوى والانفصال عن المعرفة والتصوف قد ترسخت بوضوح في بغداد لأنها مركز الأعصاب في جسد العالم الإسلامي.

وقد كان للعلماء الأعلام وبعض الزهاد المحدثين مواقف مجيدة أمام الخلفاء أدوا فيها حق النصيحة، وحذروهم من سطوة الله، وتبرؤوا من هذا الجور الفاشي، والظلم القاسي.

وليس هذا ببدع في التاريخ، ولا بمستغرب في سير هؤلاء، ولكن تلك الجهود على إخفاها في ميدان السياسة والنتائج المادية، قد خدمت الإسلام خدمة عظيمة، لأنها حفظت على تاريخ الإسلام شرفه وكرامته، فلولاً هذه الجهود وهذه المحاولات حيناً بعد حين، لكان التاريخ الإسلامي قصة متصلة للأناية والنفعية، قصة الملوك الذين يتسلطون، وقصة أصحاب الأغراض والأطماع الذين يخضعون.

ولكن هؤلاء الأبطال المجاهدين، هؤلاء المؤمنين المغامرين قد نصبوا للأجيال القادمة، منارات للنور تضيء لهم في غياهب التاريخ من بعيد، وتنير لهم السبيل، وتلهم بالفروسية الإسلامية الصادقة والثورة على الأوضاع الفاسدة، والغضب لنظام الإسلام المظلوم، ولكرامته المهذرة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "إنه تراث مجيد يعتز به الإسلام، وثروة غالية تتجمل بها الأجيال، وسلسلة متصلة من المجاهدين تبعث على الثقة والإيمان واليقين".¹

لقوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾.²

الجهود الدعوية في دور الخلافة العباسية من العلماء المصلحين والدعاة:

كانت هناك حاجة إلى حماية روح الأمة وأخلاقها، وحماية الحياة الجماعية والمجتمع والشؤون والسياسة وضمان استمراريتها وفقاً لمبادئ الإسلام ودستوره، في ذلك الوقت كانت قارتان⁽³⁾ (آسيا

¹ - انظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 124/1.

² - سورة الأحزاب، الآية: 23.

³ - القارة، هي كتلة ضخمة جداً من اليابسة. يتم تحديد القارة عموماً بواسطة بالعرف بدلاً من اعتماد معايير ضيقة؛ ثمة سبع مناطق جغرافية تعرف بأنها قارات، وهذه المناطق السبع مرتبة من الأكبر إلى الأصغر هي: آسيا، أفريقيا، أمريكا الشمالية، أمريكا الجنوبية، القارة القطبية الجنوبية، أوروبا، أستراليا. ثمة اختلافات في هذه التقسيمات، قد تدمج بعضها ليصبح عدد القارات أقل من سبعة؛ على سبيل المثال، تسمى بعض الأنظمة أفرو-أوراسيا أو الأمريكتين كقارات منفردة بذاتها.

وأفريقيا) وجزء من قارة أوروبا (إسبانيا)⁽¹⁾ تحت سيطرة الإسلام، كانت الإمبراطورية الإسلامية أكبر وأطول إمبراطورية على وجه الأرض، وتتألف من أكثر الدول تحضراً في العالم، كان المسلمون منشغلين بظروف ومشاكل جديدة، التجارة والزراعة، الجزية والتكريم، المشاكل الجديدة للأراضي المحتلة، التراكم الهائل للعادات القديمة، والاحتياجات الجديدة، لا يمكن تجاهل أي من احتياجات المسلمين الذين كانوا ينتظرون الحكم والقواعد الإسلامية، ولا يمكن تجاوزها.

سعت الحكومة إلى دستور مفصل وكامل وقانون ملكي، لا يمكن إيقاف الآلة الإدارية للحكومة، لو تأخرت الحكومة قليلاً في إصدار القانون، لكان القانون الروماني والإيراني قد تم تبنيهما، لهذا السبب، كان لا بد من حل مسألتين على الفور: "تدوين الحديث و الفقه".

الف: تدوين الحديث:

تم وضع عملية تدوين الحديث لغرض حفظ وتدوين ثروة الحديث والسنة، كانت الأمة لاتستطيع أن تتفادى هذا المصير المؤلم المظلم إلا إذا كانت مصادر التشريع، ومنابع الفقه الإسلامي، محفوظة من الضياع، ميسورة للإنتفاع، وأهم هذه المصادر بعد القرآن الكريم الذي هو لا يخاف عليه من الضياع والتحريف، هو "الحديث" الذي هو مصدر منظّم، وثروة زاخرة لاستنباط الأحكام، ولا يعرف التاريخ سيرة نبوية أوثق من هذه السيرة، وأخرى بالاعتماد والتعويل، ويصحّ أن يسمى سجلّ الوقائع اليومية، وشبه "مذكّرات" إذا صحّ هذا التعبير لمدة ثلاث و عشرين سنة قضيا النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد ما أكرمه الله بالنبوة على ظهر الأرض، تُرينا كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعيش في هذه الحياة، وكيف يقضي يومه وليله.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في تلك السجلات والمذكرات الحديثية: "وهي مجموعة خصّ الله بها هذه الأمة، فلانعرف أمة من أمم الرسل سعدت بمثل هذه المجموعة الناطقة".²

¹ - إسبانيا (بالإسبانية: España)، رسمياً مملكة إسبانيا (بالإسبانية: Reino de España) هي دولة عضو في الاتحاد الأوروبي تقع في جنوب غرب أوروبا في شبه الجزيرة الأيبيرية، يحد برها الرئيسي من الجنوب والشرق البحر الأبيض المتوسط باستثناء الحدود البرية الصغيرة مع إقليم ما وراء البحار البريطاني جبل طارق. يحدها من الشمال فرنسا وأندورا وخليج بسكاي، وإلى الشمال الغربي والغرب المحيط الأطلسي والبرتغال.

² - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 129/1.

في القرنين: الثاني والثالث وفق الله تعالى لخدمة الأحاديث النبوية رواة الأحاديث العظماء، وتم جمع الكتب الستة⁽¹⁾ في نفس الفترة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ثم قيّض الله لهذا العمل الجليل فوجاً من طلبة العلم يُعدّون بالآلاف، ويمتازون بعلو همّتهم وشدة نشاطهم وقوة احتمالهم وصبرهم، وقوة ذاكرتهم وحفظهم، وقد تدفق سيلهم من بلاد العجم، وقد ملكت قلوبهم وعقولهم الرغبة الشديدة في جمع الحديث".²

ب: تدوين الفقه:

حل مشاكل المسلمين كانت هناك حاجة إلى قانون دائم ومأخوذ من القرآن والحديث، لأن الإسلام قد خرج من الجزيرة العربية إلى بلاد خصبة واسعة ذات المدنات القديمة، والآفاق الواسعة كالشام، والعراق، ومصر، وإيران، وقد توسعت الحياة الاجتماعية، وتعقد نظام التجارة والإدارة، وقد كانت مهمة تطبيق أصول الإسلام على هذه المسائل والحوادث.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "كذلك كانت الأمة في حاجة مُلِحَّةٍ إلى حركة تدوين الفقه، وقد اضطرت التطورات التي طرأت على المجتمع الإسلامي، واتساع رقعة المملكة الإسلامية، وتعقد المدنيّة، وطرافة المسائل والحوادث، وانشعاب الحياة إلى استنباط المسائل، واستخراج النتائج، وترتيب الفتاوى".³

رغم أننا نجد دلائل على تدوين الفقه من زمن الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، ولكن منذ بداية القرن الثالث الهجري وحتى نهايته، تمكن بعض فقهاء الأمة المتميزين من تكوين فن دائم في الفقه الإسلامي بناءً على فهمهم وحسهم الفقهي، وكان هذا العصر هو عصر الأئمة الأربعة، أئمة المذاهب الأربعة هم علماء الدين الذين يجمع على إمامتهم كل المسلمين من أهل السنة بكافة توجهاتهم، وهؤلاء الأئمة متفقون على الأصول والعقائد في الجملة، واختلفوا في بعض الفروع، والمسائل الفرعية التي اختلفوا فيها هي التي كوّنت نشأة المذاهب الفقهية الأربعة (الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي)،

ميزة تدوين الفقه:

ومن فوائد تدوين الفقه للأمة المسلمة تعريفهم بأسلوب الحياة وطريقة حل المشاكل، وغيرهم.

¹ - صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن النسائي، سنن أبي داود، سنن الترمذي، سنن ابن ماجه.

² - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 1/136.

³ - المصدر السابق، 1/144.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "لقد كان وجود هؤلاء الفقهاء المجتهدين والمشرعين في قرون الإسلام الأولى برهاناً ساطعاً على صلاحية الأمة للبقاء والانتشا، وقد أوجدت بفضل مساعيهم ونبوغهم وحدة الأمة العلمية، في اجتماعها ومعاملاتها وسياساتها المالية، وهذه الوحدة عامل مهم من عوامل الوحدة الدينية والفكرية، وبذلك أمنت هذه الأمة من تلك الفوضى الاجتماعية والتشريعية التي أصيبت بها الأمم والديانات في عهدها الأول، والتي تدرجت بها إلى حياة لادينية تسير فيها على النظم اللادينية أو تقتبس التشريع الأجنبيّ النائر على روح دينها ومبادئه، وألجأتها إلى التمسك بمبدأ فصل الدين عن السياسة، الذي هو الخطوة الأولى الحاسمة إلى الإلحاد والارتداد".¹

3- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني⁽²⁾:

من أهم المسائل التي ركز عليها الإمام أحمد في دعوته:

أ: مسألة القول بخلق القرآن

ب: نشر السنة والرد على الجهمية والمعتزلة

فتنة خلق القرآن أو محنة الفقهاء استمرت نحو الثلاثين سنة، ابتدأها الخليفة العباسي المأمون باعتناقه مذهب الاعتزال ثم حملة الناس على الاعتقاد بما ذهب إليه المعتزلة في كون القرآن مخلوق.

وطلب الخليفة المأمون من ولاته امتحان العلماء والقضاة، وسار على نهجه كل من الخليفين المعتصم والواثق، فقتل وجلد وعذب فقهاء وعلماء من أهل الحديث، اشتهر منهم الإمام أحمد بن حنبل وكذلك الإمام أحمد بن نصر الخزازي، فقد قتله الخليفة الواثق بيده بتهمة عدم القول بخلق

¹ - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 1/ 148.

² - هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، الفقيه والمحدث، صاحب المذهب، وكان ابن حنبل -رحمه الله- قوي العزيمة صبوراً ثابت الرأي قوي الحجة، جريئاً في التكلم عند الخلفاء مما كان سبباً له في محنته المشهورة وهي محنة خلق القرآن، لكنه بقي ثابتاً على موقفه داعي إليه وقد عانى في ذلك أشد المعاناة من قبل الخلفاء الثلاثة: المأمون، ثم المعتصم بالله ثم الواثق بالله، حتى جاء المتوكل وأبطل بدعة القول بخلق القرآن، . وهي أنه في عصر خلافة المأمون العباسي أثيرت في سنة 212هـ مسألة القول بخلق القرآن، فأبطل بدعة القول بخلق القرآن سنة 232، وترك للناس حرية اعتقادهم وكرّم أحمد بن حنبل -رحمه الله- وبسط له يد العون وظل أحمد على منهاجه ثابتاً على رأيه حتى توفي رحمه الله ببغدا، سنة: (241هـ).. انظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 1/ 150-170.

القرآن، وصلب وعلق بجثته رقعة مكتوب فيها إدانته الطويلة التي بدأت بعبارة: هذا رأس المشرك الضال.

باختصار جندت الدولة العباسية كل إمكانياتها الفكرية والمادية لمحاربة من يخالفون رأيها في هذه المسألة، لقد أريد تطويع المجتمع والفقهاء.

رفض أحمد ابن حنبل - رحمه الله - القول بخلق القرآن، فاكتمى بالقول إن القرآن كلام الله فقط، وأضاف من قال بخلقه فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع⁽¹⁾.

كان موقف ابن حنبل كما ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله يستند إلى عدة اعتبارات: الأول، أنه ليس من حق السلطة أن يفرض مذهباً عقائدياً بعينه على الناس.

الثاني، لا يجوز فرض آراء كلامية في غاية التعقيد على العامة.

الثالث، أن مسألة خلق القرآن أو عدم خلقه، ليست ذات أهمية كبيرة في العقيدة، ولذلك لم يتحدث النبي - صلى الله عليه وسلم - في شأنها ولا الصحابة رضوان الله عليهم.

عاش الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - في عصر المأمون ثم المعتصم ثم الواثق ثم المتوكل، وكان بعيداً عن الفلسفة وعن الاعتزال.

بكل الأحوال، أدى الصراع الفكري الحاد بين المعتزلة والإمام أحمد ابن حنبل، إلى نشوء تيار مضاد للمعتزلة، بدأ مع الخليفة المتوكل والخليفة القادر، ممن نهوا عن الكلام في مذهب الاعتزال، في وقت لقي فيه ابن حنبل تأييداً كبيراً من عامة المسلمين بسبب المحنة التي تعرض لها.²

¹ - انظر تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، 644/8، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ، دار التراث - بيروت، ط: 2 - 1387هـ.

² - انظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 159/1-165.

4- أبو الحسن الأشعري (260 - 324 هـ = 874 - 936 م)¹.

من المسائل التي اهتم بها الإمام أبو الحسن الأشعري كثيراً وبين خطرها هي فتنة الاعتزال

لقد كان أبو الحسن الأشعري رحمه الله جريئاً وصريحاً في نقده للمعتزلة، وقد بين أنهم اتبعوا أهواءهم في فهم هذا الدين، وقلّدوا رؤسائهم وسلفهم تقليداً أعمى، ولم ينظروا في الكتاب والسنة مجزئاً، ولم يتخذوها إماماً و مصدراً لعقائدهم وآرائهم، بل كلّموا تعارض القرآن مع ما انتحلوه من آراء وعقائد تأوّلوا القرآن ولم يروا بذلك بأساً.

يقول أبو الحسن الأشعري في كتابه: "أما بعد: فإن كثيراً من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأوّلوا القرآن على آرائهم تأويلاً لم ينزل به الله سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين".²

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "ولم تقتصر خدمة الأشعري على تأييد عقائد أهل السنة والسلف تأييداً إجمالياً، فقد كان الحنابلة والمحدثون قائمين به غير مقصّرين فيه، إن عبقريته تتجلى في أنه أقام البراهين والدلائل العقلية والكلامية على هذه العقائد، وناقش المعتزلة والمتفلسفة عقيدة، وذلك كله في لغة يفهمونها،

¹ - هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين من الهجرة النبوية، ولما تبحر في كلام الاعتزال وبلغ فيه الغاية كان يورد الأسئلة على أستاذه في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً فتحير في ذلك.

إن أبا الحسن الأشعري كان معتزلياً وأقام على مذهب الاعتزال أربعين سنة، وكان لهم إماماً ثم هداه الله للحق فرجع عن الاعتزال وكتب عدة كتب منها كتاب اللمع ومقالات الإسلاميين وغيرها، وفي آخر ما كتبه وهو كتاب الإبانة صرح أنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فرجع رحمه الله لمذهب السلف الصالح.

وكان أبو الحسن الأشعري أعدى الخلق إلى المعتزلة، فهم يشنعون عليه وينسبون إليه الأباطيل وليس طول مقام أبي الحسن الأشعري على مذهب المعتزلة، مما يفضي به إلى انحطاط المنزلة، بل يقضي له في معرفة الأصول بعلو المرتبة ويدل عند ذوي البصائر له على سمو المنقبة، وكان وفاته سنة 324هـ، ودفن ببغداد في مشروع الزوايا، ونودي على جنازته: "اليوم مات ناصر السنة". رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 1/ 188، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، 588/1، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: 2، 1408هـ - 1988م.

² - الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، 21/1، المحقق: د. فوقيّة حسين محمود، دار الأنصار - القاهرة، ط: 1، 1397.

وأسلوب بألفونه ويُجَلَّونه، وبذلك أثبت أن هذا الدين وعقيدته الواضحة مؤيَّدان بالعقل، وأن العقل الصحيح يؤيد الدين الصريح، ولا صراع بينهما ولا تناقض".¹

بعد الإمام الأشعري-رحمه الله- أخذ تلاميذه وأصحابه العلماء الأجلاء على عواتقهم مهمة الدعوة إلى الله ونبد البدع والخرافات

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد نشأ في مدرسة أبي الحسن الأشعري الفكرية علماء فحول، ومتكلمون كبار خضع لعلمهم ونفوذهم العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وظلوا مسيطرين على الحركة العلمية والفكرية لعدة قرون، وبفضلهم انتقلت قيادة العالم الإسلامي الفكرية، وتوجيهه من المعتزلة إلى أهل السنة".²

ثم تم قمع محنة الاعتزال تدريجياً، ولكن ولدت ضائقة جديدة، وكانت تلك الضائقة محنة الفلسفة اليونانية، التي أخذها في شبه الجزيرة العربية يعقوب الكندي (م258هـ)، وأبو نصر الفارابي (م329هـ)، وأبو علي ابن سينا (م428هـ)، وأصبح المقامرون من دعاة ذلك.

لسوء حظ المسلمين، احتوت معظم المحفوظات اليونانية على كتابات أرسطو وأفكاره التي تختلف عن تعاليم الأنبياء وروح الدين.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد انتقلت إلى العربية- بتوجيه المأمون الذي كان من هواة الفلسفة، وبجهد المترجمين- كتب كثيرة في المنطق والفلسفة، وكان أكثرها لأرسطو- والحق أن هذه البحوث في الإلهيات إنما هو علم الأصنام عند اليونان، وماهي إلا وثنيُّتهم القومية التي ترجموها في لغتهم الفلسفة".³ وبسبب دخول هذه الفلسفة في بعض العلوم بدأ العديد من المسلمين التأويلات في الإسلام، وأصبح قيام حركة مشهورة بـ"إخوان الصفاء" بانتظام وكان ضمن هذه الحركة كل من تأثر بالفلسفة الحديثة، من المنتسبين إلى الإسلام.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "كانت هذه العصاة قد تألفت بالعشرة، وتضافت بالصدّاقة، واجتمعت على القدس والطهارة، والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قرَّبوا به الطريق إلى الفوز

¹ - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 193/1.

² - المصدر السابق، 198/1.

³ - المصدر السابق، 204/1.

برضوان الله، وذلك أنهم قالوا إن الشريعة قد دُتِّست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة".¹

لقد حفظ الله سبحانه وتعالى الإسلام في كل زمان ومكان، وأعد الدعاة والمصلحين لهذه المهمة العظيمة، ومن ضحى بجسده وعقله لقمع هذه الفتنة في القرن الخامس، الداعي الكبير وحجة الإسلام: أبو حامد الغزالي رحمه الله.

5- أبو حامد محمد الغزالي²:

القضايا الدعوية:

أ: الفيضان المتزايد من الفلسفة والباطنية

ب: الضعف الديني والأخلاقي

علاج المسئلة المذكورة عند الإمام الغزالي – رحمه الله:-

تصدى الإمام الغزالي رحمه الله للخطر الذي تعرض له الإسلام في عصره، في القرن الخامس، وهو عروج الفلسفة والباطنية، وانتشارها بشكل مخيف بين المسلمين كما تصدى للخطر الآخر وهو الشرور الدينية

¹ - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 216/1.

² - هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، وكان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان صوفي الطريقة، شافعي الفقه إذ لم يكن للشافعية في آخر عصره مثله، وكان على مذهب الأشاعرة في العقيدة، وقد عُرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية في علم الكلام، وأحد أصولها الثلاثة بعد أبي الحسن الأشعري، (وكانوا الباقلاني والجويني والغزالي)، لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب "حجة الإسلام"، وله أيضاً ألقاب مثل: زين الدين، ومحجة الدين، والعالم الأوحد، ومفتي الأمة، وبركة الأنام، وإمام أئمة الدين، وشرف الأئمة.

كان له أثر كبير وبصمة واضحة في عدة علوم مثل الفلسفة، والفقه الشافعي، وعلم الكلام، والتصوف، والمنطق، وترك عدداً من الكتب في تلك المجالات، وقد مات هذا العالم الذي ينسب إلى رأس المتكلمين، يوم الإثنين الرابع عشر من جمادي الآخر سنة خمس وخمسة، ودُفن بظاهر قبة طاهران. ويقال أنه رجع في آخر عمره عن علم الكلام. رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 223/1-244، المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: 732هـ)، 225/2، المطبعة الحسينية المصرية، ط: 1.

والأخلاقية في المجتمع، هذان خطران العظيمان كانا في زمن الشيخ رحمه الله، ولكن واجههما بالهمة والقوة العلمية التي رزق بها من عند الله والإخلاص والتقوى.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وقد أصيب المجتمع الإسلامي بفساد الأخلاق ، وشلل في الفكر ، وجمود في العلم ، فكان في حاجة إلى من يحارب هذا الفساد ، ويوقظ الفكر ، ويبعث العلم ، وكان الغزالي أجدد الناس بالاضطلاع بهذه الخدمة العظيمة؛ فقد تهيأ لها علمياً وفكرياً وعملياً".¹

6- الإمام عبد القادر الجيلاني⁽²⁾:

من أهم المسائل التي ركز عليها الإمام الجليل الصوفي الكبير عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

- التوحيد
- القضاء والقدر

¹ - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 241/1.

² - هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: يعرف ويلقب في التراث المغاربي بالشيخ بوعلام الجيلاني، وبالمشرق عبد القادر الجيلاني، ويعرف أيضاً بـ"سلطان الأولياء"، وهو إمام صوفي وفقه حنبلي، لقبه أتباعه بـ"باز الله الأشهب" و"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد"، وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية، وكان فخر أهل جيلان، إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح دين، كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة.

استطاع الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله بالموعظة الحسنة أن يردّ كثيراً من الحكام الظالمين عن ظلمهم، وأن يردّ كثيراً من الضالين عن ضلالهم، وخصّ الحاكمين بانتقاداته وحذّر الناس من الانصياع لهم بما يخالف الشريعة، يقول في أحد مجالسه "صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة، قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحوال والقوة آلهة، ويحكم جعلتم الفرع أصلاً، المرزوق رازقاً، والمملوك مالكا، الفقير غنياً، العاجز قويا والميت حياً، إذا عظمت جبابرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنياءها ونسيت الله عز وجل ولم تعظّمه، فحكمك حكم من عبد الأصنام، تصير من عظمت صنمك"، وانتقد الولاة والموظفين الذين يجتهدون في تنفيذ أوامر السلاطين دون تحرز ولم تتوقف انتقادات الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله للحكام عند المواعظ العامة، وإنما تناولت المواقف الخاصة التي تبرز فيها انحرافات أو مظالم، ففي عام 541هـ / 1146م ولّى الخليفة محمد المقتفي لأمر الله يحيى بن سعيد المعروف بابن المرجم القضاء، فمضى الأخير في ظلم الرعايا ومصادرة الأموال وأخذ الرشاوي، فوقف الشيخ في وجهه وكتب ضده المنشورات رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وقد مات الشيخ رحمه الله في سنة إحدى وستين وخمسمئة للهجرة، وقد جاوز التسعين. انظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 292/1-310، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:2، 1413 هـ - 1993 م.

● الإيمان

● الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان عصر الشيخ رحمه الله مليئاً بالصراعات الكلامية والفقهية المذهبية، وقست القلوب ولم يكن هؤلاء يهتمون بالجانب الروحي والصلة بالله عز وجل فقيض الله لذلك الإمام عبد القادر الجيلاني وذلك في بداية القرن السادس ونهاية القرن الخامس للهجرة، فسعى لحلّ هذه المشاكل بوعظه ودعوته بفضل الله ونصره، فدعى الناس إلى توحيد الله وإخلاص العمل له وتقوية الصلة به سبحانه وتعالى، ونبذ بدع الكلام وأهله، ونبذ التعصبات المذهبية والتزام السنة والاهتمام بإصلاح العقيدة، والمسائل الإيمانية، والتركية الروحية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترك الاهتمام بملذات الدنيا وزخرفتها، كما كان ينصح الولاة والحكام ويمنعهم من تولي الظالمين على الرعية، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وقد كان الشيخ رحمه الله عطوفاً، شقيقاً، رفيقاً بالأمة المحمّدية وعامة الناس، دائم الدعوة لهم، يرق قلبه، ويرثي لضعفائهم والمشتغلين بما لا ينفعهم في الآخرة، ناصحاً لكل طبقة، محبّاً للخير لها، يحرص على إسعادها وإخراجها من الظلمات إلى النور".¹

طبعاً! إن وجود الشيخ رحمه الله وأمثاله من أهل العلم في قوة إيمانهم، وقوة عملهم، وقوة دعوتهم، وسمو سيرتهم وأخلاقهم، وزهدهم في الدنيا في عصر المادية وعصر الغفلة والإنحطاط، كان دليلاً على خلود الإسلام وصلاحيته للبقاء، وصلاحيته للإنتاج، وعلى أنّ شجرته لم تنقطع، ولم تنقطع عن الإثمار والازدهار.

¹ - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 305/1.

7- الشيخ جلال الدين الرومي⁽¹⁾:

من أهم المسائل التي ركز عليها جلال الدين الرومي رحمه الله:

أ- طغيان الثورة العقلية وعلم الكلام على المجتمع

ب- انتشار الفلسفة

خضعت الأوساط العلمية والحركات الفكرية في القرن السابع للاستدلال والقياس العقلي خضوعاً زائداً، وأصبح المؤلفون والمتكلمون والباحثون والدعاة مضطرين إلى البراهين العقلية والمقدمات الفلسفية، كانت نتيجة ذلك أن طغى على العالم الإسلامي "الجفاف الفلسفي"، إن صح التعبير، وإذا كان الغلو في القياس والاستدلال قد أفاد العقول جدة ونشاطاً، فقد أفقد القلوب إيماناً وحرارة وقوة في التمسك والدين.

¹ - هو محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي، القونوي، الرومي، الشيخ جلال الدين رحمه الله عالم بفقهِ الحنفيّة والخلاف وأنواع العلوم، ثم متصوف (ترك الدنيا والتصنيف) كما يقول مؤرخو العرب، وهو عند غيرهم هو صاحب (المنثوي) المشهور بالفارسية، وصاحب الطريقة (المولوية) المنسوبة إلى كلمة: (مولانا) جلال الدين، ولد في بلخ (بفارس) وانتقل مع أبيه إلى بغداد، في الرابعة من عمره، فترعرع بها في المدرسة المستنصرية حيث نزل أبوه، ولم تطل إقامته فإن أباه قام برحلة واسعة ومكث في بعض البلدان مدداً طويلة، وهو معه، ثم استقر في قونية سنة 623 هـ وعرف جلال الدين بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، فتولى التدريس بقونية في أربع مدارس، بعد وفاة أبيه (سنة 628) ثم ترك التدريس والتصنيف والدنيا وتصوّف (سنة 642) أو حولها، فشغل بالرياضة وسماع الموسيقى ونظم الأشعار وإنشادها. ونظم كتابه (المنثوي - ط) بالفارسية (وقد ترجم إلى التركية، وشرح، وطبع بها بالعربية والفارسية)، وهو منظومة صوفية فلسفية في 25,700 بيت، في ستة أجزاء، كتب مقدمتها بالعربية وتحللتها أبيات عربية من نظمه. واستمر يتكاثّر مريدوه وتابعو طريقته إلى أن توفي بقونية. وقبره فيها معروف إلى اليوم، في تكية أصبحت (متحفاً) يضم بعض مخطوطاته ومخلفات أحفاده وكتبها، وقد لاحظ عليه بعض العلماء أشياء في التصوف والعقيدة، فجعل من لا يخطئ سبحانه وتعالى، شهدت "قونية" - بلد جلال الدين - زلزالاً سنة 672 هـ، ودامت الرجفة أسبوعاً كاملاً، وكان جلال الدين مريضاً رهين الفراش، وزاره الناس وطلبوا منه الدعاء، ولم يزل مشغولاً ببيان الحقائق والمعارف، حتى فاضت روحه عند غروب الشمس، لخمس خلون من جماد الآخرة، سنة 672 هـ. انظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 369/2 تا 385، قصة الحضارة، ول ديورانت = ويليام جيمس ديورانت (المتوفى: 1981 م)، 349/13، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1408 هـ - 1988 م.

ولذلك كان العالم الإسلامي حينئذ في حاجة شديدة إلى شخصية قوية عبقرية، وفي حاجة إلى شخصية تستطيع أن تنفس بقلبها الولوع و عاطفتها القوية روحاً جديدة في المجتمع.

لقد وجد هذا الرجل المطلوب في شخصية الشيخ "جلال الدين الرومي"، وقد كان ديوان شعره الذي يعرف عادة بـ "المثنوي المعنوي"⁽¹⁾ ثورة على علم الكلام الذي فقد جدته وقوته، ونقد الفلسفة في اتجاهها ومنهجها، وعلى الفلسفة التي تجاوزت حدودها، وبالغت في تقدير الحواس وتقديس العقل، وكان أساساً لكلام جديد كان أكثر اقناعاً للعقول الجامعة الثائرة، والنفوس المضطربة الحائرة من علم الكلام، الذي تزعم ذلك وتكفل به طوال القرون.²

8- الإمام ابن تيمية⁽³⁾:

من أهم المسائل التي ركز عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

أ - طغيان الفلسفة وعلم الكلام

ب - الرد على خرافات النصارى

ج - الرد على الفرق الباطنية

د - الرد على العقائد الباطلة والأعمال الشركية

¹ - ترجم إلى العربية ترجمة دقيقة من قبل أحد أساتذة جامعة بيروت العربية، وطبع في جزأين فاخرين عام 1969م.

² - انظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 1/ 378.

³ - هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري الحراني الدمشقيّ الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، وقد ولد في حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، وشرع ابن تيمية في التدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة، بالإضافة إلى أنه قد بدأ في هذا السن بالتأليف أيضاً، وكان العالم كمال الدين أحمد بن نعمة المقدسي ممن أذن لابن تيمية بالإفتاء، وذكر المؤرخون أنه كان يفخر بذلك ويقول: أنا أذنت لابن تيمية بالإفتاء،

وأما طريقته في إلقاء دروسه، فقد وصف بأنه كان يجلس بعد أن يصلي ركعتين، ويحمد الله ويصلي على النبي - صلى الله عليه وسلم -، فيبدأ بدرسه من حفظه، وكان يغمض عينيه عند الحديث، وكان يتكلم على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث، ويورد أيضاً في حديثه من القرآن والسنة واللغة والنظر.

الخلاصة أنه هو فقيه ومحدث ومفسر وأصولي شيخ الإسلام وعالم مسلم مجتهد من علماء أهل السنة والجماعة، وهو أحد أبرز العلماء المسلمين في عصره و كان من الأئمة المجتهدين في المذهب الحنبلي، فقد كان يفتي في العديد من المسائل على خلاف معتمد الحنابلة لما يراه موافقاً للدليل من الكتاب والسنة ثم على آراء الصحابة وآثار السلف، وقد مات الشيخ رحمه الله سنة 728هـ معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، انظر رجال الفكر والدعوة

في الإسلام، التلخيص بمجلد الثاني من الترجمة الشيخ ابن تيمية، تقي الدين ابن تيمية، 242/6.

هـ - بيان تأثير الفلسفة الإشرافية⁽¹⁾ على الطائفة المتصوفين بالخصوص

كانت الفلسفة الإلهية الجديدة تأثرت بالفكر اليوناني رغم أنها ظهرت ضد الفلسفة اليونانية، ووجدت طبقة وجيهة للأمة الإسلامية معارضة لهذه التفاصيل الفلسفية والكلامية، غير أن الحاجة إلى عالم كبير نافذ البصيرة، واسع العلم، قوى الإيمان كانت أكيدة لشرح الكتاب والسنة والتعبير المؤثر عنهما، وذلك العالم الذي يتوصل بذكائه ودراسته، إلى أعماق الفلسفة ويطلع على خباياها وكوامنها، ويتمكن من تناول أقوال فلاسفة اليونان ومذاهبهم الفكرية بالنقد العلمي، بما عنده من علم بمواضع ضعفها الأساسية، ذلك الذي قد تعمق بتفكيره فوصل إلى أغوار علم الكلام، واطلع على الخلافات الدقيقة بين الأديان والفرق الإسلامية، ولا يخفى عليه شيء من تاريخ علم الكلام ونموه، ذلك الرجل الذي يكون على جانب عظيم من الثقة والاعتزاز بنصوص الكتاب والسنة، ومذهب السلف بفضل دراسته وتجاربه، يفيض عزمًا وحماسًا بنصرته وشرحه، ويعيش على حسك السعدان لكي يثبت رجحان مذهب السلف وفضله من الناحية العقلية على غيره من الفلسفات والنظم العقلية، كما يكون مُتمتعًا بجميع تلك الوسائل والمؤهلات التي يتطلبها هذا العمل العظيم، ومتميزًا في ذكائه وقوة بيانه واستدلاله، وسعة نظره وعمق دراسته عن غيره، يكون فوق مستوى عصره وكفؤًا للقيام بهذه الخدمة.

هذا وقد كان الاسلام هدفًا للهجمات الداخلية والخارجية بجانب آخر، وكان المسيحيون قد تحمسوا لإثبات أن المسيحية هي الدين الحق، وتوجيه الإيرادات إلى الإسلام، إن الهجوم الصليبي المتتابع ووجود عددٍ وجيه من مسيحي الغرب في الشام وقبرص، شجعهم على مواجهة المسلمين في المجال العلمي وعلى تأليف كتب تثبت فضل دينهم، وأخرى ترفض نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد كان أشدّ وأكثر خطورة من هذه الهجمات حملة شنتها فرقة إسلامية دخيلة على الإسلام، وهي الفرقة الباطنية التي كانت ديانتها وتعاليمها مجموعة عجيبة للعقائد المجوسية، والأفكار الافلاطونية، والأغراض السياسية.

¹ - الفلسفة الإشرافية تجمع بين الفلسفة والتصوف، وكان على رأسها السهروردي المقتول سنة 587هـ، وأشهر كتبه كتابه حكمة الأشراف الذي شرحه الشهرزوري. (موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، 656 / 2، مكتبة الرشد - الرياض، ط: 1، 1415 هـ / 1995 م)

أيضاً كانت الجماهير المسلمة فريسة العقائد الباطلة وأعمال الشرك بضغط عوامل عديدة، منها اختلاطهم بغير المسلمين وتأثيرهم بالعجم.

وأيضاً تأثير الفلسفة الإشرافية التي جاءت من يونان، والهند، وامتزجت بالعقائد الإسلامية وأفكارها امتزاجاً لا يتسنى لكل واحد فصلها عنها، وكل ذلك كانت معتقدات وأفكار أنالت إعجاب طبقة كبيرة من المتصوّفين.

ولقد كان في القرن الثامن بحاجة إلى مثل هذا الرجل الكامل الذي يسع نشاطه كلّ مجال من مجالات الحياة من غير أن تنزوي جهوده وأعماله في زاوية واحدة أو تتركز على جانب واحد، كان ذلك الرجل هو شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الذي ملأ العالم الإسلامي بنشاط وحياة بحركات علمية وعملية، لاتزال آثارها خالدة باقية على مر القرون والأجيال.¹

9- الإمام أحمد السرهندي⁽²⁾:

من أهم المسائل التي ركز عليها الإمام السرهندي:

أ - العقائد والأصول

ب - الغفلة عن التعليم الصحيح للكتاب والسنة

¹ - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 430/2-434.

² - الشيخ العالم الفقيه أحمد الحنفي السرهندي الفاروقي، أحد العلماء المبرزين في الفقه والأصول، درس وأفاد مدة عمره، وصار المرجع والمقصد في الإفتاء، ولقب بالفاروقي لأن نسب يمتد إلى الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ولد سنة 971 هجرية في بلدة سرهند في الهند، عكف على تعليم العلوم الظاهرية للطالبين، وألف رسائل عديدة منها: الرسالة التهليلية، ورسالة إثبات النبوة، ورسالة رد الرافضة، وكان له علم بعلوم الأدب والبلاغة والفصاحة،

لما بلغ الإمام ما وصل إليه السلطان بابر- وكان سلطاناً مسلماً ولكنه كان أمياً فكان ينصاع لما يمليه عليه من لازمه من علماء الضلال- من ضلال وانحراف ، فذهب الإمام - رحمه الله - إلى العاصمة ، وكانت حينئذ تسمى "آغرا"، والتقى بعض المقربين إلى السلطان، ونصحهم فقال: إن السلطان قد وقع في معصية الله تعالى ورسوله، فذكّروه بأن ملكه وسلطانه سوف يتصدع وينهار، فليتب من معصيته، وليعد إلى سلوك سبيل الله ورسوله، توفاه الله سنة 1034 هجرية، وكان رحمه الله من رواد الصحوة الإسلامية في الهند. انظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 25/3، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسيني الطالبي (المتوفى: 1341هـ)، 308/4، دار ابن حزم - بيروت، لبنان، ط: 1، 1420 هـ، 1999م.

ج - إعتبار علوم اليونان غاية مدارك العقول الإنسانية تسمى بـ "الحكمة"

د - غلو الناس في الرواج للبحوث المنطقية والفلسفية والكلامية

اتَّفَق جميع العلماء المتبصِّرين والمؤرخين المنصفين على أن الإمام السرهندي رحمه الله قام بالدور الرائع في الدفاع عن الدين الإسلامي، وتقويته، ونصرته، الذي صنع تاريخاً جديداً، وبدأ عهداً جديداً، والذي يسمَّى بـ "التجديد"⁽¹⁾، الذي عرف به الإمام واشتهر اشتهاً عظيماً حتى غلب عليه لقب "المجدد" وظلَّ ينوب عن اسمه، ولا نجد له مثلاً في وقته.

أراد رحمه الله مقاومة الفتن الخطيرة المحدقة، واستئصالها من جذورها، وكسر طلائع المحاولات الضالة، المؤسسة على الرياضات والمجاهدات، والإشراق وصفاء الباطن، والتجارب الروحية، لمعرفة الله تعالى والوصول إليه، التي كانت تعتمد على وسائلها وطرقها الخاصة، وتستنكف عن اقتفاء سيدنا صلى الله عليه وسلم، وأتباع سنته وهديه، ولا ترى لزوماً ذلك.

وكشف النقاب عن وجه العقائد والنظريات المتلبَّسة بالوحدة والاتحاد، وقد بلغا أوج التطرّف والمغالاة، وانتشر في كثير من الأوساط وتلقاها كثير من الناس بالقبول، وأحدثاً رواجاً في المعتقدات الدينية، وهزّة في المجتمعات الإسلامية، وفوضى في الخلق والدين، فرد رحمه الله نظرية البدعة الحسنة كما رد على وحدة الوجود وغيرها من الخرافات والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.²

¹ - أخرج أبو داود، في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المثة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها)، 349/6، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

² - انظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 191/3-192.

9- الإمام الدهلوي⁽¹⁾:

المسائل الدعوية التي ركن عليها الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله:

- أ - الإنحطاط في العالم الإسلامي
- ب - الفساد في الأخلاق والمجتمع
- ج - انتقال الشعائر والعادات من أهل العجم و غير المسلمين إلى المسلمين
- د - أنانية الحكّام والأمراء
- هـ - السيطرة على كثير من طبقات المجتمع عادة الكسل والتواكل والبطالة
- و - اتباع الأوهام والخرفات
- ز - عبادة القبور وتقديس الأولياء وتعظيمهم إلى حد التألّية
- ح - الشرك الجلي

نقل الشيخ الندوي- رحمه الله- قول صاحب كتاب (New World of Islam) في تصوير حالة الأمة آنذاك، ووافقه مع تحفظه رحمه الله على بعض الكلمات في قوله: "في القرن الثامن عشر الميلادي

¹ - هو احمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بشاه ولي الله الدهلوي، الهندي، العمري، الحنفي (ابو عبد العزيز). ولد الشيخ ولي الله يوم الأربعاء لأربعة خلّت من شوال عام 1114هـ/1703 م في قرية بهلت بمديرية مظفر نكر، الهندية، وكان ذلك قبل وفاة السلطان عالمكير بأربع سنوات، ويعني هذا أن الشيخ عاش في فترة ضعف الدولة المغولية الهندية وشيخوختها.

أسرة الإمام ولي الله الدهلوي أسرة علم وفضل، تذكر كتب التراجم أن مناصب الإفتاء والقضاء كانت مختصة بهذه الأسرة من القرن السادس الهجري بعد هجرة جده الأعلى المفتي شمس الدين إلى الهند واستقراره في منطقة روهتاك، وتلقى الشيخ ولي الله العلوم الابتدائية من والده الشيخ عبد الرحيم الذي كان مديراً لمدرسة كانت تسمى المدرسة الرحيمية، دخل الكتاب في الخامسة من عمره، وأكمل القرآن الكريم في السابعة، وأكمل دراسته للعلوم الابتدائية وهو ابن عشر سنوات. كان يدرس كتاب "شرح الملا جامي على كتاب الكافية" لابن الحاجب، ولما بلغ أربع عشرة سنة درس الجزء المقرر من "تفسير البيضاوي"، وتزوج في نفس السنة، وأكمل التحصيل العلمي، وبإيعاد والده في سن الخامسة عشرة على الطريقة النقشبندية. وكان الشيخ ولي الله الدهلوي ذكياً مفرطاً في الذكاء، جيد الحفظ، ومن هنا تمكن من إكمال الدراسة في هذا العمر المبكر، يقول ابنه الشاه عبد العزيز عنه: "ما رأيت أحداً أقوى ذاكرة من والدي". أما المنهج الدراسي الذي درسه الشيخ وتخرج عليه فكان بسيطاً جداً، ونحن نكتفي هذا الترجمة الشيخ لخوف الطوالة، وقد غرب هذا البدر المنير 1176 هجراً، رحم الله رحمة واسعة. رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 480/4-490، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، 475/5.

كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعع أعظم مبلغ، ومن التدي والإنحطاط أعظم دركه، فاريّد جوه وطبقت الظلمة كل صقع من اصقاعه ورجا من أرجائه، وانتشرفيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشي ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي. واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الهوى والشهوات وماتت الفضيلة في الناس...¹.

من أهم ما قام به الإمام الدهلوي هو توجيه النقد والتحليل لما كان يفعله بعض المسلمين بعد أن ميز بصورة دقيقة بين ما يمكن أن يسمى بتاريخ الإسلام وما يمكن تسميته بتاريخ بعض المسلمين، ثم ألقى نظرة دقيقة على التاريخ وذكر خصائص كل فترة زمنية، ومن خلال ذلك توصل إلى المشاكل والمفاسد الموجودة في مختلف الفترات التاريخية، وتوصل إلى أن السبب الحقيقي وراء كل تلك المفاسد والمشاكل أمران:

الأول: انتقال السلطة السياسية من الخلافة الراشدة إلى الملكية، وقد تحدث عن الفروق الأساسية بين النظامين بالتفصيل في كتابه "إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء"، وتحدث عن الآثار المترتبة على هذا التغير والانتقال من الخلافة إلى الملكية.

والثاني: استيلاء الجمود على العقول وموت روح الاجتهاد، وأما هذه المشكلة والمفسدة فقد تحدث عنها في جميع كتبه، مثل "إزالة الخفاء"، و"حجة الله البالغة"، و"البدور البازغة"، و"التفهيمات" وغيرها.

كما توجه الشيخ إلى الاهتمام بالأوضاع القائمة في عصره، وتبيين الانحرافات الموجودة لدى جميع أطراف المجتمع وطبقاته، فنبه على المشاكل الموجودة لدى العلماء والمولعين بالعلوم العقلية والمناظرات الاستدلالية، وذكر الفقهاء واختلافاتهم الفقهية وتعصب كل فريق لرأيه، وتحدث عن بعض الصوفية وخرافاتهم، وذكر طلاب العلم وتركهم لدراسة كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وانهماكهم في الفلسفة اليونانية والعلوم الآلية وتفريعات الفقهاء، وذكر الوعاظ وتضييقهم الأمور على خلق الله، مع أنهم مأمورون أن يوسعوا على الناس، وذكر الأمراء وأهل السلطان وانغماسهم في الشهوات المحرمة وشرب الخمر، وذكر العساكر وظلمهم للناس، وتحدث عن عامة الناس أهل الحرف، وابتعادهم عن دين الله وعن الأخلاق الحميدة، وانتشار الخرافات والأعمال الشركية فيهم، والتبذير الذي راج فيهم، وتناول جميع أنواع الفساد وما وقع فيه أهل زمانه. والنتيجة الطبيعية لعملية النقد أن يبدأ الناس بتمييز الصحيح من الخطأ، والخير من الشر، والبحث عن الطرق العملية لإزالة الجاهلية والفساد، ونشر الخير والصلاح، وبذلك هيا

¹ - رجال الفكر والدعوة في الإسلام، 414/4.

الظروف لإقامة حركة إسلامية لتصحيح تلك الأوضاع وإقامتها على الإسلام الصحيح، وإعادة الأمور إلى نصابها، كان طبيعياً أن تتكون بعد فترة وجيزة من هذا العمل الإصلاحي حركة المجاهدين بقيادة أحمد بن عرفان والسيد إسماعيل الملقب بالشهيد حفيد الشيخ، فتحاول إقامة النظام الإسلامي، وأن تتوالى بعد ذلك الحركات التجديدية في شبه القارة الهندية.

التجديد الفكري والعلمي:

إلى جانب العمل النقدي والتحليلي قام الإمام بعملٍ فكري تجديدي بنّاءٍ كبير قدم من خلاله الإسلام في صورة نظام أخلاقي وحضاري متكامل، وذلك من خلال اثنين من كتبه العظيمة؛ هما "حجة الله البالغة"، و"البدور البازغة"، فإنه أقام فلسفة اجتماعية متكاملة على النظام الأخلاقي في كتاب "حجة الله البالغة"، فتحدث بالتفصيل عن آداب المعاش، وتدير المنزل، وفن المعاملات، وسياسة المدينة، والعدل، والضرائب على المحاصيل، ونظام الدولة، وتنظيم الجيوش، وأشار ضمن ذلك إلى ما يوجب الفساد في الحضارة، وتناول بعد ذلك نظام الشريعة، والعبادات، والأحكام والقوانين، ووضح حكمها بالتفصيل، وفي نهاية الكتاب ألقى نظرة على تاريخ الأمم بعد مجيء الإسلام، وتحدث عن الصراع المستمر بين الإسلام والجاهلية، والخير والشر بصورة لم يسبق إليها، حاول الشيخ تقديم خطة متكاملة للإصلاح، لإزالة الواقع الفاسد، وإقامة البديل الصحيح له، فقدم من خلال عملية النقد معالم الواقع الفاسد، ومن خلال العمل الفكري قدم معالم النظام السليم الذي يجب أن يحل محله.¹

إحياء علوم الكتاب والسنة :

كان العصر الذي عاش فيه الشاه ولي الله عصر تخلف للمسلمين في الهند، حتى المناهج الدراسية كان يغلب عليها طابع العلوم العقلية والعلوم الآلية، فأحيا الله سبحانه وتعالى به علوم الكتاب والسنة، فترجم القرآن إلى اللغة الفارسية الدارجة حينذاك، ولما رجع من سفر الحج، ومن هنا وقف نفسه بعد ذلك لنشرها، وهو عمل لا يدرك فضله إلا من يعرف الظروف التي كان يعيش فيها العلماء وطلاب العلم في ذلك الوقت.²

¹ - انظر الأعلام للزركلي: 1/149.

² - انظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام، التلخيص للمجلد الرابع (كامل)، بتصرف.

التجديد في الجهود الدعوية والإصلاحية :

قام الإمام ولي الله الدهلوي بعمل تجديدي وإصلاحي ضخم جدا، ولا يمكن تخيل ضخامة ذلك العمل التجديدي الدعوي ما لم نطلع على أحوال المسلمين في الهند في تلك الفترة، وما لم نتصور تلك الظروف التي آلت إليها الحالة السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية للمسلمين في الهند في الفترة التي بدأ فيها الشيخ عمله التجديدي:

1. التدريس وإعداد الرجال
 2. الوعظ والإرشاد والإصلاح الاجتماعي العام
 3. العمل العلمي والإصلاح الفكري
 4. تأليف الكتب في الموضوعات المختلفة المتعلقة أكثرها بمشكلة من مشاكل المجتمع
- رحمه الله وتقبل أعماله .

10- السيد أحمد بن عرفان الملقب بالشهيد⁽¹⁾:

¹ - هو السيد الامام الهمام حجة الله بين الأنام، موضح محجة الملة والاسلام، قانع الكفرة والمبتدعين، وأتمودج الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، مولانا الامام المجاهد الشهيد السيد، أحمد بن عرفان بن نور الشريف الحسيني البريلوي، كان من ذرية الأمير الكبير بدر الملة المنير شيخ الاسلام قطب الدين محمد بن أحمد المدني.

ولد في صفر سنة إحدى ومائتين وألف ببلدة رائتي بريلي في زاوية جد السيد علم الله النقشبندى البريلوي، ونشأ في تصون تام وتآله، واقتصاد في الملبس والمأكل، ولم يزل على ذلك خلفاً صالحاً، براً تقياً، ورعاً عابداً ناسكاً، صواماً قواماً، ذاكرًا لله تعالى في كل أمر، رجاءاً إليه في سائر الأحوال، وقافاً عند حدوده وأوامره ونواهيه، لا تكاد نفسه تقنع من خدمة الأرامل والأيتام، كان يذهب إلى بيوتهم ويتفحص عن حوائجهم، ويجتهد في الاستقاء والاحتطاب واجتلاب الأمتعة من السوق، ولكنه

مع ذلك كان لا يرغب إلى تلقي العلوم المتعارفة، فإن لم يحفظ من القرآن الكريم إلا سوراً عديدة، ومن الكتابة إلا نقش المفردات والمركبات، وذلك في ثلاث سنين، وكان صنوه الكبير إسحاق بن عرفان البريلوي يحزن لذلك، وكان بصدد تعليمه، فقال والده: دعوه وشأنه وكلوه إلى الله سبحانه فأعرض عنه، فلم يزل كذلك حتى شد عضده، فرحل إلى لكهنؤ مع سبعة رجال من عشيرته، وكان الفرس واحداً يركبونه متناوبين، وهو ترك نوبته لهم، فلما قطعوا مرحلة واحتاجوا إلى حمال يحمل أنقاهم، وجدوا في البحث عنه فما وجدوه وهو يرى ذلك، فقال لهم: إن لي حاجة إليكم أرجوكم أن تفضلوا علي بإسعافها، فقالوا له: على الرأس والعين، فقال لهم: أكدوا قولكم بالإيمان، فأكدوها، فقال: اجمعوا أنقالكم وضعوها على رأسي، فإني أقدر أن أحتملها، فحملها ودخل لكهنؤ، فلقبه أحد رجال السياسة وأكرمه، وكان مأموراً من الدولة أن يجمع مائة رجل من الفرسان للعسكر، ففوض إليه خدمتين من الخدمات العسكرية، فتبرع بهما لرجلين من رفقائه، وسار مع العساكر السلطانية، فلما وصل إلى بادية محمد ورغب السلطان إلى التنزه والصيد، غاب ذات يوم عن رفقائه، فاغتموا وظنوا أنه كان فريسة سباع، حتى لقيهم رجل من أهل البادية، وقص عليهم أني رأيت رجلاً وضيقاً يلوح على جبينه علائم الرشد والسعادة وعلى رأسه جرة ملآنة يحملها ويذهب فرحان نشيطاً مع فارس من فرسان العسكر، وكان العسكري يقول: إنه وجدني في أثناء الطريق، وكان معي حمال ضعيف، لا يستطيع أن يحمل إلا بشق النفس، إلا أنه حملها خوفاً مني، فكان يبكي فتقدم إلى هذا الرجل وشفع له فقلت له: إني لا أستطيع أن أحملها فوق رأسي، فإذا رق له قلبك ورثيت لضعفه فتقدم وأحمل.

وبايع الشيخ عبد العزيز وأخذ عنه الطريقة حتى نال حظاً وافراً من العلم والمعرفة، وفاق الأقران، وأتى بما يتحير منه أعيان البلدة في العلم والمعرفة، وكان ذلك في سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف. ثم غلب عليه شوق الجهاد في سبيل الله، فذهب إلى معسكر الأمير المجاهد نواب مير خان، ولبت عنده بضع سنين.

فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته وصفاء ظاهره وباطنه وموافقة قوله بعمله والانابة إلى الله سبحانه خلق كثير لا يحصون بحد وعد، بل قام عليه جمع من المشايخ قياماً لا مزيد عليه، بدعوه وناظره وكابروه وهو ثابت لا يدهن ولا يحايي، وكان الشيخ إسماعيل بن عبد الغني والشيخ عبد الحي ابن هبة الله المذكوران وخلق آخرون من العلماء والمشايخ في ركابه يأخذون عنه الطريقة، فلبث ببلدة رائتي بريلي مدة، ثم سافر إلى لكهنؤ، وأقام بها على تل الشيخ محمد اللكهنوي على شاطئ نهر كومت مع أصحابه، فبايعه ألوفاً من الرجال وتلقاه الوزير معتمد الدولة بالترحيب والإكرام

من المسائل التي ركز عليها الشيخ أحمد رحمه الله في دعوته:

- أ - الشرك الجلي
- ب - عبادة القبور والتقديس
- ج - رسوم الجاهلية
- د - اجتماع النساء على المزارات
- هـ - أغلاط العقائد والأفكار والتعلق بأولياء الله ورجال الدين كما كانت في اليهود والنصارى والمشركين
- و - تسلط الهنود والروافض على أجزاء من المجتمع الإسلامي
- ز - وقوع جملة من الناس في الشرك والبدعة والإسراف والجهل
- ح - الإبتعاد عن أحكام القرآن والسنة

وضيفه، فنفخ الله به خلقاً كثيراً من عباده، ثم رجع إلى رائى بريلي وسافر إلى الحجاز، ومعه سبع وخمسون وسبعمائة من أصحابه.

فانطلق ومر على آله آباد وغازيبور(وبنارس) وعظيم آباد وغيرها من بلاد الهند، فدخل في بيعته خلق لا يحصون بحد وعد، حتى وصل إلى كلكتة وأقام بها أياماً قلائل باذن الحاكم العام للهند، وتاب آلافاً من الناس من البدع والذنوب وشرب الخمر وأفقرت الحانات وانطلقت موجة عن الصلاح والتقوى وأسلم مئات من الناس وحسن إسلامهم.

ثم ركب السفينة وذهب إلى الحجاز سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف، وحصلت له الوقائع الغريبة وكشوف وكرامات في ذلك السفر و بعد سنة حتى وصل إلى رائى بريلي في سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف، فلبث بها نحو سنتين، وكان السيد الامام يجهز للهجرة والجهاد في تلك الفرصة وخرج مع أصحابه في سنة إحدى وأربعين من بلدته وسافر إلى بلاد أفغانستان فلما وصل إلى بنجتار وقف بها، وحرص المؤمنين على الجهاد، وبعث أصحابه إلى كابل وكاشغر وبخارا ليحرضوا ملوكها على المشاركة والإعانة، وزحف على جيوش رنجيت سنكه ملك بنجاب وهو من قوم طوال الشعور ففتح الله سبحانه على يده بلاداً حتى قرئت باسمه الخطبة في بلدة بشاور فأعلى الله مناره وكبت أعداءه: أعداء الدين وجبل قلوب الأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته، فأحيا كثيراً من السنن الميته، وأمات عظيماً من الشراكيات والمحدثات، فتعصب أعداء الله ورسوله في شأنه وشأن أتباعه حتى نسبوا طريقته إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، ولقبوههم بالوهابية، ورغبوا إلى الكفار وصاروا أولياءهم في السر، حتى انحازوا عنه في معركة بالاكوث وقتلوه رحمه الله في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومائتين وألف، وفاز من بين أفرانهم بالقدرح المعلى، واستشهد معه كثير من أصحابه. انظر: إذ هبت ريح الإيمان، للشيخ أبو الحسن علي الندوي، بتصرف، دارالقلم كويت، ط: العاشر 1406هـ / 1985م. أيضاً الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، 7/ 896-899.

منذ أن جاء الإسلام في معظم أنحاء الهند من خلال شق طويل عبر إيران وأفغانستان، فقد الكثير من نضارته، مما أدى تدريجياً إلى الانتشار التدريجي للشرك بعد فترة، وأصبحوا ضحايا، والسنة والشريعة أصبحت كلمات لا معنى لها، والقرآن يعتبر لغزا وإهمال الواجبات والعبادة.

والوضع السياسي: تفككت إمبراطورية المغول في هذا القرن، وكان جزء من البلاد من ديكان⁽¹⁾ إلى دلهي تحت رحمة مرهتا⁽²⁾، وحكم السيخ من البنجاب إلى أفغانستان، وكانوا جميعاً تحت الحكم البريطاني، وكان الحكام المسلمون دمي في يد البريطانيين.

وكان الوضع الأخلاقي تماماً مثل حالة الأمة المنهارة، دخل الفسق والفجور في آداب المسلمين وأصبح جزءاً من المجتمع، كان تعاوي الكحول والمخدرات شائعاً والميوعة والخلاعة منتشرة بكثيرة، ووصل الحال بالبعض إلى الاتجار بالنساء المسلمات، عدد الزيجات غير محدد حتى أن بعضهم لم يلتزم بالزواج.

كانت هذه نظرة سريعة لأحوال المسلمين في الهند في القرن الثالث عشر الهجري، ولكن لن يكون من الصحيح استخلاص هذه النتيجة من هذه المراجعة، أن القرن الثالث عشر كان فكرياً ودينيًا وروحانيًا وقتاً مظلمًا جداً وقاتلاً، وكان القلب والعقل جافاً تماماً؛ بل كانت آثار الحياة وإشعاع النور تتخلل هذه الفترة، فوجد شخصيات بارزة في التاريخ الإسلامي للهند، وعظيمة ومتميزة يصعب وجود نظير لها.³

وكان من بين هؤلاء العظماء والدعاة الكبار السيد أحمد رحمه الله فكان له منصب الإمامة في القرن الثالث عشر، وقد سعى في وجود الحل لجميع الخرافات والطقوس في المجتمع في ضوء الكتاب والسنة وتعلمذ عليه خلق كثير وتربوا على يديه.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد بث السيد دعاة مبلغين يعظون الناس ويدعونهم إلى الجهاد، وأرسل بعض كبار علماء الجماعة إلى الهند للوعظ والإرشاد والدعوة إلى الهجرة، والجهاد، ونشر العقيدة الصحيحة،

¹ - ديكان اسم بلدة موجودة في منطقته إداريه اسمها ديكان مونسيباليقي حيدر آباد، الهند.

² - كانت إمبراطورية المراثا أو إمبراطورية المراثا قوة إمبراطورية في شبه القارة الهندية التي كانت موجودة من 1674 إلى 1818، في أوجها، حكمت هذه الإمبراطورية على جزء كبير من الهند، يعتبر صعود إمبراطورية المراثا أحد أسباب انهيار إمبراطورية المغول في الهند.

³ - إذهبت ربيع الإيمان، ص: 209-212.

ومحاربة الخرافة والجاهلية، كان منهم الشيخ محمد علي الرامفوري، والشيخ ولايت علي العظيم آبادي من كبار خلفاء السيد وأخص أصحابه".¹

من جهوده الإصلاحية والدعوية التي جدد بها الدين وأحيا بها روح الإسلام في المجتمع:

1. دعوته إلى التمسك بالدين من حيث العموم

2. دعوته لانهدام الشرك والبدعة

3. إحياء ما أماته الناس من السنن.

4. استحضار السيرة والأخلاق في جماعته

5. التزكية وإصلاح الباطن

رحمه الله وتقبل من أعماله.

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

يتضح في ضوء الصفحات السابقة أنه كلما كانت هناك حاجة في تاريخ الإسلام، أرسل الله رجلاً بصفة مماثلة داخل الأمة يدافع عن الإسلام، ويحيي دين الإسلام في المجتمع به، ويعرض مشاكل العصر ويسعى في حلها، الغرض من دراسة تاريخ الدعوة السلمية للإسلام هو عرض حل المشاكل الحالية في ضوء القرآن والسنة، كما فعل سلفنا في عصرهم، وأخرجوا الأمة المحمدية من الفتن والفساد الحاليين ووضعوها على الصراط المستقيم.

نذكر بعض مسؤولية الدعاة والمصلحين في ضوء دراسة رجال الدعوة والعزيمة للشيخ الندوي رحمه الله، فيما يلي:

1. يجب على الداعي الاهتمام بكتب السلف الصالح والقراءة في تاريخهم وسيرهم لمعرفة أسرارهم

وما قاموا به من جهود في خدمة الدين والمجتمع ليكون على بصيرة في كيفية مواجهة الصعوبات والمشاكل في دعوة قومه ومجتمعه.

2. يجب على الداعي أن ينظر بنظرة ثابتة ويفحص وينظر في عصره بدقة ويرى ما هي المشاكل وما

هي احتياجات ومتطلبات عصره الدعوية فيعرف الأولويات وماذا يقدم في الوقت المناسب وماذا

¹ - إذهبت ربح الإيمان، ص: 106.

يؤخر، ويستعمل من الوسائل والأساليب ما يحتاج إليه في هذا العصر ويوظفها التوظيف السليم، حتى تؤتي دعوته ثمارها، ولا يؤتى من قبل جهله بعصره ومشاكله.

3. لا ينبغي للداعي الاكتفاء بالجانب العلمي والمعرفي النظري فقط بل يجب أن يكون لديه رؤية واضحة من الجانب الداخلي، وممارسة العمل الصالح في حياته العملية وواقعه العملي.
4. أن يتوافر فيه مقتضيات الصبر والثبات، ويكون الثبات للرجوع إلى الله، كما ثبت أسلافنا رحمهم الله.

إذا دعا الداعي بالمسؤوليات المذكورة، فإن الله سبحانه وتعالى يجعله ناجحًا ويجعله نموذجًا حيًا للأمة إن شاء الله تعالى.

التمهيد:

لقد بعث الله تعالى الأنبياء لهداية البشر وتوطينهم في هذه الأرض، يقودونهم من الظلمات إلى النور ومن البؤس إلى السعادة والنعيم، إن المبدعين الذين يظهرون للإنسان طريق المعرفة والإدراك يعرفون أن نور الحقيقة والصدق لا ينبعان من القلب بطريقة واحدة، لأن هناك العديد من أساليب المعرفة والإدراك ونتيجة للبنية المعقدة لقلب الإنسان و العقل لا يمكن أن يقال ما هي الطريقة التي ستتأثر، في بعض الأحيان يتجاهل الحجج الصلبة وأحياناً الأسلوب الشعري يأسر قلبه، ونظراً لطبيعة الإنسان، زين الله رب العزة كتبه بسمات مختلفة.

لقد جمع القرآن الكريم، وهو آخر رابط للكتب السماوية، كل الأساليب والمقاطع التي يمكن أن تؤثر على الطبيعة البشرية، لقد جادل البعض بشكل منطقي، والبعض كان راضياً بالقصص، والبعض الآخر بالاستعارات والأمثال، والبعض الآخر مجرد أخبار، والبعض الآخر بالإقناع من خلال المكافآت الإلهية، والبعض الآخر بوعد بالعقاب الإلهي، والبعض الآخر بدعوات للتأمل من خلال الأسئلة، في مكان ما من خلال الإجابات، اعتاد على إرضاء المرسل إليه، ومع ذلك، فقد تبني كل أشكال وأساليب الدعوة والتواصل، والهدف منها هو إيصال الحقيقة إلى أعماق القلب، وهذا الادعاء أكدته القرآن الكريم نفسه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا﴾¹.

ليس الغرض من القرآن إسكات المتكلم أو التغلب عليه أو خلق إحساس بالهزيمة فيه من خلال الحجج والبراهين المنطقية والفلسفية، بل فتح نوافذ القلب على الحقيقة وإزالة الشكوك والتشكيك، النمو والإرشاد الطريق إلى أن نكون واضحين، لذلك فقد أوضح منهجيته في الدعوة بهذه الكلمات: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾².

إن الله تعالى يعلم حبيبه - صلى الله عليه وسلم - أنه إذا دعا الناس إلى طريقه فينبغي أن يناديهم بحكمة بحيث يمس القلب المليء بالمشاعر الخيرية والكلام اللطيف والكلام البليغ.

¹ - سورة الإسراء، الآية: 41.

² - سورة النحل، الآية: 125.

وقال الرازي⁽¹⁾ - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن"². وهؤلاء طرق الدعوة تدخل في المنهجية للدعوة السلمية، والشيخ الندوي - رحمه الله - ذكر جميع هؤلاء الطرق الدعوية في مؤلفاته. إن شاء الله سنذكر في السطور الآتية.

إن نشر الإسلام يعتمد فقط على الدعوة، لا يوجد فيها وجه قهر، ولا أي نوع من الرشوة، ولا طمع دنيوي، ولا خوف، لذلك من المهم جدًا للخطيب أن يعرف آداب الدعوة، والتي بدونها يمكن أن يكون عمل الدعوة ضارًا، قبل شرح أسلوب الدعوة في القرآن الكريم ينبغي معرفة معنى الدعوة وضرورتها.

مفهوم المنهجية⁽³⁾ للدعوة السلمية:

الدعوة السلمية وفقهها:

والدعوة: تعني دعوة الناس لدين الله باختلاف الوسائل والأساليب، سواء بالقلم أو باللسان أو بإنفاق المال في سبيل الله: أي أن كل جهد لفظي وعملي لجذب الناس إلى دين الله يسمى "دعوة" كما تقدم.

السلمية: مأخوذة من "سلم" والمعنى: "سلام، أمان، وصلح، خلاف الحرب" يدرك السلم بالحرب، إذا أردت السلم فتأهب للحرب، ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾⁴، ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسِّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾⁵ ثورة سلمية: ثورة تحقق أغراضها دون سلاح، أو إراقة دماء⁶.

خلاصة هذا المفهوم: أن الإسلام عقيدة وقانون يهدف إلى تحقيق السلام والأمن في المجتمع البشري، يعيش الإنسان في سلام مع نفسه وممتلكاته وعائلته، ويحميه من كل الأسباب المشبوهة التي تهدد الحياة والكائنات الحية على وجه الأرض، لأن أيديولوجية الإسلام لا تسمح للإنسان أن يكون عبداً إلا لله وحده، وبهذا

¹ - الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة أربع وأربعين وخمسائة، واشتغل على والده، وكان من تلامذة محيي السنة البغوي. (طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة - القاهرة، ط: الأولى، 1396).

² - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، 286/20، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 3، - 1420 هـ .

³ - تقدم تعريف المنهجية في بداية الباب من البحث.

⁴ - سورة البقرة، الآية: 208.

⁵ - سورة الأنفال، الآية: 61.

⁶ - معجم اللغة العربية المعاصرة، 1101/2.

المفهوم تتلاشي الفروق المصطنعة بين البشر، ويصبحون بنعمة الله إخواناً، وتتلاشى صور البغض التي لا توجد إلا في غيبة الإيمان الصحيح، كما أنها تمنح الإنسان الأمن والطمأنينة، في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾¹، كما أن البعد عن العبودية الصحيحة لله وحده يعرض صاحبها لمخاوف تذهب عنه أمنه، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾².

وقد شرع الله تعالى العديد من التشريعات التي تثبت عملياً معنى السلام في المجتمعات، فالسلام أن لا يهاجم أحداً، ولا يجهل على أحد، ولا يسيء إليه، ولا يهينه، ولا يفرط فيه، بل يجب عليه السلام مع نفسه أولاً ثم مع الآخرين، ويعالج الأمور بالحكمة والموعظة الحسنة، كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾³.

واتضح أن الدعوة الناجحة يتم فيها مناقشة الأمور مع مراعاة الزمان والمكان وهذا ما يسمى منهجية الدعوة السلمية، لقد أولى الشيخ الندوي-رحمه الله- اهتماماً شديداً بمراعاة الزمان والمكان في معالجة الأمور في دعوته، مما جعل الجميع يستمع إليه باهتمام بالغ فكان له أثره، اهتم - رحمه الله - كثيراً بالمشاهدين سواء كانوا عرباً فقد دعاهم بهذه الطريقة، أو كانوا من غير العرب فتتم دعوتهم على هذا الأساس، أو كانوا من غير المسلمين فكذلك، أو كانوا مسلمين فكذلك يراعي ذلك المنهج، وبسبب هذه البصيرة، أعجب الناس المتعلمين بشدة بمنهج الشيخ الندوي-رحمه الله -.

حافظ الشيخ الندوي-رحمه الله- على تعاليم السيرة النبوية - صلى الله عليه وسلم-، والقرآن في حياته الدعوية واستمر في دعوة الناس إلى الإسلام طوال حياته.

و في السطور التالية نذكر الدعوة السلمية أولاً من السيرة النبوية -صلى الله عليه وسلم-:

¹ - سورة الأنعام، الآية: 82.

² - سورة الحج، الآية: 31.

³ - سورة النحل، الآية: 125.

الدعوة بالقُدوة العملية:

دور الداعي أساسي في عملية الدعوة، إنه مثل الشمعة الساطعة التي تبديد الظلام، فكلما أضاءت الشمعة زادت قدرتها على إضاءة المصابيح المنطفئة، لذلك من الضروري أن يكون لدى الداعي إيمان قوي وشخصية قوية.

أفضل طريقة للدعوة هي العمل بما يدعو إليه الداعي بنفسه، فإذا كانت الأقوال والأفعال تعارض الرسالة التي يتم المدعو بها، فإن الدعوة لن تكون فعالة، لقد علمنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مواضع كثيرة عملياً القدوة الحسنة، فقد كان -صلى الله عليه وسلم- خلقه القرآن كما جاء في الحديث¹. والمعيار الإلهي للداعي للحقيقة أن يتزين هو نفسه بجميع الأخلاق والفضائل الشريفة وأن يكون ضليعاً في العلوم المتعلقة بالقرآن.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فيجب علينا أن ننقى عقولنا ونفوسنا ونجدها للدعوة وللدعوة فحسب والخدمة والتضحية والإيثار وإخراج الناس بإذن الله من الظلمات إلى النور ومن الجاهلية إلى الإسلامية ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى المحرفة والنظم الجائرة والمذاهب الغاشمة إلى عدل الإسلام وظله ولا يكون دافعنا إلى العمل والجهاد إلا امتثال أمر الله والفوز في الآخرة وما أعد الله لعبادة من الأجر والثواب"².

الإخلاص:

من تعاليم الإسلام أن العمل الصالح ما يتم إلا لرضا الله تعالى، وليس له غرض شخصي أو منفعة، ولا روح الاستعراض والشهرة، يؤكد القرآن الكريم مراراً على الإخلاص: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ - أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾³.

¹ - أخرجه أحمد في مسنده، 183/42، الرقم 25302.

² - أريد أن أتحدث إلى الإخوان، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: 1420هـ)، ص: 7.

³ - سورة الزمر، الآية: 2-3.

الغرض الأساسي من الدعوة هو إحسان المدعو إليه وتقريبه إلى الله، لذلك من المهم جدًا أن يكون الداعي مخلصًا في دعوته، فقال كل نبي لقومه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- مبيّنًا أهمية الإخلاص في العمل: "فلا فرق للمؤمن بين الحكومة وبين العبادات إذا حصل الإخلاص وصحت النية فكل في رضا الله وكل في سبيل الله وكل عبادة يتقرب بها العبد إلى الله."²

محبة الإنسانية:

محبة الإنسانية وحب الخير لهم صفة الأنبياء عليهم السلام، وهذا هو الدافع أنه تحمل كل مشقة في سبيل الدعوة ولم ينقض على مهمة الدعوة، فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾³.

هذا يعني أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قلق جدًا لدرجة أنه لم تفكر في الليل والنهار، ولم ترغب في السلام والهدوء، ولكن فكرت واحدة فقط أن الناس سيصدقونها.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة، ولا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن⁽⁴⁾ فيه الحرم، ولا تنثى⁽⁵⁾ فلتاته⁽⁶⁾، متعادلين⁽⁷⁾ يتفاضلون فيه بالتقوى، ويوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب"⁸.

¹ - سورة الشعراء، الآية: 119.

² - أريد أن أتحدث إلى الإخوان، للعلامة الندوي، ص: 7.

³ - سورة الكهف، الآية: 6.

⁴ - بضم التاء وسكون الهمزة من الأبن وهو العيب والتهمة؛ أي لا تقذف ولا تعاب.

⁵ - بضم التاء وسكون النون وفتح المثلثة أي لا تشاع ولا تداع.

⁶ - أي زلاته ومعائبه على تقدير وجود وقوعها، جمع فلتة وهي ما يصدر من الرجل من سقطه.

⁷ - متساوين.

⁸ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: 1420هـ)، ص: 564، دار ابن كثير - دمشق، ط: 12 - 1425 هـ.

وقد شرح -صلى الله عليه وسلم- مهمته على سبيل المثال: (إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد نارا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه).¹

الدعوة إلى الله هي منصب الأنبياء صلوة الله عليهم تقوم به الأمة الإسلامية اتباعاً لهم، وإلا فإنها لن تفقد مكانتها فحسب، بل ستظهر أيضاً سبباً للحرب، الفتنة والعداوة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "هذه الدعوة كانت جديدة في الحقيقة بالأنبياء ومواهبهم وقواهم ورسالتهم وإيمانهم وجهادهم وثباتهم وفقههم وحكمتهم وإخلاصهم، ولكنها ليست خاصة بالأنبياء بل هي دعوة خلفائهم وأتباعهم كذلك، ودعوة كل عصر ومصر، وحاجة الإنسانية كلها والعصور كلها، فلا بد أن تجدد في كل زمان وفي كل محيط، وتكون على أساس دعوتهم مطابقة لسيرتهم، مقتبسة من مشكلاتهم، فلنرجع إلى هذا المصدر، ولندرسه دراسة عميقة".²

أسلوب الدعوة السلمية حسب القرآن:

القرآن هو الدستور الأبدي الشامل للحياة، إنه مصدر التوجيه لجميع مشاكل الحياة البشرية، وله أسلوبه الخاص في التعبير، الحقيقة هي أن تغيير المفاهيم البشرية مهمة شاقة للغاية حيث يكون الذكاء وكذلك الإمام بعلم نفس المرسل إليه أمراً ضرورياً حتى يكون مستعداً عقلياً لقبول شيء جديد أو التفكير فيه، لذلك فقد ذكر القرآن أيضاً ثلاث طرق أساسية للدعوة، الأول يسمى الحكمة، والثاني يسمى موعظة والثالث يسمى الجدل والتي هي أحسن.

فيما يلي ثلاث طرق أساسية للدعوة في ضوء القرآن الكريم:

أولاً/ الحكمة:

لقد حدد الكثير من المفكرين مختلفون الحكمة من زوايا مختلفة، بما في ذلك نضج ودقة الكلمات والأفعال، وتحديد حقائق الأشياء من خلال المعرفة والفكر، أو وضع الأشياء في مكانها ومكانها المناسبين، وتشير الحكمة في القرآن إلى طريقة الدعوة التي لها جميع الخصائص، والتي يمكن أن تؤثر على قلب المدعو إليه.

¹ - أخرجه مسلم في صحيحه، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، باب شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته، 4/1789، الرقم: 2284، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

² - الإسلام والحكم، ص: 12.

سيد سليمان الندوي⁽¹⁾ - رحمه الله - يشرح الحكمة: "الحكمة الحقيقية للنبي صلى الله عليه وسلم هي نور النبوة والعلم الإلهي الذي أوكله الله إلى قلب وعقل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك يجوز تطبيق الحكمة عليهم أيضاً".²

ظهرت كلمة "الحكمة" في القرآن عشرين مرة في آيات مختلفة وفي سياقات مختلفة، يتضح من الآيات القرآنية أنه كلما بعث الله تعالى نبيا لهداية البشر كان يعطيه شيئين: الكتاب والحكمة، جاء في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾.³

يتضح من الآية السابقة أن جميع الأنبياء (عليهم السلام) قد أعطوا الحكمة مع الكتاب مما يوضح أن الكتاب والحكمة شيان مختلفان ولكن هناك علاقة عميقة وقوية بينهما وبين تعاليمهما، فكما أن وجود الحكمة ضروري لتعليم كتاب الله، كذلك وجود كتاب الله ضروري لتعليم الحكمة.

إن الجمع بين الكتاب والحكمة في القرآن الحكيم يدل على أن تعليم الحكمة يخضع لتعاليم كتاب الله ويدخل فيه وهو من العقل الحكيم، الذين عملهم لا يخلو من الحكمة، لأن كل تعليم في القرآن مبني على الحكمة.

وقد بين الله تعالى الحكمة في القرآن على أنها عمل صالح يعطي فكرة جيدة عن أهمية هذه النعمة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.⁴

في ضوء آيات القرآن، يُستنتج أن الحكمة جزء أساسي من النبوة ومن المهم جدًا وضعها في الاعتبار.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "إن الحكمة - الكلمة البليغة العربية التي جاءت في الآية، لا أعتقد أنها من الممكن ترجمتها أو نقلها إلى لغة أخرى، وكذلك "الموعظة" كلمة مطلقة، و"الحسنة" أيضاً كلمة

¹ - تقدم تعريفه، ص: 24، في مقدمة البحث.

² - انظر: الرسالة المحمدية، السيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: 1373هـ)، ص: 59، دار ابن كثير - دمشق، ط: 1، 1423 هـ.

³ - سورة آل عمران، الآية: 81.

⁴ - سورة البقرة، الآية: 169.

مطلقة، وهنا جاء القرآن يحل هذه المشكلة، فأطلق وقيد، وأوجز وأعجز، فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ الآية¹.

ومصدر الحكمة للداعي الآيات المباركة من القرآن الكريم، وهكذا تنير كل آية من القرآن الكريم بالحكمة، ولكن نورد بعض الأمور الضرورية بالحكمة فيما يلي:

الحجة الواضحة:

مفتاح تفعيل الدعوة والوعظ أن تكون مواد الدعوة شديدة الوضوح وسلسلة ومعقولة، أي يجب أن يشرح غرضه ورغبته بوضوح، وأول صفة للقرآن الكريم أن آياته واضحة ومختصرة، إنه أمر إلهي: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾⁽²⁾، أيضاً ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾⁽³⁾، فيستدل بالقرآن الكريم أولاً وقبل كل الأدلة الأخرى.

ولكي يكون الكلام واضحاً، كان من الضروري أن يكون أسلوب التعبير هو الفطرة السليمة، ويجب أن تكون الحجج فوق الصعوبة، ويجب أن تكون خالية من الكلمات المبتذلة وغير المألوفة، لذلك، من المهم أيضاً أن يكون حديث المتصل بسيطاً وسلساً وواضحاً وساحراً مما سيؤثر على قلب المدعو، تقول أم معبد-رضي الله عنها- عن الأسلوب الحكيم في كلمات النبي العظيم: (حلو المنطق فصلاً، لا نزر ولا هذر، كأن منطق خرزات نظم، يتحدرن ربة لا تشأه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم، قدرا له رفقاء يحفون به، إن قال: سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود لا عابس ولا مفند، قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون الصوت⁴.

¹ - محاضرات اسلامية في الفكر والدعوة (لسماحة الشيخ الندوي)، التفرغ والترتيب: سيد عبد الماجد الغوري، 428/1، دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط: 1، 1422هـ، 2001م.

² - سورة البقرة، الآية: 185.

³ - سورة المائدة، الآية: 15.

⁴ - رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، كتاب الهجرة وقد صح أكثر أخبارها، 10/3، الرقم: 4274، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1411 - 1990.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "فكان من إعجاز القرآن أنه لم يتعرّض لأحكام تفصيليه في موضوع الدعوة، وإنما وكلها إلى العقل السليم، وإلى الذوق المستقيم، وإلى العقيدة الراسخة، والفكرة المتغلغلة في الأحشاد، ثم خاطبها -رحمه الله- بسياج واسع، هو السياج الوحيد الذي يستطيع أن يحيط بالدعوة".¹

الإجتنب من الإكراه:

ما يميز الإسلام أنه لا إكراه فيه، لذلك من الضروري أن لا ينفذ الداعي كلمته على الآخرين، ولا يجبر أحداً عليه بالقوة حتى لو كان الداعي مطمئناً من دعوته، فلا يجبز إجباره مع قدرته عليه، ولا يجبره حتى ولو لم يحصل أدنى تغيير في ممارسات المدعو ومعتقداته، مما يقضي على الغرض ذاته من الوعظ، لقد ثبت أن العمل الذي لا يتم عن طيب خاطر هو عمل مؤقت وغير مستدام، وهذا هو السبب في أن القرآن الحكيم يحرم بشدة الإكراه حتى لا يتم استخدام أي شكل من أشكال العنف لنشر الإسلام، لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.²

وبالمثل في كثير من الآيات القرآنية، تم توضيح أن حق المساءلة يعود فقط إلى الله تعالى، لأن من أصبح أميناً للمظالم، فإنه سيعاقب أيضاً مما سيخلق المزيد من أجواء الفتنة والخلافات.

كما اتبع الداعي الأعظم محمد -صلى الله عليه وسلم- هذه التعاليم القرآنية، ولم يحاسب أو يعاقب أي شخص، لكن هذا الحق يعود فقط إلى الله سبحانه وتعالى.

الصبر والحلم:

يثبت القرآن والسنة أن الدنيا مكان متاعب وآلام ونحن نواجه المحن خطوة بخطوة وخاصة في عمل الدعوة، في مثل هذه الحالات، فإن الصبر والمثابرة مهمان جداً للداعي.

واجه الأنبياء أثناء الدعوة صعوبات مختلفة لكنهم ظلوا صبورين دائماً بدلاً من الانتقام، وعندما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة، واجه معارضة شديدة، وحتى في أسوأ تلك الحالة، لم يكن هناك أدنى اختلاف في أخلاقه العظيمة ولم يتخلّ عن رسالة القرآن هذه، وتحلّى بالصبر والتسامح، كما في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾.³

¹ - محاضرات اسلامية في الفكر والدعوة، 427/1.

² - سورة البقرة، الآية: 256.

³ - سورة المزمل، الآية: 10.

هناك العديد من جوانب "الحكمة" المنيرة في القرآن الحكيم، وقد تم اختيار بعضها لجعل المرء يعتقد أنه إذا سلك المرء طريقاً غير القرآن، فلن يكون مثمراً أبداً، ولم يغير الأنبياء سير الدعوة الأصلية أبداً حتى في الظروف الاستثنائية، لكنهم قاموا أحياناً بتغيير الإجراء مع مراعاة الهدف في ظل الظروف والمتطلبات، والتي تعد جزءاً من الإستراتيجية وضمان النجاح، وهذه منهجية الدعوة السلمية.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله- ضمن المنهجية السلمية لدى الدعوة: "المثابرة على الدعوة والصبر عليها فلا يتخطون هذه المرحلة التي هي الأساس بسرعة وعجلة ولا يطفرون منها طفرأ الى مرحلة أخرى بل يقضون فيها سنين طوالاً ولا يشتغلون بغيرها ولا يطمئنون الى أن المجتمع قد عقل دعوتهم واستساغها".¹

ثانياً/الموعظة الحسنة:

المبدأ الثاني للدعوة القرآنية: "الموعظة الحسنة"، الموعظة كما قال أبو مظفر السمعاني: الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب، وقيل: الموعظة الحسنة هي القول اللين الرقيق من غير غلظة ولا تعنيف²، كما قال الراغب أصفهاني: قال الخليل "هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب".³

أي أن ما يميز "الموعظة الحسنة" هو ما يحركه عنصر الرحمة والإحسان، حيث لا يوجد سوى عدد كبير من الحجج، ولكنها مشبعة بالصدق والمحبة، حيث يتم اختيار الكلمات المناسبة لنقل المعنى والهدف في القلوب، وبعد ذلك لا داعي لقول أي شيء آخر.

والموعظة من أسماء القرآن الكريم وأوصافها جاء ذكر ذلك في مواضع عديدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁵.

¹ - أريد أن أتحدث إلى الإخوان، ص: 7.

² - تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، 210/3، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط: 1، 1418هـ - 1997م.

³ - المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: 1، - 1412هـ.

⁴ - سورة يونس، الآية: 57.

⁵ - سورة آل عمران، الآية: 138.

فقد سمي الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم موعظة بمعنى أنها مليئة بالحكمة وروح الخير والمحبة، كل آية من القرآن الكريم هي دليل على الموعظة الحسنة والحكمة والخير، وسوف نسلط الضوء على بعض جوانب الموعظة الحسنة التي في القرآن الكريم:

الرفق واللطافة في الكلمات:

من الطبيعة البشرية أن تميل إلى الخير بينما تكره القسوة والشدة، وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، و الله عز وجل رفيق يحب الرفق، ويطلب من العباد الرفق في الأمور، ومن لطفه على الأنبياء (عليهم السلام) أرسلهم إلى الناس، وحثهم على اللطف بهم، كما في قوله لموسى عليه السلام، أكد في الحديث على اللطف: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ - فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾¹.

كما يجب ألا يغيب عن البال هنا أن نعومة اللغة لا ينبغي أن يكون لها جانب التصنع والتلفيق، بل يجب أن يكون القلب مليئاً بلطف وحب المدعو الذي يتم التعبير عنه باللسان الناعم، ولهذا علم القرآن الحكيم: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾².

يتضح من هذه الآيات أن التواصل الجيد والأخلاق المهذبة والبلاغة يجب أن تكون سمات كل داعي.

الإيجاز والبلاغة:

إن بلاغة القرآن وفصاحته معجزة تحدى العالم كله، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾³.

هناك أنماط وأساليب مختلفة للقرآن الكريم، وهذا الاختلاف عند العلماء يرجع إلى ظروف المدعوين واختلافهم، عادة ما يتم تصوير التوحيد والنبوة والآخرة والقيامة في سور قصيرة، على سبيل المثال، سورة الفيل هي سرد لحادث وقع قبل ولادة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، لكن تصويرها لا يزال شاهداً عياناً للقراء حتى بعد مرور 14 قرناً، والعقوبة موصوفة في صورة بليغة جداً تثبت أن الإيجاز والشمول في الكلمة هو جمالها.

¹ - سورة طه، الآية: 43-44.

² - سورة البقرة، الآية: 83.

³ - سورة البقرة، الآية: 23.

حتى في خطب دعوة الرسول الكريم ﷺ، هناك الإيجاز والبلاغة، كانت خطبه واضحة ومختصرة وقصيرة، وكان الصحابة بعد سنته يلقون خطباً قصيرة وبلغية.

على كل حال على الداعي أن يكون مثل الحكماء العاديين، ليس مجرد تخويف الناس بالدلائل والبراهين والخطب القصيرة والموجزة، بل لإصلاح المدعو ودعوته.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله - في قصة لقمان عندما وعظ لابنه: "بدأ لقمان في وعظ ابنه بالنهي عن الشرك، وقال في أيجاز وإعجاز: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾، ولأبلغ في تصوير الشرك وتهجينه من أن يقال: إنه ظلم عظيم"².

دعم القصص والأمثال:

الغرض من التعاليم الإلهية هو خير البشرية، ومن بين هذه الأساليب القصص والأمثال، وهذه الأساليب غير المباشرة للتذكر فعالة للغاية لأنها أقرب إلى الطبيعة البشرية، ولهذا رويت جملة من الأمثلة الدقيقة والاستعارة⁽³⁾ البليغة، منها على سبيل المثال: بيان مقدار أجر النفقة في سبيل الله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁴.

¹ - سورة لقمان، الآية: 13.

² - مقالات إسلامية في الفكر والدعوة، 26 / 2.

³ - المصدر السابق، 27/2.

⁴ - سورة البقرة، الآية: 261.

ثالثاً/ الجدل بالتي هي أحسن:

الأصل الثالث في الدعوة إلى القرآن أن الجدل يكون بالتي هي أحسن في الدعوة والاتصال، تأتي أحياناً نقطة تبرز فيها الحاجة إلى الجدل وفي هذه الحالة، فإن تعليمات القرآن الحكيم أن على الداعي إلى الله أن يتخذ أسلوباً طيباً للحجة.

يعني أن مثل هذه الحجج يجب أن تقدم بسرور ولطف وبإحسان، وبأسلوب مثالي مقنع وتعليم القرآن هو أنه لا يحث الداعي على الجدل على العموم ولكن إذا دعت الضرورة للجدال فيأمره أن يكون بالتي هي أحسن، وعندما يأتي وقت الجدل يكون واضحاً مستقيماً لا ينبغي أن يكون معوجاً، ولا ينبغي أن تكون هناك كلمات متكلفة تؤدي إلى إطالة الأمر، وتجنب المناقشات غير الضرورية، والقرآن مليء بجدال الأنبياء عليهم السلام مع الكفار، نذكر فيما يلي بعض الأمثلة من الجدل والحوار:

الحوار في القضايا المشتركة:

تبين تعاليم القرآن الحكيم أن جميع البشر كانوا من أتباع نفس الدين والأمة، لكن الاختلافات في الرأي أدت إلى الانقسامات وبدأت كل مجموعة في كره المجموعة الأخرى التي اتخذت فيما بعد شكل القهر والفساد في مثل هذه الحالة، أرسل الأنبياء ليبينوا الطريق إلى الحقيقة، كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾¹.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: كان الناس عشرة قرون على التوحيد...²

عندما تكون أسس جميع الأديان مشتركة، أعلن القرآن أن هذا الطريق المشترك هو أساس الدعوة، علم الله تعالى حبيبه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾³.

¹ - سورة البقرة، الآية: 213.

² - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، ص: 29، دار الكتب العلمية - لبنان. وقد روى نحوه ابن جرير في تفسيره = التفسير الطبري = ج: 4، ص: 275.

³ - سورة البقرة، الآية: 64.

فالأمر المشترك هي سبب تقارب القلوب"⁽¹⁾، وتدعو الإستراتيجية إلى موقف تصالحي بدلاً من الإنكار التام، فالقرآن الكريم لا ينفي جميع آراء الأديان بل يدعو إلى مشاركة الحقائق الأساسية الموجودة بين البشر، يساعد في إنهاء الصراع ونشر الإسلام.

هذا في حالة من الحالات، ولكن هناك حالات أخرى فيها أساليب أخرى للدعوة والجدال، فمنها الردّ بالحجة والبرهان، ومنها الإنكار ونسبتهم للضلال وغيرها من الأساليب.

امنح المخاطب الفرصة لتقديم حججهم أولاً:

من الطبيعة البشرية ألا تكون على استعداد لسماع الشخص الآخر ما لم يكن قد أوضح قضيته، وهذا ما حصلنا عليه من حادثة موسى، عندما التقى الساحر وموسى (عليه السلام) وجهاً لوجه، أُعطي السحرة أولاً الفرصة لأداء خدعتهم، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْتَ تُلْقِي وَإِنَّمَا أَنْتَ نَكُونُ نَحْنُ الْمُؤَلَّفِينَ - قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾².

أي أن اعتراضات أمم جميع الأنبياء (عليهم السلام) كانت كما لو كانت كل أمة قد ورثت هذا لأخرى، فلا ينزعج الداعي بل يجب أن يعطي المرسل إليه الفرصة الأولى لسماع اعتراضه.

مع الأخذ في الاعتبار المستوى العقلي للمدعو:

من الأمور التي لا بدّ منها في كون الجدال بالتي هي أحسن أن تضع في اعتبارك المستوى العقلي للمخاطب جنباً إلى جنب مع الحجة واعتماد طريقة يمكن من خلالها إزالة شكوك وشبهات المستمع، وخير مثال على ذلك حادثة إبراهيم عليه السلام وملك ذلك الوقت: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾³.

اندهش الملك من هذا، بهذه الطريقة أنكرت ألوهية الملك وأثبتت عظمة وصدق الله رب المجد.

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

الإسلام ليس اسماً لأداء شعائر وعبادات معينة فحسب، ولكنه دين يؤثر على الفرد والحياة الاجتماعية بإثارة أفكار البشر وأفعالهم، الأنبياء عليهم السلام هم القادة الحقيقيون لهذه الحركة الدعوية الذين عملوا مثل المرشدين، والرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- هو آخر قائد لهذه الحركة العظيمة،

¹ - التي يسميها القرآن "تجميع القلب"

² - سورة الأعراف، الآية: 115-116.

³ - سورة البقرة، الآية: 258.

منذ أن تم بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى جميع دول العالم، فمن مسؤولية الأمة الإسلامية أن تنير البشرية بهذه التعاليم بنفس الاستراتيجية التي أثبتتها القرآن والنبوة.

بحسب مزاج الأمة الإسلامية، من المهم أن يكون الداعي والدعوة وطريقة الدعوة على أساس الأساليب الثلاثة للنبوة ونهج النبوة، ويكون الأثر أقوى، وستكون المجاذبية أكثر من ذلك بكثير، من الضروري أن يحدد دعاة الإسلام طريقة الدعوة والوعظ في ضوء التعاليم الإلهية وسيرة الرسول، يجب أن تكون النقاط التالية منارة في هذا الصدد.

1. اعتماد الأسلوب النبوي القائم على المحبة واللطف مع المدعو.
2. يجب أن تكون المواد واضحة وأن تكون الحجج واضحة والتي تتناسب مع المستوى العقلي والنفسي للمدعوين وإلا فقد تسبب الأذى بدلاً من الإصلاح.
3. يجب أن يكون الأسلوب بحيث لا يشعر الناس بالملل ويتم الحفاظ على اهتمامهم.
4. الدعوة هي عملية بدوام كامل لذا من المهم أن يكون الداعي على دراية بالفرصة، يجب أن يستفيد منها بشكل كامل بمجرد ظهور الفرصة.
5. تجنب الإكراه والتطرف بشكل كامل، وعليه أن يوجه الدعوة بشخصيته التي تجذب الناس تلقائياً.
6. تجنب أي أقوال أو أفعال قد تسيء إلى المدعو، ويجب استخدام الكلمات بشكل مناسب وبدون إذلال أو سخرية.
7. لا ينبغي أن يستخدم الصبر في مواجهة الصعوبات في طريق الدعوة وسيلة للعنف والاستفزاز.
8. يجب أن يكون الداعي لطيفاً ورحيماً في كل فرصة، ويكون حديثه لطيفاً واضحاً خالياً من التلفيق واللف والدوران.
9. الدعوة على أساس الحكمة والوعظ الصالح، ويجب أن يتحاكم إلى الجدل كملاذ أخير.
10. في حالة الخلاف يجب مراعاة الأسلوب النبوي والآداب بشكل كامل.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولابد للزعيم المسلم وقائد الدعوة الدينية أن يجمع بين هذه الصفات"¹ مع وضع كل هذه النقاط في الاعتبار، سيتم الكشف عن ثمار الدعوة بالتأكيد ولن تتمكن أي محنة حديثة من التغلب علي.

¹ - أريد أن أتحدث إلى الإخوان للعلامة الندوي، ص: 5.

الفصل الثاني: أسس الدعوة الإسلامية

المبحث الأول: أصول الدعوة في النصوص الشرعية

التمهيد:

الحمد لله نور السماوات والأرض والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، الذي بعثه الله بالحق إلى قيام الساعة، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله.

أما بعد!

فلما كانت الدعوة إلى الله هي المهمة التي كلف الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - قُمْ فَأَنْذِرْ﴾⁽¹⁾، وكلف الله بها هذه الأمة كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾².

ولهذا كانت الدعوة إلى الله جديرة في الحقيقة بالأنبياء - صلوات الله عليهم - ومواهبهم وقواهم ورسالتهم وإيمانهم وجهادهم وثباتهم وفقهم وحكمتهم وإخلاصهم ولكنها ليست خاصة بالأنبياء بل هي دعوة خلفائهم وأتباعهم كذلك ودعوة كل عصر ومصر وحاجة الإنسانية كلها والعصور كلها فلا بد أن تجدد في كل زمان وفي كل محيط وتكون على أساس دعوة الأنبياء، مطابقة لسيرتهم مقتبسة من مشكاكهم فلنرجع إلى هذه المصادر التأسيسية ولندرسها دراسة عميقة واسعة.

معنى أصول الدعوة:

كلمة أصول الدعوة مركبة من كلمتين فلا بد من تعريف كل كلمة على حدة أولاً، ثم نعرف به كمصطلح، أما كلمة الدعوة فقد تقدم تعريفها في تمهيد البحث، وأما كلمة الأصول فسأذكر تعريفه لغة واصطلاحاً، كما يلي:

الأصول! في اللغة: جمع أصل وهو ما يُبنى عليه غيره، وضده الفرع: وهو ما يُبنى على غيره.³

¹ - سورة المدثر، الآية: 1-2.

² - سورة آل عمران، الآية: 110.

³ - انظر أصول الدعوة، كود المادة GDWH5073، ص: 129، المرحلة: ماجستير، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.

وأما الأصول في اصطلاح الفقهاء أو العلماء: فإن الأصل يطلق على عدة معانٍ منها الدليل، تقول: الأصل في وجوب الدعوة الكتاب والسنة يعني: الدليل على وجوب الدعوة الكتاب والسنة، ومن معاني الأصل: الراجح كقولهم: الأصل في الكلام الحقيقة أي: الراجح حمل الكلام في الأصل على الحقيقة، ويطلق الأصل أيضاً على القاعدة المستمرة، كقولهم: إباحة الميتة على خلاف الأصل، على خلاف القاعدة، فالقاعدة في المحرمات: يحرم أكل الميتة، ولكن أبيع أكل الميتة على خلاف الأصل، أي على خلاف القاعدة، والمختار من هذه الاصطلاحات مما يناسب موضوعنا هو المصطلح الأخير وهو القواعد الثابتة.¹

ثانياً/ تعريف أصول الدعوة اصطلاحاً:

يمكن أن يستنبط التعريف له كمصطلح من إضافة كلمة الدعوة إلى أصول بأنها قواعد وضوابط لتبليغ دين الله وتطبيقها وفق الكتاب والسنة.

وفي المبحث الآتي ساذكر أصول الدعوة من النصوص الشرعية على الترتيب الآتي:

أولاً- حكم الدعوة إلى الله:

الدعوة إلى الله واجب كفائي على الأمة الإسلامية جميعها لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. الآية﴾.²

وقوله تعالى: ﴿ادْعَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ - وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.⁴

¹ - انظر أصول الدعوة، ص: 130.

² - سورة آل عمران، الآية: 110.

³ - سورة النحل، الآية: 125.

⁴ - سورة الحج، الآية: 77، 78.

ويتعين الوجوب على الإمام لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁽¹⁾، فجعل سبحانه وتعالى شرط التمكين إقامتهم للصلاة وأداءهم للزكاة وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

ولقوله عليه السلام: (فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته)⁽²⁾. والدعوة إلى الله والجهاد في سبيله أولى واجباته.

ثم أولى العلم من المسلمين الذين أخذ الله عليهم الميثاق ببيان العلم وعدم كتمانهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾³.

وهذا تحذير من الله لهذه الأمة وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ - إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾⁴.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁵.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار).⁶

¹ - سورة الحج، الآية: 41.

² - صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه، 120/3، الرقم: 2409.

³ - سورة آل عمران، الآية: 187.

⁴ - سورة البقرة، الآية: 159، 160.

⁵ - سورة البقرة، الآية: 174.

⁶ - رواه الترمذي في سننه عن أبي هريرة، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، 326/4، الرقم: 2649، وصححه الألباني في صحيح الجامع 6284.

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: "أما بالنسبة لولادة الأمور، ومن لهم القدرة الواسعة فعليهم من الواجب أكثر، وعليهم أن يبلغوا الدعوة إلى ما استطاعوا من الأقطار".¹

ويقول أيضاً: "ونظراً إلى انتشار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد وإنكار رب العباد، وإنكار الرسالات، وإنكار الآخرة، وانتشار الدعوة النصرانية في الكثير من البلدان وغير ذلك. فإن الدعوة إلى الله عز وجل اليوم أصبحت فرضاً عاماً، وواجباً على جميع الدعاة والمصلحين والعلماء، وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام.

ثانياً- فضل الدعوة إلى الله:

جاء في فضل الدعاة والدعوة نصوص كثيرة، كما أنه جاء في إرسال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاة أحاديث لا تحفى على أهل العلم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽²⁾، فهذه الآية الكريمة فيها التنويه بالدعاة والثناء عليهم، وأنه لا أحد أحسن قولاً منهم، وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم أتباعهم على حسب مراتبهم في الدعوة والعلم والفضل يعني: دعا إلى الحق وعمل به، وأنكر الباطل وحذر منه، وتركه.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾⁽³⁾، فبين سبحانه أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو على بصيرة، وأن أتباعه كذلك، فهذا فيه فضل الدعوة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)⁽⁴⁾، وقال في مقام آخر: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً).⁵

فهذا بعض ما جاء في فضائل الدعوة والدعاة من النصوص.

ثالثاً- الغرض والغاية من الدعوة إلى الله:

¹ - الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، ص: 19، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: 4، 1423 هـ - 2002 م.

² - سورة فصلت، الآية: 33.

³ - سورة يوسف، الآية: 108.

⁴ - رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، 1506/3، الرقم: 1893.

⁵ - المصدر السابق، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ...، 2060/4، الرقم: 2674.

الدعوة إلى الله لها غايتان وهدفان، الأول: الغاية العامة، والثاني: الغاية التفصيلية، سأذكر ذلك في الصفحات الآتية باختصار في ضوء النصوص الشرعية:

● الغاية العامة:

الإرشاد إلى الصراط المستقيم، والدين العظيم، والإخراج من الضلالة إلى الهداية، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن الفسق والقسوة والظلم، إلى القسط والنعيم والإحسان، والأدلة على هذا كثيرة جداً منها:

وقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾¹.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾².

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ - صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾³.

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾⁴، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ﴾⁵.

وقوله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾⁶.

والأمة المحمدية على صاحبها - أفضل الصلاة والسلام - التي هي خير الأمم قد أخرجها الله هذه الغاية فقال سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁷.

¹ - سورة آل عمران، الآية: 104.

² - سورة المؤمنون، الآية: 73.

³ - سورة الشورى، الآية: 52، 53.

⁴ - سورة الحج، الآية: 67.

⁵ - سورة الرعد، الآية: 36.

⁶ - سورة إبراهيم، الآية: 1.

⁷ - سورة آل عمران، الآية: 110.

وفي حديث ربي بن عامر - رضي الله عنه - أنه يبين لرستم قائد الفرس مقصد بعثة الأمة، فقال: "الله إبتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله .. ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .. ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لدعواهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلى موعود الله".¹

فالمقصود والغاية العظيمة من الدعوة إلى الله هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور وإرشادهم إلى الحق حتى يأخذوا به وينجوا من النار.

● الغاية التفصيلية:

1- إيجاد الأمة الصالحة :

من الغاية التفصيلية للدعوة إلى الله العمل على إيجاد الأمة الصالحة التي تعبد الله. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾⁽³⁾ أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾⁴. والأمة الصالحة: هي مجموع الأفراد الصالحين المجتمعين على الهدى والصراط المستقيم.

2- إيجاد المؤمن الصالح :

¹ - الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والثلاثة الخلفاء 2/ 458، البداية والنهاية لابن كثير 9/ 622، روائع أبي الحسن علي الندوي في الدعوة إلى الله، محمد علي محمد إمام، ص: 16 مطبعة السلام، ميت غمر - مصر، ط: 1، 2005 م.

² - سورة الجمعة، الآية: 2.

³ - سورة آل عمران، الآية: 164.

⁴ - سورة الفتح، الآية: 28.

وذلك لقوله عليه السلام (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم).¹

وفي حديث النبي ﷺ: (يجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك .. الحديث).²

فهذه رسالة رجل واحد في الواقع غاية عظيمة من غايات الرسائل.

3- إقامة الحجة لله على الجاحدين والكافرين:

ولقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا - وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا - رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَعَلَّأَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.³

فهذه الغاية تكفي لإقامة حجة الله على المنكرين والجاحدين.

4- النهي عن الفساد في الأرض:

وذلك لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.⁴

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾.⁵

¹ - صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه، 18/5، الرقم: 3701، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، 1872/4، الرقم: 2406.

² - رواه أحمد، كتاب: مسند المكثرين من الصحابة، باب: مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، 112/18، الرقم: 11558، وصححه الألباني في صحيح الجامع 8033.

³ - سورة النساء، الآية: 163-165.

⁴ - سورة هود، الآية: 116.

⁵ - سورة القصص، الآية: 59.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾¹.

5- عمارة الأرض بالخير والعمل الصالح:

ومن أهداف الدعوة إلى الله هي عمارة الأرض بالخير، والعمل الصالح .. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾، ايضاً قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾³.

رابعاً- أركان الدعوة إلى الله في ضوء النصوص الشرعية:

أركان الدعوة إلى الله ثلاثة هي:

1. الداعي: هو القائم بأمر دعوة الناس.
2. المدعو: وهو من يراد دعوته وهم الناس جميعاً بوجه عام وأهل الإسلام بوجه خاص.
3. المدعو إليه: وهو دين الإسلام الذي يراد دعوة الناس إليه وهو سبيل الله، وصراطه المستقيم.

الركن الأول- الداعي إلى الله:

والمراد به كل مسلم حمل أمانة الدعوة، ودخل في مصداق قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁴.

الركن الثاني- المدعو:

¹ - سورة النحل، الآية: 90.

² - سورة الحج، الآية: 77.

³ - سورة آل عمران، الآية: 104.

⁴ - سورة يوسف، الآية: 108.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿لَا تُذِرْكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾⁽²⁾ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾³.

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾⁽⁴⁾، ومن أجل ذلك فالبشر جميعاً مدعون إلى هذا الدين، والناس جميعاً هم أمة الدعوة الذين أرسل إليهم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الركن الثالث- المدعو إليه :

المدعو إليه هو سبيل الله ودينه، الصراط المستقيم الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾⁵.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾⁶.

وقال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁷.

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ - صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾⁸.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽⁹⁾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾¹⁰.

¹ - سورة الأعراف، الآية: 158.

² - سورة الأنعام، الآية: 19.

³ - سورة السباء، الآية: 28.

⁴ - سورة الفرقان، الآية: 1.

⁵ - سورة النحل، الآية: 125.

⁶ - سورة يوسف، الآية: 108.

⁷ - سورة القصص، الآية: 87.

⁸ - سورة الشورى، الآية: 52، 53.

⁹ - سورة آل عمران، الآية: 19.

¹⁰ - سورة آل عمران، الآية: 85.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَنُفْسِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾.

والخلق جميعاً ومنهم الإنس والجن قد خلقوا لهذه الغاية. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ - مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا - إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾⁽⁵⁾، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾⁽⁶⁾.

فهذه أركان الدعوة مأخوذة من نصوص الشرعية.

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

ينبغي أن يعلم الداعي أن العلم بالقواعد والأحكام والأسباب والآداب لوحدها لا يكفي فلا يُغفل نوازل الدعوة المعاصرة من حيث القضايا والأدوات والإمكانيات والملكات، كما يستوعب تاريخ الدعوات ومنهجية العلماء وطريقة المجددين المصلحين في الدعوة والإصلاح، كما تحذر العناية بأن الدعوة إلى الله تُعنى بأمتي الإجابة والدعوة معاً. وفيما يلي سأذكر بعض المسؤوليات الدعوية في ضوء النصوص الشرعية:

يجب على الدعاة والمصلحين أن يتمسكوا بالإسلام كله وأن يدينوا بالإسلام كله وأن يعتصموا بحبل الله عز وجل ويكونوا هم القدوة لغيرهم وأن يحذروا أسباب الفرقة والاختلاف في جميع الأحوال.

فعلى الداعي أن يحكم شرع الله في العبادات وفي المعاملات وفي النكاح، والطلاق، وفي النفقات، وفي الرضاع، وفي السلم، والحرب، ومع العدو والصديق، وفي الجنائيات، وفي كل شيء .. دين الله يجب أن يحكم في كل شيء.

¹ - سورة النحل، الآية: 36.

² - سورة الكهف، الآية: 110.

³ - سورة الأنعام، الآية: 162.

⁴ - سورة ذاريات، الآية: 56-58.

⁵ - سورة النحل، الآية: 89.

⁶ - سورة المائدة، الآية: 3.

وإياك أن توالي أخاك لأنه وافقك في كذا وتعادي الآخر لأنه خالفك في رأي أو في مسألة، فليس هذا من الإنصاف، فالصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل، ومع ذلك لم يؤثر ذلك في الصفاء بينهم والموالاتة والمحبة رضي الله عنهم وأرضاهم.

فالمؤمن يعمل بشرع الله ويدين بالحق ويقدمه على كل أحد بالدليل، ولكن لا يحمله ذلك على ظلم أخيه وعدم إنصافه إذا خالفه في الرأي في مسائل الاجتهاد التي قد يخفي دليلها، وهكذا في المسائل التي قد يختلف في تأويل النص فيها فإنه قد يعذر، فعليك أن تنصح له وأن تحب له الخير ولا يحملك ذلك على العدا والانشقاق وتمكين العدو منك ومن أخيك ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لابدّ للداعي والمبلّغ أن يتمسك بالكتاب والسنة في جميع الأمور الدينية والدنيوية، ويأمروا بها وينهوا بها، لأنها أصل الأصول في هذا الباب يعني: في الدعوة إلى الله.

ما هي التحديات التي تواجه الداعية في العصر الحاضر؟

1- الشبهات الفكرية والاحاد. 2- تأثيره وسائل الإعلام الحديثة. 3- التحديات الداخلية في الأمة الإسلامية. (مثل: ضعف الوعي الديني عند كثير من المسلمين، النزعات الطائفية والاختلافات المذهبية التي تؤدي إلى التفرق).

ماهي صفات الداعية الناجح؟

1- العلم والبصيرة. 2- الحكمة واللين. 3- مواكبة العصر واستخدام التكنولوجيا.

ماهي وسائل فعّالة للدعوة في العصر الحاضر؟

1- استخدام وسائل التواصل الاجتماعي. 2- تأليف الكتب والمقالات العلمية. 3- تنظيم الحوادث بين الأديان. 4- دعم التعليم والتربية الإسلامية.

المبحث الثاني: أصول وضوابط الدعوة من خلال فكر الأستاذ الندوي

التمهيد:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد!

للدعوة إلى الله ضوابط أجملها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽¹⁾، ثم سيرة الأنبياء عليهم السلام، ثم رجال الدعوة والعزيمة، والالتزام بهذه الضوابط، هو ما منح الدعوة القدرة على النفاذ والتأثير في حين ان تجاهلها وتجاوزها كما يؤكد الواقع، يفتح باب الفساد والإفساد، فما هي الضوابط التي يتوجب على الداعية الالتزام بها، وهل تتغير هذه الضوابط من عصر الى عصر، ومن مكان الى مكان، وما هي الصفات الواجب ان تتوفر في الداعية لضمان الالتزام بهذه الضوابط؟ وفي هذا المبحث نحن نذكر ضوابط وأسلوب الدعوة المستنبطة من خلال فكر الندوي رحمه الله رحمة واسعة.

معنى ضوابط الدعوة إلى الله:

الضابط لغة: لزوم الشيء وعدم مفارقتة، وفيه معنى الحبس، كما يطلق أيضاً على القوة والشدة، فيقال: رجل ضابط، أي: قوي شديد حازم.²

الضابط اصطلاحاً: أمر كلي ينطبق على جزئياته لتعرف أحكامها منه.³

وهذا التعريف للضابط لا يختص بعلم معين بل هو عام في كل علم يمكن أن تصاغ فيه ضوابط، ويتبين هذا بمقارنته بالتعريف الفقهي للضابط. كما أن من العلماء من يجعل الضابط مرادفاً للقاعدة.⁴

وهل تتغير ضوابط الدعوة من زمان الى زمان، ومن مكان الى مكان!

ضوابط الدعوة عند الشيخ الندوي قد تختلف وتتفاوت من شخص لشخص آخر ومن مكان لمكان آخر ومن وقت لوقت آخر، فينبغي أن يراعي في تلك القواعد والضوابط اختلاف المكان والزمان

¹ - سورة النحل، الآية: 125.

² - لسان العرب، 7/240.

³ - غمز عيون البصائر، أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (المتوفى: 1098هـ)، 5/2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1405 هـ/1985م.

⁴ - انظر: قواعد و ضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، عابد الثبيتي، ص: 248، 249.

والأشخاص، فلا ينبغي استعمال الضوابط على وتيرة واحدة في كل الأمكنة والأزمنة دون مراعاة الفروق المكانية والزمانية والفردية.

يقول الشيخ الندوي رحمه الله: "أما الدعوة فأمرها بعيد، وساحتها واسعة جداً، ولها مساحة زمانية ومساحة مكانية، وكلتاها واسعتان، أما المساحة الزمانية فهي تمتد من مصدر الدعوة، إذا كان نبياً، وإذا كان مؤسس دعوة كبيرة، إلى مالا نهاية له، كذلك لها مساحة مكانية، واسعة، فقد يكون الداعي في الشرق، وقد يكون في الغرب، وقد ينتقل الداعي من الشرق إلى الغرب، فإذا كان قد تمرن على طبيعة الشرق، فإنه لا يستطيع أن يقوم بمهمته في الغرب".¹

وأيضاً قال: "إنني أعتقد أن الدعوة لا يمكن أن تخضع لقوانين مرسومة وأحكام مضبوطة، لأن الدعوة تعتمد على المحيط وعلى الظروف والبيئة، وعلي الجو والملايسات، فإذا كانت الدعوة تعتمد على الواقع وهو يختلف".²

وفيما يلي سأجمل تلك القواعد والضوابط التي ذكرها الشيخ الندوي رحمه الله في كتبه:

ضوابط الدعوة إلى الله عند الشيخ أبي الحسن علي الندوي رحمه الله:

لقد بين الله عز وجل في كتابه الكريم ضوابط الدعوة، وأسباب نجاحها، وفيما جاء في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ومن أوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽³⁾، فأوضح سبحانه الكيفية التي ينبغي أن يتصف بها الداعية ويسلكها، وتشعرون بمدى أبعاد الإطلاق الذي جاء في هذه الآية، وأبعاد التقييد الذي جاء فيها، فأطلق، وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، ما عدّد وما عيّن شيئاً معيناً خاصاً، فمثلاً تدعون الناس إلى الإيمان بالله وحده، وإلى العقيدة الصحيحة، وتحثون على الصلاة، تدعون إلى مكارم الأخلاق، وإلى الفضيلة، أو تدعون الناس إلى الشعور بكرامة الإنسانية، ﴿سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، يحوي كل شيء، إنه يمتد ويسع الآفاق، ليصف هذه الآفاق فقط، إنها آفاق الأديان السماوية وآفاق الحاجات البشرية، والحياة الإنسانية فاستحضروا الإعجاز الكامل في قوله تعالى: ﴿ادْعُ﴾، وهو لا يختص بالخطابة، ولا يختص بالكتابة، ولا يختص بالوعظ والنصيحة، إنما قال: ﴿ادْعُ﴾، والدعوة عامة تشمل هذه المعاني كلها، وهذه الأساليب كلها، ﴿الْحُكْمَةِ﴾، هذه كلمة بليغة في

¹ - انظر! محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، لأبي الحسن الندوي بترتيب: عبد الماجد الغوري، 428/1.

² - المصدر السابق، 427/1.

³ - سورة النحل، الآية: 125.

العربية التي جاءت في الآية، أيضاً ﴿وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾ هاتان كلمتان مطلقتان، وهنا جاء القرآن يحل هذه المشكلة، فأطلق وقيد، وأوجز وأعجز.

وقد جاءت هذه الآية في سياق الآيات التي تتحدث عن سيدنا إبراهيم - عليه السلام -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ - شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ - وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ - ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹.

والشيخ الندوي يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ "لهذه الآية صلة خاصة بدعوة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - هنالك خيط يربط بين سيدنا إبراهيم وبين أمر الدعوة، إن ورود هذه الآية في سياق الحديث عن سيدنا إبراهيم يدل على أن سيدنا إبراهيم كان آخذاً بهذا الطريق، ملتزماً لهذه الأدب، وكانت دعوته مؤسسة على الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن".²

يذكر الشيخ الندوي أن القرآن قد ترك أحكام الدعوة التفصيلية الدقيقة، لأن أحكام الدعوة تتغير بتغير زمانه ومكانه. وأيضاً الشيخ بين أسلوب الدعوة وضوابط الدعوة من سير الانبياء عليهم الصلاة والسلام، وأكثرها مقتبسة من سير أربعة من كبار الرسل، أولهم سيدنا إبراهيم، وثانيهم سيدنا يوسف، وثالثهم سيدنا موسى، ومسلكتهم سيدنا محمد صلاة الله عليهم أجمعين، ورجل آخر لاني ولا صحابي ولا رئيساً من رؤساء لأي رهط، بل أنه رجل مؤمن من آل فرعون يكتنم لإيمانه، ودعا الناس إلى الإيمان والتوحيد.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله -: "ويجب أن يستفيد منها الداعية الحكيم الذي يكون في هذا الوضع، ويستفيد منها الداعية الذي لا يكون في هذا الوضع، فيتلقى منه دروساً في ترفيق الكلام وتنويعه، والتبصير بالواقع، وقصص الماضين، وعواقب الأمور، وكلاً وعد الله الحسن".³

¹ - سورة النحل، الآية: 120-123.

² - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 430/1.

³ - انظر محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 431/1.

ضوابط الدعوة إلى الله في فكر الشيخ الندوي من خلال كتبه:

1-الحنان يسبق الإيمان:

الداعي يختار الأسلوب اللين والرفق والمحبة إذا دعا الناس إلى الله، كما في قوله تعالى في قصة إبراهيم-عليه السلام-: ﴿يَأْتِيَتْ إِيَّيْ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾.¹

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: "إن إبراهيم أثار فيه الحنان قبل أن يثير فيه الإيمان، والحنان يسبق الإيمان".²

أيضاً الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- رعى هذا الجانب مع عمه أبي طالب، فخاطبه في مواضع دقيقة مخرجة بقوله: "يا عم"، (يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري).³

2- حسن الاختيار للدلائل المناسبة للمقام:

ينبغي للداعي أن يختار من الدلائل: القوية والحسنة في دعوته المناسبة للمقام، لكي يؤثر كلامه في المدعو، كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَتْ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾.⁴

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ثم إن سيدنا إبراهيم اختار من الدلائل في إثبات كون هذه الآلهة لا تستحق العبادة، الأشياء المحسوسة الملموسة اليومية، لم يبدأ بالأشياء التي تعتمد على المنطق، وتعتمد على الذكاء النادر، وتعتمد على بحوث علمية، أو نظرات فلسفية، إنما اختار الشيء الذي يفهمه الطفل، لأن والده كان في الطفولة العقلية، وإن كان متقدماً في السن، فخاطبه كما يخاطب الطفل...".⁵

¹ - سورة مريم، الآية: 43.

² - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 433/1.

³ - السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، 1/266، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م.

⁴ - سورة مريم، الآية: 42.

⁵ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 434/1.

3- الاعتماد على الفطرة والواقع في الدعوة:

الداعي يختار من الدلائل المنطقية التي تتعلق بالفكر وحقيقتها و ماهيتها؛ لتضييق الميان على الخصم حتى يتكلم هو عن حقيقته وواقعه الذي جعله يفعل أو يعتقد ما يعتقد كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ - قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ - أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾¹.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وهناك يلجأ [أي: إبراهيم] إلى الدلائل المنطقية، أو الإشارات الفلسفية، فإن الحياة الإنسانية تدور حول هاتين النقطتين، يسمع الإنسان إذا دُعي، وينفع ويضر إذا استعين".² فضيق الخناق عليهم فأفصحوا عن حقيقتهم وواقعهم أنهم مقلدون لآبائهم فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فانقطعوا وعجزوا عن تبرير فعلهم وشركهم فوصل إبراهيم عليه السلام إلى المطلوب.

4- التفتن لما عند الخصم من الذكاء والبيان ومحاولة استنفاد طاقة الخصم في الحجة:

ذكر الشيخ رحمه الله أن الداعي يكون ذكيا فطنا ينتبه لأدلة الخصم ويحاول يستخرج منه حتى آخر أدلته ولا يبقى معه شيء فيفلس ويعجز عن المواصلة فيبدأ الداعي يرد عليه ويدعوه على بصيرة وعلم ذكر ذلك عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾³.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "كيف استخرج كل ما عندهم من ثروة ذكاء، وثروة بيان، وثروة دفاع عن النفس - فسيدنا إبراهيم استنفد كل ما عندهم من قدرة على جواب فأصبحوا مفلسين، أصبحوا لاشيء عندهم ثم بدأ يوجه إليهم الدعوة، ويدعوهم إلى الله وإلى التوحيد".⁴

5- إثبات مفصل ونفي مجمل:

على الداعي أن يتقيد بمنهج القرآن الكريم في دعوته ولا سيما في الحديث عن الله عز وجل فطريقة القرآن في الدعوة إلى الله والإيمان به وبأسمائه وصفاته الإثبات المفصل، فيفصل فيما يثبت الله عز وجل من الأسماء والصفات، والنفي المجمل أي يجمل فيما ينفيه عن الله عز وجل من العيوب والنقائص ويحذر الداعي من المناهج المخالفة للقرآن الكريم كمنهج الفلسفة اليونانية وأمثالها، فإن المئات من أساليب النفي لا تقوم مقام إثبات واحد في إثبات الكمال المطلق لله ونفي العيوب والنقائص عنه سبحانه، فانظر في الإثبات إلى

¹ - سورة الشعراء، الآية: 71-73.

² - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 435/1.

³ - سورة الشعراء، الآية: 74.

⁴ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 435/1.

قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ - هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ - هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽¹⁾، فكله إثبات مفصل، وانظر في النفي إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁽²⁾، فأجمل في النفي غاية الإجمال، وهذا كله خلاف المنهج الفلسفي اليوناني حيث يفصلون في النفي ويحملون في الإثبات.³

6- انتهاز الفرصة المناسبة للدعوة:

ينبغي للداعي أنه حينما يجد الفرصة للدعوة إلى الله يستفيد منها وينتهازها، ويفيد الناس، ويتحدث عن الأهم فالأهم. كما فعل سيدنا يوسف في السجن حينما سئل عن الرؤيا.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فاتخذ من مناسبة تفسير الرؤيا مدخلا لتوجيه الدعوة إلى الله، وأثار فطرتهما السليمة للتوصل إلى عقيدة التوحيد الواضحة السائغة".⁴

7- مخاطبة المدعو بما يطمئن إليه أولاً:

الداعي يطمئن المخاطبين، كما ذكر في قصة يوسف حينما سئل عن الرؤيا فأجاب: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾⁽⁵⁾، يعني أن يوسف عليه السلام سيقضي حاجتهما سريعاً.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فما كان لهما أن يجلسا بجواره طويلاً، فأراد أن يطمئنهما أن حاجتهما ستقضى سريعاً".⁶

¹ - سورة الحشر، الآية: 21-23.

² - سورة الشورى، الآية: 11.

³ - انظر: محاضرات الإسلامية في الفكر والدعوة، ص: (435) وانظر التفصيل في: النبوت، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، 1073/2، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1420هـ/2000م.

⁴ - محاضرات الإسلامية في الفكر والدعوة، 443/1.

⁵ - سورة يوسف، الآية: 37.

⁶ - محاضرات الإسلامية في الفكر والدعوة، 443/1.

8- تنشيط النفوس لسماع الحديث بشيء لذيذ حبيب:

الداعي إذا رأى المخاطبين في حالة النشاط لسماع الحديث يكون ذلك أقرب لقبول كلامه، فقبل أن يتحدث معهم بهدفة ينبغي أن يراعي أحوالهم فيأتي بما ينشطهم أولاً، ثم يتحدث بهدفة أمامهم، لأن في هذه الحالة يكونون أقرب لقبول دعوته، كما في قصة يوسف عليه السلام، أنه ذكر دعوته من بعد ذكر الطعام للسجين: ﴿ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾⁽¹⁾ فالطعام محبوب للنفوس لكنه أحب للسجين من غيره، فنشطهم بذكر ما يستلذه أسماعهم ويستحبه نفوسهم، ثم انتقل منه إلى هدفه وهو الحديث عن الله وعن التوحيد.²

8- الانتقال الخفيف الرقيق إلى الدعوة للمقصود:

الداعي أثناء حديثه مع المدعو في مختلف المسائل ينتهز الفرص وينتقل إلى الحديث عن الله وعن التوحيد كلما وجد لذلك فرصة مناسبة، فانظر ليوسف عليه السلام كيف بدء حديثه بالطعام: (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه...) ثم انتقل منه إلى هدفه فقال: (ذلكما مما علمني ربي)، يقول الشيخ: "كيف انتقل إلى الحديث عن الرب وعن التوحيد؟ هل هناك انتقال أخف وأرق وألطف وأسرع من هذا الانتقال؟".³

9- اختيار العبارات القصيرة والموجزة المناسبة بالمقام:

ينبغي أن يكون الداعي عنده قدرة وصلاحية على استعمال الأساليب المناسبة وكيف يقتصر الكلام إذا احتاج إلى ذلك ليقصر دعوته ويطوي كلامه في لحظة واحدة. كما فعل يوسف عليه السلام. قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "إذا استطاع أن يطوي هذه الرحلة الطويلة التي قد يطويها الدعاة والحكماء والفلاسفة في عدد من السنين، استطاع أن يطوي في لحظة واحدة".⁴

10- مراعاة أحوال المدعوين وعدم إدخال الملل والسآمة عليهم:

¹ - سورة يوسف، البية: 37.

² - انظر: محاضرات الإسلامية في الفكر والدعوة، 445/1.

³ - المصدر السابق، 445/1.

⁴ - المصدر السابق، 446/1.

ينبغي للداعي أن لا يسترسل في الكلام ويطيل إذا وصل لهدفه من الكلام، مخافة أن يملوا، وهذا مخالف لسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، يقول الشيخ الندوي رحمه الله: "وهناك شعر سيدنا يوسف بأن الفراغ الذي وجد في قلوبهم قد ملأ، وليس من الحكمة الآن أن يطيل الكلام، ويتوسع في الحديث عن التوحيد، والطبيب النظامي يعرف مقدار الوجبة من الدواء، ومدى صلاحية المريض وحاجته، فلا يزيد عليها، إنها طريقة الداعي الملهم¹."

11- محنة قوة النفس وقوة الإيمان، وتحمل الأذى:

يقول الشيخ: أن الداعي يجهّز نفسه للصبر على الحن لقوة النفس وقوة الإيمان والتوكل على الله، وأن لا يلتفت لما يجعله مرتبكاً، كما في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾⁽²⁾، والذي أشار إليه فرعون بقوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾⁽³⁾، ولكن الله سبحانه كلفه مع ذلك بمهمة الرسالة ومهمة حرية بني إسرائيل وإنقاذهم من عبودية فرعون لعبودية الواحد القهار ؛ لعلمه سبحانه بأن موسى عليه السلام هو الرجل المهيأ لهذه المهمة الكبيرة⁴.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فهذا يجعل سيدنا موسى مرتبكاً بعض الارتباك، ومتردداً بعض التردد، عندما أكرم وأمر بأداء هاتين المهمتين، وتبليغ هاتين الرسالتين، ولكنه سبحانه وتعالى كان أعلم بأن موسى هو الرجل المهيأ، والرجل المختار لهذه الدعوة"⁵.

12- الانتباه في الدعوة للخطر الداخلي قبل الخطر الخارجي:

يذكر الشيخ: أن الداعي أولاً يدفع الخطر الداخلي ثم بعد ذلك يدفع الخطر الخارجي، لأن الخطر الداخلي أشد من الخطر الخارجي، فيهتم بالخطر الداخلي فيدفعه قبل الخطر الخارجي لأن نقصانه وخسارته يكون أكبر من الخطر الخارجي والعدو في ثوب القريب أو الصديق أو المواطنة أو غيرها من الأثواب يكون أخطر من رجل أجنبي.

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 447/1.

² - سورة الشعراء، الآية: 14.

³ - أيضاً الآية: 19.

⁴ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 452/1.

⁵ - المصدر السابق ، 452/1.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "إن الحرب الداخلية قد تكون أشد خطراً ، وأكثر دقة من الحرب الخارجية : إن الحرب بين رجل ومنافسه الذي لا يتصل به بنسب وبعقيدة ، قد تكون أهون من الحرب التي تكون بين الرجل وأهل بيته، بين الرجل وعشيرته، بين الرجل وبني جلدته، الذين يلتفتون معه على نسب أو دم، أو وطن أو جنس".¹

13- تغليب الجانب الدعوي على الزعامة والسياسة:

الدعاة ورثة الأنبياء، والأنبياء كانوا دعاة مصلحين لازعماء سياسيين فكذا الدعاة يكون موقفهم موقف الدعاة المصلحين لاموقف الزعماء والسياسيين.

"إن كل من يقف مدافعاً عن قوم، ويريد أن يحررهم، ويتحدى القوة المتغترسة الظالمة التي قهرته، وداس كرامته، وأهانته في أعز الأشياء عنده، إن شأنه أن تتغلب عليه النفسية القومية، ويخاطب بلسان السياسية، ولسان المطالبة بالحقوق".²

لكن الداعي الناجح في دعوته إلى الله المخلص في دعوته يغلب الجانب الدعوي والمصلحة الدعوية على الزعامة والسياسة والحمية والجاهلية بل يبقى الداعي داعياً، ولا يترجح لديه كفة السياسة أو الحمية القومية أو الاحتجاجات على جانب الدعوة إلى الله وإلى توحيده سبحانه، فانظر لموسى عليه السلام لما وقف في وجه الطاغية الظالم، لتحرير بني إسرائيل من عبودية فرعون وإنقاذهم منه، "كيف أعاناه الله تبارك وتعالى على ألا يرجح كفة الاحتجاج، وكفة المطالبة بالحقوق، أو كفة الغضب والحمية القومية على كفة الدعوة، ففي مثل هذه المناسبات الحساسة الدقيقة، ينسى الإنسان كل شيء، وتثور فيه الحمية الجاهلية، وتتغلب عليه النزعة القومية، ويتكلم بلسان القوميين السياسيين، ولكن كيف أن الله تبارك وتعالى أعان سيدنا موسى على ألا يدع هذه النزعة تغلب الإيمان القوي، ودعوة فرعون إلى الله، وبيان الحقائق الدينية، وسنة الله تبارك وتعالى في خلقه، وسنة الله تعالى في الأمم والأجيال، وفي الخلق".³

14- الإحتجاج بالمشهود المعهود على الهدف المطلوب المنشود:

الدعوة الناجحة تتنوع أساليبها فقد يستعمل الداعي الاستدلال بالأمثلة المشاهدة المحسوسة، فينفع الدعوة بإذن الله فإن الإنسان يمكن أن ينكر الأمور العقلية المنطقية لكن كيف يمكن أن يماري أو يجادر في

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة 458/1.

² - أيضاً المصدر السابق، 459/1.

³ - المصدر السابق، 458-459/1.

الأمر المحسوسة المشاهدة؟ كما كان هذا في دعوة الرجل الصالح من آل فرعون الذي مازال يكتنم إيمانه، حيث استدل بالمشاهد المعائن مما جاء به موسى عليه السلام، فهكذا الداعي يمكن أن يستدل بالأمر المحسوسة ويدعم بها كلامه، قال الشيخ الندوي في دعوة رجل من آل فرعون: "دعم كلامه واحتججه بقوله: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾⁽¹⁾، هذا احتجاج بالمشهود المعائن؛... هذه كلها مشاهدات لا يماري فيها الإنسان...".²

15- الإحتجاج بسنة الله التي لا تتغير:

الداعي يستعين للإحتجاج بسنة الله التي لا تتغير ولا تحابي أحداً. كما قال رجل مؤمن من آل فرعون: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾³.

16- الإعتبار بالتاريخ ومصير الأمم البائدة:

الداعي أحياناً يمثل بالتاريخ من الأمم البائدة، للعبارة والعظة، كما فعل هذا الرجل الصالح أمام فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ - مِثْلَ دَاوُدَ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾⁴.

17- التخويف بالآخرة:

الداعي يخوف المخاطبين من الآخرة في دعوته، ولهذا لقب النبي صلى الله عليه وسلم بـ"نذير".

18- الضرب على الوتر الحساس:

معرفة المشكلة الأساسية لدى المدعو والنقطة الحساسة التي هي موضع إشكال لديه وعلاجها أولاً بأول من ضوابط الدعوة الناجحة يقول الشيخ الندوي:

ذكر الشيخ بأن مؤمن آل فرعون عرف "أن أكبر حجاب كان لفرعون هو الملك العريض الذي كان يتباهى، ويتبجح به" فمسك هذه النقطة، ورد عليها، فقال: "إن هذه الحياة الدنيا متاع، وإن الآخرة هي

¹- سورة غافر، الآية: 29.

²محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 471/1.

³- سورة غافر، الآية: 29.

⁴- سورة غافر، الآية: 31، 30.

دار القرار، فضرب على الوتر الحساس، ثم ذكر قانون المجازاة العادل الذي لا يحابي أحدا⁽¹⁾ فقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ - مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾².

19- الإهتمام بمعرفة عادات الناس والتعرف عليها:

الداعي يقف على العادات والأخلاق، والبيئة ليعرف من الذي يدعوهم إلى الله، لأن هذا يسهل الدعوة فيها، كما نرى هذا في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "كان الرسول صلى الله عليه وسلم عربياً، يعرف عادات العرب وتقاليدهم وشعاراتهم وتأثيرها في نفوسهم ومجتمعهم، واستعان بذلك في سبيل هذه الغاية التي لا غاية أفضل منها"³.

¹ - محاضرات الإسلامية في الفكر والدعوة، 475/1.

² - سورة غافر، الآية: 40.

³ - محاضرات الإسلامية في الفكر والدعوة، 481/1.

الفصل الثالث: مراحل الدعوة الإسلامية في العهد المكي وفقهها

التمهيد:

الحمد لله الذي هدانا إلى صراط مستقيم، وصلّى على محمد وعلى آله واصحابه اجمعين.

أما بعد!

لما تقاربت سنه صلى الله عليه وسلم الأربعين، وكانت تأملاته الماضية قد وسعت الشقة العقلية بينه وبين قومه، حُب إليه الخلاء، فكان يأخذ السويق والماء ويذهب إلى غار حراء⁽¹⁾ في جبل النور، وكان يخلو - غالباً - بغار "حراء"، فيمكث فيه ليالي متواليات، وكان يتزوّد لذلك، وكان يتعبّد ويدعو على الطريقة الإبراهيميّة الحنيفيّة والفطرة السليمة المنبئة إلى الله⁽²⁾، ومعه أهله قريباً منه، فيقيم فيه شهر رمضان، يطعم من جاءه من المساكين، ويقضي وقته في العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون، وفيما وراءها من قدرة مبدعة، وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عقائد الشرك المهلهلة، وتصوراتها الواهية، ولكن ليس بين يديه طريق واضح، ولا منهج محدد، ولا طريق قاصد يطمئن إليه ويرضاه، وكان اختياره صلى الله عليه وسلم لهذه العزلة طرفاً من تدبير الله له، وليعده لما ينتظره من الأمر العظيم.

ولما تكامل له أربعون سنة - وهي رأس الكمال، وقيل: ولها تبعث الرسل - بدأت آثار النبوة تتلوح وتلمع له من وراء آفاق الحياة، وتلك الآثار هي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، حتى مضت على ذلك ستة أشهر - ومدة النبوة ثلاث وعشرون سنة، فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة - فلما كان رمضان من السنة الثالثة من عزلته صلى الله عليه وسلم بحراء شاء الله أن يفيض من رحمته على أهل الأرض، فأكرمه بالنبوة، وأنزل إليه جبريل بآيات من القرآن.

¹ - والغار الحراء على مبعدة نحو ميلين من مكة - وهو غار لطيف طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراع وثلاثة أرباع ذراع من ذراع الحديد - انظر! الرحيق المختوم (مع بعض التعديلات والزيادات من د علاء الدين زعتري وغسان محمد رشيد الحموي)، صفى الرحمن المباركفوري (المتوفى: 1427هـ)، ص: 22، دار العصماء - دمشق، الطبعة: الأول - 1427.

² - انظر! السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 180.

المبحث الأول: المرحلة الأولى، في بداية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أو في زمن الدعوة السرية

التمهيد:

ومعلوم أن مكة كانت مركز دين العرب، وكان بها سدة الكعبة، والقوام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب، فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يزداد عسرا وشدة عما لو كان بعيدا عنها. فالأمر يحتاج إلى عزيمة لا تزلزها المصائب والكوارث، كان من الحكمة تلقاء ذلك أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية، لئلا يفاجأ أهل مكة بما يهيجهم.

ما معنى الدعوة السرية؟

بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الإسلام، من أول ما أنزلت عليه النبوة ثلاث سنين مستخفياً، ثم أمر بإظهار الدعوة بنزول قول الله عز وجل: (وأندر عشيرتك الأقربين) (الشعراء/ 214).¹

ثلاث سنوات من الدعوة السرية:

الرعي الأول للدعوة إلى الله:

وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام أولاً على ألصق الناس به وآل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه خيراً ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الله الحق والخير، ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء - الذين لم تخالجهم ريبة قط في عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم وجلالة نفسه وصدق خبره - جمع عرفوا في التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين، وفي مقدمتهم زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد بن حارثة بن شريحيل الكلبي وابن عمه علي بن أبي طالب - وكان صبياً يعيش في كفالة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "وأمنت به خديجة، فكانت أول من آمن بالله وبرسوله، وكانت بجواره، تؤازره، وتثبتته، وتحقق عنه، وتهوّن عليه أمر الناس - ثم أسلم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو يومئذ ابن عشر سنين، وكان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام، أخذه من أبي طالب في أيام الضائقة، وضمّه إليه، وأسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد

¹ - التعريف بالإسلام، مركز قطر للتعريف بالإسلام، 197/1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بقطر.

تَبَيَّنَ رسول الله ﷺ، فكان إسلام هؤلاء شهادة أقرب النَّاسِ إليه، وأعرفهم به، وبصدقه، وإخلاصه، وحسن سيرته، وأهل البيت أدري بما فيه"⁽¹⁾، هكذا ذكر في سيرة ابن هشام.²

وصديقه الحميم أبو بكر الصديق، يقول الشيخ الندوي-رحمه الله- في إسلامه: "وأسلم أبو بكر بن أبي قحافة، وكانت له منزلة في قريش، لعقله ومروءته واعتداله، وأظهر إسلامه، وقد كان رجلاً محبباً سهلاً، عالماً بأنساب قريش، وبأخبارها، وكان تاجراً، ذا خلق ومعروف، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام، من وثق به من قومه، ممَّن يغشاه ويجلس إليه".³

مَن اسلم بعد ذلك من أشرف قريش؟

ثم نشط أبو بكر في الدعوة إلى الإسلام، وكان رجلاً مألوفاً محبباً سهلاً، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه، لعلمه وتجارته، وحسن مجالسته، فجعل يدعو من يثق به من قومه ممَّن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه عثمان بن عفان الأموي، والزبير بن العوام الأسدي، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وطلحة بن عبيد الله التيمي. فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس هم الرعيل الأول وطلعة الإسلام.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وأسلم بدعوته أشرف من قريش، لهم مكانة وسؤدد، منهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا، وتلاهم رجال من قريش، لهم شرف ومكانة، منهم أبو عبيدة بن الجراح، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وسعيد بن زيد، وخبّاب بن الأرت، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وصهيب، وغيرهم- رضي الله عنهم"⁽⁴⁾. ومن أوائل المسلمين بلال بن رباح الحبشي، ثم تلاهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح من بني الحارث بن فهر، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمان بن مظعون وأخوه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وسعيد بن زيد العدوي، وامراته فاطمة بنت الخطاب العدوية أخت عمر بن الخطاب، وخبّاب بن الأرت وعبد الله بن مسعود

¹ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 183.

² - سيرة ابن هشام: 1/ 245-247.

³ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 184.

⁴ - المصدر السابق، ص: 184.

الهلذلي وخلق سواهم، وأولئك هم السابقون الأولون، وهم من جميع بطون قريش وعددهم ابن هشام أكثر من أربعين نفراً، وفي ذكر بعضهم في السابقين الأولين نظر، قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به.¹

أسلم هؤلاء سرا، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجتمع بهم ويرشدهم إلى الدين متخفياً؛ لأن الدعوة كانت لا تزال فردية وسرية، وكان الوحي قد تتابع وحي نزوله بعد نزول أوائل سورة المدثر، وكانت الآيات وقطع السور التي تنزل في هذا الزمان آيات قصيرة، ذات فواصل رائعة منيعة، وإيقاعات هادئة خلافة تتناسق مع ذلك الجو الهامس الرقيق، تشتمل على تحسين تركية النفوس، وتقبيح تلويثها برغائهم الدنيا، تصف الجنة والنار كأنهما رأي عين، تسير بالمؤمنين في جو آخر غير الذي فيه المجتمع البشري آنذاك.

ما وجه السرية في بدء دعوة النبي صلى الله عليه وسلم؟

لم تكن سرية الدعوة في أول أمرها، خوفاً من الرسول عليه الصلاة والسلام على نفسه، ولكنه إلهام من الله، لتعليم الدعاة من بعده، وإرشادهم إلى مشروعية الأخذ بالحيلة والأسباب الظاهرة.

وفي هذا المجال، يحسن ذكر كلام ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين، إذ جاء فيه:

"أن النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأئمة إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه وبمقت أهلها، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر.

وقد استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: (لا، ما أقاموا الصلاة)، وقال: (من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدا من طاعته)، ومن تأمل ما جرى على الإسلام من الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار سلام، عزم على تغيير البيت وردّه على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك - مع قدرته عليه - خشية وقوع ما هو أعظم منه،

¹ - انظر سيرة ابن هشام 1/ 245 - 262.

من عدم احتمال قريش لذلك، لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد، لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء.

فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان.

والثالثة موضع اجتهاد.

والرابعة محرمة.

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشاب وسباق الخيل ونحو ذلك.

وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلا لهم عن ذلك.

وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها وخفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر، فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع".¹

¹ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، 338/4، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخریج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1423 هـ.

ثمّ نقل واقعة شيخ الإسلام ابن تيمية، أنه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار يقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدّهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم.¹

أهداف الدعوة السريّة إلى الله:

لقد بدأ النبي الكريم ﷺ بإعداد الحشود منذ بداية الدعوة، وتتابع نزول الوحي، كما أنه دعا إلى ضرورة توحيد الله - سبحانه - وتطهير النفوس من لوثات الكفر والجاهلية، والحرص على توحيد الصفوف والأهداف، وتغليب مصلحة الجماعة، وتكوين نواة الجيش المسلم.

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

إن دراسة مرحلة الدعوة السرية للسيرة النبوية يعرف الواحد منا قدر نعمة الهداية لهذا الدين، ومدى الشرف بالانتساب إليه والدعوة له والجهاد لرفع رايته.

معرفة الطريق إلى عز الإسلام والمسلمين، فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في أسوأ حال بعث فيها نبي من الأنبياء، فانتقل بهم من مرحلة إلى مرحلة حتى أكمل الله عز وجل له الدين وتمت النعمة على المسلمين.

معرفة المؤهلات التي أهلت الصحابة رضي الله عنهم لقيادة البشرية، وكيف رباهم النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا مما يدعو إلى محبتهم والنسج على منوالهم واتباع سبيلهم.

دراسة مرحلة الدعوة السرية للسيرة النبوية تفيد المسلم الوقوف على كثير من الأحكام الفقهية والدروس التربوية والسياسة الشرعية، فلا يستغني عنها القائد ليتعلم كيف تكون القيادة، ولا يستغني عنها الجندي ليتعلم كيف تكون الجندية.

معرفة أسباب النصر وأسباب الهزيمة، فمن أسباب النصر الثقة بالله عز وجل والتوكل عليه والتضرع إليه والأخذ بالأسباب الموصلة إلى النصر.

¹ - انظر: "الأمر بالمعروف" (ص 17 - 18) و"مجموع الفتاوى" (20 / 57 - 61) و"الإستقامة" (2 / 165 - 168) كلها لابن تيمية.

إن مسؤولية الداعي من الدعوة السرية، عدد من المصالح العامة والجليلة في نفس الوقت، نذكر منها تكوين الأنصار فأى دعوة في بدايتها لا يكون لها أنصار، ومن طبع الناس معاداة كل جديد، فيكون هذا أمراً مهماً لنجاح هذه الدعوة.

فالداعية يحافظ على نفسه وعلى مصلحة دعوته، وإن كان في البداية أن تكون المصلحة بالسريّة. يجب على الداعي أن يكون صابراً ومستقيماً في أوقات الضيق والأذى حتى ولو طال به زمن السرية، فليُنظر للمصلحة ويقدر الظروف بقدرها.

مرحلة الدعوة السرية كان ابتلاء عظيمًا للنبي صلى الله عليه وسلم، وأدى رسالته زمن السرية كما أمره الله تعالى، وعلى الداعي والمصلح يعمل كما يراه في سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، لأن فيها أجراً عظيماً وفضلاً كبيراً لوارث النبي صلى الله عليه وسلم.

المرحلة الثانية، الدعوة جهاراً:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر بدعوته إلى الله حتى مضى ثلاث سنوات على ذلك، ثم أمره الله تعالى بإعلان دينه، وقال: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽¹⁾، أيضاً وقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ - وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾، و ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾⁽³⁾. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصعد على الصفا ونادى بأعلى صوته: "يا صباحاه"، فلم تتأخر قريش في تلبية هذا النداء، واجتمعوا إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث إليه رسوله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب! أرايتم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، صدقتموني؟" فقالوا: نعم. ولما تمت هذه المرحلة الطبيعية البدائية، وتحققت شهادة المستمعين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)⁽⁴⁾. قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "كان العرب واقعيين عمليين، إنهم رأوا رجلاً جربوا عليه الصدق والأمانة والنصيحة، قد وقف على جبل يرى ما أمامه، وينظر إلى ما وراءه، وهم لا يرون إلا ما هو أمامهم، فهداهم ذكأؤهم وإنصافهم إلى تصديق هذا المخبر الأمين الصادق"⁽⁵⁾.

حسن أسلوبه صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله على "الصفا":

كان ذلك الإعلان تعريفاً بمقام النبوة، وما ينفرد به من علم بالحقائق الغيبية والعلوم الوهية، وموعظة وإنذاراً، في حكمة وبلاغة وحسن أسلوب لا نظير لهما في تاريخ الديانات والنبؤات، فلم تكن طريق أقصر من هذا الطريق، ولا أسلوب أوضح من هذا الأسلوب.

¹ - سورة الحجر ، الآية: 94.

² - سورة الشعراء، الآية: 214، 215.

³ - سورة الحجر، الآية: 89.

⁴ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب "وأنذر عشيرتكَ الأقربين" برقم: 4770 و (4771)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ برقم: 208، وأحمد: 1/ 281 من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

⁵ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 185.

وقد تبّه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمة لا حكمة فوقها على أنّ العدوّ اللدود كامن في نفوسهم، وهو أولى بأن يخافوه ويأخذوا له عدّته، فالجهل عن خالق هذا الكون وربّ العالمين، وصفاته وأسمائه الحسنی، والوقوع في حبائل الشّرك والوثنية، وعبادة النفس والشهوات، فسكت القوم، ولكنّ أبا لهب قال: "تبا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلّا لهذا؟!".¹

إظهار العداوة من قومه والحماية من عمّه:

ولما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعوة للإسلام، وصدع بالحقّ كما أمره الله تعالى، لم يبعد منه قومه، ولم يردّوا عليه حتى ذكر آلهتهم، وعابها، فلمّا فعل ذلك، أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته، وشكى قريش إلى أبي طالب، وقالوا: يا أبا طالب، إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضللّ آبائنا، فإنّما أن تكفّه عنّا وإمّا أن تخلي بيننا وبينه، فإنّك على مثل ما نحن عليه، من دين وعقيدة، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً، فانصرفوا عنه.²

ومضى النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، ولم يستطيعوا أن يردّوه عن موقفه، ثمّ اشتكوا مرّة ثانية إلى أبي طالب.

الحوار بينه صلى الله عليه وسلم وبين أبي طالب:

قال أبو طالب: يا بن أخي! "إنّ قومك قد جاؤوني، فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحمّلي من الأمر ما لا أطيق!" وظنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ أبا طالب قد اضطرب في أمره، وضعف عن نصرته والقيام معه، فقال: "يا عمّ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه، ما تركته". واستعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى، ثمّ قام، فلمّا ولّى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي! فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً.³

¹ - السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، 456/1، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، 1395 هـ - 1976 م.

² - سيرة ابن هشام: 1/ 264-265 باختصار.

³ - سيرة ابن هشام: 1/ 265-266، وأخرج هذه القصة البيهقي في دلائل النبوة، 2/ 187، وأبو يعلى في مسنده، 12/ 176، والحاكم في المستدرک، 3/ 577، بسياق آخر عن عقيل بن أبي طالب، وقال الهيثمي في المجمع، 6/ 15، "رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوّله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح".

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الله، ويئست قريش منه ومن أبي طالب، ونزل غضبهم على من كان أسلم من أبناء قبائلهم، وليس لهم من يمنعهم، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب، والجوع، والعطش، وبرمضاء مكة إذا اشتدَّ الحرُّ".¹

دعوة أبي بكر رضي الله عنه إلى الله:

قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه في الناس، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، وثار المشركون على أبي بكر فوطيء، وضرب ضربا شديدا، وجعل عتبة بن ربيعة يضربه بنعلين مخصوفتين يحرفهما بوجهه حتى ما يعرف وجهه من أنفه.

وحملت بنو تيمم أبا بكر، وهم لا يشكّون في موته، وتكلّم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمستوا منه بالسنتهم وعذلوه، ثم قاموا وقالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئا، أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحّت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: والله مالي علم بصاحبك.

فقال: اذهبي إلى أم جميل⁽²⁾ بنت الخطاب، فخرجت حتى أتت أم جميل، فمضت معها، ودنت منه أم جميل وهي ممن أسلم فسألها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: هذه أمك تسمع، قال: فلا شيء عليك منها، قالت: سالم صالح، قال: فإنّ الله عليّ ألا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمهلتا، حتى إذا هدأت الرّجل، وسكن الناس، خرجتا به يتكّى عليهما، حتى أدخلتاه، ورقّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله ليس بي بأس إلا ما نال مني الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع لها عسى أن يستنقذها بك من النار، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُمّه، ودعاها إلى الله، فأسلمت.³

¹ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 188.

² - بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، وهي أخت عمر بن الخطاب. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)، 210/8، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1410 هـ - 1990م.

³ - انظر البداية والنهاية: 439/1 - 441.

اجتماع قريش لصد وفود العرب في الحج من استماع دعوة النبي صلى الله عليه وسلم:

وخلال هذه الأيام أهم قريش بأمر آخر، وذلك أن الجهر بالدعوة لم يمض عليه إلا أشهر معدودة حتى قرب موسم الحج، وعرفت قريش أن وفود العرب ستقدم عليهم، فرأت أنه لا بد من كلمة يقولونها للعرب في شأن محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتداولون في تلك الكلمة، فقال لهم الوليد: أجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا، قالوا: فأنت فقل، قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول: كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو بزممة الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك.¹

وتفيد بعض الروايات أن الوليد لما رد عليهم كل ما عرضوا له، قالوا: أرنا رأيك الذي لا غضاضة فيه، فقال لهم: أمهلوني حتى أفكر في ذلك، فظل الوليد يفكر ويفكر، حتى أبدى لهم رأيه الذي ذكر آنفا.

وفي الوليد أنزل الله تعالى ست عشرة آية من سورة المدثر، وفيها تصوير كيفية تفكيره، فقال: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ - فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ - ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ - ثُمَّ نَظَرَ - ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ - ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ - فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ - إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾.

وبعد أن اتفق المجلس على هذا القرار أخذوا في تنفيذه، فجلسوا بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره .

والذي تولى كبر ذلك هو أبو هلب، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الناس إذا وافى الموسم في منازلهم وفي عكاظ ومجنة وذو الحجاز، يدعوهم إلى الله، وأبو هلب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب

¹ - انظر سيرة ابن هشام، 271/1.

ولكن ما أبو لهب؟ وما قريش؟ وما العرب؟ وما الدنيا كلها؟ بإزاء رجل يحمل رسالة من الله الذي له ملك السموات والأرض يريد أن يعيد بها الرشد لعالم فقد رشده.¹

وأدى ذلك إلى أن صدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانتشر ذكره في بلاد العرب كلها.

قسوة قريش في الإضرار بالنبي صلى الله عليه وسلم:

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وتفنت قريش، وقسوا في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعوا فيه قرابة، وتخطوا حدود الإنسانية، فبينا النبي صلى الله عليه وسلم ساجد- ذات يوم- في المسجد، وحوله ناس من قريش، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا⁽²⁾ جزور، فقفذه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه، فجاءت ابنته "فاطمة" - عليها السلام- فأخذته من ظهره، ودعت على من صنع هذا، ودعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم".³

كيف قبل حمزة بن عبد المطلب الإسلام؟

مرّ أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم عند "الصفا" فأذاه وشتمه، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف عنه.

ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً⁽⁴⁾ قوسه، راجعاً من قنص له، وكان أعزّ فتى في قريش، وأشدّ شكيمة، وأخبرته مولاة عبد الله بن جدعان بما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فاحتمل حمزة الغضب، ودخل المسجد، ورأى أبا جهل جالسا في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس، فضربه بها، فشجّه شجّة منكّرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فسكت أبو جهل، وأسلم حمزة، وعزّ ذلك على قريش لمكانته وشجاعته.⁵

¹ - روى فعله هذا الترمذي عن يزيد بن رومان و.. عن طارق بن عبد الله المحاربي ورواه الإمام أحمد في مسنده 3/ 492، 341.

² - سلا: هو اللّفاة يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان؛ وهي من الأدمية المشيمة، هذا ما قال الشيخ الندوي.

³ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 194.

⁴ - متوشحاً أي متقلداً، هذا التعبير ذكر الشيخ الندوي.

⁵ - انظر سيرة ابن هشام: 1/ 291-292.

أسلوب الدعوة الجديدة من المشركين العرب:

لما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزدنون ويكثرون استأذن عتبة ابن ربيعة قريشاً، أن يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكلمه، ويعرض عليه أموراً، لعلّه يقبل بعضها، فيعطونها، ويكفّ عنهم، وأذنت له قريش، واستخلفته.

وجاء عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إليه، وقال: يا بن أخي! إنّك ممّا حيث قد علمت، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها، لعلّك تقبل منها بعضها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قل يا أبا الوليد! أسمع،" قال: يا بن أخي! إن كنت إنّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفاً، سوّدناك علينا، حتّى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان الذي يأتيك رئياً⁽¹⁾ تراه، لا تستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك أطباء، وبذلنا فيه أموالنا حتّى نبرئك منه، فلمّا فرغ عتبة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقد فرغت يا أبا الوليد؟".

قال: نعم.

قال: فاسمع منّي.

قال: أفعل.

فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات من سورة فُصِّلَتْ إلى السجدة، فلمّا سمع منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره، معتمدا عليهما، يسمع منه، فلمّا انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها، سجد، ثمّ قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نلّف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلمّا جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟! قال: ورائي أنّي قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قطّ، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش! أطيعوني، وخلّوا بين هذا الرجل

¹ - رئياً: ما يتراءى للإنسان من الجن، قاله الشيخ الندوي.

وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.¹

وهذا الأسلوب من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله رائع جداً، يعني أولاً إسمع موقف المخاطب ثم رد عليه بالطمانية والسكون، ليتأثر منه المخاطبون.

التدرج لدعوة المسلمين إلى أرض الحبشة بشكل الهجرة:

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ بها ملكاً، لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.

فخرجت عند ذلك جماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة، فكانت أول هجرة في الإسلام، وكانوا عشرة رجال وأربع نسوة فيهم عثمان بن عفّان وزوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمّروا عليهم عثمان بن مظعون.

ثم خرج جعفر بن أبي طالب، وتتابع المسلمون، حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، منهم من خرج بأهله، ومنهم من خرج بنفسه، وكان جميع من هاجر إلى أرض الحبشة ثلاثة وثمانين رجلاً.²

ما كانت الغاية من الهجرة أن تمنع الأذى عن المسلمين فقط، بل الغاية الأصلية انتشار الإسلام والدعوة إلى الله على أرض الحبشة، إضافة إلى تلك الغاية كما قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: " ولم تكن الغاية الوحيدة من الهجرة إلى الحبشة الخلاص من أذى قريش، بل كانت مقترنة بالدعوة إلى الإسلام والتخفيف من هموم النبي صلى الله عليه وسلم ، واستعراض قائمة المهاجرين يدلّ على سعة الدائرة البشرية وتنوّعها".³

¹ - انظر سيرة ابن هشام: ج 1/293-294، وجاء من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال الهيثمي في الجمع ، 6/ 19-20، رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثّقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقيّة رجاله ثقات.

² - سيرة ابن هشام: 1/ 321-330.

³ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 196.

تعامل القریش مع المسلمين المهاجرين:

ولما رأت قریش أنّ هؤلاء قد آمنوا واطمأنّوا بأرض الحبشة، بعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ابن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقه⁽¹⁾، مما يستطرف من متاع مكّة، وقدا على النجاشي، وقد استمالا البطارقة، وأرضياهم بهداياهم، وتكلّما في مجلس الملك، فقالا: إنّ لجأ إلى بلد الملك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إليك أشرف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردّهم إليهم، فهم أبصر بهم وأقرب إليهم، وقالت البطارقة حوله: صدقا أيّها الملك، فأسلمهم إليهما.

فغضب النجاشي، وأبى أن يقبل كلامهم، ويسلم من لجأ إليه وإلى بلاده، وحلف بالله، وأرسل إلى المسلمين، فدعاهم، ودعا أساقفته⁽²⁾، وقال للمسلمين: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم؟ ولم تدخلوا في ديني ودين أحد من هذه الملل؟.

أسلوب الداعي في الدعوة إلى الله أمام السلطان:

وقام جعفر بن أبي طالب - وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: (أيّها الملك! كنّا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منّا الضعيف، فكنا على ذلك، حتّى بعث الله إلينا رسولا منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده، ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.

وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصّنات.

وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصّلاة والزّكاة والصّيام - فعدّد عليه أمور الإسلام - فصدّقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان، من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنّا نستحلّ من الخبائث.

¹ - البطارقة: جمع بطريق، وهو القائد الحاذق بالحرب، قاله الشيخ الندوي.

² - الأساقفة: علماء النصارى؛ والواحد: الأسقف، قاله الشيخ الندوي.

فلما قهرونا، وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

وسمع النجاشي كل ذلك في هدوء ووقار، ثم قال: هل معك مما جاء به صاحبكم عن الله من شيء؟.

قال جعفر: نعم.

قال النجاشي: فقرأه عليّ. فقرأ جعفر صدرا من سورة مريم، فبكى النجاشي، حتى اخضلت لحيته، وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم).¹

إنّ كلام جعفر بن أبي طالب أمام ملك الحبشة، وتصويره للإسلام، كلام حكيم قد جاء في أوانه ومكانه، وقد دلّ على بلاغة صاحبه العقلية، قبل أن يدلّ على بلاغته العربية البيانية، ولا يعلّل ذلك إلاّ بإلهام من الله وتأييد هذا الدين الذي أراد الله أن يتمّ نوره، وأن يظهره على كلّ دين، ويدلّ كذلك على سلامة الفطرة، ورجاحة العقل، اللتين فاق فيهما بنو هاشم قريشا، وفاقت فيهما قريش العرب كلّهم، فقد فضّل جعفر أن يكون جوابه حكاية حال لما كان عليه أهل الجاهلية في الجزيرة العربية، ولما آل إليه أمرهم بعد ما أرسل الله رسوله فيهم، ودعا إلى الله وإلى الدين الحنيفي السمح، ومكارم الأخلاق، وآمنوا به واتّبعوه، وحكاية الحال - خصوصا إذا لم يجانب فيه صاحبها الصواب - أبعد شيء عن المناقشة والمناظرة، وأقدر شيء على غرس المعاني المقصودة، وتحقيق الأهداف المنشودة، والتهيؤ للتأمل والإنصاف وحسن الاستماع.²

خيبة وفد قريش:

ثمّ قال النجاشي: إنّ هذا والذي جاء به عيسى، يخرج من مشكاة واحدة، ثمّ أقبل على رسولي قريش، فقال: انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكم، ولا يكادون، وأطلق عمرو بن العاص آخر سهم من سهام جعبته، وهو سهم مسموم، فغدا على النجاشي من الغد، وقال له: أيها الملك! إنهم ليقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأقبل الملك على المسلمين، فقال: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟

¹ - أخرجه أحمد في المسند 1/ 202 و 5/ 290 - 292، والبخاري ص: 1740، وانظر في مجمع الزوائد، 6/ 24 -

27. (رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرح بالسماع، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 6/ 26).

² - نقلا من "روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة" للمؤلف، انظر المحاضرة الثامنة بعنوان "تمثيل جعفر بن أبي طالب للإسلام، ص: 107 - 108، وانظر "محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة" للعلامة المؤلّف، إعداد المحقّق، : 493/1.

قال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه ما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته، ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا، ثم قال: والله ما زاد عيسى ابن مريم على ما قلت مقدار هذا العود، وردّ المسلمين ردّا كريما، وأمنهم، وأمر برّد هدايا رسولي قريش، وخرجا من عنده مقبوحين،⁽¹⁾ فأقام المسلمون بخير دار مع خير جار.

وقد هاجم النجاشي عدوّ له، فانتصر المهاجرون المسلمون للنجاشي اعترافا بحسن موقفه من المهاجرين المضطهدين ومكافأته على حسن صنيعه،⁽²⁾ وكان ذلك مطابقا لتعاليم الإسلام الخلقيّة ولائقا بأخلاق المسلمين.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وكانت هذه الهجرة إلى الحبشة سنة خمس بعد النبوّة، وقد بقي جعفر بن أبي طالب مع عدد من أصحابه إلى سنة 7 من الهجرة، فقد قدم جعفر بن أبي طالب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر فكان بقاءه في الحبشة خمس عشرة سنة، وهي مدّة طويلة، لا بدّ أنّ جعفرا قد انتفع بها في الدعوة إلى الإسلام، والتعريف به في بلد امتاز عن كثير من البلاد النصرانية بالتسامح وإيواء المضطهدين، وعرف حاكمه بالعدل والإنسانية، ولكنّ العهد لم يكن عهد تسجيل الحوادث، وليست أماننا وثائق تاريخية تثبت ذلك، ولكنّ القياس يقتضيه".³

اختيار الدعاء كأسلوب آخر في الدعوة إلى الله:

وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على إسلام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، ودعائه، فالله سبحانه وتعالى يستجيب دعائه، وهذا أسلوب الدعوة جيد و ممتاز، وعلى الدعاة في عصرنا أن لا يغفلوا هذا الجانب المهم، فله أثره الكبير في الدعوة.

قال الشيخ الندوي- رحمه الله:- "وأيد الله الإسلام والمسلمين بإسلام عمر بن الخطّاب العدويّ القرشيّ، وكان رجلا مهيبا، ذا قوّة وشكيمة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على إسلامه، يدعو الله لذلك".⁴

¹ - انظر سيرة ابن هشام: 334/1 - 338 باختصار.

² - راجع "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، 1/ 203، و 5/ 290 - 292.

³ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 201.

⁴ - المصدر السابق، ص: 202.

الدعوة الإسلامية إلى أرض الطائف⁽¹⁾:

خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد كانت هذه الرحلة في سبيل الدعوة حدثا كبيرا، ليس في السيرة النبوية وحدها بل في تاريخ النبوات والدعوات وقد قصدها مرتين، الأولى في شوال في السنة العاشرة بعد البعثة، والثانية في شوال في السنة الثامنة بعد الهجرة"⁽²⁾، فلم تحب إليه واحدة منها. فلما انتهى إلى الطائف عمد ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة (أي يمزقها)، إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحدا غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا، إن كنت رسولا لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك، فقام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني.

فكان ردّهم شرّ ردّ، واستهزؤوا به صلى الله عليه وسلم وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبّونه ويصيحون به، ويرجمونه بالحجارة، فعمد إلى ظلّ نخلة، وهو مكروب، فجلس فيه، وكان ما لقي في الطائف أشدّ ما لقيه من المشركين، وقعد له أهل الطائف صقّين على طريقه، فلما مرّ جعلوا لا يرفع رجله إلا رموها بالحجارة، حتى أدموه، وهما تسيل منهما الدماء، وفاض قلبه ولسانه بدعاء شكاه فيه إلى الله ضعف قوته، وقلة حيلته، وهوانه على الناس، واستعاذ بالله تعالى وبنصره وتأييده.

فقال: (اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين! أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تكلي؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدوّ ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات،

¹ - هو وادي وّج وهو بلاد ثقيف، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا، معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، 9/1، دار صادر، بيروت، ط: 2، 1995م، والشيخ الندوي يقول: الطائف هي المدينة الثالثة الكبيرة (بعد مكة ويثرب): السيرة النبوية، ص: 209.

² - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 209.

وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله).¹

فأرسل الله إليه ملك الجبال، يستأذنه في أن يطبق الأخشبين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً).²

ولما رآه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وما لقي، تحرّكت لهما المروءة، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له "عدّاس" فقالا له: خذ قطفاً من العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل "عدّاس"، وأسلم بما سمعه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من أخلاقه.³

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف إلى مكة، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلاف وعداء، وسخرية واستهزاء".⁴

وأفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، واطمأن قلبه؛ لأجل هذا النصر الغيبي الذي أمده الله عليه من فوق سبع سموات، ثم تقدم في طريق مكة حتى بلغ وادي نخلة⁽⁵⁾، وأقام فيه أياماً. وفي وادي نخلة موضعان يصلحان للإقامة- السيل الكبير والزيمة- لما بهما من الماء والخصب، ولم نقف على مصدر يعين موضع إقامته صلى الله عليه وسلم فيه.

¹ - أخرج الطبراني قصّة ذهابه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ودعائه، من حديث عبد الله بن جابر رضي الله عنه، كما في مجمع الزوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807 هـ)، 35/6، دار الفكر، بيروت - 1412 هـ .

² - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، برقم: 3231، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المنافقين والمشركين، برقم: 1795، من حديث عائشة رضي الله عنها.

³ - سيرة ابن هشام: 419/1 - 422، وسيرة ابن كثير: 149/2 - 153، وزاد المعاد، : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، 302/1، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، 1415 هـ/ 1994 م (مجموعاً ملخصاً)..

⁴ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 217.

⁵ - وادي نخلة هو أحد أودية مكة المكرمة، ويفصل بين مكة والطائف من جهة السيل الكبير. هذا الوادي له مجريان أحدهما جنوبي يسمى وادي نخلة اليمانية والآخر شمالي يسمى وادي نخلة الشامية، ويتصل هذا الوادي بالهدا في الطائف من وادي يسمى الكفو الذي يصب في وادي نخلة اليمانية.

وخلال إقامته هناك بعث الله إليه نفرا من الجن، ذكرهم الله في موضعين من القرآن، في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ... إِلَىٰ وَيُحَرِّكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾¹.

وفي سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ إلى تمام الآية الخامسة عشرة.

ومن سياق هذه الآيات - وكذا من سياق الروايات التي وردت في تفسير هذا الحادث - يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف بحضور ذلك النفر من الجن، وإنما علم ذلك حين أطلعه الله عليه بهذه الآيات، وأن حضورهم هذا كان لأول مرة، ويقتضي سياق الروايات أنهم وفدوا بعد ذلك مرارا.

وحقا كان هذا الحادث نصرا آخر أمدته الله من كنوز غيبه المكنون بجنوده التي لا يعلمها إلا هو، ثم إن الآيات التي نزلت بصدد الحادث كانت في طيها بشارات بنجاح دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن أي قوة من قوات الكون لا تستطيع أن تحول بينها وبين نجاحها.

أمام هذه النصرة، وأمام هذه البشارات، أقشعت سحابة الكآبة والحزن واليأس، التي كانت مطبقة عليه منذ أن خرج من الطائف مطرودا مدحورا، حتى صمم على العود إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ رسالة الله الخالدة بنشاط جديد وجد وحماس.²

ثم بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه إلى القبائل والأفراد ليدعوهم إلى الإسلام.³

ولاقترب الموسم كان الناس يأتون إلى مكة رجالا، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، لقضاء فريضة الحج، وليشهدوا منافع لهم، ويذكروا الله في أيام معلومات، فانتهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الفرصة، فأتاهم قبيلة يعض عليهم الإسلام، ويدعوهم إليه، كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

¹ - سورة الأحقاف، الآية: 29-31.

² - الرحيق المختوم، ص: 75، 76.

³ - "الدعوة على القبائل التي كانت تسكن بين مكة والطائف، ووصل إلى الطائف راجلا يدعو إلى التوحيد"، رحمة للعالمين، محمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: 1348هـ)، 60/1، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، ط: 1.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، يدعوهم إلى الإسلام، وإلى أن يمنعه من الأعداء، ويقول: يا بني فلان! إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا به، وتصدقوا به، وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به".¹

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

هذا الترتيب يلح إلى درجات المسؤولية المتعلقة بكل مسلم عامة، وأصحاب الدعوة خاصة. فأول درجات المسؤولية هي مسؤولية الشخص من نفسه ونلاحظها في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في امتداد فترة ابتداء الوحي، تلك المدة الطويلة التي علمناها، أي ريثما يطمئن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أنه نبي مرسل، وأن ما ينزل عليه إنما هو وحي من الله، ويوطن نفسه لقبول كل ما سيتلقاه من مبادئ ونظم وأحكام.

وأما الدرجة الثانية فهي مسؤولية الداعي والمسلم عن أهله ومن يلوذ به من ذوي قرباه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾².

وأما الدرجة الثالثة، فهي مسؤولية الداعي عن حيه أو بلدته، ومسؤولية الحاكم عن دولته وقومه، وكل منهما ينوب في ذلك مناب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نحن ذكرنا في هذا الفصل مراحل الدعوة من زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة إلى المدينة المنورة في ضوء فكر الأستاذ الندوي،

في الفصل الآتي سنذكر مرحلة الدعوة في العهد المدني من خلال فكر الأستاذ الندوي إن شاء الله.

¹ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 220.

² - سورة التحريم، الآية: 6.

الفصل الرابع: مراحل الدعوة الإسلامية في العهد المدني

التمهيد:

المدينة المنورة هي مهجر النبي صلى الله عليه وسلم، ومأوى المسلمين، وكهف الإسلام، وأساس الدولة الإسلامية، ومنها انطلق الإسلام إلى العالم كله، وبوصول المهاجرين إليها بدأت الحركة بالإسلام تأخذ شكلاً شمولياً لأركان الدين، ولسائر الناس في كل أرض الله تعالى معتمدة على الله تعالى ثم على جهود المهاجرين والأنصار بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي منهجنا لدراسة هذه المرحلة أحب أن أفرق بين أمرين:

الأمر الأول:

أقصد بأحداث السيرة النبوية الأحداث التي عاشها رسول الله ﷺ بصورة شخصية على الأعم الأغلب، وإن شاركه غيره فيها كهجرته صلى الله عليه وسلم وإنشاء بيوته، وزواجه، وأولاده، وتعامله مع أصحابه إلخ. إلى وفاته ﷺ.

الأمر الثاني:

أعني بأحداث قيام النبي ﷺ بالدعوة، الأحداث التي كان النبي ﷺ يقوم بها مع سائر المسلمين في نشر الإسلام وتبليغه للناس، وهذا الأمر موضوعي في هذا الفصل.

المبحث الأول: الدعوة داخل الجزيرة العربية

التمهيد:

يتبين من المرحلة المدنية أهمية اعتماد الدعوة في حركتهم على قاعدة صلبة، وقوة يقظة، وقد تمثل ذلك في نشوء دولة الإسلام في المدينة المنورة بقيادة رسول الله ﷺ، لقد قامت الدعوة في مكة على جهود فردية، وتضحيات نفر قليل من أصحاب رسول الله ﷺ وسط عداوات أهل مكة، ومباشرتهم الأذى والاضطهاد لكل من أسلم، ولذلك مضت مدة طويلة أسلم فيها عدد قليل عاشوا خلالها حالة من الخوف والاضطهاد.

وكان رسول الله ﷺ يحاول إيجاد القاعدة القوية لانطلاق الإسلام فعرض نفسه على القبائل وعلى أهل الطائف ليعيش معهم ويؤمنوا بالإسلام، ويحمونه بما يحمون به أنفسهم وأهليهم فلم يستجيبوا له، فلما استجاب له أهل المدينة وبايعوه عند العقبة هاجر وأصحابه إليهم، وأسس دولة الإسلام في المدينة، وبذلك بدأت حركة الدعوة ولها قوة وتأثير.

والأمة القوية تقود غيرها إلى حيث تريد، هكذا في كل زمان، في عالم الإنسان كما هي في عالم الحيوان.

وقد اهتم الإسلام في بناء قاعدته الصلبة في المدينة المنورة حيث أقامها على عدة أسس تضامنت وتكاملت حتى أنتجت قاعدة الدعوة، ومنطلقها المتين، وأهم ما فعله الإسلام في الناس إيجاد خير أمة للناس وفق مراحل ومواصفات معينة.

وفي هذا المبحث نذكر التعامل الدعوي للنبي ﷺ، وكيفيته في الجزيرة العربية في العهد المدني في ضوء فكر الأستاذ الندوي.

ما معنى كلمة الجزيرة العربية:

جزيرة! اسم، والجمع جزائر وجزُر، والمادة: (ج ز ر) وهو رجوع الماء إلى خلف⁽¹⁾، أي أرض تحيط بها المياه من جميع الجهات، وسميت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض مثل شبه الجزيرة العربية وشبه جزيرة سيناء،

¹ - لسان العرب، 3/133.

والمراد من الجزيرة العربية: ما بين عدن أبين إلى أطوار الشام، وقيل: إلى أقصى اليمن في الطول، وأما في العرض فمن جدة وما والاها من شاطئ البحر إلى ريف العراق، وقيل: غير ذلك.¹

على كل حال في هذا المبحث سنذكر التعامل الدعوي للنبي الكريم وخاتم النبيين ﷺ في داخل الجزيرة العربية في الدور المدني.

كيفية الدعوة إلى الله من الهجرة إلى زمن الحرب الإسلامي:

خرج النبي الكريم ﷺ من مكة، ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ودخلا المدينة المنورة، واستقبلهما أهل المدينة استقبالا عظيماً، كما ورد في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (فما رأينا منظراً شبيهاً به).²

وخرج الناس حين قدما المدينة في الطرّوق وعلى البيوت والغلمان والخدم يقولون: الله أكبر! جاء رسول الله، الله أكبر! جاء محمد، الله أكبر! جاء رسول الله.³

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وكبر المسلمون فرحاً بقدومه، وما فرحوا لشيء في حياتهم كفرحهم بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم".⁴

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ "قباء" أربعة أيام، وأسّس مسجداً هناك، وخرج يوم الجمعة، وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في مسجدهم، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة.⁵

ونزل رسول الله ﷺ عن الناقة، فاحتمل أبو أيوب - خالد بن زيد النجاري الخزرجي - رحله، فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبالغ أبو أيوب في ضيافته وإكرامه، ونزل في السفّل من البيت، وكره أبو أيوب وأعظم أن يكون في العلوّ، فطلب منه أن يكون هو صلى الله عليه وسلم في العلوّ،

¹ - انظر: لسان العرب، 134/3.

² - أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة، برقم: 3932، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ابتناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، برقم: 524، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب بناء المساجد، برقم: 453، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

³ - أخرجه البخاري في مناقب الصحابة، باب مناقب المهاجرين، برقم: 3652.

⁴ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 276.

⁵ - سيرة ابن هشام: 494/1.

ويكون هو - رضي الله عنه - وعياله في السفلى، فقال: "يا أبا أيوب! إنَّ أرفق بنا وبمن معنا وبمن يغشانا أن نكون في سفلى البيت".¹

ثمَّ أراد رسول الله ﷺ بناء المسجد في المرحلة الأولى، لأنَّ المسجد في بداية الإسلام مثل "المبنى الإداري" للدعوة إلى الله، وبيت العبادة والسكون والراحة، ولهذا النبي ﷺ دعا الغلامين - صاحبي المريد⁽²⁾ - فساومهما بالمريد ليأخذ مسجدا، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة، حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا.³

والمرحلة الثانية في بداية عهد المدني "المواخاة" هذه المرحلة عظيمة في تاريخ الإنسانية، ما بين الأنصار والمهاجرين في المدينة المنورة.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، أخى بينهم على المواساة، وكان الأنصار يتسابقون في مؤاخاة المهاجرين، حتى يؤول الأمر إلى الاقتراع، وكانوا يحكمونهم في بيوتهم وأثاثهم وأموالهم وأرضهم وكراعهم، ويؤثرونهم على أنفسهم.

وقد يقول الأنصاري⁽⁴⁾ للمهاجر⁽⁵⁾: انظر شطر مالي فخذ، وتحتي امرأتان، فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها، ويقول المهاجر: بارك الله لك في أهلك ومالك، ودلني على السوق، فكان من الأنصاري الإيثار، ومن المهاجر التعفف وعزة النفس".⁶

وهذه الأخلاق والبر من الإيثار والمحبة فقدته كثير من المسلمين في العصر الحديث، فلا نراه في مجتمعنا إلا من رحم ربك، فبعض الناس يعيشون تحت خط الفقر، والبعض الآخر يعيشون في أعلى درجة من الثروة والمال، ولكن لا يعطون المساكين حقهم من الزكاة الواجبة عليهم، فضلا عن الإحسان والإيثار، ولهذا قلت البركة والسكون في مجتمعاتنا للأسف.

¹ - انظر السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 278.

² - المريد: الموضع الذي يجفف فيه التمر. (السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 278).

³ - أخرجه البخاري، في كتاب مناقب الأنصار، باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، برقم: 3932.

⁴ - وهو سعد بن الربيع رضي الله عنه.

⁵ - وهو عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

⁶ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 281.

والمرحلة الثالثة هي: أن النبي ﷺ كتب كتاباً بين الأنصار والمهاجرين، ودعا فيهم اليهود، وهو معروف بـ"ميثاق المدينة" ومقصده منه أن يسكن كل القبائل الذين يسكنون في المدينة أن يسكنوا بالأمن والسلامة، وهذا العمل من النبي صلى الله عليه وسلم خطوة مهمة ومؤثرة جداً في الدعوة إلى الله.¹

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "راجع للاطلاع على أهمية هذه الوثيقة السياسية التي يجوز أن تعتبر أقدم دستور دقيق مسجل في العالم بقي بنصّه وفصّنه إلى هذا اليوم، واستعراض ما جاء فيها من موادّ وبنود عميقة في الحكمة السياسية والمدنية والحربية، تجلّت فيها الحكمة النبوية، والهداية الربانية

مقالة الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي⁽²⁾ في كتابه: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة".³

ثم بعد ذلك شرع الآذان وأختير للآذان سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه، كما ورد في كتب الحديث بالتفصيل، وهذا العمل الدعوي شرع لإقامة الصلوة.

بعد ذلك بدئت قضايا عظيمة للمسلمين، من ظهور النفاق والمنافقين في المدينة وظهور حقد وعداء اليهود، وهذا فقط لماذا المسلمون تغلبوا علينا؟

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "ولم يقتصر اليهود على مخالفة الإسلام، والابتعاد عنه، بل تعدّوا ذلك إلى تفضيل عبادة أوثان المشركين على المسلمين؛ الذين يلتقون معهم على عبادة الإله الواحد، ونبذ الأوثان والأصنام، وكان من المعقول المنتظر أنّهم إذا طلبت منهم المفاضلة بين دين قريش، والدين الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم، على ما كان من خلاف بينهم وبين المسلمين - أن يشهدوا بفضل الإسلام على الوثنيّة، ولكنّ عداء الإسلام لم يسمح لهم بذلك، فقد روي أنّ قريشا قالت لعلماء اليهود

¹ - راجع للتفصيل سيرة ابن هشام ، 1 / 501.

² - ولد في حيدر آباد الهند يوم 16 محرم 1326 هـ المصادف 1908 م. قضى ما يقرب من نصف عمره بالبحث والتحقيق في أوروبا ودول الشرق الأوسط. له تبحر باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأردية والتركية الإستانبولية وله مؤلفات قيمة بهذه اللغات يبلغ عددها 175 كتاباً، وله مئات المقالات في القرآن والسيرة النبوية والفقه والتاريخ والحقوق والمكاتب وغيرها.

توفي الشيخ محمد حميد الله في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2002 م في الأربعة والتسعين من عمره.(الشاملة الذهبية)

³ - انظر: هامش السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 284.

الذين زاروهم في مكة: يا معشر اليهود! إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه، نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟!، قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق".¹

والمرحلة الرابعة "تحويل القبلة" في العهد المدني وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يصلّون إلى بيت المقدس، ومضى على ذلك ستة عشر شهرا بعدما قدم المدينة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يصرف إلى الكعبة، والشيخ الندوي يقول: وكان تحويل القبلة في سنة اثنتين من الهجرة.

فلما استقرّ الإسلام بالمدينة، وعرفت قريش أنه في نموّ وازدهار، وأنّ كلّ يوم يمضي يزيد في قوّته وانتشاره، وأنّه إذا بقي الوضع هكذا، فإنّه يفلت منهم الزمام، ويصير كشاب ترعرع واستكمل قوّته وشبابه، فلا سبيل لهم إليه.

هنالك شتموا للمسلمين عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كلّ جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح، ويقول لهم: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾⁽²⁾، حتى تهون عليهم الحياة والذّات، وتسهل لهم الطاعة ومخالفة النفس والإيثار.

والله سبحانه وتعالى يعطي القوة والعظمة للمسلمين يوما بيوم، والمنافقين وكفار قريش لم يهضموا هذا، فدبروا المكاييد للمسلمين، فأفسدوا وطغوا وبغوا، ففي هذه الحالة أجيّز للمسلمين القتال معهم.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فلما قويت الشوكة، واشتدّ الجناح، أذن لهم في القتال، ولم يفرضه عليهم³، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾".⁴

وبدأ رسول الله ﷺ يبعث سرايا وبعوثا إلى بعض القبائل والنواحي، ولم تكن في غالب الأحيان حرب، وقد تكون مناوشات، وكانت تفيد إلقاء الرعب في قلوب المشركين، وتظهر بها شوكة المسلمين ونشاطهم".⁵

¹ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 288.

² - سورة النساء، الآية: 77.

³ - راجع ! زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، 314/1، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، السابعة والعشرون، 1415هـ/1994م.

⁴ - سورة الحج، الآية: 39.

⁵ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 293.

الدعوة إلى الله في الغزوات والسرايا:

إن الغزوات والسرايا كُتبت وُيِّنت في كتب السيرة والحديث بالتفصيل، وأيضاً ذكر الشيخ الندوي رحمه الله في كتابه "السيرة النبوية" جميع الغزوات والسرايا بالتفصيل، ولكن نحن نذكر في السطور الآتية البنود الدعوية التي وقعت فيها من خلال فكر الشيخ الندوي ر-حه الله باختصار.

أهم بنود الدعوة في الغزوات والسرايا النبوية:

1- الإشعار بالوجود الإسلامي

أي إشعار الجميع بوجود الإسلام وبكيانه بالمدينة، وأن المشركين وإن أخرجوا المسلمين من ديارهم في مكة، وأخذوا أموالهم، وعذبوهم، إلا أنهم لم يستطيعوا إطفاء نور الإسلام، وفق سنة الله الأزلية: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾⁽¹⁾، إذن فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يظهر لهم أن ظلام الجاهلية الأولى في تلك الصحراء الموحشة المظلمة لن يستطيع إطفاء نور الله.

2- إظهار أن الهيمنة للحق

يريد أن يبرهن على أن الحكم ليس لكفار قريش فقط الذين اغتصبوا حق الإنسانية واستغلوها واستعبدوها، بل إن لمثلي الحق حصّة من الحكم ونصيباً، وسيأتي يوم تخضع فيه القوة بكل ما لديها من عدة وعتاد للحق وتستسلم له، وحينئذ ستكون الكلمة في الأرض بيد الحق وحده، ويسود وحده، ويرث المسلمون الأرض، ويستخلفهم الله فيها، فتحقق هذا في الفتح الأعظم لمكة المكرمة، وخضعت كل الأمم للإسلام.

قال الشيخ الندوي- رحمه الله-: "وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث سرايا وبعوثاً إلى بعض القبائل والنواحي، ولم تكن في غالب الأحيان حرب، وقد تكون مناوشات، وكانت تفيد إلقاء الرعب في قلوب المشركين، وتظهر بها شوكة المسلمين ونشاطهم"².

¹ - سورة الصف، الآية: 8.

² - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 297.

3- حماية الدعوة الإسلامية وتأمين انتشارها

فالإسلام يأمرنا بالحفاظ على تلك الحرية وتأمينها، ويبيح لنا الحفاظ على الدعوة وحمايتها، بكل الطرق السلمية ولو حال بيننا وبين دعوتنا حائل أجز لنا محاربته، لنشر الحق والحقيقة.

ففضل تلك السرايا التي كانت تصول وتجول هنا وهناك، وبفضل غزوات النبي ﷺ، استطاع الحبيب المصطفى ﷺ أن يمسك بالنظام والانتظام في يده، وأن يرسل الدعاة والمبلغين والمرشدين إلى كل مكان، وأن يؤمن تجولهم بين المدن والقرى دون خوف أو وجل، ويهيء لهم جواً هادئاً بعد إزاحة كل العقبات من طريق الدعوة، لكي يقوموا بمهماتهم في التبليغ.

كان رسول الله ﷺ يخرج في الغزوات ويرسل السرايا بشكل مستمر للمناطق المحيطة بالمدينة من أجل هذه الأهداف، ففي بضعة أشهر كانت هذه السرايا تظهر في أماكن بعيدة لم يكونوا يقطعونها آنذاك إلا خلال شهر، أو تظهر بمعركة بمكة، وكأنهم أشباح أو ملائكة ظهرت ثم اختفت بسرعة، مخلقة وراءها الرعب عند العدو الذي بدا وكأنه يُسحب إلى معركة بدر وهو مشلول من الخوف.¹

4- بسط السلام في الأرض والدفاع عن المستضعفين

كان النهب والسلب سائداً في تلك الأيام في الصحراء، فالحق للقوة، ولم يكن للضعيف وللمظلوم حق الحياة، فالذي يملك القوة كان يستطيع سحق الآخرين، فانتشرت السرايا في كل مكان، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم قائداً مجموعة من الغزوات ﷺ مما حال دون أن يتعرض أي شخص لماله ولا لعرضه، ولا لشرفه، ولا لنفسه.

وهكذا عرف الجميع بشكل جيد بأن الصحراء لم تكن ملكاً لمشركي قريش وحدهم، بل إن لرسول الله محمد ﷺ نصيباً وحصّة وحفاً، وسيزداد هذا الحق على مر الأيام ويكبر كما انتشر النور حتى يكون له في كل بيت وفي كل قلب أثر، كما كان من أهداف هذه الغزوات والسرايا النبوية رد العدوان، والدفاع عن النفس وتخليص الإنسان من نظام القهر والعدوان، إلى نظام العدالة والإنصاف، ومن نظام يأكل فيه القوي الضعيف، إلى نظام يصير فيه القوي ضعيفاً حتى يؤخذ منه، وإطفاء نار الفتنة ورد البغي، وكسر شوكة الأعداء في صراع الإسلام والوثنية، وإجائهم إلى المصالحة، وتطهير الأرض من الغدر والخيانة والإثم والعدوان، وبسط الأمن والسلامة والرفقة والرحمة ومراعاة الحقوق والمروءة.

¹ - انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 298.

أما عن أهداف الحرب في الجاهلية، فقد كانت عبارة عن نهب، وسلب، وقتل، وإغارة، وظلم، وبغي وعدوان، وأخذ بالثأر، وفوز بالوثر، وكبت للضعيف، وتخريب للعمران، وعبث وفساد في الأرض، وهتك للحرمت والأعراض، وقسوة بالضعاف والنساء والصبيان، وإهلاك للحرث والنسل.

و أما عن الحرب عند الغرب في عصرنا هذا لم يعرف الغرب - لا في الماضي ولا في الحاضر - القيم الإلهية، لذا قام باحتلال البلدان ووضع يده على ثروات تلك البلدان ما ظهر منها وما بطن، واستعبد أهاليها وسكانها وشكّل مستعمرات. حارب في هذا السبيل، وأراق الدماء في سبيل هذه الغاية، لقد كان هذا هو الهدف الحقيقي لحروب "البلقان" وللحرب العالمية الأولى والثانية والحرب احتلال بلدان "الخليج والصومال" أما الحرب في الإسلام فتكون من أجل غاية سامية ومن أجل حرية الفكر والاعتقاد ومن أجل فتح الطرق المؤدية إلى القيم الإنسانية، ومع ذلك فيجب ألا يهمل هذا الاتجاه نحو السلم كلما استوجب الأمر، ذلك لأن السلم هو الأساس وهو الأصل، أما الحرب فأمر استثنائي¹.

5- هزيمة الكفر في حربه للإسلام

بشرط أن يبذل أهل الإسلام المساعي والجهود لنصرة دينهم والدفاع عن حماه، ففي كل السرايا التي بعثها النبي ﷺ تتكرر سنة من سنن الله في تنازع الحق والباطل والتدافع بين أهل الإيمان وأهل الكفر، وعداوة الكفر للإسلام، لكن الإسلام انتصر في النهاية، وكانت له السيادة والحق، في المقابل كانت خسارة أحزاب الشيطان في حربهم على المسلمين وتفرق شملهم ورجوعهم مدحورين بغیظهم قد خابت أمانيتهم وآمالهم ومساعدتهم.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: " ولما أسفرت الحرب عن انتصار المسلمين وهزيمة المشركين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر، الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده)".²

6- تحقيق السيادة والاستخلاف في الأرض

تحققت سنة الله في إزهاق الحق للباطل، وانتصار المؤمنين المجاهدين على الكفار والمشركين المنكرين، وتحقق وعد الله لهم بالنصر؛ قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَوَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ

¹ - انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 306.

² - المصدر السابق، ص: 311.

وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ⁽¹⁾، فنكست رؤوس الجبابرة، والطواغيت وخضع الكل لسلطان الإسلام، وورث المسلمون أرض مكة، وحفظ الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ من كيد الكائدين، ورفع ذكره في العالمين، وإرضائه في الأولين والآخرين، وعصمته من الناس أجمعين.

كما كانت نتيجة هذه الغزوات والسرايا إرهاباً شديداً للمشركين، وبث الرعب في قلوبهم، وإشعار أولئك الأعداء باليقظة من جانب المجاهدين المؤمنين، وكان من نتيجتها أيضاً أن علم كفار قريش أن الطريق لهم ولما لهم غير مأمون، وأنه يترصد بهم الدوائر، فازدادوا خوفاً على الخوف الذي ولدته هزيمتهم في المعارك، وأحسوا بذلك أن الإسلام صار قوة للحق لا ينال منه بغرة، وأنه لم يعد هناك أمن لهم.

وكما بدأ الأعراب والبدو في الصحراء يقولون في أنفسهم لم يعد باستطاعة أهل مكة أن يحافظوا علينا، ولم يعودوا مبعث أمن لنا، والظاهر أن مصير الناس انتقل إلى أيد أخرى، لذا من الأفضل لنا أن نتقرب إلى هؤلاء. لذا توافدوا على النبي ﷺ، وبدؤوا يدخلون في دين الله أفواجا.²

7- سرعة السيطرة على الأمور

بدأت الصحراء تدخل في حكم النبي المجتبي ﷺ شيئاً فشيئاً، لذا بدأ العدو يحسب حسابه، وتغير الموقف لصالح المسلمين بعد غزوة الأحزاب وقد أشار إلى ذلك النبي ﷺ حيث قال: (الآن نغزوهم ولا يغزونا، نحن نسير إليهم)⁽³⁾، فكانت للمسلمين بعد ذلك هبة يهزمون بها الجموع، ويكسرون بها الجيوش، ويهزمون بها الشجعان، ويهربون بها الأعراب الآخرين.⁴

8- كسر شوكة من يكيدون له

كانت السرايا التي جاءت بعد خيبر لبث روح الإجلال للإسلام، وكسر شوكة من يكيدون له، أو للتعرف على أحوال العرب والقبائل المجاورة، أو هي أشبه بالدوريات التي تمر بالبلاد احتياطاً، وتأديباً لكل من تسول له نفسه الاعتداء على المسلمين أو النكاية لهم، فلم تكن هذه السرايا ذات خطر في توجيه الحروب، بل كانت لحوادث صغيرة كما سبق.⁵

¹ - سورة القصص، الآية: 5.

² - انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 443.

³ - رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، 110/5، الرقم: 4110.

⁴ - انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 347.

⁵ - المصدر السابق، ص: 421.

9- كشفت هذه الغزوات مكائد اليهود ودسائسهم وحقدهم على المسلمين

كشفت هذه الغزوات مكائد اليهود ودسائسهم وحقدهم على المسلمين وتربص الدوائر بهم فقد نقضوا عهودهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في وقت الشدة وجيوش الكفر تحيط بهم من كل جانب، كما كشفت حقيقة النفاق، وأزاحت اللثام عن مكره وخبثه.¹

10- إتقان الخطط العسكرية

إننا نرى بوضوح كامل كيف كان معظم الصحابة - رضوان الله عليهم - مشاركين ضمن هذه السرايا والبعوث قوادًا تارة، وجنودًا عاديين أخرى، فكان ذلك من الخطط (الإستراتيجية) بعيدة المدى يعدها النبي صلى الله عليه وسلم لتثبيت دعائم الأمة الإسلامية، وإعداد منهج منظم دقيق لجيوش الفتوحات الإسلامية التي ما فتئ - عليه الصلاة والسلام - يبشر بها أصحابه بين الفينة والأخرى في أوقات السلم والحرب والخوف والأمن.

فكانت ثمار تلك الغزوات والسرايا والبعوث يانعة، وعراجينها دانية، ونتائجها باهرة، أدهشت القاصي والداني لما حققته من فتوحات إسلامية في وقت يسير، ويزيد هذه النتائج دهشة الوصايا النبوية والتوجيهات المصطفوية لأمرأء جيوشه بتقوى الله والرحمة بالشيوخ والنساء والصبيان، والتزام الأخلاق الحسنة والخصال الحميدة، فكانوا لهذه الوصايا والتوجيهات مطبقين وبها ملتزمين، وكانوا بعد مرحلة النبوة للمنهاج النبوي سالكين، ولأثره مقتفين، ففتحوا قلوب العباد، وفتحوا البلاد.²

11- الدعوة إلى الله بالرسائل إلى أمراء الجزيرة العربية:

ولما تمّ الصلح، وهدأت الأحوال، وجدت الدعوة الإسلامية متنفسًا ومجالًا للتقدم، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبًا إلى ملوك العالم وأمراء العرب، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وإلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، واهتمّ اهتماما كبيرا، فاختر لكل واحد منهم رسولا يليق به، ويعرف لغته وبلاده.

¹ - انظر السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 391.

² - انظر السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، التلخيص من ص: 305-500.

ومن أمراء العرب كتب إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين⁽¹⁾، وإلى جيفر بن الجلندى⁽²⁾، وعبد بن الجلندى الأزديين صاحبي عمان، وإلى هوزة بن علي⁽³⁾ صاحب اليمامة⁽⁴⁾، وإلى حارث بن شمر الغساني⁵.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وأسلم المنذر بن ساوى وجيفر وعبد ابنا الجلندى، وأما هوزة بن علي صاحب اليمامة فطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل له بعض الأمر فأبى، ومات هوزة على أثر ذلك".⁶

¹ - "البحرين" هي التي تسمى الآن الأحساء، وكان جل سكّانها من بني عبد القيس، وبكر بن وائل، وتميم، أما الوالي عليها في أيام كتابة هذه الرسائل فكان المنذر بن ساوى، وهو من بني تميم. وليرجع في الاطلاع على نصوص الكتب التي وجهت إلى الملوك وأمراء العرب ورؤساء القبائل ومعرفة من أرسلت معهم هذه الكتب وأخبار من أرسلت إليهم، وتراجم من حملها، كتاب «إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين» صلى الله عليه وسلم تأليف الإمام محمد بن طولون الدمشقي (880-953 هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، وطبع كذلك بتحقيق الأستاذ محمود الأرناؤوط في دار ابن كثير بدمشق، مأخوذة من سيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 416.

² - جيفر بن جلندى وعبد بن جلندى، كانا حاكمين على عمان في هذا الوقت، وكان جيفر هو الملك منهما، وكان أسن من أخيه، (راجع نهاية الأرب 18-67 وما بعد). وكلمة الجلندى على ما يظهر من روايات الإخباريين ليست أسماء لشخص، وإنما هي لقب، وقد تعني "قليلا" أو "كاهنا" في لهجات أهل عمان (201/4) "تاريخ العرب قبل الإسلام"، مأخوذة من المصدر السابق.

³ - هوزة بن علي الحنفي، كان ملكا على اليمامة، وكان على دين النصرانية، وإليه أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو، وحدود اليمامة يومئذ من الشرق إلى البحرين، ومن الغرب تنتهي إلى الحجاز، ومن مواضع اليمامة "منفوحة" كان يسكنها الأعشى، ومن أبرز قبائل اليمامة في أيام الرسول بنو حنيفة، ومنهم كان مسيلمة بن حبيب المعروف بالكذاب لا دعائه النبوة، مأخوذة من المصدر السابق، ص: 418.

⁴ - تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، 3/ 84-85، دار التراث - بيروت، ط: 3، 1387 هـ.

⁵ - حارث بن أبي شمر الغساني: من أمراء غسان في أطراف الشام. كانت إقامته بغوطة دمشق. وأدرك الإسلام، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم كتابا مع شجاع بن وهب. ومات في عام الفتح، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين لابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالح الحنفي (المتوفى: 953هـ)، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه: الرسالة، بيروت، ط: 2، 1407 هـ - 1987 م.

⁶ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 418.

فهذه السلسلة الدعوية للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد جرت إلى أن الإسلام إنتشر في جميع أنحاء العالم، سواءً كانت الدعوة تتعلق بالجزيرة العربية أو خارج الجزيرة العربية مثل شبه الروم والفراس وغير ذلك.

وأما ذكر الدعوة إلى الله في خارج الجزيرة العربية فنذكر ذلك في المبحث الآتي على ضوء فكر الشيخ الندوي رحمه الله.

المبحث الثاني: الدعوة خارج الجزيرة العربية

التمهيد:

قد هياً صلح الحديبية للمسلمين فرصة إيصال الدعوة الإسلامية إلى خارج جزيرة العرب، فقد وجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن الظروف قد أصبحت مواتية لان يقوم بهذه المهمة التي كلفه الله بها بعد أن مكث هذه السنوات يدعو عرب الجزيرة إلى الإسلام وقطع في هذا المضمار شوطاً كبيراً.

و ذلك أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعلم تمام العلم بأن رسالته عامة وليست خاصة بأمة العرب وأن الإسلام هو دين البشرية كلها وإبلاغه إلى بني البشر مسؤولية المسلمين الذين شرفهم الله بهذه الأمانة ليقوموا بتبعاتها والاضطلاع بمسئولياتها قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾.

ذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم - بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية - فقال أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم قالوا وكيف يا رسول الله كان اختلافهم؟ قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فأمر من بعثه مبعثاً قريباً فرضى وسلم وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتناقل قال فبعث رسول الله رسلاً من أصحابه وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

وقد اهتم الرسول ﷺ اهتماماً كبيراً بهذه المهمة فأختار لكل واحد منهم رسلاً من بين أصحاب الذين ترددوا على هذه الاقطار وتعرفوا لغتها وكان الرسول قد إتخذ لنفسه خاتماً من فضة نقش عليه محمد رسول الله فختم الكتب وأعطاهم هؤلاء المبعوثين.⁽³⁾

وقد بعث الرسول ﷺ دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك الروم كما بعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي

¹ - سورة السبا، الآية: 7.

² - سورة الأنبياء، الآية: 107.

³ - انظر: السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، 606/2، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 2، 1375هـ - 1955م.

بلتعة إلى المقوقس ملك مصر كما بعث رسول الله ﷺ رسائل إلى أمراء العرب الذين لم يكونوا قد دخلوا الإسلام كما مر في المبحث السابق.

ما وجه انتشار الدعوة في خارج الجزيرة العربية؟

في الأصل أنّ دين الإسلام ليس فقط دين العرب، أو ليس دين فقط لجزيرة العرب، وإنما هو دين عالمي لجميع البشرية والإنسانية، وكان إنذارا للسلطات الحاكمة والإمبراطوريات في خارج الجزيرة العربية، والمالكة للحول والطول، والحاكمة لأوسع رقاع راقية متمدنة، وأتّما مهددة بالانقراض والزوال، إذا لم تستجب للدعوة أو تسمح - على الأقل - من تمكين رعاياها للاطلاع على هذه الدعوة، والاستماع إليها وتقرير مصيرها في شأنها.¹

متى بدأ انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية؟

ولما تمّ صلح، "الحديبية" وهدأت الأحوال، وجدت الدعوة الإسلامية متنفساً ومجالاً للتقدم، فكتب رسول الله ﷺ كتباً إلى ملوك العالم، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وإلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.² قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "نرجّح أنّ هذه الرسائل وجّهت في شهر ذي الحجة سنة ست بعد صلح الحديبية، كما قال الواقدي وهو يوافق 627 م، فإنّ في مقدّمة هؤلاء الملوك الإمبراطور الإيراني "كسرى أبرويز" ومن المقرّر أنه مات في مارس سنة 628 م، ومن هنا يتقرّر أنّ صلح الحديبية في أوائل سنة 627 م، وكان من الصعب وصول الرسالة الموجهة إلى هرقل كذلك، إذا كانت وجّهت في سنة 628 م، لأنّه كان قد توجّه في هذه السنة إلى أرمينيا"⁽³⁾ واهتمّ اهتماماً كبيراً، فاختار لكل واحد منهم رسولا يليق به، ويعرف لغته وبلاده".⁴

¹ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 392.

² - أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الإسلام، برقم: 1774، والترمذي في أبواب الاستئذان، باب في مكاتبة المشركين برقم: 2716، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

³ - في الهامش، السيرة النبوية، ص: 391.

⁴ - يشير كلام ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ) في "الطبقات" 23/2، إعداد المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط: 1، 1968 م. والسيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) في "الخصائص الكبرى"، 11/2، دار الكتب العلمية - بيروت، إلى أنّ ذلك كان على سبيل المعجزة، فجاء فيما ساقاه من الرواية: " فأصبح كل واحد يتكلّم

وهذا الأسلوب لانتشار الدعوة إلى الله خارج الجزيرة العربية رائع جداً، لأن الرؤساء والملوك لا يقبل أي شيء بغير إهتمام، وكان النبي ﷺ يعرف هذا من عند الله: كيف يدعوهم إلى الإسلام، وإرسال الرسائل عادات خاصة في الأمراء العجميون، فلهذا النبي صلى الله عليه وسلم يختار ذلك، وهذا أول أسلوب للدعوة إلى الله من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى خارج الجزيرة العربية.

الدعوة إلى الله بإرسال الخطوط والبعوث إلى السلاطين خارج الجزيرة العربية:

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ومن هؤلاء الملوك الإمبراطور الرومي "هرقل" وإمبراطور فارس "كسرى أبرويز"، والنجاشي ملك الحبشة، و"المقوقس" ملك مصر".¹

وهؤلاء الملوك الذي قد ذكر في السطور السابقة، أنهم حكموا على أعظم الإمبراطوريات في الدنيا، والسلطة عظيمة كانت تحت يدهم، فإذن أنهم آمنوا فيؤمنوا رعايتهم مباشرة، وكان النبي ﷺ حكيماً بليغاً في الدعوة إلى الله، لهذا أنه يقدم في دعوتهم.

رسالة الدعوة إلى الله، إلى ملك الروم من رسول الله:

قد أرسل رسول الله ﷺ كتابه إلى "هرقل مع دحية الكلبي"، وقد دفعه إلى عظيم "بصرى" فدفعه إلى هرقل، وهنا نصّ الكتاب:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله، إلى "هرقل" عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى.

لغة البلاد التي أرسل إليها" والمؤلف حين لا يستبعد وقوع المعجزة، فسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسير الأنبياء قبله مليئة بالمعجزات وخوارق العادات، وإنكارها من المكابرة، ولكنه يرجح أنّ ذلك كان مبنياً على الحكمة وحسن الاختيار من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن وجود من يحسن اللغة الرومية واللغة الفارسية، ولغة الأقباط في مصر، ولغة أهل الحبشة، غريباً لكثرة اختلاط العرب بهذه الأمم الأربع وكثرة رحلاتهم التجارية إلى هذه الأقطار وتنقلاتهم فيها، وكانت القضية محدودة في هذه اللغات الأربع، إذ كان لغة أمراء الجزيرة العربية ورؤساء القبائل الذين كتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه، ودعاهم إلى الإسلام، اللغة العربية، وفي اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي لحمل رسالته إلى هرقل قيصر الروم، معنى لطيف يؤيد ما أشرنا إليه من حسن الاختيار، ومراعاة الحكمة، وقد كان شاباً جميل الصورة، ذكياً فطناً، صادق الإيمان، وقد قيل في وصفه أنّ جبريل كان يفد على النبي صلى الله عليه وسلم في صورته، وكان أجدر بحمل هذا الكتاب إلى قيصر الروم، وإلى بلاد الشام من غيره، كما كانت هذه البلاد وأهلها أليق به من غيرهم، مأخوذة من سيرة النبوة، ص: 392.

¹ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 393.

أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنّ عليك إثم الأريسيين يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون.¹ (آل عمران: 64).

رسالة الدعوة إلى الله، إلى ملك الفارس " كسرى أبرويز " من رسول الله:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس).²

رسالة الدعوة إلى الله، إلى ملك الحبشة " النجاشي " من رسول الله:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله، إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعبسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاته على طاعته وأن تتبني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى).³

رسالة الدعوة إلى الله، إلى عظيم القبط " المقوقس " من رسول الله:

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى "المقوقس" عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى).

¹ - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم: 7، ومسلم في كتاب الجهاد، باب: كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ملك الشام يدعوه إلى الإسلام، برقم: 1773، والترمذي في أبواب الاستئذان، باب ما جاء كيف يكتب إلى أهل الشرك، برقم: 2717، وأبو داود في كتاب الأدب، باب كيف يكتب إلى الذمي، برقم: 5136، وأحمد في المسند، 1/ 263، من حديث ابن عباس عن أبي سفيان.

² - أخرجه الطبري، 90/3، و البخاري في كتاب المغازي، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر، برقم: 4424، وأحمد، 1/ 243-305، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

³ - طبقات ابن سعد: 15/3.

أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون).¹ (آل عمران: 64).

حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته بهذه الرسائل:

ويلاحظ القارئ الذكي فوارق دقيقة مؤسسة على حكمة الدعوة والرسالات النبوية، روعي فيها ما يمتاز به هؤلاء الملوك في العقائد التي يدينون بها، و "الخلفيات" التي يمتازون بها.

فلما كان "هرقل" و "المقوقس" يدينان بألوهية المسيح كلياً وجزئياً، وكونه ابن الله، جاءت في الكتابين اللذين وجهما إليهما كلمة "عبد الله" مع اسم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم صاحب هاتين الرسالتين، فيبتدئ الكتابان بعد التسمية بقوله: (من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم)، وبقوله: (من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط) بخلاف ما جاء في كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى أبرويز، فاكتمى بقوله: (من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس)

وجاءت كذلك آية: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾، في هذين الكتابين، وما جاءت في كتابه إلى كسرى أبرويز لأن الآية تخاطب أهل الكتاب الذين دانوا بألوهية المسيح، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم، وقد كان هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية والمقوقس حاكم مصر قائدتين سياسيين، وزعيمين دينيين كبيرين للعالم المسيحي، مع اختلاف يسير في الاعتقاد في المسيح هل له طبيعة أم طبيعتان".

ولما كان كسرى أبرويز وقومه يعبدون الشمس والنار، ويدينون بوجود إلهين، أحدهما يمثل الخير وهو يزدان، والثاني يمثل الشر وهو أهرمن، وكانوا بعيدين عن مفهوم النبوة والتصور الصحيح للرسالة السماوية، جاءت في الكتاب الذي وجه إلى الإمبراطور الإيراني عبارة: (وإني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً).

هكذا بدد الإسلام في خارج الجزيرة العربية، والداعي الأول والمرئي فيهم هو محمد، وخمن كم كان النبي ﷺ حريصاً على الناس أن يؤمنوا ويحفظوا أنفسهم من النار، ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي مكان

¹ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، 545/1، المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.

² - سورة آل عمران، الآية: 64.

بدون الدعوة إلى الله، وهذه الرسائل شاهدة عليهم، والإمبراطورية الرومية، والفارس، والحبشة وأرض مصر بعيدة كثيرا من المدينة المنورة، ولكن النبي ﷺ وجه إليهم، لأنه نبي رحيم للعالمين.¹

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

والداعي يحتاج إلى معرفة ما في سيرة القدوة والأسوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام من أحوال ومواقف؛ لتكون دعوته على بصيرة، كما هي دعوة القدوة والأسوة سيد الدعاة، وإمام المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وتتمثل أهمية الدراسة الدعوية للسيرة النبوية في أنها تنتج العلم بأمور تهم الدعوة والقائمين بها، ومن أبرز تلك الأمور ما يأتي:

أولا : معرفة ما ينبغي أن تكون عليه شخصية الداعي، بما يحمله معنى الشخصية من مواصفات واعتبارات متعددة، والتي منها:

الإقتران بالصفات السلوكية، والخلقية، والعلمية، والعملية، والذاتية، والخارجية و غير ذلك، وهذا من مواصفات هذه الشخصية، وطرق إعدادها وكيفيات إكمال ما ينقصها، وعوامل ثباتها، ومعرفة حدودها، وإمكاناتها ومسؤولياتها.

ولما كانت شخصية محمد ﷺ هي الشخصية البشرية الأكمل في مجال القيام بالدعوة، فإن دراسة سيرته دراسة دعوية من هذا المنطلق جديرة بإبراز النموذج الدعوي الأكمل .

ثانيا : معرفة المضمون الذي يدعو إليه الداعية نوعا وكما وقدرًا، وما يستلزم ذلك من مراعاة ظروف تقديم ذلك المضمون بحسب الحال والمناسبة ولا شك أن معرفة هديه ﷺ قبل الإقدام على تقديم مضامين الدعوة وخصوصا في الأحوال المتغيرة والبيئات الجديدة، سبب بإذن الله تعالى للتوفيق والتسديد، والخروج من مزالق الاجتهاد غير المهتدي بسيرته عليه الصلاة والسلام.

ثالثا : معرفة الكيفيات التي يدعو بها الداعية، والوسائل والأساليب المناسبة، وضوابط تلك الوسائل التي لها حكم الغايات، ومدى المسؤولية تجاه ما يستجد من وسائل الاتصال والتأثير، وأهمية الإعداد لمعرفة

¹ - انظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 397.

الوسيلة كما يستعد لمعرفة المضمون، كل ذلك وغيره يجد له الداعية في سيرة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام جوابا يجعله يقدم على بصيرة، أو يحجم عن بينه.

رابعا : معرفة أصناف المدعويين وخصائص دعوة كل منهم فدعوة النصارى فيها ما يختلف عن دعوة المشركين، ودعوة المسلم العاصي فيها ما يميزها عن دعوة الكافر، ودعوة المجادل المعاند غير دعوة الباحث عن الحق الراغب في الوقوف على الدليل، وهذا كله يعلم من سيرته عليه الصلاة والسلام بل إنك لتجد شواهد الكتاب والسنة في ذلك مسائل رئيسة في ما سجلته كتب السيرة ومصنفاتها.

خامسا : في دراسة السيرة دراسة دعوية معرفة لتطور الدعوة إلى الإسلام منذ بدايتها إلى أن عمت وانتشرت وكيف أن هذه الدعوة كانت تنتشر ضمن إمكانات البشر وحدود قدراتهم، وأن توفيق الله تعالى يحوط الصادقين المؤمنين كما أن بلاءه قد يصيبهم في مواضع ومواقف متعددة اختبارا وامتحانا، وما يتبع ذلك من معرفة عوامل النجاح والفشل بالمقياس الرباني فلا اغترار بقوة ولا تقصير في بذل سبب وعدة .

إن دراسة المرحلة الجهادية في السيرة النبوية زاد نافع للدعاة والمجاهدين يشحذ الهمم ويقوي العزائم خاصة إذا وقفوا على الجهود العظيمة والدماء التي بذلت لإعزاز الدين ورفع راية رب العالمين.

الفصل الخامس: تقييم الأستاذ الندوي لواقع الدعوة في الحركات الإسلامية

التمهيد:

الحمد لله الذي هدانا إلى صراط مستقيم، والصلاة والسلام على سيد الرسل وخاتم الأنبياء، ومن تبعهم إلى يوم الدين.

أما بعد!

إن الدعوة إلى الله تعالى من أجل شرائع الإسلام الحنيف الذي بعث به لبنة التمام ومسك الختام نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، وهذه الدعوة ضاربة بجذورها في عمق التاريخ البشري.

فليست كما يظن البعض ويعتقد أنها نشأت من بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم -، فهذا خلاف ما جاء في القرآن والسنة من قصص الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله تعالى لتبليغ دينه وشرائه إلى العالمين، ولإقامة منهج الله تعالى المنزل عليهم وسيادته على كل منهج بشري أو طاغوتي مخالف لمنهج الله تعالى ورسالته.

وهذه من كبرى حقائق الدعوة التي لا ينبغي أن تغيب عن أذهان وعقول الدعاة إلى سبيل الله ورسله. فتاريخ الدعوة كما بينه الله تعالى في الكتاب المنزل - القرآن - كانت أولى خطواته في مسيرة الحياة البشرية الطويلة في زمان نبي الله ورسوله نوح عليه السلام.

والشيخ أبو الحسن علي الندوي، المفكر الإسلامي العظيم، عمل على هذا الموضوع الدعوي لما يقرب من ثلاثة أرباع من القرن العشرين، وقال: إنه ضروري على الداعي والمدعو بسبب حرية الاتصال والوسائل الحديثة الموجودة اليوم، الاستفادة من ذلك لنشر رسالتك في جميع أنحاء العالم في العالم الإسلامي من جهة إلى أخرى هناك اضطراب سياسي وفتنة دعوية مستعرة، وهناك حاجة للتجديد، وهذا التجديد ممكن لإنشاء الحركات الإسلامية.¹

ونحن نذكر في هذا الفصل موقف الشيخ الندوي عن الحركات الدعوية الإسلامية القديمة والجديدة، طبعاً أكثر الحركات الدعوية والإسلامية أنشئت بعد الثورة الغربية.

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، (الحاجة إلى الإصلاح والتجديد)، ص: 45.

سبب نشأة الحركات الدعوية والإسلامية؟

المقصود بالحركة الإسلامية عموماً وفي أي قطر كان هو أنها تجمع أفراد مسلمين في هيئة لها نظام خاص بما يؤمنون في أعماق قلوبهم بالإسلام وشعائره ونظمه وقوانينه ويعملون في حدود فهمهم وطاقاتهم على تطبيق تعاليم الإسلام في حياتهم اليومية.

وبعبارة أخرى الحركة الإسلامية هي مسيرة لجماعة من المسلمين مثلهم الأعلى شرعة الإسلام وهو القوة الدافعة للحركة أو الحافز لها وسمتهم الغاية من هذا المثل: وهي تحقيق أكبر نخط من الأمن الروحي والمادي للبشر يستمدون نظمتهن الحياتية من مثلهم الأعلى أو شرعتهن ويحققون هذه النظم عن طريق " هياكل " ينشؤونها حسب حاجاتهم وتطوراتهم البيئية.

وما دامت شرعة الإسلام هي ما نزل به القرآن الكريم وما أوحى إلى محمد عليه السلام من سنة فلا مجال لاختلاف تصور المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على مدلول الشرعة ومضمون المثل الإسلامي الأعلى، على أن الواقع غير ذلك إذ يختلف الناس في العصر الحاضر كما اختلفوا في القدم على معاني القرآن الكريم ومدلولات الأحاديث الصحيحة اختلافاً كبيراً بعضه نتيجة جهل فهو إلى الانحراف أقرب وبعضه نتيجة صعوبة تفسير الكتاب المعجز.¹

وبعضه نتيجة الخلط بين ما هو مستديم بحكم طبيعته ومتجدد بحكم وصفه وهذا الاختلاف أمر طبيعي في البشر نظراً لتفاوت فهمهم واستعداداتهم الفطرية من أجل هذا نجد الحركات الإسلامية المعاصرة تضم أعداداً كبيرة من الجمعيات والفرق الدينية المختلفة في غاياتها ووسائلها.

1- حركة السيد أحمد بن عرفان:

ومؤسس هذه الحركة هو: الامام المجاهد السعيد، أحمد بن عرفان⁽²⁾.

وكان السيد الامام يجهز للهجرة والجهاد في تلك الفرصة وخرج مع أصحابه في سنة إحدى وأربعين من بلدته وسافر إلى بلاد أفغانستان فلما وصل إلى بنجتر وقف بها، وحرص المؤمنين على الجهاد، وبعث

¹ - انظر: محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، (دور الإسلام الثوري البناء في مجال العلوم الإسلامية)، ص: 350.

² - تقدمت ترجمته في صفحة: 92.

أصحابه إلى كابل⁽¹⁾ وكاشغر⁽²⁾ وبخارا⁽³⁾ ليحرضوا ملوكها على المشاركة والإعانة، فبايع الناس للجهاد وولوه عليهم، واجتمع تحت لوائه ألوف من الرجال، وزحف على جيوش رنجيت سنكه ملك بنجاب وهو من قوم طوال الشعور ففتح الله سبحانه على يده بلادا حتى قرئت باسمه الخطبة في بلدة بشاور فأعلى الله مناره وكبت أعداءه: أعداء الدين وجبل قلوب الأمراء والخوانين على الانقياد له غالبا وعلى طاعته، فأحيا كثيرا من السنن المماتة، وأمات عظيمًا من الأشرار والمحدثات، فتعصب أعداء الله ورسوله في شأنه وشأن أتباعه حتى نسبوا طريقته إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، ولقبوهم بالوهابية، ورغبوا إلى الكفار وصاروا أولياءهم في السر، حتى انحازوا عنه في معركة بالاكوث فنال درجة الشهادة العليا، وفاز من بين أقرانهم بالقدح الملقى، وبلغ منتهى أمله وأقصى أجله في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومائتين وألف، واستشهد معه كثير من أصحابه⁴.

موقف الأستاذ الندوي:

وموقفه هذا: أن حركة السيد أحمد بن عرفان كانت تجمع بين جهاد النفس وجهاد العدو، وبين الحب لله والخشية له، والحب لله والبغض لله، وبين الزهد والعبادة، والحمية الدينية والغيرة الإسلامية، وبين السيف

¹ - كابل (بالبشتوية والدارية: كابل) هي عاصمة أفغانستان وأكبر مدنها والمركز الثقافي والاقتصادي للبلاد. تقع على ضفاف نهر كابل. تحيط بها سلسلة جبال هندوكوش على ارتفاع 1800 م فوق سطح البحر. يبلغ عدد سكانها حوالي 3.5 مليون نسمة وفق إحصاء عام 2009 م.

² - كاشغر أو قشغر أو قاشغر إحدى أشهر مدن تركستان الشرقية وأهمها، وكانت عاصمة لهذا الإقليم، ولها مركز عظيم في التجارة مع روسيا، وقد اجتاحت تركستان الشرقية القوات الصينية الشيوعية سنة 1949م واحتلتها، فأطلق عليها الصينيون اسم (سينكيانج) وهي كلمة صينية تعني: المستعمرة الجديدة، وتبعهم بهذه التسمية الأوروبيون وبعض المصادر العربية الحديثة، إلا أن أهل تركستان الشرقية المسلمون يحبون أن تسمى بلادهم باسمها القديم: تركستان الشرقية، ولا يحبون تسميتها بالاسم الصيني الجديد.

³ - بخارى (بخارى) هي خامس أكبر مدينة في أوزبكستان وعاصمة مقاطعة بخارى. بلغ عدد سكانها 237.900 نسمة حسب تعداد عام 1999. بخارى وسمرقند هما أهم مدينتين للأقلية الطاجيكية في أوزبكستان.

كانت بخارى أهم مركز حضارة إيرانية في التاريخ. تعتبر هندستها المعمارية وعلم الآثار أحد أعمدة التاريخ والفن الإيراني. يعد المركز القديم لمدينة بخارى أحد مواقع التراث العالمي لليونسكو. تم إنشاء العديد من المساجد والمدارس الدينية هنا. مدرسة المآذن الأربعة، بخارى

في تاريخ الإسلام، تم إعلان بخارى لأول مرة كعاصمة لإمبراطورية سامانيا عام 850 م. أثناء صعود السامانيين، عُرفت هذه المدينة بأنها مركز المعرفة والأدب في العالم الإسلامي.

⁴ - انظر! إذ هبت ريح الإيمان، للعلامة الندوي، والإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: 7/ 885-890).

والمصحف، والعقل والعاطفة، وبين التسبيح في المسجد والبيت في ظلال الليل، والتكبير في ساحة الجهاد على صهوات الخيل، صفات وجوانب خيل لكثير من المطلعين على التاريخ، المختبرين لحركات الإصلاح انما متناقضة متضادة، وذلك بفضل التربية الدقيقة التي أخذ بها قائدها ومربيها، والوعي الديني الصحيح الذي نضج ورسخ، واستوعب الحياة كلها".¹

2- حركة "دارالعلوم ديوبند":

وكان المجال الثاني الذي ظهر فيه لعوامل سياسية وثقافية، الصراع بين الشرق والغرب واضحاً قوياً، وكان مكلفاً باختيار أحد الطريقتين: الحياة الإسلامية على أساس العقيدة والإيمان، والحياة الغربية على أساس القوة والتقدم، هو الهند التي توطدت فيها الحكومة البريطانية الزعيمة للحضارة الغربية في الشرق، وزحفت إليها العلوم الحديثة والتنظيمات الجديدة، وما تستتبعها من آلات ومصنوعات وآراء وفلسفات، وكان الشعب الإسلامي الهندي منهوك القوى، مثخناً بالجراح، مجروح الكرامة، يعاني دهشة الفتح وعار الهزيمة، وجيشاً من التتهم والطنون، ويواجه فاتحاً ممتلئاً بالقوة والشباب والثقة، وحضارة زاخرة بالجددة والنشاط والإنتاج، وقضايا كثيرة ومشكلات تتطلب الحل السريع الحازم، والمواقف الواضحة الحاسمة.

وفي هذه الساعة العصيبة الدقيقة، وفي هذه الحالة النفسية المخرجة برز في الميدان نوعان من القيادة: أولهما القيادة الدينية، التي يتزعمها علماء الدين، والقيادة الثانية: يتزعمها سيد أحمد خان وتلاميذه وأنصاره من أهل المدرسة الجديدة.

وكان على رأس هذه الحركة الدينية والإصلاحية والدعوية الشيخ محمد قاسم النانوتوي (1248هـ-1298هـ)، أسست في 15 محرم 1283 هـ الموافق 30 أيار 1867 م، وكانت ديوبند زعيمة هذا الاتجاه، والمركز الثقافي الديني والتوجيهي الإسلامي الأكبر في الهند، بعد ما أخفقت ثورة عام 1857م.²

موقف الأستاذ الندوي

يرى الأستاذ الندوي أنه لاشك أن لهذه الحركة وقادتها فضلاً كبيراً في تمسك الشعب الهندي الإسلامي بالدين وشرعية الإسلام، وتفانيه في سبيله، والتماسك أمام الحضارة الغربية المادية الإلحادية تماسكاً لم يشهد في بلد إسلامي آخر، تعرف بهذه الحضارة ووقع تحت حكم أجنبي، تخرج المكافحين

¹ - إذهبت ربح الإيمان، ص: 11.

² - انظر! الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 69-73. المترجم: (مسلم ممالك مين اسلاميت اور مغربيت كى كشمكش)، مجلس التحقيقات والنشريات الإسلام، ندوة العلماء-لكناو، ط: 3، 1401هـ/ 1981م.

والدعاة الذين يفتحون جبهة جديدة للكفاح بعد ما لقي المسلمون الهزيمة المنكرة من الانجليز المحتلين، وانقرضت الدولة الإسلامية من الهند.¹

3- حركة ندوة العلماء:

وكانت حركة ندوة العلماء الفكرية التي أسسها محمد علي المونكيري (1262هـ-1316هـ = 1846م-1898م) الهند، تأسست في سنة 1310 هـ الموافق 1893 م، ودار العلوم التابعة لها جديدة بإحداث قنطرة تصل بين الثقافتين الإسلامية والغربية، والطبقتين: العلماء الدين والمثقفين العصريين، وإحداث فكر جديد يجمع بين محاسن القديم والجديد.²

ملاحظة الأستاذ الندوي على هذه الحركة:

والأستاذ الندوي رحمه الله يقول: هذه الحركة لم تحظ بالتعاون الواسع المتحمس الذي كانت تستحقه من كلتا الطبقتين: القديمة والجديدة، لاتساع الفجوة بينهما، ولوجود التطرف والمغالاة فيهما، وبعض الخلافات التي حدثت في صفوف العاملين لهذه الفكرة.³

بيان الأستاذ الندوي محاسن هذه الحركة:

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وكانت حركة ندوة العلماء فكرة ومدرسة فكرية أكثر من حركة إصلاح مناهج التعليم فحسب، وكانت لو قدر الله خطوة مباركة وفتحاً جديداً يستحق التقليد في الأقطار والمجتمعات الإسلامية التي خاضت في ذلك العهد في معركة الصراع بين القديم والجديد".⁴

4- الحركة الإسلامية للشيخ جمال الدين الأفغاني:

نسب الباحثون بداية الحركات الإسلامية المعاصرة إلى الجهد الفكري والإصلاحي الذي بذله جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده (1849-1905) ثم الشيخ محمد رشيد رضا (1865-1935)، بداية من مجلة "العروة الوثقى" التي أصدرها الأفغاني وتلميذه محمد عبده في باريس عام 1884.

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 73.

² - أيضاً المصدر السابق، ص: 72، 73.

³ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 76.

⁴ - أيضاً.

ثم إنشاء رشيد رضا لمجلة المنار، وكانت المبادئ الأساسية لهذه المدرسة: مقاومة الاستعمار، واستعادة مجد الأمة، وإرساء أسس الشورى وإصلاح الحكم.

ثم توالى إنشاء الحركات الإسلامية مثل: جماعة الإخوان المسلمين على يد حسن البنا، جماعة المودودي في باكستان، وحزب التحرير على يد تقي الدين النبهاني، واتخذت هذه الحركات الشكل الإصلاحي، ثم ظهرت التيارات الثورية أو الجهادية خاصة بعد إعدام سيد قطب. ولاقت دراسة الحركات الإسلامية اهتماماً عالمياً بعد أحداث 11 سبتمبر.¹

موقف الأستاذ الندوي:

والأستاذ الندوي ماذكر إسم الحركة "الإسلامية" التي تنسب إلى الشيخ الأفغاني، لكنه وصف فكر الشيخ الأفغاني وخلفائه في مواضع مختلفة، خاصة في الكتابين: أولهما "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية"، وثانيهما "في مسيرة الحياة".

على كل حال موقفه هذا: لم تكن هذه الغاية الجسيمة والأوضاع السياسية الجاثمة على الشرق تدع لمثل السيد جمال الدين الأفغاني- في قوة عاطفته وحساسيته- حقلاً آخر للنشاط والإنتاج، وتدعه يعمل عملاً إيجابياً ببناءً في المجتمع الإسلامي، ويقوم بدراسة عميقة تحليلية للحضارة الغربية، وما يحسن اقتباسه منها، وما لا يحسن، وبناء فكر إسلامي جدير يسير الزمان، ويتغلب على نزعة تقليد الغرب.

ولكن دوره لا يستهان بقيمته في رفع قيمة الدين، والاعتماد على القرآن الكريم في عيون النشء الجديد، وفي إعادة الثقة بصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، إلى نفوس الشباب المثقف، وحال إلى حد بين الطبقة المثقفة الذكية في مصر وغيرها، وبين الإلحاد والثورة على الدين، وكان له فضل في بقاء نفوذ الإسلام الفكري والعلمي في أوساط الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي.²

5- حركة السيد أحمد خان:

السيد أحمد بن المثقفي بن الهادي الحسني الدهلوي، (1232هـ-1315هـ=1817م-1898م)، وقرأ المتوسطات في العلوم العربية، وعني بالهيئة والهندسة والأقليدس عناية خاصة، وتولى الوظائف والقضاء في الحكومة الانجليزية، ومؤسس جامعة عليكرة بالهند، وكان من أنصار الحكومة

¹ - تاريخ الحركات الإسلامية في العالم، بوابة فيتو نسخة محفوظة 03 يناير 2018 على موقع واي باك مشين.

² - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 111، 112.

الإنجليزية، ومن سعى في إخماد ثورة 1858م، وتوطيد الحكم الإنجليزي وأزالة سوء التفاهم والوحشية بين الشعب والحكومة، وكافأته الحكومة على ذلك براتب شهري.¹

موقف الأستاذ الندوي:

قال الشيخ الندوي رحمه الله: إن حركة السيد أحمد خان كانت تقوم على الافتتان بالعلم الطبيعي والحضارة الغربية المادية، كما يفتتن في عصرنا الحاضر بعض المفكرين بما يسمى "العلم" (Science) وبالمركبات الحضارية التي قامت عليه، والافتتان بالعلم الطبيعي أو بالطبيعة، كما يقال، يؤدي إلى وزن القيم الروحية والمثالية، وهي القيم التي تقوم عليها رسالة الأديان السماوية، التي يمثلها الإسلام أوضح تمثيل، وقد يصير الافتتان بهذا العلم الطبيعي إلى إنكار كل قيمة أخرى مما لا يشاهد في الطبيعة، ويدرك بالحس الانساني.

وهكذا اقترنت دعوته التعليمية بالدعوة إلى الحضارة الغربية من غير لزوم وحاجة إلى ذلك، فحامت حولها الشبهات، واكتنفها أجواء من السخط والاستياء، وأثارت إنكاراً شديداً في الأوساط الدينية، ورافقها منذ نشوئها دعوة إلى مقاطعة هذه الحركة والابتعاد عنها.²

6- حركة الخلافة:

حركة الخلافة المعروفة أيضاً باسم الحركة الإسلامية الهندية (1919-1924) هي حركة إسلامية سياسية ظهرت في الهند، عبارة عن حملة احتجاج سياسي إسلامي عام أطلقها مسلمو الهند البريطانية بقيادة شوكت علي، ومولانا محمد علي جوهر، وحكيم أجمل خان، وأبو الكلام آزاد لإعادة الخلافة العثمانية، التي كانت تعتبر زعيمة للمسلمين وكسلطة سياسية فاعلة، كان احتجاجا على العقوبات التي فرضت على الخليفة والإمبراطورية العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى بموجب معاهدة سيفر.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولما تمت الهزيمة للأتراك في 1918م واستولى الانجليز على الاستانة، وتوزع الحلفاء ممتلكات الدولة العثمانية، انفجر بركان الثورة في الهند، وتعاون المسلمون والهندوس في حركة الخلافة بشكل عام، وكان غاندي- الزعيم الهندي الشهير- في جبهة القيادة مع زملائه محمد

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية الهامش، ص: 78.

² - المصدر السابق الهامش، ص: 83.

علي، وشوكت علي، وأبي الكلام آزاد، واقترحوا سنة 1920م مقاطعة الحكومة والإضراب عن التعاون معها في إدارة الحكومة، وجميع مجال الحياة ومقاطعة البضائع الأجنبية".¹

موقف الأستاذ الندوي:

وموقفه رحمه الله: من هذه الحركة حدث انقلاب عظيم في حياة الكثيرين من كبار المحامين والتجار والموسرين، فقد ملأ السجون، وتحملوا الشاق، وبدا منهم من الإيثار، والزهد والقناعة، وقوة العاطفة الدينية والوطنية، والمواساة للفقراء والمحافظة على الشعائر الدينية، ما لم يتوقع من أمثالهم قبل ظهور هذه الحركة.²

7- حركة "رسالة الإنسانية" للشيخ الندوي:

أنشئت هذه الحركة "رسالة الإنسانية" في عام 1974م، يعد سلسلة من الاجتماعات التي كان يعقدها سماحة الشيخ منذ عام 1953م من أجل إيجاد وعي إنساني، وترسيخ المثل الخلقية والتعامل النبيل بين مختلف أفراد المجتمع، واستأنف سماحته عقد مثل هذه الاجتماعات في مختلف ولايات الهند بعد فترة عكف فيها على التأليف والبحث العلمي في عام 1974م، عند ما تجدد الصراعات الطبقية والإقليمية في البلاد، وتصد حب المال، وكسب المصالح الذاتية، والاتجاه إلى العنف، وأنشئ مكتب له لإيجاد روابط مع رجال مختلف الفرق وإيجاد منبر للتحاور بينها.³

موقف الأستاذ الندوي عن هذه الحركة:

وموقف الأستاذ الندوي في حركته هذا: لقد كان من المشاهدات اليومية أن هذه البلاد تسير بخطى حثيثة إلى الفوضى الخلقية والانتحار الجماعي، فتداس القيم الخلقية، ويصاب الناس بجنون النفعية والانتهازية، باستثناء أولئك الذين أثر فيهم الدين تأثيره أو الذين اعتزلوا معترك الحياة، ويفقد سريعاً احترام الاعراض والأموال والأنفس، فيضحّي لأغراض تافهة حقيرة بمصالح قومية واجتماعية، وتنشر اللامسؤولية، وإضاعة الوقت، والرشي، والسوق السوداء، والادخار والاكتناز، وكل ما يخالف الدين والعرف والقانون، وقد أصبحت الحياة بذلك جحيماً لا يطاق، ولم تبق رغم استقلال البلاد وحرّيتها أي لذة في العيش أو متعة في الحرية.

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 88.

² - أيضاً المصدر السابق، ص: 89.

³ - انظر المقالة: حركة رسالة الإنسانية ودورها في مكافحة الطائفية والعنف، للعلامة واضح رشيد الندوي.

وانتظرت أن يقوم أحد في وجه هذا الفساد، ولكن الحزبية والسياسة لم تدع للناس مجالاً للتفكير في مثل هذه القضايا، وأخيراً قرّرت رغم شعوري بقلّة بضاعتي ووحدي وضعف تأثيري أن أنزل في الميدان وأخاطب الناس، من دون تمييز بين المسلمين وغيرهم، وأحذرهم من عواقب هذه الحياة المادية المتطرفة، ومعلوم أن الحرق إذا وقع فلا ينظر أحد إلى ضعفه وقلة حيلته، بل ينطق عند ذلك الأخرس ويسعى الأعرج - ويقول: فإن على المسلم حقاً في كل مكان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بالإصلاح وإزالة الفساد، وليحسب نفسه راكباً.¹

8- حركة "الثورة الإيرانية":

يرى الشيخ أن: الثورة الإسلامية الإيرانية (بالفارسية: انقلاب 1357 إيران) هي ثورة نشبت سنة 1979 بمشاركة فئات مختلفة من الناس وحولت إيران من نظام ملكي، تحت حكم الشاه محمد رضا بهلوي الذي كان مدعوماً من الولايات المتحدة واستبدلته في نهاية المطاف بالجمهورية الإسلامية عن طريق الاستفتاء في ظل المرجع الديني آية الله روح الله الخميني، قائد الثورة بدعم من العديد من المنظمات اليسارية والإسلامية، والحركات الطلابية الإيرانية.

كانت للشخصيات ذات التوجه الإسلامي دور بارز ووجود كبير في هذه الثورة المضادة للحكم الملكي والتي سمّاها الخميني بـ "الثورة الإسلامية"، بالإضافة إلى الإسلام السياسي أو الإسلاموية، شاركت أيديولوجيات مختلفة في هذه الثورة، مثل الاشتراكية والليبرالية والقومية، لقد كانت الثورة الإسلامية في إيران أول ثورة ناجحة أدّت إلى حكم الإسلام السياسي والأصولية في المنطقة.

بدأت المظاهرات ضد الشاه في أكتوبر 1977، وتطورت إلى حملة المقاومة المدنية التي تشمل كلا من العناصر العلمانية والدينية واشتدّت في يناير كانون الثاني عام 1978. الإضرابات والمظاهرات شلت البلاد بين شهري أغسطس وديسمبر من عام 1978. غادر الشاه إيران إلى المنفى يوم 16 يناير عام 1979، كالمملك الفارسي الماضي، وترك مهامه إلى مجلس الوصاية (المجلس الملكي) ورئيس الوزراء للمعارضة. عاد آية الله الخميني إلى طهران بعد 14 عاماً من المنفى في 1 فبراير 1979م متلقياً ترحيبات عدة ملايين الإيرانيين انهار الحكم الملكي بعد فترة وجيزة (عشرة أيام) في 11 فبراير ما يستمي في إيران بعشرة الفجر.²

¹ - في مسيرة الحياة، ص: 338، 339.

² - انظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 191-195.

موقف الأستاذ الندوي:

موقف الأستاذ الندوي هذا: إن في الثورة الإيرانية تم تنفيذ بعض الإصلاحات على عجل، وجعل آثار هذا رد فعل عنيف، ومنحت القوات المناهضة للإسلام فرصة للرد، في تطبيق أحكام الشريعة، لم يأخذوا في الاعتبار مشاعر الأقلية السنيّة، مما أدى إلى مواجهة مع أهل السنة، ونتيجة لذلك فإن شكل الوحدة الذي كان يُنظر إليه في زمن الحركة لا يمكن أن يبقى في البلاد، وفي بعض الجهات يُعلن مساواته بالشيخ حسن البنا ومولانا المودودي.

وبسبب نجاح محاولة الخميني للثورة وإقامة حكومة إسلامية، حصل الخميني على مكانة الإمام في بعض دوائر العالم الإسلامي، لكن الأيام القادمة ستظهر مدى نجاحهم في الإصلاح الفكري سواء يكون فردياً وجماعياً، ونضالهم يقتصر على تشكيل الحكومة أو التمرد على حكومة جائرة. أو أن ثورة فكرية تبرز بين أبناء الشعب الإيراني ، وهذا في الواقع هو الهدف الحقيقي للدعوة إلى الإسلام.¹

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 196، المترجم: (مسلم ممالك میں اسلامیت اور مغربیت کی کشمکش)

التمهيد:

قد شارك الشيخ الندوي في نشاطات بعض كبرى الحركات الإسلامية الإصلاحية والدعوية المعاصرة، وجربها، وأبدى تقديره لخدمتها ومنجزاتها، وانتقد ما شاهد فيها من عيوب وانحراف، بأسلوب معتدل مقنع، وبحكمة وموعظة حسنة، واتصل بكبار قادة الفكر في عصره، وانتقد أفكارهم ومناهجهم بمنهج متزن لا يثير الحفيظة والكراهية، وزودهم بنصائح وبمنارات إرشادية تنير السبل. في هذا المبحث نحن نذكر الحركات الدعوية المعاصرة وتعامل الأستاذ معهم.

تجربة الأستاذ الندوي مع الحركات الإسلامية الدعوية المعاصرة وموقفه إزاءها:

1- حركة "الجماعة الإسلامية":

الجماعة الإسلامية في باكستان جماعة إسلامية سنية تعمل في باكستان تتبنى المنهج السلمي، أسسها أبو الأعلى المودودي عام 1941م. وهي ذات فكر مشترك وتنتهج نفس نهج جماعة الإخوان المسلمين.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ومع الاحتفاظ بحق الملاحظة والنقد لبعض نظريات الجماعة الإسلامية، الذي هو حق كل مؤلف وباحث، ورغم الاختلاف في بعض التعبيرات وفهم بعض الحقائق الدينية، وأسلوب عرضها، الذي يتسع مجاله في كل عصر، لابد من الاعتراف بقيمة الدور الذي لعبته الجماعة الإسلامية، في الهند وباكستان، ومؤسسها الأستاذ أبو الأعلى المودودي، في نقد الفكرة الغربية وتزييفها من الوجهة العلمية والدينية".¹

موقف الأستاذ الندوي:

فقد اتصل الشيخ الندوي بالعلامة المودودي وأبدى إعجابه كما أبدى اختلافه مع بعض أفكاره، فيقول في سيرته الذاتية "في مسيرة الحياة" وهو يوضح موقفه إزاءه: "لقد كان أساس إعجابي وتأثري وصلتي بالأستاذ المودودي ومنشورات الجماعة، تلك المقالات الفاضلة الناقدة التي كتبها الأستاذ في الرد على الحضارة الغربية، وفلسفاتها للحياة، ووجهة النظر المادية المعاصرة، كما ظهر من عبارة الأستاذ الندوي: وقد أفادت البحوث التي صدرت عن قلم الأستاذ أبي الأعلى المودودي، من ناحية زيادة الثقة بفضل التعاليم

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 104.

الإسلامية، وجدارتها للبقاء والانتشار، وصلوحها للسيادة والحكم، وقد كان كذلك لبحوث العلمية التي تكلم فيها عن مستوى عال، وفي أسلوب قوي، ولمقالاته ورسائله في مشكلات العصر وحلولها الإسلامية دوي في الأوساط الإسلامية التي كانت تعاني قلقاً فكرياً¹.

والتي قد جاءت معظمها في مجموعة مقالاته باسم "تنقيحات" وقد كان في هذا الصدد بيني وبين الأستاذ توافق وانسجام كانسجام صغير مع كبير، ومؤلف ناهض مع محنك، ولاشأن لي بالتفسير العصري للدين الذي يديجه قلمه، ولا حاجة لي إليه، التفسير الذي يتجلى في كتابات الأستاذ ك "المصطلحات الأربعة الأساسية في القرآن" و "وتفهيمات" و "رسائل ومساائل" ذلك لأن أمري في هذا الباب كان يختلف تماماً عن أمر شاب مثقف بالثقافة الإنجليزية، يقتبس تصورته للدين وفهمه إياه كلياً من كتابات الاستاذ أو من كتب مفكر أو مؤلف آخر، بدلاً من أن يقتبسه من مصادر الدين الأساسية- الكتاب والسنة- والبيئة التربية الدينية.

ولذلك فقد كنت عاجزاً - لدراستي الدينية المباشرة واستفادتي من كتب العلماء المتقدمين والمتأخرين الذين كانوا أوسع وأعمق علماً في الكتاب والسنة، ونجد عندهم اجتهاداً في الفكر والرأي، وعمقاً وإحاطة في الدراسة- عن أن أعتبر الأستاذ مفكراً إسلامياً فريداً، ينذر نظيره عبر القانون، إنما كنت أعتبر ميزته الأساسية وجوهه، ذكائه، وألمعيته، وحدة ذهنه، وقدرته الفائقة على الكتابة، والعرض في أسلوب عصري مؤثر، ولا زال أعترف له بذلك².

وقال أيضاً "ولكان من حسن حظ الإسلام وسعادة جد المسلمون لو جعل الأستاذ المودودي هذا العمل وحده نصب عينيه، وجند له مواهبه الغنية، ووقف له حياة العلمية الخصبة، ولكنه هبّ يمارس عملاً آخر، نستطيع أن نسميه "الصياغة الجديدة للفكر الإسلامي" أو "الصياغة الجديدة للإلهيات الإسلامية" وأعتبره أساساً فكرياً لنهضة المسلمين، ولجمع كلمتهم، وللجماعة الإسلامية"³.

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 105.

² - في مسيرة الحياة، ص: 165.

³ - التفسير السياسي للإسلام في مرآة، كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي وسيد قطب الشهيد، ص: 16، ندوة العلماء لكتاؤ، الهند، ط: 1399هـ.

2- حركة "جماعة التبليغ":

اتصال الأستاذ الندوي بحركة جماعة التبليغ وموقفه إزاءها:

جماعة التبليغ (بالأردية: تبليغي جماعت) أو جماعة التبليغ والدعوة أو جماعة الأحياء هي جماعة إسلامية عالمية خصصت نفسها للدعوة والزهد في الدنيا، يعتمد أسلوبها على الترغيب والتأثير العاطفي الروحاني، أسسها محمد إلياس الكاندهلوي في الهند عام 1926م وتنتشر الآن في معظم البلاد العربية والإسلامية، تقوم الجماعة بأمرين أساسيين الأول هو تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية، ومحاولة إدخاله للإسلام والثاني هو وعظ المتساهلين من المسلمين إلى الصلاة بوصفها عماد الدين، ثم يخرجون بهم للدعوة أياماً ليروا صورة من صور إيمانهم والمحبة بينهم، ورغم كبر حجم جماعة التبليغ إلا أن ليس لها ناطق رسمي ولا ممثل أو مخاطب معتمد.

يعود تأسيس جماعة التبليغ والدعوة إلى الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي 1303هـ (1885م) - 1944م)، والذي وُلد في كاندهلة قرية من قرى سهارنفور بالهند، مركز الجماعة في دلهي ولا يُعرف إلا القليل عن مؤسسها إلا أنه من أصحاب المريّ عبد القادر الراي بوري وكان الشيخ الندوي أحد أصدقائه المتواصلين معه منذ التقائهما عام 1939 ولكن يذكر أن الجماعة تأسست عام 1926 حيث كان مؤسسها محمد إلياس أول أمير لها حتى وفاته ثم ابنه محمد يوسف ثم إنعام الحسن.

انتشرت الجماعة سريعاً في الهند ثم في باكستان وبنغلاديش وانتقلت إلى العالم الإسلامي والوطن العربي حيث صار لها أتباع في سوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر والسودان والعراق والسعودية والمغرب وقطر والكويت والجزائر وبعد ذلك انتشرت دعوتها في معظم بلدان العالم، ولها جهود في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في أوروبا وأمريكا أيضاً.¹

موقف الأستاذ الندوي:

واتصل بالداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي وأبدى إعجابه به، وشارك عملياً في عمله الدعوي، بل له مساهمة كبيرة في توسيع نطاق عمله إلى البلدان العربية.

¹ - انظر للتفصيل، الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله للعلامة الندوي، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، ط: 1، 1424هـ/2003م.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وأعجب ما رأينا في هذه الرحلة وأغربه، والذي غمرنا بالسرور الخالد والغبطة الكبيرة، هو عمل الشيخ محمد إلياس الدعوي، ونظامه التبليغي في منطقة ميوات، إن ما شاهدناه هناك بأعيننا، لم يكن مشهداً من مشاهد القرن العشرين، بل كان مشهداً يخيل إليك كأنه من التاريخ الإسلامي الأول، من إصلاح وتجديد، وتغيير جذري في الأحوال والسلوك والأخلاق، وما كنا قراناه في تاريخ المسلمين الجداد الذين كانوا يدخلون في الإسلام في القرى الأول من قصص حماسهم وعواطفهم وتذوقهم للإيمان وشغفهم بالدعوة إليها وما رأينا من نماذج في كتب كالسيرة والتاريخ الإسلامي ، رأينا أمثلة الحية، ونماذجه المتحركة".¹

وقال وهو يوضح موقفه من حركة التبليغ ومنهجه في التفكير " لقد كان الواقع - رغم إعجابي الشديد بالشيخ محمد إلياس، وثقتي الكاملة بإخلاصه وفهمه للدين، وإيماني بضرورة هذا العمل الدعوي، وفائدته وأهميته، ومشاركتي العملية فيه، بل قيامي بواجب الداعي وترجمان هذه الحركة الدعوية، الأمر الذي كان يبعث الشيخ على الطمأنينة والسرور - أن هيكل تفكيري وقالب عقلي الذي كان قد تكوّن في وسط خاص وفي ضوء دراسة خاصة، لم يكن قد صيغ صياغة جديدة، ولم يكن قد قبل الكسر والدوبان، ولا حل محله قالب عقلي وفكري آخر، الأمر الذي يعرض لكثير من أولئك الذين تتكون قلوبهم العقلية والتفكيرية من قبل، ولا يعطون صلاحية تفكيرهم والاعتماد على دراستهم، ولم يكونوا - في تعبير أصح - قد أختاروا الاستسلام العقلي والفكري، والتجرد الكامل من ماضيهم، ولذلك يكون أولئك الناس أنفع وأجدي للحركات والدعوات، الذين تتكون قلوبهم العقلية والفكرية في ظل تلك الدعوات والحركات، ولا يضطرون إلى هجرة فكرية، أو رحلة عقلية.

لقد كان أمري - لحسن الحظ أو لسوء الحظ - يختلف عن ذلك، فقد كانت لي خليفة علمية وفكرية، ولم أكن قد طالعت ودرست الحركات الإصلاحية والتجديدية وشخصيتها الأساسية فحسب، بل كانت لي مشاركة في الكتابة عنهم والتعريف بهم، فكنت دائماً أفرق بين المنصوصات الشرعية وغيرها، وبين الأهداف والغايات، والوسائل والآلات، ولم تنقطع عندي سلسلة البحث نافع إلى أنفع ، وحسن إلى أحسن، كما أرى من الضرورة بمكان لكل حركة ودعوة ومؤسسة تقوم لخدمة الدين وإعلاء كلمة الله تعالى، أن تستمر في النمو والارتقاء، وتطلع على قضايا الحياة ومسائلها وحاجاتها، وتقضيها في حدودها المشروعة المطلوبة،

¹ - في مسيرة الحياة، ص: 162.

وتطبق بينها وبين الحياة، وإلا فإن تلك الحركة المؤسسة تتعرض للحرمان من صلاحية النمو واستمرار الحياة، وتصاب بالشلل والجمود، وتنحصر فائدتها في حدود ضيقة.

لم تفارقني هذه الخواطر والأفكار- التي كانت نتيجة بيئتي الخاصة ودراستي، وقالب عقلي وتفكيري- في أي فترة من فترات الحياة، وقد كنت أيام حياة الشيخ أنشد أحياناً في خلواتي بيتاً من شعر إقبال عليه الرحمة: يقول فيه:

قضيت ليالي حياتي في صراع دائم طويل، فحيناً أذوق حرقة ولوعة كحركة الرومي ولوعته، وحيناً آخر أهيمن هيمان الرازي في تأملاته، وأتقلب بين أفكاري ونظراتي¹.

3- حركة "الإخوان المسلمين":

الإخوان المسلمون هي جماعة إسلامية عالمية، وتعتبر كبرى الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط الدينية والسياسية أمل كبير في تجديد القوة الإسلامية وأوسعها انتشاراً، تصف نفسها بأنها "إصلاحية شاملة"، وتقوم على شمولية الإسلام فتعرفه بأن "الإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف"، تعتبر أكبر حركة معارضة سياسية في كثير من الدول العربية، وصلت لسدة الحكم أو شاركت فيه في عدد من الدول العربية مثل الأردن ومصر وفلسطين.

أسسها حسن البنا-رحمه الله- في مصر في 22 مارس عام 1928م عقب سقوط الخلافة الإسلامية كجماعة من المسلمين تعمل علي استعادة الخلافة والقيام بأدوارها في المجتمع وإعادة الحكم الإسلامي وتطبيق الشريعة الإسلامية في الحياة اليومية، والجهاد من أجل تحرير الأمة من كل سلطان أجنبي. وسرعان ما انتشر فكر هذه الجماعة، فنشأت جماعات أخرى تحمل فكر الإخوان في العديد من الدول الأخرى، ووصلت الآن إلى أكثر من 72 قطرًا تضم كل الدول العربية ودولاً إسلامية وغير إسلامية في القارات الست.²

موقف الأستاذ الندوي:

واتصل الأستاذ الندوي بقيادة جماعة الإخوان المسلمين، وأبدى إعجابه بمؤسسها الأول الشيخ حسن البنا، وأشاد بخدمات الجماعة الدعوة الإصلاحية والتربوية والتعليمية، وتحدث معهم، فيقول الشيخ

¹ - في مسيرة الحياة، 1/193.

² - انظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، للعلامة الندوي، ص: 125-127.

الندوي في حديثه عنهم وهو يشيد دور الجماعة في إصلاح المجتمع المصري وخدمة الدعوة الإسلامية: "إنها لمأثرة عظيمة للإخوان لا يمكن أن يستهين بقيمتها كل من في قلبه ضوء من إيمان، ولما أن مؤلف هذه السطور مطلع على حياة هذه البلدان وأوضاعها الماضية والثورة الدينية والفكرية الحاضرة، وقد تيسرت له بفضل فرصة الإقامة الطويلة بها مشاهدات وتجارب شخصية، فهو يعرف معرفة جيدة كيف أثر الإخوان في النشء الجديد فكرياً وعاطفياً، وإلى أي مدى أحدث فيهم القوة والجرأة على إظهار شعائر الدين وإعلانها، وكيف بدأ أولئك الذين كانوا ينجلون من الظهور بالمظاهر والشعائر الدينية وإظهار العقائد والحقائق الدينية يتظاهرون - علناً- بالفرائض والشعائر الدينية على مشهد من الناس، ويحملون الشعور بالاستعلاء بدلاً من الشعور بمركب النقص، وقد كان نتيجة هذه المشاهدات والملاحظات والتجارب الشخصية أن قلت في إحدى محاضرتي بالهند، وأنا أتحدث عن الإخوان: "لا يحبهم إلا المؤمن ولا يبغضهم إلا منافق"¹. وقال الأستاذ الندوي في موضع آخر: "إن الحركة إخوان المسلمون، هوي الحركة الوحيدة في هذا الزمان التي قامت أمام الناس فكرة تجاوزت تقديساً باللسان، وتشديقاً بالكلام إلى كسب التأييد والولاء بنطاق أوسع"².

وظهر رأي بهذه الألفاظ: "وموقف الأستاذ هذا أن ثمرات هذه الحركة الواسعة القوية التي كانت أقوى انتفاضة دينية وثورة إسلامية في العصر الحاضر، وكان ذلك رزاً وخسارة للعالم الإسلامي لاتعوض، هل كانت حركة الإخوان تملك قدرة على تحقيق هذا الهدف الكبير وإلى أي مدى حققت بقدر وسعها بهذه المطالب والغايات؟ إنه شيء التبس على كثير من الناس، ولكن محاربة القوات المتجهة إلى "العلمانية" والاشتراكية لها قد حرمت العالم العربي والعالم الإسلامي بدوره"³.

ثم أبدى الأستاذ الندوي ملاحظته وهو يتحدث معهم فقال: "ليس خطب الدعوة الدينية والتجديد الإسلامي بيمين أيها الإخوان الكريم، فليست رسالتها ومهمتها قلب نظام فقط، أو تغيير وضع سياسي بوضع سياسي آخر، ونظام اقتصادي بنظام اقتصادي آخر، ولانشر الثقافة والعلم، ومكافحة الأمية، والجهل، أو محاربة البطالة والتعطل، أو معالجة عيوب اجتماعي أو خلقية، إلى غير ذلك مما يقوم له الدعاة والمصلحون في أوروبا وفي الشرق، وإنما هي دعوة "الإسلام" التي تشمل العقيدة، والأخلاق، والأعمال، والسياسة، والعبادة والسلوك الفردي والاجتماعي، وتتناول العقل، والقلب، والروح، والجسم، وتعتمد على

¹ - في مسيرة الحياة، 234/1.

² - المصدر السابق، ص: 127.

³ - أيضاً المصدر السابق، ص: 126.

تغير عميق في القلب، والنفسية، والعقيدة، وتنبع من القلب قبل أن تنبع من قلم، أو صحيفة كتاب، أو منصة خطاب، وتنفذ على جسم الداعي وحياته قبل أن يطالب بتنفيذها على المجتمع والأمة.

فيجب علينا أن ننقي عقولنا ونفوسنا، ونجدها للدعوة، وللدعوة فحسب، والخدمة والتضحية، والإيثار، وإخراج الناس بإذن الله من الظلمات إلى النور ومن الجاهلية إلى الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان المحرفة والنظم الجائرة، والمذاهب الغاشمة إلى عدل الإسلام وظله، ولا يكون دافعنا إلى العلم الجهاد إلا امتثال أمر الله، والفوز في الآخرة، ومأعد الله لعباده من الأجر والثواب، ثم الشفقة، فإذا كان ذلك لا يمكن في مرحلة من مراحل الدعوة، أو فترة من فترات التاريخ - بعد تغلغل مبادئ الدعوة في نفوس الدعاة، ورسوخ العقيدة فيهم- إلا بالحكومة.

سعيها لها لمصلحة الدعوة والدين، كما نسعى إلى الماء للوضوء، ونجتهد لهذا السبب بنفس العقلية، وبنفس السيرة، وبنفس العفة والنزاهة، والصدق، والأمانة، والخشوع، والتجرد الذي نجتهد معه لواجبات الدين وأركانه والعبادات الأخرى، فلا فرق للمؤمن بين الحكومة وبين العبادات إذا حصل الإخلاص، وصحت النية، فكل في رضا الله، وكل في سبيل الله، وكل عبادة يتقرب بها العبد إلى الله.¹

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "والواقع أن الإخوان لو لم يشاركوا - لفترة قليلة أخرى - في السياسة العملية أولو لم يتورطوا في تلك السياسة العملية، واشتغلوا بعملهم الدعوي والإصلاحي بكل ما أوتوا من قوة وصلاحية، لظهرت هناك ثورة إسلامية في البلدان العربية ونشأت حياة جديدة، وقد علمت من عدد من المصادر الصحيحة التي يعتمد عليها أن الإمام حسن البنا كان يتأسف في آخر أيام من حياته ويتألم من أنه اضطر للدخول في المجالس السياسي قبل أوانه، وأحاط به الطريق الشائك، وأنه كان يتمنى كثيراً إلى أن يعود - مرة ثانية - إلى العمل الدعوي التربوي الخالص، ويجد فرصة كافية لإعداد الجماعة، وتربية المسلمين حتى يستطيعوا القيام بكل مسؤولية تناط بهم، ويمر بكل محن يصابون بها، وبلاء يختبرون به بسلام آمنين".²

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 28/1.

² - في مسيرة الحياة، 234، 235/1.

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

الدعاة الإسلام والمسلمون في عالم متغير إذًا عملوا على إيجاد استراتيجيات ومناهج عمل جديدة تتعايش مع المتغيرات العالمية، ويظهر ذلك في المواطن التالية:

1- ثقافة استهلاكية:

الاستخدام الإسلامي للإعلام والفن الجديدين بينما اعتمد المسلمون والدعاة التقليديون على الفكرة وكتابات المفكرين التاريخيين لنشر الدعوة، اعتمد المسلمون المعاصرون أكثر على وسائل اتصال حديثة، بما فيها الإعلام المرئي والإنترنت والفصائيات والأقراص المدججة، إنهم ينتجون ثقافة استهلاكية لنشر رسائلهم وحشد مؤيديهم الذين أصبحوا مستهلكين لهذا الإنتاج الثقافي الإسلامي بشكل مستمر، لقد بدأ الشباب في جماعة الإخوان المسلمين المصرية بممارسة ما يمكن تسميته بالجهاد الإلكتروني، وهم بذلك عملوا على تعديل مفهوم الجهاد من معناه التقليدي إلى مطالبة أتباع الجماعة بممارسته إلكترونياً من خلال الاشتراك بمراسلات البريد الإلكتروني والمدونات وتوقيع عرائض إلكترونية ذات محتوى اجتماعي إسلامي، كذلك تم إنتاج ثقافة إسلامية أنيقة تتسم بالحدثة حيث أنتجت مواد ثقافية مثل لباس إسلامي عصري، ومشروبات غازية إسلامية، ومغنين إسلاميين وحتى كوميديين إسلاميين. وحتى احتجاجات الشوارع، التي اتسمت بها ذروة نضال الإسلاميين في السابق، أصبحت تواجه منافسة شديدة من قبل حفلات نجوم الراب الإسلامي، ومن المهم هنا ملاحظة أن هذا النمط من الاستهلاك الثقافي الإسلامي الحديث، يقوم على جذور علمانية غربية بقيم ليبرالية، وهو بذلك يتجاوز القيم التقليدية السياسية للنشاط الإسلامي.

2- محو الهيكليات التنظيمية وأسلمة التجارة والأعمال:

يرى الشيخ الندوي أن الحركات الإسلامية اليوم تعمل على إعادة هيكلة أنفسها، بحيث إنها تخلت عن التركيبة التقليدية للسلم التنظيمي الديني، صحيح أن جماعة الإخوان المسلمين، مثلاً ما زالت تحافظ على اجتماعات أسبوعية وتأخذ اشتراكات سنوية من الأعضاء، ولكنها أصبحت تعتمد أكثر على لا مركزية، بحيث أصبح هناك "أعضاء بحكم الواقع" بالجماعة يعملون ضمن رؤيتهم الخاصة ودون تعليمات مباشرة من القرار المركزي.

إضافة لذلك، فقد بدأت الرموز الإسلامية غير التقليدية، كرجال الأعمال مثلاً، بخلق اقتصاد إسلامي، تعتبر الشركات الإسلامية المحرك الأساسي فيه، فعلى سبيل المثال، تحولت رموز إسلامية ماليزية إلى رجال أعمال من خلال الدمج بين مفاهيم قرآنية وثقافة الشركات التي يديرونها، فهم لا يقومون فقط

بإيجاد مبادئ مالية تتفق والشرعية الإسلامية ولكنهم أيضاً أصبحوا يطبقون مفهوم الشورى داخل الشركة، ومبدأ الزكاة من خلال تشجيع رجال الإحسان بدعم مشاريعهم الخيرية.

3- تغير طبيعة العمل السياسي: هل ما زال المسلمون يريدون قيام دولة إسلامية؟

يرى الشيخ الندوي أن الحركات الإسلامية قد أخذت فعلاً بالتركيز على الجوانب الثقافية والاجتماعية أكثر من غيرها، بعض هذه الحركات قد تخطى عن فكرة التغير الجذري للنظام السياسي والسيطرة على الدولة، لقد غيروا أولويات مشروع الإسلام السياسي، وفي كثير من الأحيان شرعوا سلطة الدولة لأسباب عملية، رغم أنهم ما زالوا يتحدثون الدولة أحياناً من خلال مقاومة أسباب الظلم بأساليب جديدة. لقد قبلوا الانتخابات ليس فقط لربحها ولكن أيضاً لإدارة مشهد سياسي متنوع، كما أنهم قبلوا التحالف مع قوى سياسية علمانية.

التغير لم يقتصر على تغيير الأهداف السياسية للحركات الإسلامية ولكن شمل أعضائها أيضاً، بحيث أصبحنا نرى الأعضاء ينتمون أكثر للطبقة المهنية الحديثة المتأثرة بالجوانب الثقافية للإسلام أكثر من الجوانب والأهداف الأيديولوجية، وبسبب هذا التغير في الأهداف السياسية والأعضاء، فإن علاقة هذه الحركات مع العنف أيضاً قد تغيرت وتطورت؛ فجماعة الإخوان المسلمين المصرية رفضت العنف واعتمدت خطاب التعددية والتسامح والتعايش مع الأحزاب السياسية الأخرى.

بالإضافة لكل ما تقدم، يرى الشيخ الندوي المسلمين اليوم ينهلون من موروث سياسي عالمي ذي مفاهيم قائمة على الديمقراطية والمنافسة والتضامن والمساواة، وذلك من أجل إعادة تعريف الإسلام السياسي الحديث، وهذا يعني أن الأيديولوجيات التي تزودنا بمفاهيم وتفسيرات لماهية العمل السياسي الاجتماعي لا تموت، ولكنها في حالة تحول وتطور مستمرين، وبذلك، فإن الأيديولوجية الإسلامية - حسب الكاتبين - قد سارت بطريق مشابه لذلك الذي سلكته أيديولوجيات عالمية أخرى كالشيوعية والاشتراكية، التطورات التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط الآن أظهرت أن الإسلاميين آخذون بالتأقلم مع التغيرات السياسية الحديثة أكثر من كونهم يقومون بتشكيل ورسم هذه التطورات، الدافع لهذا التأقلم جاء من قبل الجيل الشاب في عصر "ما بعد الإسلامية" الذي انخرط بمجزئيات السياسة الصغيرة بواسطة الفيسبوك وشبكات التواصل الاجتماعي ومن خلال الحديث عن الديمقراطية والحرية، وليس بالحديث عن الهدف الأكبر المتمثل بالدولة الإسلامية. ويبقى السؤال: كيف سيواصل الإسلاميون تأقلمهم مع التغيرات العالمية؟ هو موضوع البحث حول الإسلاميين في المستقبل.

4- التحول أو الاستمرار:

لقد رصد الشيخ الندوي، ببراعة فائقة، التحولات التي أصابت مشروع الإسلام السياسي لاسيما في المناهج المتبعة من قبل الحركات الإسلامية، وبالتحديد بالعقد الأخير، مقارنة مع ما كانت عليه الحال في منتصف القرن العشرين. تقديم الكاتبين لمصطلح "الأصولية الجديدة" جاء في التوقيت المناسب وعلى درجة عالية من الدقة، حيث شكّل دخول السلفيين معترك الحياة السياسية في مرحلة الربيع العربي وخوضهم الانتخابات النيابية في مصر وغيرها مرحلة جديدة في العمل السياسي الإسلامي، ربما يكون لها تأثير استراتيجي على مشروع الإسلام السياسي ككل، بحيث يُدخِلُه مرحلة ما زالت أطوارها آخذة بالتشكل.

وصف الباحثون للطريقة التي تتأقلم بها الحركات الإسلامية مع تطور الثقافة العالمية في القرن الحادي والعشرين جدير بالاهتمام، لما له من قدرة على تسليط الضوء على ظواهر يعايشها مشروع الإسلام السياسي الآن. وبالتحديد، فإن مناقشة الباحثين للكيفية التي ينهل بها الإسلاميون من الموروث السياسي العالمي، القائم على مفاهيم الديمقراطية والمنافسة والتضامن، لإعادة تعريف الإسلام السياسي الحديث، هي مسألة تهم الإسلاميين بالدرجة الأولى، بحيث، من جانب، تشجعهم على التقييم البناء للطريقة التي يتفاعلون بها مع الموروث العالمي، وتحديد موقفهم فيما إذا وصلوا إلى مرحلة أصبحوا فيها جزءاً لا يتجزأ من هذا الموروث يأخذون منه ويؤثرون به، ومن جانب آخر، تناقش فرضيات التزام قوى إسلامية بالنهج التقليدي القائم على بناء المشروع الإسلامي المتكامل المستند على تجربة السلف.¹

ولابد للدعاة والمتخصصين في شؤون الحركات الإسلامية والحركات الإسلامية نفسها من مناقشتها؛ لإعادة تعريف مشروع الإسلام السياسي وعلاقته بالموروث السياسي والثقافي العالمي هي مسألة ملحة لاسيما بعد التغييرات التي اجتاحت المنطقة مع وصول الربيع العربي ووصول الإسلاميين للحكم في جميع أنحاء العالم.

¹ - انظر! ماذا حدث للإسلاميين، د. أمل بوبكر وأوليفر روي، سن هيرست، لندن/منشورات جامعة كولومبيا، ط: 1، 2012م.

الباب الثاني

خصائص الدعوة وأنواعها في فكر الأستاذ الندوي

الفصل الأول: خصائص الدعوة الزمانية في فكر الأستاذ الندوي

المبحث الأول: خصائص الدعوة في أزمنة التقهقر والخضوع

المبحث الثاني: خصائص الدعوة في الغلبة والإستعلاء

الفصل الثاني: خصائص الدعوة المكانية في فكر الأستاذ الندوي

المبحث الأول: عالمية الدعوة الإسلامية

المبحث الثاني: خصائص الدعوة في البلاد الإسلامية

المبحث الثالث : خصائص الدعوة في الالبلاد الغير إسلامية

الفصل الثالث: أنواع الدعوة

المبحث الأول: أنواع الدعوة من حيث الداعي/ المكلف بها

المبحث الثاني: أنواع الدعوة من حيث المدعو (أمة الإنكار، أمة الإستجابة)

المبحث الثالث: أنواع الدعوة من حيث مادة الدعوة وموضوعها (الدعوة في الأمور الزمانية و في التبرعات

والفضائل)

الفصل الأول: خصائص الدعوة الزمانية في فكر الأستاذ الندوي

التمهيد:

إن الإسلام عقيدة استعلاء، من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبر، وروح الثقة في غير اعتزاز، وشعور الاطمئنان في غير تواكل، وأنها تشعر المسلمين بالتبعية الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعية القيادة في هذه الأرض للقطعان الضالة، وهدايتها إلى الدين القيم، والطريق السوي، وإخراجها من الظلمات إلى النور بما آتاهم الله من نور الهدى والفرقان: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾⁽¹⁾، وأيضاً ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾⁽²⁾، ففي هذا الفصل نحن نذكر خصائص الدعوة في زمني التفهقر والاستعلاء من خلال فكر الأستاذ في ضوء كتبه.

¹ - سورة آل عمران، الآية: 110.

² - سورة البقرة، الآية: 143.

المبحث الأول: خصائص الدعوة في أزمنة التقهقر والخضوع

التمهيد:

إن العالم الإسلامي متحير اليوم بين دين لا يسهل عليه العمل به والقيام بمطالبه لعادات نشأ عليها وحكومات أفسدته وتعليم أذابه وشهوات لا تتفق مع عقيدته ورسالته، وبين جاهلية لا ينشرح لها صدره لإيمان لا يزال له بقية فيه، وقومية عجنت مع الإسلام وحضارة تخمرت مع الدين، والسبب هذا أن المسلمين قد تركوا العمل على دين إلهي والسيرة النبوية، وأيضاً فقد العاطفة لسلسلة الإصلاح والتجديد، وفقد الاستعداد الروحي والخلقي، والشيخ الندوي رحمه الله ذكر الحل لذلك بخصائص دعوة الأنبياء عليهم السلام، والخلفاء الراشدين ورجال الإصلاح والتجديد والعزيمة.

ونحن نذكر في السطور الآتية كيف يدعو الناس إلى الله في زمن الخضوع والتقهقر من خلال فكر الأستاذ الندوي.

معنى كلمة خصائص الدعوة في زمن التقهقر والخضوع:

خصائص! من خصص وخصه بالشئ يخصه خصاً وخصوصاً كما في لسان العرب: وخصه واختصه: أي أفرد به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد، وخص غيره واختصه ببه، والخصائص جمع خصيصة بمعنى الخاص، ثم جعلت اسماً للشئ الذي يختص بالشئ ويلزمه فيكون دليلاً عليه وأمانة على وجوده باطراد.¹

إذن فالخصائص هي ما اختصت به الدعوة الإسلامية لنفسها خاصة فامتازت أو تفردت به عن سائر الدعوات غيرها مما تتجلى فيه إسلاميتها، ويمكن الحديث عن الخصائص من زوايا مختلفة وباعتبارات متنوعة، وأجدني الآن أحبذ الوقوف عندها من زاوية واحدة، وهي أنها مقيدة بالقيّد (إلى الله).

تَقَهَّقِرُ! مصدر، و "تَقَهَّقِرُ" اسم، والمادة (ق ه ق)، والمعنى: الرجوع إلى الأسفل من الأعلى، كما قال صاحب لسان العرب: تراجع على قفاه.²

¹ - لسان العرب، 24/7.

² - المصدر السابق، 121/5.

الْحُضُوعُ! مصدر، و"خَضَعَ" فعل منه، والمعنى: مال إلى الأرض أي خضع إلى الأرض، كما في القرآن الكريم: ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَافُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾⁽¹⁾، وخضع الإنسان خضعا: أmaal رأسه إلى الأرض أو دنا منها.²

فمعنى هذه العبارة يعني ما وصّف الأستاذ الندوي خصائص الدعوة التي تتعلق بزمن التقهقر وخضوع الإسلام وغروب شمس، والحالة التي يكون فيها الإسلام مغلوبا، فكيف يصلح ويجدد.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "إن العالم الإسلامي حائر بين مواد خام من أقوى المواد وأفضلها في الإيمان والقوة والشجاعة، وبين موجهين وصناعيين لا يعرفون قيمة هذه المواد ولا يعرفون أين يضعونها ولا ماذا يصنعون بها".³

في رأي الشيخ الندوي عندما نكون في هذه الحالة المغلوبة التي نحن فيها الآن، فعلينا أن نعمل الخصائص الدعوية التي يُستنبط من سيرة الأنبياء، و من أتباعهم إلى يومنا فلا بد أن تجدد في كل زمان وفي كل محي، وتكون على أساس دعوتهم مطابقة لسيرتهم مقتبسة من مشكاتهم، فلنرجع إلى هذا المصدر، ولندرسه دراسة عميقة ونلاحظ فيما يلي:

1- الإلتجاء إلى الله في جميع مراحل الدعوة والجهاد:

في جميع مراحل الحياة الاطراح على عتبة عبوديته اطراح الفقير الكسير، والارتقاء في أحضان رحمته ارتقاء الطفل الصغير في أحضان أمه والإيمان القوي بأنه هو النافع الضار، والناصر الخاذل وأن لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا كاشف لضره، ولا ممسك لرحمته ولا سهل إلا ما جعله سهلا وهو يجعل الحزن سهلا، وينصر الضعيف على القوي والقليل على الكثير، والضعيف مع نصره قوي، والقليل مع رحمته كثير.

هذا الإيمان كان يوحى إليهم بالابتغال في الدعاء وإطالة الوقوف ببابه وشدة الالتزام بأعتابه والالحاح في المسألة، وبذلهم المعاني العجيبة والتعبيرات الرقيقة، ولننظر إلى قول سيد الأنبياء وسيد الدعاء إلى الله إلى يوم القيامة وهو يمثل خير تمثيل لإيمانه وشعوره بفقره وضعفه وافتقاره إلى رحمة الله (اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني، وتعلم سري وعلايتي، لا يخفى عليك شيء من أمري، وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر بدنبي، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتغال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف، ودعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته، وذل لك جسمه، ورغم لك

¹ - سورة الشعراء، الآية: 4.

² - لسان العرب، 73/8.

³ - الإسلام والحكم للعلامة الندوي، ص: 8.

أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك شقياً، وكن لي رؤوفاً رحيماً يا خير المسئولين ويا خير المعطين¹، ولنذكر دعاءه ﷺ في الطائف وقوله (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، إلى من تكلمي، إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن ساخطاً علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بي غضبك أو ينزل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)²، ونذكر موقفه في بدر، قال ابن إسحق "ثم عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف، ورجع إلى العريش فدخل ومعه فيه أبو بكر ليس معه غيره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعد من النصر ويقول فيما يقوله (اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد)"³.

هذه كانت عدة الأنبياء عليهم السلام، وقوتهم ومفتاح دعوتهم، فقد امتازت دعوتهم بتقديم الدعاء والاهتمام به والابتغال فيه، وليس الدعاء إلا رمزاً للإجابة إلى الله والاعتماد عليه والاعتزاز به، فامتازت دعوتهم وجهادهم في سبيلها بطابعهما الروحي والإيماني، وقد روي أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وقال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾⁽⁴⁾، ولا شك أن جهاد الدعوة أعظم من أن يضطلع به الإنسان بقوته الجسدية وعدته المادية وكفايته العقلية والعلمية، ولا يستقل به إلا بالقوة الروحية ونصر الله ومعاونته، وأن هذه الصخور العظيمة بل الأطوار الشاخنة التي تقف في سبيل الدعوة، وتهجم على رؤوس الدعاة وتصطدم بجهودهم لا تذوب إلا بنصر الله الذي يستنزل بالدعاء والالتجاء إلى الله.⁵

2- التجرد من التفكير في المنافع المادية والثمرات العاجلة:

وخصائص دعوة الأنبياء وجهودهم بتجردها من التفكير في المنافع المادية والثمرات العاجلة فكانوا لا يبتغون بدعوتهم وجهادهم إلا وجه الله، وامتثال أوامره وتأدية رسالته، تجردت عقولهم وأفكارهم من العمل للدنيا ونيل الجاه وكسب القوة لأسرتهم أو أتباعهم والحصول على الحكومة، وحتى لم يخطر ذلك ببال أصحابهم

¹ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، 11/174، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: 2.

² - الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، 315/1، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1413هـ.

³ - رواه مسلم، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، 1383/3، الرقم: 1763.

⁴ - سورة البقرة، الآية: 45.

⁵ - انظر! الإسلام والحكم للعلامة الندوي، ص: 13، 14.

وأتباعهم، وكانت هذه الحكومة التي قامت لهم في وقتها والقوة التي حصلت لهم في دورها لم تكن إلا جائزة من الله ووسيلة للوصول إلى أهداف الدين وتنفيذ أحكامه وتغيير المجتمع وتوجيه الحياة كما قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾⁽¹⁾، ولم تكن هذه الحكومة قط غاية من أهدافهم أو حديثاً من أحاديثهم أو حلماً من أحلامهم، إنما كانت نتيجة طبيعية للدعوة والجهاد كالثمرة التي هي نتيجة طبيعية لنمو الشجرة وقوة أثمارها.

وهكذا جاءت الدعوة بالحكومة، كما تأتي الأمطار بالخصب والزرع، وكما تأتي الأشجار بالفاكهة والثمر فلم تكن هذه الحكومة إلا ثمرة من ثمرات هذه الدعوة الإسلامية ولم تكن هذه العزة والقوة إلا نتيجة ذلك العذاب الذي تحملوه من قريش وغيرهم وذلك الهوان الذي لقوه في مكة وغيرها.

وفرق كبير بين الغاية التي تقصد والنتيجة التي تظهر، ويظهر هذا الفرق في نفسية العامل والساعي، فالذي يقصد الحكومة يتوانى ويقعد إذا لم ينلها أو انقطع أمله فيها، ويشغل بها عن الدعوة ويطغى إذا نالها، وخطر على كل جماعة تتكون عقليتها بحب الحكومة والسعي لها أن تقعد عن الجهاد في سبيل الدعوة أو تنحرف وتزيغ في قصدها، لأن أساليب الوصول إلى الحكومة تحالف أساليب الدعوة.

فيجب علينا أن ننقي عقولنا ونفوسنا ونجدها للدعوة وللدعوة فحسب والخدمة والتضحية والإيثار وإخراج الناس بإذن الله من الظلمات إلى النور ومن الجاهلية إلى الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى المحرفة والنظم الجائرة والمذاهب الغاشمة إلى عدل الإسلام وظله، ولا يكون دفعنا إلى العمل والجهاد إلا إمتثال أمر الله والفوز في الآخرة وما أعد الله لعباده من الأجر والثواب، ثم الشفقة على الخلق والرحمة بالإنسانية المعذبة والحرص على نجاة الإنسان، فإذا كان ذلك لا يمكن في مرحلة من مراحل الدعوة أو في فترة من فترات التاريخ - بعد تغلغل مبادئ الدعوة في نفوس الدعاة ورسوخ العقيدة فيهم - إلا بالحكومة سعياً لها بمصلحة الدعوة والدين كما نسعى إلى الماء للوضوء ونجتهد لهذا السبب بنفس العقلية وبنفس السيرة وبنفس العفة والنزاهة والصدق والأمانة والخشوع والتجرد الذي نجتهد معه لواجبات الدين وأركانه والعبادات الأخرى، فلا فرق للمؤمن بين الحكومة وبين العبادات إذا حصل الإخلاص وصحت النية فكل في رضا الله وكل في سبيل الله وكل عبادة يتقرب بها العبد إلى الله.²

¹ - سورة الحج، الآية: 41.

² - الإسلام والحكم للعلامة الندوي، ص: 18.

3- المثابرة على الدعوة والصبر عليها:

ومما امتازت به حياة الأنبياء وسيرتهم النبوية المثابرة على الدعوة والصبر عليها، فلا يتخطون هذه المرحلة التي هي الأساس بسرعة وعجلة، ولا يطفرون منها طفرا إلى مرحلة أخرى بل يقضون فيها سنين طوالا ولا يشتغلون بغيرها ولا يطمئنون إلى أن المجتمع قد عقل دعوتهم واستساغها ولا إلى الدعاة أنهم قد بلغوا رسالتهم وأدوا مهمتهم ولا إلى النفوس أنها قبلت هذه الدعوة وهضمتها هضما صحيحا وأحلتها محلا لا ثقا وأنست النفوس باتباع الأحكام وانقاد لها جماحها ولانت لها قناتها لا يطمئنون إلى كل هذا حتى يتحققوه ويختبروه مرة بعد مرة فلا يخدعون أنفسهم ولا تغرهم بهرجة الكلام فتكون نتيجة هذه التربية المتينة والدعوة الطويلة أنها تؤتي أكلها ناضجة شهية ولا تخدع الدعوة نتائجها فإذا قامت الحكومة قامت على أساس متين من الأخلاق وعلى أكتاف رجال أقوياء أقوياء في عقيدتهم أقوياء في سيرتهم أقوياء في خلقهم أقوياء في عبادتهم أقوياء في سياستهم لا يندفعون مع التيار ولا تجرف بهم المدنية ولا يلعب بعقولهم الغنى بعد الفقر واليسر بعد العسر والقوة بعد الضعف ولا تميل بهم المحسوبيات والأرحام والصدقات ولا تستهويهم المطامع والمنافع هذا كان شأن الخلافة الراشدة وهذه كانت سيرة الخلفاء الراشدين.

كان لهم أن يؤسسوا ملكا عربيا عظيما على أنقاض الدولة الرومية والفارسية وينعموا كما نعم ملوكها وأمراؤها من قبل فقد ورثوا الامبراطوريتين الفارسية والرومية وجمعوا بين موارد دولتين فإذا كان كسرى يترفه بموارد فارس فقط وإذا كان هرقل يبدخ بموارد الروم فقط فهذا عمر بن الخطاب يمكنه أن يترف بموارد الامبراطوريتين ويبدخ بذخا لم يبدخه أحدهما.¹

كان له ولأصحابه كل ذلك بكل سهولة ولكنهم سمعوا القرآن يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾، وكأنهم يسمعون نبيهم صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم فهتفوا عن آخرهم قائلين (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأغفر للأَنْصار والمهاجرة).³

¹ - الإسلام والحكم للعلامة الندوي، ص: 22.

² - القصص، آيت: 83.

³ - أخرجه الترمذي في سننه، باب مناقب أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، 693/5، الرقم: 2961، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط: 2، 1395 هـ - 1975 م. (وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، جامع المسانيد والسنن، 132/4).

وهكذا حافظوا على روح الدعوة الإسلامية وسيرة الأنبياء والمرسلين وعاشوا في الحكومة كرجال الدعوة وفي الدنيا كرجال الأخرى وملكوا أنفسهم في هذا التيار الجارف الذي مال قبلهم بالمدينيات والحكومات والشعوب والأمم ومال بالمبادئ والأخلاق والعلوم والحكم.

مازال الناس يعدون اقتحام المسلمين دجلة بخيلهم وجندهم تحت قيادة سعد بن أبي وقاص ووصولهم إلى الشط الثاني -من غير أن يصابوا في نفس أو مال أو متاع- حادثا غريبا من أغرب ما وقع في التاريخ أن الحادث لغريب، ولكن أشد منه غرابة وأدعى للعجب أن المسلمين في عهد الخلافة الراشدة، والفتوح الإسلامية الأولى خاضوا في بحر مدنية الروم وفارس، وهو هائج مائج وعبروه ولم يفقدوا شيئا من أخلاقهم ومبادئهم وعاداتهم، ووصلوا إلى الشط الثاني ولم تبطل ثيابهم ولم يزل الخلفاء الراشدون، وأمراء الدولة الإسلامية من أصحاب النبي ﷺ محتفظين بروحهم ونفسياتهم، وزهدهم وبساطتهم في المعيشة وتحشّنهم في أوج الفتوح الإسلامية.

4- التجرد للدعوة والتفرغ لها بالقلب والنفس والوقت والقوة:

ومن خصائص الأنبياء والدعاة إلى الله التجرد للدعوة والتفرغ لها بالقلب والقلب والنفس والوقت والقوة فمن شأنهم أنهم يركزون جهودهم ومواهبهم ويوفرون أوقاتهم وقواهم لهذه الدعوة ونشرها والجهاد في سبيلها ويعطونها كلهم ولا يضمنون عليها بشيء مما عندهم ولا يحتفظون بشيء ولا يؤثرون عليهم شيئا لا وطن ولا أهلا ولا عشيرة ولا هوى ولا مالا ثم تثمر جهودهم وقد لا تثمر في الدنيا وقد تثمر بعد حياتهم فهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُزُيِّنَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁾، وإذا كان هذا شأن الدعوة بعد ما أعطاها الأنبياء كل ما عندهم فكيف بها إذا أعطيناها بعض ما عندنا وكانت الدعوة تملك عليهم عقولهم ومشاعرهم وتملك عليهم تفكيرهم وصحتهم فما زال القرآن يسلي النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾².

5- الإهتمام الشديد:

ومن خصائص الأنبياء عليهم السلام ومن كان على طريقهم في الدعوة إلى الله أن هذه الدعوة إلى الله وإلى الدار الآخرة تسري في حياتهم كما يسري الماء في عروق الشجر والكهرباء في الأسلاك وتظهر

¹ - سورة يونس، الآية: 46.

² - سورة الكهف، الآية: 6.

في أخلاقهم وعبادتهم فترق قلوبهم وتخضع نفوسهم وتزداد رغبتهم في العبادة ويشتد اهتمامهم بها وحرصهم عليها وإبقاؤهم لحقوقها فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقليل له قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال (أفلا أكون عبدا شكورا)⁽¹⁾، وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة، والآية هي: (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)⁽²⁾، وانتقلت هذه اللذة بالعبادة والاهتمام بها إلى الصحابة رضي الله عنهم في أشد الأوقات شغلا وأقلقها خاطرا حتى كان أعداؤهم يعرفون ذلك عنهم وقد وصفهم رجل عن الروم بقوله هم "فرسان بالنهار رهبان بالليل" ويقول قائل لو حدثت جليسا حديثا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر.³

6- الإستعداد الروحي والشعوري:

ولكن العالم الإسلامي لا يؤدي رسالته بالمظاهر المدينة التي جادت بها أوربا على العالم، وبحذق لغاتها وتقليد أساليب الحياة التي ليست من نخضة الأمم في شيء، إنما يؤدي رسالته بالروح والقوة المعنوية التي تزداد أوربا كل يوم إفلاسا فيها، وينتصر بالإيمان والاستهانة بالحياة والعزوف عن الشهوات، والشوق إلى الشهادة والحنين إلى الجنة، والزهد في حطام الدنيا وتحمل الأذى في ذات الله صابرا محتسبا قال الله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ)⁽⁴⁾، فقوة المؤمن وسر انتصاره في إيمانه بالآخرة ورجائه لثواب الله، فإذا كان العالم الإسلامي لا يرمي إلا إلى ما تراه أوربا من العرض القريب، ولا يطمح إلا فيما تطمح فيه أوربا من حطام الدنيا، ولا يؤمن إلا بما تؤمن به أوربا من المحسوسات والماديات، كانت أوربا بقوتها المادية أحق بالانتصار والسيادة من العالم الإسلامي الذي يتخلف عنها في القوة المادية تخلفا شائنا ولا يفوقها في القوة المعنوية.

لقد أتى على العالم الإسلامي حين من الدهر وهو مستخف بهذه القوة المعنوية لا يحتفل بها، ولا يحتفظ بالبقية منها، ولا يغذيها، حتى نضب معينها في قلبه، فلما خاض العالم الإسلامي في المعارك التي

¹ - رواه الترمذي، باب ما جاء في الإجهاد في الصلوة، 278/2، الرقم: 412، (ورجاله رجال الصحيح، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، 171/2، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م).

² - سورة المائدة، الآية: 118.

³ - الإسلام والحكم للعلامة الندوي، ص: 24.

⁴ - سورة النساء، الآية: 104.

تحتاج إلى الإيمان، والصبر والثبات، وتحمل الشدائد والنكبات، وزلزل بعض الزلزال، ولجأ إلى القوة المعنوية الكامنة في نفوس المسلمين، كانت كسراب بقية يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، هنالك عرف أنه قد جنى على نفسه جناية عظيمة بإهمال هذه القوة الروحية وتضييعها، وبحث في جعبته فلم يجد شيئاً يسد مكانها ويغني غناءها.

وخاض العالم الإسلامي في معارك حاسمة، وهو يرى أن المسلمين تقوم قيامتهم، وسوف يهرعون للدفاع عن الإسلام وحماية بلادهم المقدسة، ويغضبون لله ورسوله وخرماته، وإن الأفطار الإسلامية تشتعل ناراً وتتوقد حمية وحماسة، فإذا الحادث لم يؤثر في العالم الإسلامي التأثير المنتظر، وإذا النظر ضئيل والسخط خافت، وإذا العالم الإسلامي كعادته - في غدواته وروحاته - منهمك في لذاته وشهوته، كأن لم يحدث كبير شيء، فعرف أن الحملة الدينية قد ضعفت في العالم الإسلامي، وأن شعلة الجهاد قد انطفأت أو كادت، وهنالك عرف الناس ضعف العالم الإسلامي وخذلانه وهوانه على أنفسهم.

فالمهم الأهم لقادة العالم الإسلامي، وجمعياته وهيئاته الدينية والدول الإسلامية غرس الإيمان في قلوب المسلمين وإشعال العاطفة الدينية، ونشر الدعوة إلى الله ورسوله، والإيمان بالآخرة على منهاج الدعوة الإسلامية الأولى، لا تدخر في ذلك وسعاً، وتستخدم لذلك جميع الوسائل القديمة والحديثة، وطرق النشر والتعليم، كتجوال الدعاة في القرى والمدن. وتنظيم الخطب والدروس، ونشر الكتب والمقالات، ومدارسه كتب السيرة، وأخبار الصحابة، وكتب المغازي والفتوح الإسلامية، وأخبار أبطال الإسلام وشهادته، ومذاكرة أبواب الجهاد، وفضائل الشهداء، وتستخدم لذلك الراديو والصحافة وكتب الأدب، وجميع القوى والوسائل العصرية.

والقرآن وسيرة محمد ﷺ قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا في العالم الإسلامي نار الحماسة والإيمان، وتحثا في كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلي، وتجعلا من أمة مستسلمة، منخذلة ناعسة، أمة فنية متلهبة حماسية وغيرة وحنقاً على الجاهلية وسخطاً على النظم الجائرة.

إن علة العالم الإسلامي هو الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان بها، والارتياح إلى الأوضاع الفاسدة والهدوء الزائد في الحياة، فلا يقلقه فساد، ولا يزعجه انحراف، ولا يهيجه منكر، ولا يهمله غير مسائل الطعام واللباس، ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية - إن وجدا إلى القلب سبيلاً - يحدث صراع بين الإيمان والنفاق، واليقين والشك، بين المنافع العاجلة والدار الآخرة، وبين راحة الجسم ونعيم القلب، وبين حياة البطالة وموت الشهادة، وصراع أحدثه كلا نبي في وقته، ولا يصلح العالم به؛ حينئذ يقوم في كل ناحية من

نواحي العالم الإسلامي، بل في كل أسرة إسلامية في كل بلد إسلامي: (فَتَيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى - وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِهَّا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا).¹

هنالك تتجدد ذكرى بلال، وعمار، وخباب، وحبيب، وحُبيب، ومصعب بن عمير، وعثمان بن مظعون، وأنس بن النضر، هنالك تفوح روائح الجنة، وتهب نفحات القرن الأول، ويولد للإسلام عالم جديد لا يشبه العالم القديم في شيء.²

7- الاستعداد الحربي والصناعي:

ولكن مهمة العالم الإسلامي لا تنتهي هنا، فإذا أراد أن يضطلع برسالة الإسلام ويملك قيادة العالم فعليه بالمقدرة الفائقة، والاستعداد التام في العلوم والصناعة والتجارة وفن الحرب، وأن يستغني عن الغرب في كل مرفق من مرافق الحياة، وفي كل حاجة من الحاجات، يقوت ويكسو نفسه، ويصنع سلاحه، وينظم شؤون حياته، ويستخرج كنوز أرضه وينتفع بها، ويدير حكوماته برجاله وماله، ويمخر بحار المحيط به بسفنه وأساطيله، ويحارب العدو ببوارجه ودباباته وأسلحة بلاده، وتزيد صادراته على وارداته، ولا يحتاج إلى الاستدانة من الغرب، ولا يضطر إلى أن يلجأ إلى راية من راياته وينظم إلى معسكر من معسكراته.

أما ما دام العالم الإسلامي خاضعاً للغرب في العلم والسياسة والصناعة والتجارة، يمتص الغرب دمه، ويحفر أرضه فيستخرج منها ماء الحياة، وتغزو بضائعه أسواق العالم الإسلامي وبيوته وجيوبه كل يوم فتستخرج منها كل شيء، وما دام العالم الإسلامي يستدين من الغرب الأموال، ويستعير منه الرجال، ليدبروا حكومته، ويشغلوا الوظائف الخطيرة ويدبروا جيوشه ويستورد منه البضائع ويحلب منه الصنائع، وينظر إليه كأستاذ ومرب، وسيد ورب، لا يرم أمراً إلا بإذنه ولا يصدر إلا عن رأيه، فلا يستطيع أبداً أن يواجه الغرب فضلاً عن أن يناهضه ويغالبه.

هذه هي الناحية العلمية والصناعية التي أدخل بها العالم الإسلامي في الماضي فعوقب بالعبودية الطويلة والحياة الذليلة، وابتلي العالم الإسلامي بالسيادة الأوروبية الجائرة التي ساقت العالم إلى النار والدمار

¹ - سورة الكهف، الآية: 14، 13.

² - ماذا خسر العالم بالخطا المسلمين، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: 1420هـ)، ص 233، 234، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر، طبعة شرعية جديدة منقحة ومحققة ومزودة.

والتناحر والانتحار، فإن فرط العالم الإسلامي مرة ثانية في الاستعداد العلمي والصناعي والاستقلال في شئون حياته كتب الشقاء للعالم وطالت محنة الإنسانية وبلاؤها.¹

8- تبوء الزعامة في العالم والتحقيق:

وقد تنازل العالم الإسلامي - بما فيه العالم العربي - منذ زمن طويل عن مكانته في القيادة العلمية والتوجيه، والاستقلال الفكري، وأصبح عيالاً على الغرب متطفلاً على مائدته حتى في اللغة العربية وآداب اللغة وعلومها، وحتى في علوم الدين كالتفسير والحديث والفقه. وأصبح المستشرقون هم المرشدين الموجهين في البحث والتحقيق، والدراسة والتأليف، وهم المنتهى والمرجع والحجة في الأحكام والآراء الإسلامية والنظريات العلمية والتاريخية، وهم الأسوة في النقض والإبرام، وعدد كبير منهم قسوس وإرساليون ويهود ومسيحيون متعصبون، يضمرون للإسلام وصاحب رسالته ﷺ العدا والبغضاء، وللحضارة الإسلامية السخرية والاستهزاء، ويخونون في النصوص والنقول، ويحرفون الكلم عن مواضعه.

ومنهم عدد لم يتقن اللغة العربية ولم يبرع فيها، وهم يخطئون في فهم النصوص وترجمتها أخطاء فاحشة، وقد تغلغت أفكارهم ودعاياتهم في الأوساط العلمية الحديثة في العالم الإسلامي وتجلت بصورة واضحة في الدعوة إلى فصل الدين عن السياسة، وأن الدين قضية شخصية لا شأن له بالمجتمع، وفي الدعوة إلى تغيير مفهوم الدين وأحكام الشريعة الإسلامية على أساس الحضارة الغربية وفلسفتها.. إلى غير ذلك من الأفكار التي يدعو إليها تلاميذ المستشرقين والخاضعون لهم في الشرق الإسلامي.

وقد عجز كتاب الشرق المسلمون والمفكرون الشرقيون عن مواجهة الحضارة الغربية وجهاً لوجه ونقد أسسها وقيمها نقداً حراً جريئاً فيه الابتكار، وفيه الاستقلال، وقد بلغ بعضهم من ضعف التفكير، والإغراق في التقليد منزلة رأى فيها أن الحضارة الغربية هي آخر ما وصل إليه العقل البشري وأنه لا منزلة وراءها، ومنهم من دعا إلى تطبيق الحضارة الغربية بزمته، وعلى علاقتها في الشرق، ودعا بعض الأقطار الإسلامية وإذابتها فيها واختيار الثقافة اليونانية التي هي أصل الثقافات الأوربية.

وندر في هذه الطبقة وجود "عملاق" يكفر بالحضارة الغربية وفلسفة حياتها وقيمها ويشرح الحضارة الغربية وأسسها التي قامت عليها في ثقة واعتداد وعلم وبصيرة، ونستثني من هذه الكلية بعض الأفراد الأفاضل كالعلامة "محمد إقبال" من المسلمين القدامى، والأستاذ "محمد أسد" من الأوربيين المهتمين بالإسلام، ولا شك أن هناك علماء آخرين في مختلف أنحاء العالم يقاومون الغرب ومخططاته، لكنهم ليسوا

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 237.

بقدر الكفاية، لأن أكثر من ييدهم الأمر من الملوك والحكام والرؤساء عامة المثقفين أصحاب التخصصات المختلفة هم مبهزون بالغرب وحضارته، بل كثير منهم متبع للغرب في مخططاته من حيث يعلمون أولاً يعلمون.

ولابد إذا أراد العالم الإسلامي أن يقوم على قدميه ويفكر بعقله أن يقاوم هذا الخضوع ويكون فيه علماء عماليق وكتاب جهابذة يتناولون الحضارة الغربية بالنقد والتشريح، وكتابات المستشرقين وآرائهم بالجرح والتعديل، ويتبحرون في العلوم الإسلامية ويتعمقون فيها حتى يفيد منهم كبار المستشرقين في أوروبا وأمريكا ويصححون بهم آراءهم وأخطاءهم، ويتوجه رواد العلم والتحقيق والدراسات العالية إلى عواصم العالم العربي وحواضر العالم الإسلامي، كما اعتادوا أن يتوجهوا إلى عواصم أوروبا وأمريكا، فهذه المدن الإسلامية أولى بأن تكون مركزاً للثقافة الإسلامية والعلوم الدينية وآداب اللغة العربية من العواصم الأوروبية وجامعات أوروبا، ومن سقوط المهمة والقناعة بالدون أن تتخلى هذه العواصم العريقة في العلم والدين عن زعامتها العلمية ومكانتها الرئيسية.¹

9- التنظيم العلمي الجديد:

ولابد للعالم الإسلامي من تنظيم العلم الجديد بما يوافق روحه ورسالته، وقد ساد العالم الإسلامي على العالم القديم بزعامته العلمية، فتسرب بذلك في عقلية العالم وثقافته، وتغلغل في أحشاء الأدب والفلسفة، وظل العالم المتمدن قروناً يفكر بعقله ويكتب بقلمه ويؤلف بلغته، فكان المؤلفون في إيران وتركستان وأفغانستان والهند لا يؤلفون كتاباً له شأن إلا باللغة العربية، وكان بعضهم يؤلف الأصل بالعربية ويلخصه بالفارسية كما فعل الغزالي في: "كيمياء السعادة".²

وإن كانت هذه الحركة العلمية التي ظهرت في صدر الدولة العباسية متأثرة باليونان والعجم، وغير مؤسسة على الفكرة الإسلامية النقي والروح الإسلامي، وإن كانت فيها مواضع ضعف من الناحية العلمية والدينية، ولكنها سادت على العالم بقوتها ونشاطها، وازمحت أمامها النظم العلمية القديمة.

وجاءت نهضة فنسخت هذا النظام القديم باختباراتها ونقدها العلمي، ووضعت منهجاً جديداً للعلم والدراسة كان نسخة صادقة لروحها وعقليتها ونفسياتها المادية، فلا يخرج منه الطالب إلا وهو متشبع

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 235.

² - والكتاب هو: مقطعات مترجمة عن الأصل الفارسي، والأصل: كتاب اسمه كيميائي سعادات في مجلدين كبار وهو ترجمة تقريباً لكتابه الإحياء مع تغير بسيط.

بمذه الروح، وخضع العالم مرة ثانية لهذا النظام التعليمي، وخضع له العالم الإسلامي بطبيعة الحال إذا كان مصاباً بالانحطاط العلمي والشلل الفكري من زمان، وكان لا يجد المدد والغوث إلا في أوروبا، فقبل هذا النظام التعليمي على علاقته، فهو النظام السائد اليوم في أنحاء العالم الإسلامي.

وكانت نتيجة هذا النظام الطبيعية، صراعاً بين النفسية الإسلامية، إن كانت لا تزال في الشباب لم تقتلها البيئة وبين النفسية الجديدة، وبين وجهة الأخلاق الإسلامية ووجهة الأخلاقية الأوروبية، وبين الميزان القديم والجديد للأشياء وقيمتها، وكانت نتيجة هذا النظام.

وتختار لها أساتذة بارعين في كل فن فيضعون منهاجاً تعليمياً يجمع بين محكمات الكتاب والسنة وحقائق الدين التي لا تتبدل وبين العلوم العصرية النافعة والتجربة والاختبار، ويدونون العلوم العصرية للشباب الإسلامي على أساس الإسلام وبروح الإسلام وفيها كل ما يحتاج إليه النشء الجديد، مما ينظمون به حياتهم ويحافظون به على كيانهم ويستغنون به عن الغرب ويستعدون للحرب، ويستخرجون به كنوز أرضهم وينتفعون بخيرات بلادهم، وينظمون مالية البلاد الإسلامية، ويديرون حكوماتها على تعاليم الإسلام بحيث يظهر فضل النظام الإسلامي في إدارة البلاد، وتنظيم الشؤون المالية على النظم الأوروبية، وتنحل مشاكل اقتصادية عجزت أوروبا عن حلها.

بالاستعداد الروحي والاستعداد الصناعي والحربي والاستقلال التعليمي ينهض العالم الإسلامي، ويؤدي رسالته وينقذ العالم من الانهيار الذي يهدده. فليست القيادة بالهزل، إنما هي جد الجد، فتحتاج إلى جد واجتهاد، وكفاح وجهاد، واستعداد أي استعداد.¹

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 240.

المبحث الثاني: خصائص الدعوة في الغلبة والإستعلاء

التمهيد:

ظهر المسلمون وتزعموا العالم وعزلوا الأمم المريضة من زعامة الإنسانية التي استغلتها وأساءت عملها، وساروا بالإنسانية سيراً حثيثاً متزناً عادلاً، وقد توفرت فيهم الصفات والخصائص التي تؤهلهم لقيادة الأمم، وتضمن سعادتها وفلاحها في ظلهم وتحت قيادتهم، وكان في هذا العصر الغلبة والإستعلاء للمسلمين، والنبي الكريم والصحابة المحفوظين ورجال الإصلاح والدعاة والمتجددين، الذين قاموا على ذلك فالله سبحانه وتعالى غلبوا وسلطوا في عصورهم، ففي هذا المبحث نحن نذكر خصائص الدعوة الإسلامية في كيفية الغلبة والإستعلاء من خلال فكر الأستاذ الندوي في ضوء كتبه.

خصائص الدعوة في فكر الأستاذ الندوي:

يعتقد الأستاذ الندوي أن المسلمين في العصر الحاضر إذا ركّزوا على خصائص الدعوة الإسلامية، التي قامت عليها الحياة في خير القرون، أهل القرون الثلاثة الأولى سيفتحون جميع أنحاء العالم، وستكون لهم الغلبة على عدّوهم بإذن الله سبحانه وتعالى، وهذه الخصائص كما يلي:

1- أنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة إلهية:

أنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة إلهية، فلا يقننون ولا يشرعون من عند أنفسهم، لأن ذلك منيع الجهل والخطأ والظلم، ولا يخطون في سلوكهم وسياستهم ومعاملتهم للناس خبط عشواء، قد جعل الله لهم نوراً يمشون به في الناس، وجعل لهم شريعة يحكمون بها بين الناس (أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)⁽¹⁾، وقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)².

2- أنهم لم يتولوا الحكم والقيادة بغير تربية خلقية وتزكية نفس:

أنهم لم يتولوا الحكم والقيادة بغير تربية خلقية وتزكية نفس، بخلاف غالب الأمم والأفراد ورجال الحكومة في الماضي والحاضر، بل مكثوا زمناً طويلاً تحت تربية محمد ﷺ، وإشرافه الدقيق يزكيهم ويؤدبهم ويأخذهم

¹ - سورة الأنعام، الآية: 122.

² - سورة المائدة، الآية: 8.

بالزهد والورع والعفاف والأمانة والإيثار على النفس وخشية الله وعدم الاستشراف للإمارة والحرص عليها. يقول: (إنا والله لا نُؤلي هذا العمل أحداً سألناه، أو أحداً حرص عليه)⁽¹⁾، ولا يزال يقرع سمعهم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾، فكانوا لا يتهافتون على الوظائف والمناصب تحافت الفراش على الضوء، بل كانوا يتدافعون في قبولها ويتخرجون من تقلدها، فضلاً عن أن يرشحوا أنفسهم للإمارة ويزكوا أنفسهم وينشروا دعاية لها وينفقوا الأموال سعيّاً وراءها، فإذا تولوا شيئاً من أمور الناس لم يعدوه مغنماً أو طعمة أو ثمناً لما أنفقوا من مال أو جهد، بل عدوه أمانة في عنقهم وامتحاناً من الله، ويعلمون أنهم موقوفون عند ربهم ومسئولون عن الدقيق والجليل، وتذكروا دائماً قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾⁽⁴⁾.

3- ويؤمنون بفضله وشرفه على جميع الشعوب والأوطان:

أنهم لم يكونوا خدمة جنس، ورسل شعب أو وطن، يسعون لرفاهيته ومصلحته وحده ويؤمنون بفضله وشرفه على جميع الشعوب والأوطان، لم يخلقوا إلا ليكونوا حكاماً، ولم تخلق إلا لتكون محكومة لهم، ولم يخرجوا ليؤسسوا إمبراطورية عربية ينعمون ويرتعون في ظلها ويشمخون ويتكبرون تحت حمايتها، ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب وإلى حكم أنفسهم، إنما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعاً وإلى عبادة الله وحده، كما قال ربعي بن عامر رسول المسلمين في مجلس يزدجرد: (الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)⁽⁵⁾، فالأهم عندهم سواء والناس عندهم سواء، الناس كلهم من آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽⁶⁾.

¹ - رواه البيهقي في السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، باب كراهية طلب الإمارة والقضاء وما يكره، 171/10، الرقم: 20248، المحقق: محمد عبد القادر

عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: 3، 1424 هـ - 2003 م.

² - سورة القصص، الآية: 83.

³ - سورة النساء، الآية: 58.

⁴ - سورة الأنعام، الآية: 165.

⁵ - البداية والنهاية، 39/7.

⁶ - سورة الحجرات، الآية: 13.

في ظل هؤلاء وتحت حكمهم استطاعت الأمم والشعوب حتى المضطهدة منها في القديم- أن تنال نصيبها من الدين والعلم والتهديب والحكومة، أن تساهم العرب في بناء العالم الجديد بل إن كثيراً من أفرادها فاقوا العرب في بعض الفضائل، وكان منهم أئمة هم تيجان مفارق العرب وسادة المسلمين من الأئمة والفقهاء والمحدثين، ونبغ من هذه الأمم في عصور الإسلام قادة وملوك ووزراء وفضلاء، هم نجوم الأرض ونجباء الإنسانية، وحسنات العالم، فضيلة ومروءة وعبقريّة وديناً وعملاً، لا يحصيهم إلا الله.¹

4- والجمع بين الديانة والأخلاق والقوة:

إن الإنسان جسم وروح، وهو قلب وعقل وعواطف وجوارح، لا يسعد ولا يفلح ولا يرقى رُقيّاً متزناً عادلاً حتى تنمو فيه هذه القوى كلها نمواً متناسباً لائقاً بها، ويتغذى غذاء صالحاً، ولا يمكن أن توجد المدنية الصالحة البتة إلا إذا ساد وسط ديني خلقي عقلي جسدي يمكن فيه للإنسان بسهولة أن يبلغ كماله الإنساني، وقد أثبتت التجربة أنه لا يكون ذلك إلا إذا كانت قيادة الحياة وإدارة دفعة المدنية بيد الذين يؤمنون بالروح والمادة، ويكونون أمثلة كاملة في الحياة الدينية والخلقية، وأصحاب عقول سليمة راجحة، وعلوم صحيحة نافعة، فإذا كان فيهم نقص في عقيدتهم أو في تربيتهم عاد ذلك النقص في مدنيّتهم، وتضخم وظهر في مظاهر كثيرة، وفي أشكال متنوعة، فإذا تغلبت جماعة لا تعبد إلا المادة وما إليها من لذة ومنفعة محسوسة، ولا تؤمن إلا بهذه الحياة، ولا تؤمن بما وراء الحس أثرت طبيعتها ومبادئها وميولها في وضع المدنية وشكلها، وطبعتها بطابعها، وصاغت في قالبها، فكمّلت نواح للإنسانية واختلت نواح أخرى أهم منها.

عاشت هذه المدنية وازدهرت في الجصّ والآجر، وفي الورق والقماش، وفي الحديد والرصاص، وأخصبت في ميادين الحروب وساحات القتال، وأوساط المحاكم ومجالس اللهو ومجامع الفجور، وماتت وأجدبت في القلوب والأرواح وفي علاقة المرأة بزوجها، والولد بوالده والوالد بولده، والأخ بأخيه والرجل بصديقه، وأصبحت المدنية كجسم ضخّم متورم يملأ العين مهابة، ويشكو في قلبه آلاماً وأوجاعاً، وفي صحته انحرافاً واضطراباً.²

وإذا تغلبت جماعة تجحد المادة أو تهمل ناحيتها ولا تهتم إلا بالروح وما وراء الحس والطبيعة، وتعادي هذه الحياة وتعاندها، ذبلت زهرة المدنية وهزلت القوى الإنسانية وبدأ الناس بتأثير هذه القيادة يؤثرون الفرار إلى

¹ - انظر! ماذا خسر العالم، ص: 107.

² - ماذا خسر العالم، ص: 109.

الصحارى والخلوات على المدن، والعزوبة على الحياة الزوجية، ويعذبون الأجسام حتى يضعف سلطانها فتتطهر الروح ويؤثرون الموت على الحياة، لينتقلوا من مملكة المادة إلى إقليم الروح ويستوفوا كما لهم هنالك، لأن الكمال في عقيدتهم لا يحصل في العالم المادي.

ونتيجة ذلك أن تحتضر الحضارة وتخرب المدن ويختل نظام الحياة ولما كان هذا مضاداً للفطرة لا تلبث أن تنور عليه، وتنقسم منه بمادية حيوانية ليس فيها تسامح لروحانية وأخلاق، وهكذا تنتكس الإنسانية وتخلفها البهيمية والسبعية الإنسانية الممسوخة، أو تهجم على هذه الجماعة الراهبة جماعة مادية قوية فتعجز عن المقاومة لضعفها الطبيعي، وتستسلم وتخضع لها، أو تسبق هي بما يعتريها من الصعوبات في معالجة أمور الدنيا- فتمد يد الاستعانة إلى المادية ورجاها وتسند إليهم أمور السياسة وتكتفي هي بالعبادات والتقاليد الدينية، ويحدث فصل بين الدين والسياسة فتضمحل الروحانية والأخلاق ويتقلص ظلها وتفقد سلطانها على المجتمع البشري والحياة العملية حتى تصبح شبحاً وخيالاً أونظرية علمية لا تأثير لها في الحياة وتؤول الحياة مادية محضة وقلماء خلت جماعة من الجماعات التي تولت قيادة بني جنسها من هذا النقص، لذلك لم تزل المدنية متأرجحة بين مادية بهيمية وروحانية ورهبانية ولم تزل في اضطراب.¹

يمتاز أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم كانوا جامعين بين الديانة والأخلاق والقوة والسياسة، وكانت تتمثل فيهم الإنسانية بجميع نواحيها وشعبها ومحاسنها المتفرقة في قادة العالم، وكان يمكن لهم بفضل تربيتهم الخلقية والروحية السامية واعتدالهم الغريب الذي قلما اتفق للإنسان، وجمعهم بين مصالح الروح والبدن واستعدادهم المادي الكامل وعقلهم الواسع أن يسيروا بالأمم الإنسانية إلى غايتها المثلى الروحية والخلقية والمادية.

5- إن الله يحب أن تؤتى رخصته كما يحب أن تؤتى عزائمه:

ومن خصائص الأنبياء عليهم السلام ومن كان على قدمهم أنهم يأخذون بالعزيمة في الدين ولا يأخذون بالرخصة إلا بيانا للحكم الشرعي وشكراً لنعمة الله ورفعاً للحرَج عن الأمة ولا يعفون أنفسهم ولا يتساهلون في العبادات لأن إتباع الناس للدين وعملهم به بمقدار تصلب هؤلاء السادة في الدين وتمسكهم به فإذا اهتم هؤلاء بالنوافل اهتم الناس بالفرائض وإذا اكتفى القادة بالفرائض استرسل الناس إلى تركها والاستهانة بحقها لذلك كان الصحابة رضي الله عنهم وقادة هذه الأمة يشمرون عن ساق الجد في العبادات والمحافظة على الجماعات والعمل بالسنن الدقيقة والاهتمام بالأداب ولا يكتفون بالأدنى ولا يقفون عند الفريضة

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 110.

وبذلك استطاعوا أن يورثوا الدين موفورا غير منقوص وهو أمانة عند هذا الجيل فليُنظر كيف يورثه الأجيال الآتية.

6- يعنون بتربية النفوس والأبدان:

وما خصائص الأنبياء والمرسلين الذي يمتاز به عن الحكماء والمؤلفين والعلماء المحققين أنهم الذين يضطلعون بأعباء الدعوة بعدهم، وينفذون تعاليمهم ورسالاتهم علما وعملا ومعلوم أن دعوتهم العظمى لا تقوم إلا على أكتاف الأصحاء الأقوياء سليمي الأبدان والحنفاء المخلصين في إيمانهم، والمخلصين في تفكيرهم والمخلصين في نياتهم الذين قد تنقت رؤوسهم وصدورهم من ألوث الجاهلية، والذين هضموا الإسلام هضمًا صحيحًا وانقطعت كل صلة في حياتهم عن الجاهلية بأوسع معانيها وخلقوا في الإسلام خلقًا جديدًا.¹

ونرى ذلك واضحًا في حياة سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فلما كان بنو إسرائيل قد نشأوا في حياة العبودية والذل والاضطهاد والسخرية الظالمة وماتت رجولتهم وأباؤهم ووردوا على الخنوع والاستكانة والخضوع للقوي الغالب وعلى الجبن والحرص الشديد على الحياة والخوف الشديد من الموت وأسبابه حتى قال لهم نبيهم: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ - قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾⁽²⁾، ولم يشجعهم على التقدم والقتال قول موسى عليه السلام كتب الله لكم مع أنه كان ضمانًا لانتصارهم وأخيرًا قالوا بكل صراحة ووقاحة يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فظهر أن نشأتهم الأولى تأبى عليهم أن يخوضوا في معركة ويدخلوا في امتحان ويعرضوا أنفسهم للخطر وقطع موسى من هذا الجيل الفاسد الرجاء وقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَقَوْمِ الْقَاسِقِينَ﴾⁽³⁾، هنالك أمره الله بالاعتزال مع قومه (لا عن قومه) في بيداء سيناء حيث الشظف وخشونة الحياة وهنالك ينقرض هذا الجيل الفاسد الذي شب على الجبن والضعف وشاب عليه وينشأ الأولاد والشباب الإسرائيلي الذين لا يزالون في مقتبل العمر على التخشن

¹ - الإسلام والحكم للعلامة الندوي، ص: 25.

² - سورة المائدة، الآية: 21، 22.

³ - سورة المائدة، الآية: 25.

والجلادة وتحمل شدائد الحياة، ومكارهها وينشأ جيل جديد يولد في هذه العزلة، والبداءة على معاني الرجولة، والفروسية وهكذا تتكون أمة جديدة تقوم بدعوة النبي وتطبيق تعاليمه، ومبادئه وتجاهد في سبيلها. وذلك معنى بليغ من معاني الهجرة النبوية فقد استطاع سيد الأنبياء وسيد الدعاة ﷺ إلى الله بانتقاله مع أصحابه من ضيق مكة إلى سعة المدينة، وحريتها أن يكمل تربية أصحابه، وأن ينشئ الجيل الإسلامي الجديد الذي لم يلبث أن اضطلع بأعباء الدعوة المحمدية ومثل والإسلام تمثيلا كاملا.

كذلك الدعوة الإسلامية تفرض إنشاء جيل جديد للإسلام جديد في قوة إيمانه جديد في حماسه وثقته جديد في أخلاقه جديد في تفكيره وعقليته جديد في كفايته العلمية، واستعداده العقلي، وأن النجاح في هذا الانتاج البشري مقياس نجاح الدعوة فكلما كان النجاح كبيرا في إيجاد هذا الجيل، وتكوين هذا الشباب كان النجاح باهرا في الدعوة والرسالة.

ومعلوم أن إنشاء الجيل الجديد أو تقويم الجيل المعاصر الذي لم يفقد صلاحيته، ونموه ليس بالأمر الهين إنها مهمة لتنوء بالعصبة أولي القوة إنها تحتاج إلى تكريس الجهود، وتركيز القوى على هذه الغاية، والتفكير العميق الواسع، والتعاون الشامل والتصميم الحكيم أنها تتطلب أساليب التربية الحكيمة العميقة الأثر وجهودا عملية في ميدان الدعوة، والإصلاح إنها تتطلب حركة التأليف، والإنتاج الواسعة، ومقدارا كبيرا من الابتكار إنها تتطلب وضع منهاج جديد على أساس جديد للدراسات، ومثالا جديدا من المدارس والكتليات والجامعات ومؤلفات ومنشورات جديدة في شرح الدين الإسلامي، وعرض الفكرة الإسلامية، وتأليفات جديدة في السيرة النبوية، وتدوين جديد للتاريخ الإسلامي، وسبك جديد للعلوم الإسلامية، وتفسير جديد للعلوم الكونية، وتلقيح علمي جديد للصحافة، والأدب والروايات والشعر، إننا أمام انقراض عقلية وركام بشري وخامات مهملة تبني بها بيتا جديدا، ونصنع بها سفينة جديدة تمخر عباب الحوادث، والموانع وعلينا أن نبدأ في عمل جديد، وجهاد جديد يستغرق وقتا طويلا ويستنفذ جهودا عظيمة، وذلك إن كان عملا شاقا طويلا متعبا مملا متعبا، ولكن لابد من إنجاز هذا العمل ومن مواجهة هذه الحقيقة والتغلب على العقبات التي تعترض سبيلها.

هذه خصائص الدعوة النبوية وخصائص الدعوة التي تكون على قدم النبوة وواجباتها، وبذلك تمتاز عن الحركات القومية والاصلاحات الاجتماعية والثورات السياسية والاقتصادية، ومن هذه المنابع نستمد القوة والروح ونستحق من الله النصر، ونجلب الرحمة فلنحافظ عليها محافظتنا على الشعائر والعقيدة، ولنحرص عليها حرصنا على الحياة والقوة.

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

من هذه الدراسة المذكورة التي يُستنبط من خلال فكر الأستاذ الندوي في ضوء كتبه، أن المسلمين والدعاة والأمراء والعلماء، يركز في حياتهم الدين الإلهي، والقُدوة الحسنة الذين من قبلهم، ويوجّه إلى البيئة والجو التي فيهم، ويشجع نفوسهم وأولادهم بنشر الإسلام، وسدّد أمام الأديان الباطلة (خاصةً فتنة الغرب والأوروبا) من العلوم الصناعي والحربي والعلوم الفني بحسب الضرورة، ويوافق لعصرهم، وبعض النكات التي يكون في مسؤوليتنا وواجباتنا في زمن الحديث أخذت من دراسة فكر الأستاذ الندوي فيما يلي:

1. التعمّق في العلوم الإسلامية كما نرى في الصحابة-رضي الله عنهم- ورجال الإصلاح والتجديد.
2. والضرورة لإحياء الشعور الروحي والخلقي.
3. التركيز لعلوم الصناعية والحربية والفنية مما يساعد على وقف فتنة الغرب.
4. الإستمرارية والتسلسل في الإصلاح والتجديد.
5. المثابرة والصبر على إبتلاء الفتنة المعاصرة.

ونحن نرى جميع هؤلاء النكات في الصحابة- رضي الله عنهم- ومن تبعهم إلى يومنا كما قال الشيخ الندوي-رحمه الله: " فلم نعرف دوراً من أدوار التاريخ أكمل وأجمل وأزهر في جميع هذه النواحي من هذا الدور، دور الخلافة الراشدة فقد تعاونت فيه قوة الروح والأخلاق والدين والعلم والأدوات المادية في تنشئة الإنسان الكامل، وفي ظهور المدنية الصالحة، وكانت حكومة من أكبر حكومات العالم، وقوة سياسة مادية تفوق كل قوة في عصرها"⁽¹⁾. فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يقف جميع المسلمين للاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم ورجال الإصلاح والتجديد، والدعاة والعلماء.

الفصل الثاني: خصائص الدعوة المكانية في فكر الأستاذ الندوي

التمهيد:

قامت الدعوة الى الله تعالى على أصول راسخة ومنطلقات ثابتة وملامح ظهرت واطردت في مناهج الأنبياء في الدعوة عامة واكتمل بدر تمامها في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وفي ضوء هذه الأصول بقي أهل السنة والجماعة بهذا الواجب قائمين وعن الإسلام منافحين ينشرون علماً ويحققون توحيداً ويتبعون آثاراً ويربون جيلاً ويقىمون معروفاً ويهدمون منكراً ويجاهدون عدواً ويجمعون الدين علماً وعملاً.

ففي هذا الفصل نحن نذكر خصائص الدعوة المكانية من خلال فكر الاستاذ الندوي في ضوء كتبه.

المبحث الأول: عالمية الدعوة الإسلامية

قد ذكر الأستاذ الندوي خصائص الدعوة طرق مختلفة، فبعضها تتعلق بالبلاد الإسلامية، ومنها ما يتعلق بالبلاد الغير إسلامية، وبعض الخصائص تتعلق كافة الناس، يعني هذه خصائص الدعوة الذي يتعلق إلى جميع العالم. وهذه الخصائص فيما يلي:

1- العقيدة أولاً:

الخاصية الأولى من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية، التركيز على العقيدة أولاً وقبل كل شيء، فما زال الأنبياء من لدن آدم إلى محمد ﷺ، يدعون إلى عقيدة معينة يوحى بها إليهم، يدعون إليها، ويطالبون بها. قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وإن أنجح إنسان في تأسيس حكومة، أو إنشاء مجتمع، أو إحداث انقلاب، لاقيمة له عندهم إذا لم يقتن كل ذلك بعقيدة جاءوا بها ودعوا إليها، ولم يقم كل هذه الجهود على أساسها، وهذا هو الخط الفاصل الواضح العريض بين دعوة الانبياء، وبين الزعماء والقادة القوميين والانقلابيين والثوريين والنفعيين والماديين، وكل من كان مصدر تفكيره غير مصدر تعاليم الأنبياء وسيرهم لسبب من الأسباب الاصلية أو الطائفة من التعليم والتربية، أو رد من ردود الفعل، أو الحب الزائد لتحقيق النتيجة المطلوبة، أو قلب نظام أو انتصار أو انتقام".¹

والقرآن وسيرة جميع الأنبياء عليهم السلام شاهدة عليها كما حكاها الله تعالى عن نبيه إبراهيم، الذي وصف بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾⁽²⁾، وأيضاً قال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾³.

وفي الحديث جاءت شواهد كثيرة على هذا، كما في رواية مسلم: (ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لا تقبل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين).⁴

¹ - العقيدة والعبادة والسلوك، للعلامة الندوي، ص: 22، دار القلم بيروت، ط: 3، 1403هـ/ 1983م.

² - سورة هود، الآية: 75.

³ - سورة الممتحنة، الآية: 4.

⁴ - رواه مسلم، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، 1/196، الرقم: 365.

وقد ثبت هذا أن العقيدة في الدعوة إلى الله أهم شيء، وبدونها لم يقبل أي عبادة وعمل الخير، فلهذا صفة العقيدة يوجد في سيرة جميع الأنبياء، وعلى الداعي أن يستحضر هذه الصفة في دعوته إلى الإسلام، لأن هذه خصوصية من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية.

2- الإخلاص وطلب رضا الله عزوجل:

والثاني من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية: إنما هو طلب رضا الله تعالى لاغير، وهو كالسيف الحاد الذي يقطع كل شيء ويأتي على كل شيء، فلاعرض من متاع الدنيا، ولا غرض من حكم ورياسة أو ملك، ولاطلب علو في الأرض، أو سيطرة على الناس، أو تمتع برفاهية أو بذخ أو غضب أو حمية وغير ذلك من الأغراض الدنيوية تقتزن بسيرة الأنبياء، وحياتهم في الدعوة إلى الله.

وقد تجلّى ذلك في دعاء الرسول في الطائف في أروع مظهره، إذ قال: وقد لقي هناك ما لقي من الأذى والجفاء، ولم يتحقق الغرض الذي جاء لأجله، فما أسلم أحد من الناس، ولكنه يقول في أدق ساعة وفي أحرج الأحوال النفسية: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي).¹

وأيضاً في قصة نوح عليه السلام، أنه قد مضى المدة كلها في شغل شاغل من الدعوة إلى الله وانصراف إليها، واتخاذ الأساليب كلها لاقتناع الناس بها، فالله سبحانه وتعالى يحكى هذه القصة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا - فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا - وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا وَثِبَتُهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا - ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا - ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾⁽²⁾، فالنتيجة حسبنا ما يقول القرآن: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾⁽³⁾، ولكن نوح عليه السلام لم يتسخط ولم يعتب، ولم يعتبر كل مجهوده قد ذهب سدى ولم يؤثر في مكانته عند الله.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد وعد الله بالعلو والغلبة للمؤمنين، إذا تحققت فيهم الصفات الإيمانية، وعملوا لرضا الله تعالى، ولم يكن هدفهم العلو، فإن العلو نتيجة لاغاية ومنحة لاهدف".⁴

¹ - البداية والنهاية لابن كثير، 2/150.

² - سورة نوح، الآية: 5-8.

³ - سورة هود، الآية: 40.

⁴ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 29.

فلنكن على حذر من كل ما يعارض صفة القلب السليم، ويتحول إلى وثن من الأوثان، أو حباله من حبال الشيطان، ويكون سهيما في حب الله تعالى ومشاركاً له.

3- الغيرة والحمية:

والثالث من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية: إنما هو سمة من دعوة الأنبياء عليهم السلام، أنهم قد اشتدت غيرتهم على ما جاءوا به من عقيدة ودعوة وشريعة، فلا يرضون في حال من الأحوال بإحداث تعديل فيها، أو تغيير لها، حتى لمصلحة من مصالح الدعوة.

ونحن نرى هذا في دعوة الأنبياء أنهم يدعون إلى الله لمداهنة عندهم ولا مساومة، ولا تنازل ولا عدول، ولا إرجاء ولا تأجيل، كما قال الله تعالى لآخر نبيه ﷺ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾¹.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "ولكن كل هذا التيسير والتدرج، ومراعاة الحكمة والمصلحة والنظر إلى استعداد النفوس، إنما هو في التعليم والتربية وفي المسائل الجزئية، ومما ليس من العقائد ومبادئ الدين في شيء، أما ما كان من العقائد والمبادئ والفرائض والنصوص وما يفرق بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، وكان من شعائر الإسلام وحدود الله، فالأنبياء عليهم السلام على اختلاف عصورهم، أصلب فيه من الحديد، وأثبت عليه من الجبال، لا يعرفون تنازلاً، ولا يعرفون هواده، ولا يرضون مساومة"².

فعلى الداعي أن ينشأ في دعوته هذه الخصوصية لتؤثر دعوته في المجتمع والعالم الإنساني، لأن هذه من خصائص الأنبياء وسيرهم.

4- التركيز على جانب الآخرة:

والرابع من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية: هو التشديد والتركيز على جانب الآخرة واللهج بها، والاشادة بذكرها، وهذه ميزة من الدعوة النبوية، ودعوة الأنبياء إلى الإيمان بالآخرة كضرورة خلقية، وكحاجة إصلاحية لا يقوم بغيرها مجتمع فاضل، ومدنية صالحة، فضلاً عن المجتمع الإسلامي، والأنبياء يتكلمون عن الآخرة بان دفاع والتدافع، ويدعون إليها بحماسة وقوة، وما بقي من الرجال المصلحين وقادة يتكلمون بقدر الضرورة.

¹ - سورة الحجر، الآية: 94.

² - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 37.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ورجال التربية والإصلاح وقادة الجماعات العقلاء يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية، أو الحاجة الاجتماعية، وبدافع من الإصلاح والتنظيم الخلقي وشتان ما بين الوجدان والعاطفة، وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية".¹

فعلى الداعي أن يدعوا الناس في دعوته إلى الآخرة لأن أصل الحياة حياة أخروية والدنيا فقط للأعمال والإختبار.

5- الدعوة إلى حاكمية الله في الحياة الخاصة والعامة بمحبة ورضا:

والخامس من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية: أن الله هو الحاكم الحقيقي، والحكم المطلق وشرع الدين من حقه، كما قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾⁽²⁾، وايضاً قال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾⁽³⁾، ولكن صلة العبد وربّه أشمل وأوسع، وأعمق وأدق بكثير من صلة الحاكم والمحكوم، الأمر والمأمور، والسلطان والرعية، فيتقرب العبد إلى الله بالتحاكم إليه عن حب وقناعة، ورضا في حياته الخاصة في الحياة الاجتماعية، ويعظم ربه ويراقبه سبحانه في كل أمور في حركاته وسكناته وعباداته ومعاملاته وأخلاقه، وكل شؤونه.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد لهج القرآن بذكر أسماء الله وصفاته في بسط وتفصيل، وأسلوب شيق جميل، لايدلان أبداً، على أن المطلوب من العبد هو الايمان بمجرد حاكميته المطلقة، والاذعان بسلطته العليا، وأن يشرك آخرين في سلطته، إن هذه الاسماء والصفات والأفعال الإلهية، التي زخر القرآن بذكرها، وماورد من الآيات التي فيها مدح الحب لله، والحث على ذكره الكثير الدائم- تتطلب في صراحة أن يحب العبد إلهه وربّه بقلبه وقالبه، وأن يتفانى في طلب رضاه، وأن يتغنى بمجده ويسبح بحمده".⁴

وهذه الميزة أشدّ مانكون بحاجة إليها في هذا العصر، فعلى الداعي أن يعمل عليها بقوة وحماسة، لأن هذه خاصية من خصائص الدعوة النبوية.

¹ - الصراع بين الايمان والمادية للعلامة الندوي، ص: 89، 90، دار القلم دمشق، ط: 1، 1418هـ/ 1997م.

² - سورة يوسف، الآية: 40.

³ - سورة الشورى، الآية: 21.

⁴ - التفسير السياسي للإسلام، للعلامة الندوي، ص: 78، 79، دار القلم الكويت، ط: 3.

6 – دافع الحب للداعي يكون خاضعاً لأحكام الشريعة متأسياً بأسوة الصحابة رضي الله عنه:

والسادس من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية: أن شأن الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم مع الأمم التي يبعثون، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم القدوة للإنسانية والمثل الكامل في الأخلاق والأذواق، والأخذ بالرد، والحب والرضا، من الله تعالى، أحاطت العناية الإلهية والقبول الرحمني بنفوسهم، والحياة التي كانوا يعيشونها، وشملت أخلاقهم وعاداتهم، وأصبح لهم شعاراً خاصاً بحبة الله ورضاه، وأصبحت الدعوة إليه عامة وعلانية وأعلن الله تعالى على لسان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾¹.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وامتاز بهذا الحب وكان له فيه النصيب الأوفر كل من تشيع بروح هذا الدين وأراد الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين، من العلماء الراسخين والمصلحين المجددين والقادة المصلحين، وهذا الحب – الخاضع لأحكام الشريعة وآدابها والمتأسى بأسوة الصحابة – يعين على الاتباع الكامل، والاستقامة على الشريعة، ومحاسبة النفس الدقيقة الأمينة، والطاعة في المنشط والمكروه، ويزيل الأمراض النفسية ويركئ النفس ويهذب الأخلاق.

وقال: "فإن موجة الحب تجرف بالحشيش وتسرى في النفوس سريان النار في الهيشم، وقد أصبح المسلمون بعد ما كانوا مع الحب لله ولرسوله – شعلة من الحياة، وجذوة من النار، ركاما بشرياً، أو فحماً حجرياً، بعد عهده بالنار والحرارة".²

7- دين الإسلام آخر الأديان وبينه خاتم الأنبياء:

والسابع من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية: إنما هو الدين الإسلام أبدي و خالد، فقد أعلن انتهاء تعليم البشر العقائد والشرائع، وما تتوقف عليه سعادتهم في الدنيا، ونجاتهم في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾⁽³⁾، وهذا الدين قد بلغ طوره الأخير من الكمال والوفاء بحاجات البشر، والصلاحية للبقاء والاستمرار، لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁴.

¹ – سورة آل عمران، الآية: 31.

² – العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 46.

³ – سورة الأحزاب، الآية: 40.

⁴ – سورة المائدة، الآية: 3.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وقد استطاعت هذه الأمة- بفضل هذه العقيدة- أن تقاوم المؤمرات الدقيقة، وتحافظ على وحدتها في الدين والعقيدة، ولا يزال لها مركز موحد ومصدر علمي وثقافي عالمي، وشخصيته مجمع عليها، ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً فيجتمع لها الشمل وتتوحد لها الكلمة، ويقوي عندها الشعور بالمسؤولية، وقوة مقاومة الفساد، وإقامة الحق والعدل وموازين القسط، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الدين الخالص، ولا تنتظر لذلك نبياً جديداً يبعث، أو أماماً معصوماً ينهض، فيحقق ما عجز الأنبياء عن تحقيقه، ويكمل ما تركوه ناقصاً".¹

8- الدين محفوظ من التعريف والدعوة إليه تصون الأمة من التحريف:

والثامن من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية: إنما هو هذا الدين بقاءه على أصالته وحيويه، محفوظاً كتابه مفهوماً، مصونة أمته من الضلال العام والجهالة المطبقة والانحراف الاجتماعي كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾، الذي ابتلت به الأمة المسيحية في عهدها الباكر.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "ولم تصب هذه الأمة حاملة الرسالة الأخيرة التي أخرجت للناس، والتي يرتبط بها مصير الانسانية، بالعقم والجذب الفكري الدائم، ولاتعيش في عمى وضلال عن مقاصده ومتطلباته، ولا تجتمع على ضلالة، كما جاء في حديث: (أن لا يجمع أمتي على ضلالة)⁽³⁾، وكل فساد وانحراف يغزو هذه الأمة إنما هو طاريء ودخيل، ومناف لطبيعتها وهو كالغبار على جوهر أصيل، وذهب وهاج، لا يلبث أن ينتفض ويتطاير بتأثير القرآن والسنة، والدعوة إلى الدين الخالص، وحركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".⁴

9- الدعوة الإسلامية تحتاج إلى مناخ إسلامي والجو الإيماني:

والتاسع من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية: أن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى مناخ إسلامي وبتعبير أدق وأكثر وضوحاً إلى طقس ودرجة حرارة وبرودة معينة، لأنه دين حي إنساني، ليس ديناً عقلياً يعيش في المخ، أو في فلسفة أو مكتبة، بل بالعكس إن الإسلام في وقت واحد، عقيدة وعمل، وسلوك وخلق

¹ - النبي الخاتم للعلامة الندوي، تلخيص، المختار الإسلامي، ط: 1، 1395هـ/1975م.

² - سورة الحجر، الآية: 9.

³ - رواه أحمد في مسنده، باب حديث أبي بصرة الغفاري، 200/45، الرقم: 27224، (ويأتي بتمامه في كتاب الفتن - وفيه رجل لم يسم، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، 1/177).

⁴ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 51.

وعاطفة وشعور وذوق يسيطر على التفكير والشعور، ويتحكم في موازين الأشياء والقيم، إنه يسبك الإنسان سبكاً جديداً، ويصوغ الحياة صياغة جديدة، لذلك نرى أن الله تبارك وتعالى يسمى الإسلام بصبغة الله، والصبغة لون شامل وسمة مميزة، وطابع ممتاز، وللإسلام حساسية زائدة بالنسبة إلى الديانات الأخرى، إنه يتأثر أكثر من كل دين، له حدود معروف معينة، لا يمكن أن يتخطاها المسلم، ولا مفهوم للردة ولا شناعة لها، في دين آخر، بالمعنى الواضح الذي نجده في الشريعة الإسلامية، والتصور الإسلامي.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "كل القرائن تدل على أن الله تعالى كان يريد كجمع القرآن صيانة صحيفة حامله، وبفضل ذلك بقي امتداد الحياة المباركة -على صاحبها الصلاة والسلام- على مدى الاجيال والقرون، وظلت الأم في كل دور من أدوارها تنفس في ذلك المناخ الإسلامي الروحاني، والعلمي والإيماني، الذي سعد به الصحابة رضي الله عنهم مباشرة، تعرف بذلك الفرق بين المعروف والمنكر والسنة والبدعة، والأصيل والدخيل، وتحمل ميزان الحرارة، أو مقياس الضغط الجوي، الذي يعرف به علماء هذه الأمة مدى ابتعاد المجتمع الإسلامي المعاصر، أو الجيل الإسلامي الجديد عن الحياة الإسلامية المثالية".¹

هذه طبيعة وخاصة الدعوة لهذا الدين الخاصة به، وسماته البارزة، وملاحظه المميّزة له عن غيره، التي تتكون منها شخصيته التي يجب علينا أن نتعرف بها ونغار عليها لنقدر هذه النعمة قدرها، ونأمن من الالتباس، وقياس هذا الدين على غيره من الديانات والفلسفات البشرية، ونكون على بينة من الأمر، وشعور بعظم المسؤولية ودقة الأمانة.

¹ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 54، انظر للتفصيل: دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته، للعلامة الندوي، المجمع الإسلامي العلمي في ندوة العلماء لكتاؤ الهند، ط: 2، 1310هـ / 1989م.

التمهيد:

إن العالم الإسلامي اليوم يواجه خطراً كبيراً في هذه الناحية، فإن المسلمين يجدون من أهل السداد والحق ضعفاً واستنامةً، في الوقت الذي تتحمس القوى المشبوهة في العالم الإسلامي، فإذا لم تكن هناك دعوة إيمانية، صحيحة متحمسة قوية، لم يمكن صدُّ الغزو العقائدي والفكري الذي يغشى العالم الإسلامي من حين لآخر، ونقطة أخرى لفت الانتباه إليها سماحة الأستاذ الندوي في هذه المحاضرة هي ترك حياة البذخ والترف التي تيسرت لكثير من الدعاة والعاملين للإسلام اليوم ووسائلها، وضرورة اختيارهم لحياة البساطة التي هي حياة أهل الجد والعمل من الدعاة والمجاهدين، والتي عاشها أسلافنا العظماء، ولا يمكن التغلب على حب الدنيا وكرهية الموت والاستماتة في سبيل الحق والتضحية بالنفس والمال بغيرها وهي الحياة التي تلقى دائماً من الناس تقديراً لائقاً، ومحبة وإعجاباً، ويكون لها تأثير في النفوس.

خصائص الدعوية لحماية الأقطار العالم الإسلامي من الفتن والتحديات المعاصرة في فكر الأستاذ الندوي:

1- تحريك الإيمان في نفوس الشعوب والجماهير المسلمة:

تحريك الإيمان في نفوس الشعوب والجماهير المسلمة، وإثارة الشعور الديني فيها، فإن تمسك هذه الشعوب والجماهير بالإسلام، وتحمسها له، هو الشعور القوي العالي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد، وكثير من القيادات وحكومات العالم الإسلامي في حظيرة الإسلام، وهي مادة الإسلام ورأس ماله، والخامات الكريمة التي تستخدم لأي غاية نبيلة، وهي من أقوى المجموعات البشرية، وأحسنها سلامة صدر، وقوة عاطفة، وإخلاص، وذلك مع تحقيق الشروط، والصفات التي تستحق بها هذه الشعوب النصر من الله، والتغلب على المشكلات، والانتصار على العدو، كتصحيح العقيدة، وإخلاص الدين الله، والابتعاد عن كل أنواع الشرك والعقائد الفاسدة، والعادات الجاهلية، والتقاليد غير الإسلامية، وعن النفاق، والتناقض بين العقائد والحياة، والقول والعمل، وسير الأمم القديمة التي استحققت بها عذاب الله وخذلانه، وكذلك سيرة الأمم المعاصرة التي نسيت الله، فانساهها نفسها، وقادت العالم إلى النار والدمار.¹

هذا مع تنمية الوعي الصحيح، وتربيته، والفهم للحقائق والقضايا، والتمييز بين الصديق والعدو، وعدم الانجذاب بالشعارات والمظاهر، حتى لا تتكرر ومآسي وقوع هذه الشعوب فريسة للهتافات الجاهلية،

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 587/1.

والنعرات القومية، أو العصبية الغوية والثقافية، ولعبة القيادات الدّاهية والمؤامرات الأجنبية، فتذهب ضحية سداجتها وضعفها في الوعي الديني، والعقل الإيماني.

2- صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف:

صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف، ومن إخضاعها للتصورات العصرية الغربية، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية، والتجنب عن تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً بحتاً، والمغالاة في "تنظير الإسلام" ووضعه على مستوى الفلسفات العصرية والنظم الإنسانية، لأن هذه الحقائق الدينية هي أساس للإسلام الدائم، والأصل الذي منه البداية، وإليه النهاية، وإليها كانت دعوة الأنبياء، وفي سبيلها كان جهادهم وجهودهم، وبها نزلت الصّحف السماوية، والحذر من كل ما يقلل من قيمة الصلة بين الله والعبد، والإيمان بالآخرة وأهميتها، ويضعف في المسلم عاطفة امتثال أمر الله وطلب رضاه، والإيمان، والإحتساب، والقرب عند الله تعالى، وهذا التحول يفقد هذه الأمة شخصيتها، وقوتها، وقيمتها عند الله، وكذلك الحذر من كلّ ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية، والشرك الجليّ، والعادات، والعبادات الجاهلية، والاكتفاء بمحاربة النظم والتشريعات والحكومات غير الإسلامية، فإن ذلك يتّجه بهذا الدين عن منهجه القديم السماويّ إلى المنهج الجديد السياسي.¹

3- تقوية الصلة الروحية والعقلية والعاطفية بالنبّي صلى الله عليه وسلم والحب العميق له:

تقوية الصلة الروحية والعقلية والعاطفية بالنبّي ﷺ، والحب العميق له، الذي يؤثّر على النفس، والأهل، والولد، كما جاء في حديث الصحيح⁽²⁾، والإيمان به كخاتم الرسل، وإمام الكل، ومنير السبل، والحذر من كل العوامل والمؤثرات التي تسبب تخفيف منابع هذا الحب، وتحدّث جفافاً في الشعور، وضعفاً في العمل بالسنة، وتجزؤاً في القول، وإنصرافاً عن الافتخار به، والولوع بدراسة سيرته، وكلّ ما يحرك هذا الحب ويغذّيه، ولعلّ البلاد العربية (بفعل أحداث، ودعوات قومية) أحوج إلى العناية بهذه النقطة، وأحقّ بها من غيرها، ففيها كانت البعثة المحمدية، وفي لغتها نزل القرآن ونطق الرسل.³

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 588/1.

² - لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين، (صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، 15/1).

³ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 588/1.

4- إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة:

إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة، ومن بيدهم القيادة الفكرية، والتربوية، والإعلامية في البلاد والحكومات الإسلامية بصلاحية الإسلام وقدرته، لاعلى مسايرة العصر، وتطوراتهِ وتحقيق مطالبه، بل على قيادة الركب البشريّ إلى الغاية المثلى وتجديف سفينة الحياة إلى برّ السلام والسعادة، وإنقاذ المجتمع البشريّ من الانهيار والانتحار الذي تعرضت لهما تحت القيادة الغربية الخرفاء، وأنه ليس "بطارية" قد نفذت شحنتها أو ذبالة قد نفذ زيتها، واحترقت، واحترقت فتيلها، بل هو الرسالة العالمية الخالدة، وسفينة النجاة التي هي كسفينة نوح، لاينجو إلّا من ركبها.

إن ضعف هذه الثقافة، أو فقدتها هو داء هذه الطبقة المثقفة الناشئة في أحضان الثقافة الغربية، أو تحت ضغطها، وهو المسؤول عن كلّ تصرفاتها، وسبب الردّة الفكرية والحضارية، والتشريعية التي تكتسح العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وتعاني منه الشعوب المسلمة التي لاتفهم إلّا لغة الإيمان والقرآن، ولا تتحمّس إلّا للإسلام، وسبب حدوث هذا الخليج العميق الواسع بين القيادات والحكومات والشعوب والجماهير، سبب القلق الذي يساور النفوس، ويستهلك القوى والطاقات فيما لايعود على الأمة بفائدة.¹

5- قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب:

قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب، المنتشر السائد في العالم الإسلامي رأساً على عقب، وصوغه صوغاً إسلامياً جديداً، يتفق مع شخصية هذه الشعوب المسلمة، وعقيدتها ورسالتها، وقامتها، وقيمتها، لايبعد هذا الصوغ عناصر الإلحاد أو المادية، وتصور هذا الكون تصوراً مادياً، والعلوم وحدات متناثرة متناقضة، والطبيعة حرّة قاهرة، والتاريخ حوادث غير مرتبطة لقلق وصراع دائمين، ولا يصلح نظام التربية والتعليم إصلاحاً جزئياً فحسب، بل يبتكر ابتكاراً جذرياً، مهما استنفد من الطاقات، وكلف من الوسائل، والنبوغ والعبقريات، وبغير ذلك لايقوم العالم الإسلامي على قدميه وبرأسه، وعقله، وإرادته، وتفكيره، ولاتدار الحكومات والأجهزة الإدارية، والمرافق العامة برجال مؤمنين أقوياء أمناء مخلصين، يطبقون التعاليم الإسلامية في الحكومة والإدارة، والتربية والإعلام والمجتمع، فتمثل الحياة الإسلامية بجمالها وكماها، وينشأ المجتمع الإسلاميّ بسماته وخصائصه.²

6- حركة علمية قوية دولية:

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 589/1.

² - المصدر السابق ، 590/1.

حركة علمية قوية دولية، تعرّف الطبقة المثقفة الجديدة بذخائر الإسلام العلمية وتراث المجيد، وتنفخ في العلوم الإسلامية روحاً من جديد، وتثبت على العالم المتمدّن: أن الفقه الإسلاميّ وقانونه من أرقى القوانين وأوسعها في العالم، وهو يقوم على أساس من المبادئ الخالدة التي لن تبلى، ولن تفقد صلاحيتها في يوم من الأيام، وهي تصلح لمسايرة الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان، وتغنيها عن كل قانون وضعته أيدي الناس.

7- الحضارة عميقة الجذور في أعماق النّفس الإنسانية وفي مشاعر الأمة وأحاسيسها:

الحضارة عميقة الجذور في أعماق النّفس الإنسانية وفي مشاعر الأمة وأحاسيسها، وتجريد أمة عن حضارتها الخاصة، التي نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعته، وكان في صياغتها نصيبٌ كبيرٌ للدّوق الدينيّ الخاص، وطابع هذه الأمة الخاص - مرادف لعزلها عن الحياة، وتحديدتها في إطار العقيدة والعبادة والطقوس الدينية الضيّقة، وفصل حاضرها عن ماضيها، فلا بد للحكومات الإسلامية والجمعيات الإسلامية من التخطيط المدني الإسلاميّ المستقلّ، البعيد عن تقليد الغرب الأعمى، والارتجالية، ومركب النقص، ولا بدّ من تمثيل الحضارة الإسلامية في عواصمها وفي دوائرها، وفي بيوتها، وفي مجتمعاتها، وفي فنادقها، ومنترهاها، وإلى حدّ في مكاتبها، وطائراتها، وسفاراتها، وبذلك لا يعرض العالم الإسلاميّ نموذجاً للحياة الإسلامية، والمثل الإسلامية فحسب، بل يقوم بدعوة صامته للإسلامي.

8- معاملة الحضارة الغربية والاستفادة من العلم التي لديهم:

معاملة الحضارة الغربية بعلموها ونظرياتها واكتشافاتها وطاقاتها كموادّ خام يصوغ منها قادة الفكر، وولاة الأمور في العالم الإسلامي، حضارة قوية عصرية، مؤسسة على الإيمان، والأخلاق، والتقوى، والرحمة والعدل في جانب، وعلى القوة، والانتاج، والرفاهية، وحب الابتكار في جانب آخر، يأخذون من علوم غرب ماتفتقر إليه أمّتهم، وبلادهم، وما ينفع علمياً، وماليس عليه طابع غرب وشرق، ويستغنون عن غيره، ويعاملون الغرب كزميل وقريب، إن كان في حاجة إلى أن يتعلموا منه كثيراً، وربما كان ما يتعلمه الغرب منهم أفضل مما يتعلمونه هم من الغرب.¹

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 591/1.

9- ألقاع الحكومات بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية:

ألقاع الحكومات في بعض البلاد الإسلامية مثلت دوراً رائعاً في تاريخ الدعوة والحضارة الإسلامية، المشغولة بحرب إبادة للعنصر الإسلامي، أو عملية "تطوير للإسلام" وتفسيره وفق مصالحها السياسية، أو أهواء فاتها الشخصية، بأنها سياسة عقيمة لم تنجح في بلد إسلامي، وإقناعها بتوجيه طاقاتها وإمكانيتها إلى عدو مشترك، وإلى ما يقوي البلاد والأمة، وإقناع الحكومات المسلمة - المسلمة للإسلام - بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، وتهيئة الجو المناسب، المساعد على ذلك، وما يستتبع هذا الأمر من سعادة وبركة ونصر من الله، وسعي لتكون قيادة موحدة تقوم على مبدأ الشورى الإسلامي، والتعاون على البر والتقوى، والشعور بالتقصير على الأقل بعدم وجود الإمامة العامة، أو الخلافة الإسلامية التي كلف بها المسلمون وسيحاسبون عليها.

10- اتصال الدعوة إلى الالبلاد الغير إسلامية:

أما بالنسبة إلى الالبلاد الغير إسلامية، فالقيام بالدعوة إلى الإسلام، والتعريف به بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الإسلام وروح العصر، أما البلاد التي فيها الأقليات المسلمة، فالإهتمام بتمثيل الإسلام، والحياة الإسلامية تمثيلاً يلفت إليه الأنظار، ويستهيوي القلوب، والقيام بالقيادة الخلقية والروحية، وقبول مسؤولية إنقاذ البلاد والمجتمع من الانهيار الخلقي، والخوان الروحي، والتدهور الاجتماعي الذي تعرضت له هذه البلاد، حكومةً وشعباً، حتى يتهيأ للإسلام، أن يثبت جدارته وحاجة البلاد إليه، وتهيأ للمسلمين أن يقوموا بدورهم البلاغي والقيادي في هذه البلاد.

11- حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية في العالم الإسلامي:

وأخيراً لا أخراً هو ماتفرضه طبيعة الإسلام وتاريخه المجيد، وتقتضيه الفطرة السليمة، ونفسية الإنسان الدائمة، والأوضاع السائدة، هو وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية في العالم الإسلامي، تقتزن بصفات الرجولة، والطموح، وعلو الهمة، وبعد الرؤية، والقدرة على مواجهة الطاقات الرئيسة القائدة التي تملك زمام قيادة البشرية، وأصبحت تتحكم في مصائر الشعوب، والأقطار الإسلامية، من غير حق ومبرر، وذلك بإيمان القائمين بهذه الحركة والدعوة والقوية، وثقتهم بفضل الإسلام، وحاجة البشرية إليه.¹

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 592/1.

ويقترن نشاط هذه الحركة أو الدعوة الإسلامية بروح التضحية، والبطولة، والجلادة، والتقشف، والقدرة على المغامرات، إن كان لابد منها، فإن الناس مازالوا مفطورين على تقدير الإيمان القوي، والإعتزاز بالعقيدة والمبدأ، والاستهانة بالمادة واللذة والعزة، وروح المخاطرة، وعلى الإجلال لشيء لا يجدونه عندهم، فالضيف مفطور على احترام القوي، والفقير مفطور على احترام الغني، والأمي مفطور على احترام الغني، واللئيم مفطور على احترام الكريم، ولأن تاريخ الإسلام مليء بالبطولات والإقدام، ولأن الواعين والمتبوعين لواقع الأمم والبلاد، وأصحاب الضمائر الحية قد سئموا وضاقوا ذرعاً بسياسة الحكومات والقيادات الغربية والشرقية، وأصبحوا يمتنونها، ويكرهونها كرها شديداً.

إن وجود هذا الفراغ عدم وجود حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية، ومجتمع قوي سليم من أدواء العصر الحديث، والحضارة المادية الراعنة، يقوم على تعاليم الإسلام وقيمه ومثله، خطر كبير على الوجود الإسلامي، وعلى العقيدة الصحيحة والحياة الإسلامية، فإن وجود الفراغ في شيء ضروري وفي مصلحة بشرية شيء غير طبيعي لا يصلح للبقاء طويلاً، وقد يسبب ذلك نشوء حركة منحرفة زائفة، فاسدة العقيدة والمنهج، سلبية هادمة مدمرة، ويعرف الدارسون لتاريخ الديانات والدعوات والحركات، وللتاريخ العام، أنه إذا وجدت هذه الحركة المنحرفة واقتزن نشاطها ودعويتها بالتضحيات والمغامرات، وبالتقشف، ومظاهر الزهد، وهتافات التحدي للطاقت الكبيرة ومواجهتها لتهديداتها وأخطارها، بشجاعة وصمود، ونقدها للأوضاع الفاسدة السائدة في بعض أجزاء العالم الإسلامي التي لا تتفق مع تعليم الإسلام وقيمه ومثله، ولو كان في ذلك نصيب كبير من الدعاية والمظاهرة، ووسائل الإعلام الجبابة، وكان له سحر على النفوس، خاصة في أوساط المتعلمين وأنصاف المتعلمين، المتألمين من الواقع المرير الذي تورطت فيه بعض المجتمعات الإسلامية سحر لا يبطله وعظ واعظ، أو مقال لكاتب، أو استدلال منطقي أو بحث علمي، يشهد بذلك تاريخ الخوارج في القرن الإسلامي الأول، وتاريخ الباطنية والفدائيين في القرن السادس والسابع الهجريين، وحكايات حسن بن الصباح وما كان يجري في مركزه قلعة "الموت" وتاريخ كثير من الحركات العسكرية الثورة التي ظهرت باسم قلب الأوضاع الفاسدة باسم الإسلام والإصلاح كذباً وزوراً أحياناً كثيرة، وبعض الحركات والثورات المعاصرة التي استطاعت أن تجند ألوفاً من الشباب في تحقيق مآربها السلبية وأهدافها الخطيرة، يضحون بحياتهم في سبيلها متطوعين مندفعين، وقد استرعت انتباه العالم واستجابت لها بعض أوساط المعنيين باليقظة الإسلامية، والحاملين لمجد الإسلام وعظمته، من غير أن ينقدوها نقداً بريئاً جريئاً في ضوء النصوص.¹

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 594/1.

ويعرف قادة المسلمين ومفكروهم، أن السيل لا يمسكه إلا سيل مثله، والتيار لا يدفعه إلا تيار أقوى منه، وواقع العالم الإسلامي، اليوم في الجمود والاستنامة والإخلاد إلى الراحة وعدم وجود دعوة إيمانية قوية وروح التضحية والفداء في سبيل العقيدة الصحيحة، والأهداف الصالحة، وعدم اكتفائهم العسكري والفكري، نذير خطر دائماً، ومهد الطريق للوقوع في شبكة هذه الدعوات المنحرفة الزائفة، التي يجد فيها شباب المسلمين والمتذمرون من الأوضاع الحالية طلبتهم ومنشودهم، وما يرضي طموحهم، ويزيل قلقهم، وإن كان ذلك: ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾⁽¹⁾، ولكنها نفسية الإنسان وتجربة الأمم، والحقيقة الأليمة التي يجب أن ينتبه لها كل معني بحاضر الإسلام ومستقبله، وسلامة العقيدة، وصحة التفكير ، والإيمان بالله ورسوله وتعاليمه.

¹ - سورة النور، الآية: 39.

المبحث الثالث : خصائص الدعوة في الالبلاد الغير إسلامية

التمهيد:

انطلقت هذه الدعوة من جزيرة العرب، ومن مكة المكرمة، ثم انتقلت، لأنها طوردت وهوربت في بلدها ووطنها- إلى مدينة يثرب، واستقبلتها هذه المدينة، واستمر القرآن ينزل، واستمر الرسول عليه السلام يدعو الناس، وحوله وحول الجزيرة مدينتان قد بلغتا أوج الحضارة، وأوج التقدم، وأوج الرفاهية، وقد بلغنا أوج الشعور الرقيق، وأوج الآداب والعلوم، والفنون والفرق المعماري، والنظم السياسية، والدساتير الدقيقة، وقد جاء جستن على عرش روما، وجاء أنو شيروان على عرش "إيران" فسنا قوانين دقيقة، وحكمت الدولة الساسانية الفارسية النصف الشرقي من العالم، وطوقتا الجزيرة العربية، وصارتا تيسران الإنسانية كلها، والمثل، والموازن، فكانتها هما المنتهي في السعادة، وفي الرقي، والمنتهى في العلم والتقدم.

واستمر السلف الصالح على هذا المنوال في تمحيص وتمحيص النصيحة للخلق لا يحركهم في ذلك إلا حب الله ورسوله ﷺ، والرغبة في نيل الثواب والأجر من الله، ولم يكونوا يرتزقون بالدلالة على الله أو ييغونها عوجا، فقامت في الأرض حضارة أساسها القرآن أينعت أغصانها وأثمرت أشجارها في العالم المعروف آنذاك.

فالدعوة إلى الإسلام هي نهي عن ضده أي زجر عن الكفر وتقبيح للإلحاد وتسفيه للشرك وتنفير من ملابسة عورة التمرد على الخالق جل جلاله.

وبالفعل دخل في هذه الملة الحنيفية شعوب وأمم وقبائل مازالت ذرياتها وسلالاتها إلى الآن تنتسب إلى القبلة وتعترى إلى الشريعة الطاهرة.

والداعي الكبير الشيخ الندوي قد أجرى هذه السلسلة الدعوية إلى الله في عصره في مختلف البلاد الإسلامية و غير الإسلامية، لكن سمات الدعوة إلى الله فيهما مختلفة، وإن شاء الله نحن نذكر في السطور الآتية سمات الدعوة/ خصائص الدعوة في البلاد الغير إسلامية (خاصة المجتمع الأوربي والأمريكي)¹من خلال فكر الأستاذ الندوي، لأن نحن المسلمون مسؤولون أمام الخالق سبحانه في أمر إيصال تعاليم دينه لجميع أنحاء العالم وتبليغه معنى وحي البارئ جل وعز.

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 2/1138.

خصائص الدعوة إلى الله في البلاد الغير إسلامية:

خصائص الدعوة أو سمات الدعوة الإسلامية يشتمل على ثلاثة جوانب:

- جانب العقيدة: المشتملة على أصول الدعوة، وهي عبارة عن الإيمان بالله تعالى، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، وبالملائكة وبالكتب المنزلة، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، فهذا يمتاز المسلمون من غيرهم، فهذا أول أمر للدعوة في بلاد غير المسلمين.
- جانب الشريعة: المتكونة من فروع الدعوة، وهي التشريعات والعبادات التي فرضها الله عز وجل.
- جانب الآداب والأخلاق: وهي تظهر في إصلاح المجتمع، وهذه النتائج الضرورية للعقيدة والشريعة، وهي مجموعة المحاسن النفسية والروحية، وتظهر آثارها في الأقوال والأفعال.¹

وتلك الجوانب الثلاثة تحيط بالحياة الإنسانية والاجتماعية أفراداً وجماعةً والدعوة الإسلامية في بلاد غير المسلمين خصوصاً وفي بلاد المسلمين عموماً الأستاذ الندوي بحث عليها المسلمين في البلاد الغير إسلامية، وقال في محاضراته (إلى الشباب المسلم في ديار الغرب)، التي القاها خلال زيارته للندن، أمام الطلاب والشباب: "إنها فرصة تفتح فيكم كوة جديدة للإيمان والثقة بالإسلام، والافتناع بما حواه القرآن، ودعوة الأنبياء في عصورهم، ودعوة آخر الرسل في عصره الذي لانهاية له إلا بنهاية هذا العالم، ونهاية الحضارة البشرية، كوة لاتنفتح إلا في مثل المجتمع الذي تعيشون فيه اليوم، وفي "معمل" الحضارة الغربية الذي لا يوجد في الشرق وفي بلاد الإسلام ومهد الحضارة الإسلامية".²

وأيضاً قال في هذه المحاضرة: "وكان هتافه "لا إله ولا دين، ولا غيب، ولا إيمان، ولا روح، ولا أخلاق، ولا آخرة ولا مباديء"، فأصبحوا في الزمن الأخير يحاربون المتقيدين أو المحترمين للمباديء الدينية، أو الخلقية، ويسمونهم (Fundamentalists) (المبدئين)، وإنما هو حسن وتجربة، أولذة أو منفعة، أو قومية ووطنية....".³

فلهذا الدعاة والإسلاميين حينما يدعوهم في البلاد الغير إسلامية فيدعوهم من هذه الجوانب الثلاثة في الدعوة إلى الله، وهذه خصائص الدعوة الإسلامية في بلاد غير المسلمين، لأن البلاد الغير إسلامية تتبع

¹ - انظر الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها وفقه الدعوة إلى الله، ص 426، د. علي عبدالحليم محمود 113/1، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ط: 3، 1412 هـ 1991 م. والمدخل إلى علم الدعوة: د. محمد أبو الفتح البيانوني ص 184، مؤسسة الرسالة ط: 2، 1414 هـ 1993 م. ومرشد الدعاة: الشيخ محمد نمر الخطيب ص 24 دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط: 1، 1401 هـ 1981 م

² - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 1138/2.

³ - المصدر السابق، 1139/2.

المجتمع الأوربي في العصر الحاضر، والمجتمع الأوربي قد آمن فقط "بالمادية"، كما ذكر الأستاذ الندوي: "والمجتمع الأوربي المعاصر قد اقتبس من كل هؤلاء وتأثر بمجموعهم في قليل أو كثير، وآمن بالقدر المشترك بينهم وهو "المادية".¹

والتفصيل فيما يلي:

1 - جانب العقيدة:

إن سمة هذا الدين الأولى وشعاره المميز الأول التركيز على العقيدة أولاً وقبل كل شيء، فما زال الأنبياء من لدن آدم إلى خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، يدعون إلى عقيدة معينة، يوحى بها إليهم، يدعون إليها. وإن أنجح إنسان في تأسيس حكومة، أو إنشاء مجتمع، أو إحداث انقلاب، لاقيمة له عندهم إذا لم يقتزن كل ذلك بها ودعوا إليها.²

عند التأمل في كتب الأستاذ الندوي تظهر بعض الخصائص والسمات المتعلقة بطبيعة الدعوة الإسلامية في البلاد الغير إسلامية، وهي:

التوحيد المطلق لله تعالى:

ومقصد بعثة الأنبياء، وأساس دعوتهم، ومنتهى أعمالهم، وغاية جهودهم، وقطب الرحي في حياتهم ودعوتهم، حولها يدندنون، ومنها يصدرن، وإليها يرجعون، ومنها يبدأون وإليها ينتهون، والقرآن تارة يقول بالإجمال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽³⁾، ويذكر أن افتتاح دعوته كان بهذه الدعوة إلى التوحيد.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولا يزال هذا هو "توحيد" الركن الأساسي في الدعوات الدينية وحركات الإصلاح إلى يوم القيامة، وهو تراث النبوة الخالدة، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽⁴⁾، وشعار جميع الدعاة إلى الله وجميع المصلحين المجاهدين".⁵

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 1140/2.

² - انظر العقيدة والعبادة والسلوك للعلامة الندوي.

³ - سورة الأنبياء، الآية: 25.

⁴ - سورة الزخرف، الآية: 28.

⁵ - العقيدة والعبادة والسلوك للعلامة الندوي، ص: 74، 75.

والتركيز على العقيدة والعمق فيها أول أمر في دعوة بلاد غير المسلمين، لأن عرض العقيدة أمام المسلمين الجدد قبل كل شيء، فإذا لم يكن العلم العميق في العقيدة فكيف سيدعو الدعاة والمسلمون غير المسلمين لهذه العقيدة، وبالعقيدة يمتاز المسلمون من أهل الديانات الأخرى.

القرآن العظيم:

والثاني من خصائص الدعوة في بلاد غير المسلمين، هو الدعوة القرآن الكريم، وجود هذا الكتاب العظيم المتدفق بالحياة، الكفيل بسعادة البشرية وتوجيهها، يحمل أعظم علم وأعمقه بين دفتيه، ويملك أعمق تأثير في القلوب والعقول، وهو ثروة البشرية العظمى، والمعين الذي لا ينضب، والمدد الذي لا ينفد، قد أحدث أعظم ثورة في تاريخ البشرية، ويستطيع إذا أطلق له العنان وحكم في قيادة الإنسان أن يحدث أعظم ثورة مرة أخرى.

السيرة النبوية:

ولم تكن أقواله ﷺ هي سبيل دعوته إلى الله فقط، بل كان فعله وحُلقه مع قوله وكلامه، إذ كيف يدعو الداعية إلى شيء وهو لا يفعله ولا يطبقه على نفسه، فسلوك الداعي وأفعاله أكبر أثراً في المدعوين من أقواله، ومن ثم حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - من يخالف فعله قوله تحذيراً شديداً، فقال: (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية).¹

وفي رواية أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء من أمتك، يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب).²

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "السيرة النبوية العطرة التي هي أجمل صورة على الإطلاق في مجموع الصور البشرية الفنية، وأعظم صفحة مشرقة في تاريخ البشر، تعيد إلى الإنسانية كرامتها ومكانتها، وتعيد الثقة

¹ - رواه البخاري، باب صفة النار وأنها مخلوقة، 121/4، الرقم: 3267.

² - رواه مسند، باب مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، 158/21، الرقم: 20211، (رواه ابن أبي الدنيا في "كتاب الصمت"، وابن حبان في "صحيحه" واللفظ له، والبيهقي، صحيح التَّزْيِيب والتَّزْيِيب، محمد ناصر الدين الألباني، 584/2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1421 هـ - 2000 م).

والاعتزاز في نفس الإنسان بأشرفية النوع الإنساني، الصور التي لا يملك أمامها الإنسان - إذا لم يفقد حسَّ الجمال وحبَّ الكمال - إلا أن يفتخر بأنه من نوعه ومن بني جنسه، ويتمنى أن يتسامى بتقليده للصور التي يجد فيها كل إنسان قوة، وسكينة، وأسوة، وقُدوة، وحياة، وتوجيهاً، وجوانب مشرقة تفتح منافذ جديدة، وتثير معاني جديدة، وهذه الصورة لاتزال بملامحها وقسماتها الأصلية لم تطوها يد الزمان".¹

إن السيرة النبوية هي سمات الدعوة في بلاد غير المسلمين وسجل الكامل الذي يبين حياته صلى الله عليه وسلم، وما جرى له فيها من أحداث في مكة والمدينة، ويظهر من خلالها كيفية دعوته وطريقة تعامله مع أصناف الناس، المؤمن منهم والكافر، والطائع والعاصي، ونستلهم منها أساليب الدعوة ووسائلها الصحيحة، لأنها تعطينا نموذجاً حياً لمختلف الظروف والأحوال التي يمكن أن تتكرر مع الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان، فما من موقف يقع فيه الداعي، أو حدث يمر به أو مشكلة تواجهه، إلا ويجد مثلها. أو قريب منها في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم وهذه أساس للدعوة إلى الله في بلاد غير المسلمين.

2- جانب الشريعة:

الشريعة الإسلامية:

فمن أعظم الخطأ والجهل اليوم ما يتصوره أو يقوله بعضهم من أن واجب الدعوة والإرشاد هو وظيفة رجال الدين فليس في الإسلام طبقة رجال دين بالمعنى المعروف في الأديان الأخرى، وهي طبقة كهنوتية ذات سلطة دينية تقيم نفسها وسيطاً بين المؤمن وربّه، ولا يكون المؤمن مقبولاً عند ربّه إلا عن طريقها بل كل مسلم مسؤول عن الإسلام كما هو مسؤول عن نفسه وعن يتبعه من أسرة، وكل مسلم راع وهو مسؤول عن رعيته في حدود ما ائتمن عليه وتولاه من أمرها، كما أعلنه الرسول ﷺ في صحيح أحاديثه المنقولة الثابتة: (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته)⁽²⁾، سواء أكان المسلم محكوماً أم حاكماً، وسواء أكان رجلاً أم امرأة، وسواء أكان عالماً فقيهاً أم إنساناً عادياً في المجتمع الإسلامي.

فعندما ينتفي احتكار السلطة الدينية يتوزع الواجب على الجميع، وتعمهم المسؤولية عن الدين، وهذا ما قرره الإسلام.

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 1143/2.

² - رواه البخاري في صحيحه، باب الجمعة في القرى والمدن، 5/2، الرقم: 893.

يتضح من جميع ما تقدّم أن الله سبحانه الذي جعل الإسلام خاتمة شرائعه المنزلة قد حمل جماعة المسلمين مهمة الأنبياء السابقين في واجب الدعوة إلى دين الله، ذلك أن الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم كان كل منهم يبعث ليلم شريعة من سبقه، وجاء الإسلام في النهاية بعد أن تأهّلت البشرية لتلقّي الشريعة الإسلامية الكاملة التي لا تحتاج إلى تكميل، وأعلنها الله سبحانه صريحة مدوية حاسمة في محكم قرآنه حين وصف رسوله محمداً ﷺ بأنه خاتم النبيين، وأنه ما أرسله إلا كافة للناس لا لقوم دون سواهم، أو لبيئة أو لعصر مخصوصين، وأن رسالته رحمة للعالمين أجمعين، وأعلن استكمال جميع عناصر الشرع الإلهي بالإسلام في قوله عزّ من قائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾¹، فحين كان الأمر كذلك، ولم يبق من تكميل لشرائع الله السابقة يحتاج إلى نبيٍّ مرسل، وانحصرت حاجة المستقبل في انحصار الدعوة إلى الدين الأخير والشريعة الكاملة، وهو دينٌ واضح المعالم، مُعلن النصوص، ليس فيه سر محتكر لدى فئة من الناس تزعم لنفسها امتيازاً فيه أو وساطة بين الله تعالى وعباده، بل الناس فيه سواء لا يتميّزون إلا بالعلم المفتّح الأبواب للجميع، والمطلوب من الجميع، وإلا بالتقوى وحُسن السلوك إلى الله.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وجود الشريعة الإسلامية كما تركها صاحب الرسالة محفوظة في أصلها وأساسها غنية في ثروتها الفقهية، صلبة مرنة لا تتنازل عن القديم، ولا تتجهّم للجديد، تحلّ من ماضيها، ولا تفرّ من حاضرها، تالدة خالدة، صالحة لكلّ عصر وبيئة، تعطي الأسس الحكيمة التي يقوم عليها مجتمع جديد وحضارة صالحة".²

أما اليوم فنتيجة للغزو الفكري الذي ابتلى به العالم الإسلامي الضعيف المتخاذل، الذي أصبح كثير من أبنائه عدواً لدينه، قبل أعدائه الخارجين التقليديين، وأصبح المتدينين فيه من الدّهماء لا يعرف من جوهر الإسلام شيئاً، ولا يظن الإسلام إلا مجرد صلاة وصيام يكلفانه تضحية ما، ويخلط بذلك من الخرافات الدخيلة ما يُشوّه جمال الإسلام بمظاهر جوفاء وبدع طارئة، فمعرفة الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى الله في خارج بلاد المسلمين شيء لازم، لأن التعرف للدين الإسلام والشريعة الإسلامية هي أساس في خصائص الدعوة لبلاد غير السلمين، فوجب على الداعي في الدعوة إلى الله أن يتصف بهذه السمة الدعوية عند

¹ - سورة المائدة، الآية: 3.

² - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 1143/2.

دعوة في بلاد غير المسلمين، وهذا فكر لأستاذ الندوي رحمه الله، أنه ذكر هذا في سمات الدعوة لغير المسلمين في البلاد الغير إسلامية.

3- جانب الآداب والأخلاق:

العاطفة الدينية القوية في المسلمين:

العاطفة الدينية فريضة إسلامية؛ وذلك أن الإيمان مهيم لا يقبل أنصاف الحلول، ولا يقبل منك أن تنطق باللسان، وليس هذا في حد ذاته كافياً في وصف الإيمان، فقد بين ذلك الله جل وعلا في شأن أهل النفاق فقال عنهم: ﴿آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾⁽¹⁾، ولا يكتفي منك أيضاً بمجرد الامتثال بالحركات والأعمال، فإن ذلك قد كان دأب المنافقين أيضاً؛ كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَسَالَىٰ يُرَاءَوْنَ النَّاسَ وَلَا يُذَكِّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽²⁾، فإن الإيمان شرطه أن يستولي على القلب، وأن يضرب أوتاده في أعماق النفس، ولا يرضى إلا أن يكون حاكماً على كل إحساس وعلى كل شعور وعلى كل خفقة قلب، وعلى كل خلجة نفس، فلا بد أن تحكم بهذا الإيمان، لأن الإيمان يغير الإنسان من داخله، فيغير مشاعره؛ ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: (إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)⁽³⁾، فليس لك أن تحب كما شئت، أو أن تبغض كما شئت، أو أن توافق هوى نفسك، أو أسلوب تربيتك، بل إذا تغلغل الإيمان في قلبك وجدت هذه العواطف؛ ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾⁽⁴⁾، فهذا الحب المرتبط بالله عز وجل والمحبة المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة الأخوة الإيمانية بين أهل الإسلام كلها أمور إسلامية إيمانية من أخص خصائص هذا الدين ومن أعظم أركان هذا الإيمان، ولا يمكن أن نتصور إيماناً أو إسلاماً بدون تحققها الكامل، ولذلك ينبغي أن يعلم العبد المؤمن أن هذه الحقيقة ينبغي ألا تغيب عن باله مطلقاً ولهذا مؤثر جداً للدعوة إلى الله في البلاد الغير إسلامية.

¹ - سورة المائدة، الآية: 41.

² - سورة النساء، الآية: 142.

³ - الشيخ أحمد عز الدين الببانوي لمحات من حياته وتعريف بمؤلفاته، د. عبد المجيد الببانوي، 1/158، الشاملة الذهبية.

⁴ - سورة البقرة، الآية: 165.

العاطفة الدينية القوية تكون جسراً وحلقة وصل بين الداعي والمدعو:

فنحن نعلم أن المحبة ابتداءً أمر إسلامي إيماني بحيث لا بد أن يحب المرء أخاه، ولا شك أنه إذا اتصل بآخر ليووجهه وينصحه ويدعوه إلى الخير فإنه سيكون بينهما ارتباط واتصال أكثر، وهذا يعني أن تكون محبته له أعظم وأكبر، وهذا أيضاً أمر مسلم به.

ونحن نعلم أيضاً أن لهذه المحبة عندما تفيض في السلوك والتعامل مع المدعو أعظم الأثر في استمالة قلبه وإقناع عقله وتأثره بالداعية كقدوة يقتدي به في كثير من أحواله وسلوكياته.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وجود العاطفة الدينية القوية في المسلمين على علاقتهم وموضع الضعف فيهم، وانقيادهم للدعوة الدينية وخضوعهم لها، إذا وجد الدعاة المخلصون، وهذه قوة قد فقدها، وأفلس فيها عامة الأمم الغربية، وهي قوة لا يعرف قيمتها إلا من اشتغل بالدعوة والتجديد الديني في أمة من الأمم، و من رأى إخفاق هؤلاء الدعاة في إعادة الحياة الدينية والروح الدينية في هذه الأمم".¹

وقال الأستاذ الندوي في هذه الميزات التي ذكرت في السطور السابقة، ويحث عليها الطلاب المسلمين الذين يعيشون في البلاد الغير إسلامية للتعليم ولحصول المهارات في أي مجال: "أنتم أيها الإخوة المسلمون المغتربون في أوروبا وأمريكا! تشاركون هذه الأمة العظيمة في هذه الميزات، وأنتم عضو في هذه الأسرة العظيمة ورثتم كل ما ورثته أسرتكم الإسلامية العالمية، ليس بالمعنى الذي يفهمه الجهلاء من عضوية أسرة كريمة فاضلة، وليس بمفهوم التراث الإسلامي (Legacy of Islam)، ولكن بالمعنى الرفيع العميق الذي يفهمه العقلاء من أعضاء أسرة مثلت دوراً ممتازاً في خدمته العلم والدين، فعليكم أيها الإخوة الفضلاء! أن تدرسوا الإسلام من جديد، وفي ضوء هذه الميزات التي عرضناها باختصار، وأن تفقهوا الإسلام وتجيدوا فهمه وتعمقوا في دراسته، وأن تقبلوا على استعراض القرآن والتدبر فيه كأنه كتاب عرفتموه حديثاً".²

وأيضاً قال: "عليكم أن تمثلوا هذا "الإسلام" تمثيلاً صحيحاً في أوروبا وتظهروا بالعقيدة الإسلامية، وتحافظوا على فرائض الإسلام وأخلاقه وشعائره في شجاعة وثقة، لأنكم تمثلون أفضل دين وأصح عقيدة في بيئة تفتقر إليها أشد افتقار، وبذلك تحسنون إليها، وتحسنون إلى الغير من زملائكم وإخوانكم المسلمين".³

¹ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 1143/2.

² - المصدر السابق، 1144/2.

³ - أيضاً المصدر السابق، 1144/2.

فهذه الخصائص التي تستنبط من فكر الأستاذ الندوي للدعوة لغير المسلمين عموماً، وخاصةً في بلاد غير المسلمين للدعوة إلى الله.

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

الإسلام ليس ديناً خاصاً بقوم معينين، بل الإسلام دين أبديّ عالمي يحيط جميع المجتمع البشري، ليس خاصاً لمنطقة معينة، أو قوم معين، والداعي الأول والأعظم الرسول الكريم ﷺ هو المثال والقدوة لجميع البشر وجميع الأجيال البشرية، والدعوة الإسلامية لها منهجية خاصة، تأثر من عصر إلى عصر، ومن جيل إلى جيل، ومن منطقة إلى منطقة.

وفي العصر الحديث يجب على الداعي والمصلح والنائب للرسول ﷺ أن ينشر الإسلام ويبلغ الدعوة إلى الله بخصائصها لكي تؤثر على الناس، وأسلوب الدعوة إلى الله يستنبط من المصادر الأصلية (الكتاب والسنة)، ليكون أمامه سير الأنبياء عليهم السلام، والصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، والسلف، ويجب على الداعي أن يعرف خصائص الدعوة الإسلامية العالمية، ويعرف خصائص الدعوة لبلاد المسلمين وغير المسلمين، لأنه حينما تدعوا إلى الإسلام فلا يشكل علينا وتكون الدعوة مؤثرة بإذن الله.

ولهذا نحن نذكر في السطور الآتية بعض النقاط التي تساعد الداعي في مجال الدعوة إلى الله:

1. التعميق في الدراسة الإسلامية الجديدة في العصر الحديث.
2. التركيز على فرائض الإسلام وأخلاقه وشعائره في شجاعة وثقة.
3. تعريف النفس وعلو منزلته عند الله تعالى، لأن أمة محمد ﷺ أفضل وأكرم من جميع الأمم.
4. يفهم الغنيمة هذه الفرصة لإصلاح الناس في ديار غير الإسلام.
5. ولا يكتفي أن يقرأ الكتب ونسمع المحاضرات الإسلامية فقط وإن كانت الكتب والمحاضرات لاغنى عنهما، وهما مفيدة لاشك! لكن نحتاج إلى مناخ إسلامي، نحتاج إلى جو إسلامي، نحتاج إلى صبغة إسلامية، نحتاج أن نشاهد الإسلام بعيوننا، ونسمعه بأذاننا، ونتلمسه بأصابعنا، ونتذوقه بأذواقنا، فلا بدّ من هذا صحبة المؤمنين الصادقين.

ولذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى يقول لنبية، وأنتم تعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم هو النبي المعصوم، وهو المثال والقدوة لعامة الناس، لكن الله يحث نبيه على الصحبة الصالحة: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَ مَنْ أَغْفَلْنَا
قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا¹.

¹ - سورة الكهف، الآية: 28.

الفصل الثالث: أنواع الدعوة

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى الدين. أما بعد!

لم تزل في الدنيا منذ وجدت دعوتان متنافستان متصارعتان، دعوة تدعو إلى اتباع النفس وتحكيمها، وإلى حرية الإنسان المطلقة، التي لا تقف عند حد إلا إذا اضطرت إلى ذلك وإن كان في غضون هذه الحرية وأثناؤها مئات وآلاف من أنواع الرق والعبودية، ودعوة تقول: إن الإنسان عبد لله، مكلف ومسئول أمامه، وتدعو إلى اتباع الوحي من الله وشرائع الأنبياء عليهم السلام.

الدعوة الأولى هي "الجاهلية" في مصطلح الإسلام الواسع، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾¹، والباطل كله ضلال لقوله تعالى: ﴿فَدَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾²، والدعوة الثانية هي دعوة الإسلام نفسه، واقتسمت هاتان الدعوتان أمم العالم وأجياله، ومنذ ثلاثة عشر قرناً ونصف، اختار الله لقيادة الدعوة الثانية "الإسلام" أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وكتب لهم الإمامة في ذلك إلى يوم القيامة، كما ورد في الكتاب المجيد: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾³، وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾⁴.

في هذا الفصل نحن نذكر أنواعاً لقسم الدعوة الثانية "دعوة الإسلام" من حيث الداعي والمدعو وموضوعها من خلال فكر الأستاذ الندوي رحمه الله رحمة واسعة.

¹ - سورة الحج، الآية: 162.

² - سورة يونس، الآية: 32.

³ - سورة الأنعام، الآية: 153.

⁴ - سورة البقرة، الآية: 257.

المبحث الأول: أنواع الدعوة من حيث الداعي/ المكلف بها

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وعلى أصحابه أجمعين أما بعد!

الداعي ركن خاص من أركان الدعوة إلى الله، وسيد الدعاة محمد صلى الله عليه وسلم هو الداعي الأول والأعظم، وأيضاً الداعي مسؤول أمام الله في الدنيا والآخرة، فلهذا نحن نذكر في هذا المبحث ترجمة الداعي ومسؤوليته من خلال فكر الأستاذ الندوي في كتبه.

تعريف الداعي/ المكلف بها:

الداعي في اللغة: هو من يدعو إلى دين أو فكرة.

والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داعٍ.

ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى دين، أو بدعة، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة.

وقيل: الداعية: صريح الخيل في الحروب، لدعائه من يستصرخه. يقال: أجيئوا داعية الخيل.

والداعي في الاصطلاح هو: المبلغ للإسلام، والمعلم له، والنبي، صلى الله عليه وسلم، داعي الله تعالى.¹

كما في قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾².

أنواع الداعي:

في فكر الأستاذ الندوي رحمه الله، للداعي نوعان باعتبار ما يدعو إليه:

الأول: داعي الدنيا، شعاره ودعوته إلى الدنيا، وجمع الأموال والجباية والضرائب كما هو حال كثير من أهل الحكومة ودعاة السلاطين.

الثاني: داع إلى الله والدار الآخرة.

وكل له طابعه الخاص ونفسية خاصة، ونتائج دعوتها متميزة ومتباينة.

¹ - لسان العرب، 259/14.

² - سورة الأحزاب، الآية: 46.

والأول منهما يغفل تربية الجمهور الدينية والخلقية، ويعطل الحسبة والرقابة على الاخلاق والنزعات، ويتغافل عن كل ما ليس بسبيلها، وما لا يجز عليها فائدة مالية أو قوة سياسية، وقد تبيح منكرا أو محرما إذا كانت تجني منه نفعاً، وتحرم مباحا إذا كانت تخاف منه خطرا سياسيا أو خسارة مالية، ولا يزال الجشع والنهامة للمال تدفعها وتزين لها خطتها، حتى تفرض ضرائب على العبادات، وعلى الموت والحياة، وخلاصة هذا لا يهتمها الا جمع الأموال وزيادة الأرباح.

وأما الداعي إلى الهداية: فمهمته الدعوة الى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعياره تحسن أخلاق الجمهور، وسمو روحهم وتحليهم بالفضائل واقبالهم على الآخرة، وزهدهم في الدنيا والقناعة في المعيشة، واجتنابهم المحرمات والمعاصي، وتنافسهم في الخيرات، ولو كان ذلك على حساب ميزانيتها وخسارة مالياتها، وتشجع الحسبة، وتمنع الخمر، وتنكر على الفجور، وتحرم الملاهي والمعازف، وتطارد المستهترين والخلعاء، وتمنع كل ما يفسد على الناس عقيدتهم وأخلاقهم، ويفسد الحياة المنزلية، وتغص في حكمها المساجد، وتقفر الحانات، ويزدهر الدين والتقوى، وتضمحل المعاصي والجنايات، ويقوم أهل الدين والصلاح وينشطون ويتحمسون، ويتوارى الفجار والملحدون وينكمشون، ويكون ما وصفه الله تعالى: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)¹.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "يمتاز جهاز حكومة الهداية بأسره عن جهاز حكومة الجباية بأسره، يمتاز عنه في النزعات والروح، والسيرة والمعاملة والسلوك، فنرى في الأول التطوع والاحتساب، وروح الخدمة والإيثار، والأمانة والتضحية والوفاء، بينما نرى في رجال حكومة الجباية معاكسة القانون ورجاله والاجتهاد في معاجزته والتفلة منه، والكبر والتعجب، والآثرة والخيانة، والنفاق والزور، وفشو الرشوة الى حد يدعو الانسان بين الركن والمقام أن لا يبتلى منهم"².

فموضوع المبحث الداعي الذي يدعو الناس إلى الهداية وإلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و يقرب من عمل الخيرية، ويبعد من عمل السيئة.

فضائل الداعي إلى الهداية:

للداعي فضائل كثيرة منها:

¹ - سورة الحج، الآية: 41.

² - إلى الإسلام من جديد، ص: 109.

1- أن له مكانة حسنة في هذه الأمة، فقلوه أحسن الأقوال وكلماته أحسن الكلمات :

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾¹.

2- إنه من أهل الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة:

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾².

3- الداعي إلى الله يعيش تحت رحمة الله ومنه وفضله:

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾³.

4- يستمر أجره وثوابه عند الله حتى آخر رجل يتبع ما دعى إليه:

لقوله صلى الله عليه وسلم: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)⁴.

مسؤولية الداعي إلى هداية الله:

بين الأستاذ الندوي رحمه الله في محاضراته "العوامل التي تتكفل بنجاح الدعوة وتوجيه الأمة" مسؤولية الداعي إلى الهداية والصراط المستقيم في عاملين أساسيين هما:

1- تملك الفكرة وسيطرتها على الداعي:

تملك الفكرة وهيمنتها على مشاعر الداعي، وأن تجرى منه مجرى الروح والدم، وأن تمتزج بنفسه، هناك يكون الداعي هو الداعي الموفق الملهم، المؤيد من الله الذي سيكتب له النصر، ولا يكتب له أي إخفاق أو فشل.

¹ - سورة فصلت، الآية: 33.

² - سورة آل عمران، الآية: 104.

³ - سورة التوبة، الآية : 71.

⁴ - رواه أبو داود في سننه، باب لزوم السنة، 201/4، الرقم: 4609، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط:1، 1430 هـ - 2009 م.

وشرطه هذا لا تكون الدعوة صناعة أو حرفة أو فناً، وأيضاً لا تكون الدعوة حذقة ومجرد براعة في الخطابة، بل تكون الدعوة عقيدة وفكرة، حتى إذا أراد الإنسان أن يتخلى عنها لم يستطع ولم يقدر، وهذا كان شأن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم الردة: (أينقص الدين وأنا حي).

2- التجرد عن المطامع الدنيوية:

فهو التجرد عن المطامع، والزهد في الدنيا، لأعني به زهداً نصرانياً، ولازهداً رهبانياً، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ¹﴾، ولا رهبانية في الإسلام، ولكن الدعوة تحتاج إلى شيء من سمو النفس وعلو الهمة، والتجرد عن المطامع، والزهادة في المناصب والوظائف الكبيرة، إن من توجهون إليهم قد علموا أنكم تنافسونهم في ملكهم، وفيما وسع الله به عليهم، فإنهم يشكون في إخلاصكم، ويكون حرباً عليكم، فأوضحوا لهم أنكم لستم طلاب ملك، ولا طالبي جاه و منصب، ولا رواد ثروة ورخاء، أو مدفعين من شحّ وحرص.²

وعليه فإن الأستاذ الندوي يذكر بعض ما يلزم الداعي من الأخلاق والأوصاف لنجاح دعوته وأداء مسؤوليته على أحسن وجه.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "يجب أن يكون الدعاة يمتازون عن الدهماء والجماهير، ودعاة النظم الجديدة، والفلسفات الجديدة، والفلسفات السياسية، والاقتصادية بقوة إيمانهم، وحرارة قلوبهم، وزهدهم في زخارف الدنيا، وفضول العيش، ونهمهم للمادية، ومرض التكاثر، فإنهم لا يستطيعون أن يرثروا فيمن يخاطبهم، ويحملوهم على إثارة الدين على الدنيا، والآجلة على العاجلة، وتلبية نداء الضمير على نداء المعدة، والنفس، والشهوات، وإشعال مجامير قلوبهم التي انطفأت، أو كادت تنطفئ، إلا إذا شعر الناس فيهم بشيء لا يجدونه في قلوبهم وحياتهم"³.

وفيما يلي نجمال تلك الأخلاق والأوصاف التي ذكرها الشيخ الندوي رحمه الله كما في كتابه الإسمعيات⁴:

¹ - سورة الحديد، الآية: 27.

² - انظر: محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 420/1.

³ - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، ص: 412.

⁴ - هذه مجموعة لطيفة من أحاديث وخطبات الشيخ الندوي رحمه الله، التي وجهها إلى البلاد العربية عن طريق إذاعتها- خلال زيارته المختلفة لها، وهي أولاً في زيارته الثانية للحجاز عام 1951م، بعنوان "بين العالم وجزيرة العرب"، وفي زيارته الأولى لمصر عام 1951م، بعنوان "اسمعي يا مصر"، وفي زيارته لسوريا عام 1957م، بعنوان "ط اسمعي يا سوريا"، وفي

1- الإخلاص لأن العمل لا يصح ولا يقبل إلا به.

2- أن يتحلى بالعلم والعمل معاً، الحرص على طلب العلم، والتحلي بآدابه، ثم العمل بما يقتضيه العلم؛ ليكون من الداعيين إلى الله على بصيرة: لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹⁴. العلم الذي به تصح النية، والمنهج، وأهم العلوم التي يحتاجها الداعية إلى الله، علم الكتاب والسنة، وما يتفرع ويتصل بهما، وتحصيل العلم لا يتم إلا بالجد والحرص عليه، والسؤال عنه كما كان حال سلفنا الصالح الذين ضربوا أروع الأمثلة وأعظمها في ذلك الأمر، كما أن العلم يحتاج إلى سرعة العمل به، والاستجابة لأوامره، والانتهاز عن نواحيه، وإلا أصبح الإنسان به، كمثل الحمار يحمل أسفاراً، فلا بد من الورع والتقوى، وقوة الصلة بالله، وذلك من خلال المحافظة الشديدة على الفرائض، والإكثار من النوافل، واللجوء إلى الله، على كل حال. وذلك لأن الداعية محل نظر المدعويين وقدوتهم.

3- أن يعرف الأصول الثابتة للدعوة: لئلا ينحرف عنها نتيجة لما قد يقابله من عقبات أثناء دعوته.

4- أن يكون عارفاً بأحوال الناس خبيراً بما يدور في مجتمعه، لأن الدواء يُحدد بناءً على معرفة الداء.

5- أن لا يستخدم الوسائل الممنوعة في دعوته: لأنه لا يمكن أن يصل الداعية إلى الحق عن طريق الباطل مهما كان مزيناً ومزخرفاً، وقد كان بعض الناس ممن ينسب للدعاة في الزمن الماضي يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعون عليه الأحاديث بقصد ترغيب الناس في العبادة، فإذا اعترض عليهم أحدٌ قالوا: نحن نكذب له لا عليه. والعلماء لم يجوزوا هذا النوع من الكذب بحال، مع ما فيه من ترغيب العوام في العمل بالسنة.

6- مخالطة الناس في مجتمعه والتعرف على أحوالهم: لأنه كلما كان الداعية محبوباً لدى الناس كانت استجابتهم لدعوته أكبر واجتماعهم حوله أكثر قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ

زيارته للكويت عام 1962م، بعنوان "اسمعي يا زهرة الصحراء"، وكذلك في زيارته للإيران عام 1973م، بعنوان "اسمعي يا إيران"، وكذلك احاديث وخطابات أخرى ألقاها في زيارات مختلفة في فترات متقطعة. (السمعيات للعلامة الندوي، ص: 5، دار ابن كثير دمشق-بيروت، ط: 1، 1423هـ/2002م).

¹ - سورة يوسف، الآية: 108.

وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ¹، وقال صلى الله عليه وسلم: (المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)².

7- أن يكون حريصاً على هداية من يدعوه، حريصاً على إيمانه ساعياً في ذلك بكل سبيل: وقد وصف الله سبحانه وتعالى نبيه بالحرص على هداية الناس، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ³﴾.

8- الصبر على تحمل الأذى في الدعوة إلى الله: فطريق الدعوة إلى الله ليس مفروشاً بالرياحين، ولا بد فيه من الابتلاء، لذلك كان من أوائل ما نزل على النبي ﷺ الأمر بالصبر مقروناً بالدعوة إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - قُمْ فَأَنْذِرْ - وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ - وَتِبَابَكَ فَطَحِّرْ - وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ - وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ - وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ⁴﴾، فلا بد للداعي إلى الله من التحلي بالصبر لأنه لا بد وأن يؤدي في دعوته فكل الرسل قد عودوا، وقد قال ورقة بن نوفل⁽⁵⁾ للنبي ﷺ: (لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي)، وقال ﷺ: (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل)⁶.

9- احتساب أجر الدعوة على الله: يجب على الداعي إلى الله أن يكون محتسباً لا يطلب على دعوته أجراً من الناس قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ⁷﴾، وحتى لا يتهم في دعوته وأنه لم يدع إلا للدنيا ولذلك أمر الله جميع رسله أن يقولوا: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى

¹ - سورة الكهف، الآية: 28.

² - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب في الصبر على المصائب، 201/12، الرقم: 9277، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند: 1، 1423 هـ - 2003 م.

³ - سورة التوبة، الآية: 128.

⁴ - سورة المدثر، الآية: 1-7.

⁵ - ورقة بن نوفل بن أسد الشاعر صاحب العلم في الجاهلية، وكان قد قرأ الكتب وتبحر في التوراة والإنجيل، وهو الذي لقينته خديجة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ووصفته له فبشرها بنبوته وله حديث. (الاشتقاق، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (المتوفى: 321هـ)، ص: 164، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط: 1، 1411 هـ - 1991 م).

⁶ - رواه البخاري، كتاب المرضى، باب: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، 115/7.

⁷ - سورة ص، الآية: 86.

رَبِّ الْعَالَمِينَ¹، وأتباع الرسل والأنبياء يجب أن يتأسوا بهم في دعوتهم إلى الله فتكون دعوتهم إلى الله من أجل دينه واحتساباً لله، وبهذا تجد دعوتهم القبول وتنفي عنهم الظنة ويكونون بعيدين عن الشبهة.

10- الدعوة إلى الله في كل وقت وفي جميع أحواله وظروفه: وهذا كان منهج جميع رسل الله عز وجل، كما قال الله تعالى حاكياً عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا - فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا - وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا - ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا - ثُمَّ إِنِّي أَعلنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا²﴾، وقال عن يوسف عليه السلام: "يا صاحبي السجن"، كما كان النبي ﷺ داعياً إلى الله عز وجل في جميع أوقاته.

11- الاستشارة، لأن الآراء عندما تجتمع تنضج وتخرج بصورة جيدة وقليلة الأخطاء.

كما ذكر أموراً أخرى أيضاً نذكرها باختصار:

12- الفطنة والفراسة.

13- التفاؤل، الثقة بنصر الله، وحسن الظن به.

14- حسن السمات.

15- حسن استغلال الفرص والمواقف.

16- فصاحة اللسان.

17- حسن الخلق، لأنه من أعظم ما يجذب المدعوين إلى الداعية، وإلى العمل بما يدعو إليه، وحسن الخلق يشمل عدة فروع، منها: الصبر، الجود، التواضع، الحلم والأناة، لعفو، الرفق واللين، الوفاء، الحياء، احترام الكبير، الرحمة، الحرص على النظافة.³

وخلاصة فكر الأستاذ الندوي هذا يعني واجبات الداعي على أساسين: كمال اليقين على الحق، وكمال الرحمة للخلق، فبقوة اليقين على الحق سبحانه تمنع عن الداعي شر المخلوقات، وقوة رحمته للخلق تمنعه أن

¹ - سورة الشعراء، الآية: 109.

² - سورة نوح، الآية: 2-9.

³ - تلخيص! روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، للعلامة الندوي، ورجال الفكر والدعوة في الإسلام، للعلامة الندوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: 2، 1428هـ/2008م.

يضر المخلوقات، فَتَسْلَم من شر الناس كلهم بقوة اليقين، وَيَسْلَم أهل الشر من الداعي بقوة الرحمة لهم، وبذلك تحصل الهداية والخير، وتجتمع القلوب على الدين.

وجميع هؤلاء الأصول والضوابط للداعي إلى الله تستنبط من فكر الأستاذ الندوي رحمه الله، التي ذكرت في الصفحات السابقة.

المبحث الثاني: أنواع الدعوة من حيث المدعو (أمة الدعوة، أمة الإنكار، أمة الإستجابة)

التمهيد:

المدعو ركن من أركان الدعوة، وهذا خاص في الدعوة إلى الله، المدعو أحياناً هو الفرد أو الجماعة الذي يقبل دعوة الداعي بغير نكير لدعوة في المسلمين، وأحياناً المدعو هو الفرد أو الجماعة الذي لا يقبل الدعوة إلا بالدلائل والتبيين، وهذا المدعو قد يكون في المسلمين عندما يدعو إلى عقائد صحيحة، وعموماً يكون في الدعوة غير المسلمين، ونجد هذا النموذج الدعوي في فكر الأستاذ الندوي رحمه الله مراراً وتكراراً، يعني كيف يدعو إلى الله لأمة الإنكار، وأمة الإستجابة، تكلمنا في المبحث الأول عن الداعي الذي يؤمن بالإسلام ويدعو إليه، والشخص الذي يدعى إلى الإسلام وهو المدعو، وهو ما نتكلم عنه في هذه المبحث، والكلام عن المدعو يستلزم التعريف به، وبيان ما له وما عليه، وأنواع/ أصناف المدعويين، من خلال فكر الأستاذ الندوي في ضوء كتبه.

تعريف المدعو:

المدعو! في اللغة: اسم مفعول مشتق من الفعل "دعا" و "دعو"، ومادته (د ع و)، والمعنى: من وُجِّهَتْ إليه الدعوة، وهذا الركن الثالث في الدعوة، فهناك داعية ومدعو وهناك شيء يدعو إليه، فالذي يدعو إليه هو دين الله عز وجل¹

المدعو! في الاصطلاح: عرف المدعو بعدة تعاريف، لكن أذكر هنا التعريف الشامل:

المدعو هو: "الإنسان، أي إنسان كان"²، وهو الإنسان مطلقاً، قريباً أو بعيداً، مسلماً أو كافراً، ذكراً أو أنثى، يشمل جميع الخلق، كما بيّن الأستاذ الندوي تحت آية الدعوة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في ضمن هذه الآية، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: "ما عدّد وما عيّن شيئاً معيّناً خاصاً، فمثلاً تدعون الناس إلى الإيمان بالله وحده، وإلى العقيدة الصحيحة... وأي إنسان تدعو إلى الإسلام"³.

¹ - انظر! أصول الدعوة، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص: 221، كود المادة GDWH5073، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

² - أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص: 373، مؤسسة الرسالة، ط: 9، 1421هـ-2001م.

³ - انظر! محاضرات الإسلامية في الفكر والدعوة، 428/1.

أنواع الدعوة من حيث المدعو:

يُستنبط من فكر الأستاذ الندوي رحمه الله نوعان أساسيان للمدعو،¹ فقد ذكر الأستاذ نماذج من القرآن في سيرة الأنبياء، كنموذج "إبراهيم، ويوسف، وموسى و خاتم الرسل عليهم الصلاة و السلام"، وغيرها من النماذج من رجال الدين في كتابه الشهير "رجال الفكر والدعوة في الإسلام"، وكيف تعامل المدعوين معهم، فهذا على نوعين:

1- أمة الدعوة أو أمة الإنكار: وهم المخاطبون بدعوة الإسلام، من الذين لم يستجيبوا لها.

2- أمة الإستجابة: وهم الذين استجابوا للدعوة وأسلموا.

أولاً- أمة الدعوة أو أمة الإنكار:

وتنقسم أمة الدعوة أو أمة الإنكار في فكر الأستاذ الندوي رحمه الله إلى ما يلي:

1- أهل الكتاب:

وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الديانات الماضية، كاليهود والنصارى، وخصوا بأهل الكتاب، لأن انتسابهم إلى كتب السابقة السماوية، وإن وقع في الشرك خاصة في هذا العصر. والأستاذ الندوي رحمه الله ذكر هذا النوع من المدعوين في كتبه "السيرة النبوية"، "ماذا خسر العالم"، "و روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة".

قال الشيخ الندوي رحمه الله في دعوة أهل الكتاب وكيفية دعوتهم: " انظر! النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عندما أرسل رسالة فيدعو فيها إلى الإسلام، ويبدأ في الدعوة بالأشياء التي تشترك بين المسلمين وأهل كتاب، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾².

¹ - انظر! إلى الإسلام من جديد للعلامة الندوي.

² - سورة آل عمران، الآية: 64.

وهكذا الأستاذ الندوي -رحمه الله- بدأ دعوة هؤلاء إلى الإيمان بالله أولاً، فتقدم دعوة هؤلاء على الإيمان بالله والشهادتين، ثم يُدعون إلى بقية الأركان في الإيمان، والإسلام والأحكام والشرعة بعد الإيمان، هكذا فعل الأستاذ الندوي لما ألقى محاضرة في أمريكا، وأكثر الحضور كان من أهل الكتاب...¹.

وأيضاً في الحديث: (إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)².

2- المشركون الوثنيون:

وهم الذين اشركوا مع الله غيره في الذات والصفات، والإعتقاد أو العبادة، نحو مشركي العرب، والوثنيون والهنود في الهند وأطرافهم خاصة وعموماً في جميع أنحاء العالم، كما في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾³.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله- في أوثان الهنود ومشركي العرب: " وفي فنائها "الكعبة" ثلاثمائة وستون صنماً وتدرجوا (مشركي العرب) من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة الحجر، من أي جنس كان، وكانت لهم آلهة من الملائكة والجن والكواكب، وكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله، وأنَّ الجن شركاء الله، فامنوا بقدرتهم وتأثيرهم وعبدوهم"⁴.

وأيضاً قال: " أما البرهمية - دين الهند الأصيل - فقد امتازت بكثرة المعبودات والآلهة والإلهات، وقد بلغت الوثنية أوجها في القرن السادس فبلغ عدد الآلهة في هذا القرن إلى 330 مليون، وقد أصبح كل شيء رائع،

¹ - انظر! محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 1146/2، بعنوان "احذروا من أن ينشأ إسلام أمريكي أورربي".

² - رواه البخاري، باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، 162/5، الرقم: 4347.

³ - سورة الزمر، الآية: 3.

⁴ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 67.

وكلّ شيء هائل، وكلّ شيء نافع، إلها يعبد، وارتقت صناعة نحت التماثيل في هذا العهد، وتأنق فيها المتأنقون"¹.

وكان الوثنيون المدعوون كثيرون في الهند، وتأسست الدولة الإسلامية في الهند في القرن الخامس في الهجري، واحتضنت العلم والدين، وقصدها العلماء والاشراف من أقصى العالم الإسلامي.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في محاضراته "الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها": "انتشر الإسلام بسرعة غريبة بتأثير أخلاقهم الطيبة وشخصيتهم القوية، وقد أسلم مئات الآلاف من الوثنيين على يد الشيخ معين الدين الجشي (م628هـ) في أجمير، وما جاورها من البلدان، وأسلم آلاف في بنجاب على يد الشيخ إسماعيل اللاهوري (م748هـ)، والشيخ فريد الدين الأجودهي (م664هـ)، وأسلمت كشمير كلها على يد السيد علي بن الشهاب الهمداني (م786هـ)"².

هؤلاء الشيوخ رحمهم الله تجردوا عن الشهوات ورفضوا الدنيا، وطلب الجاه والمال، فخضع لهم الملوك، وأتوهم صاغرين، والمدعوون تبعوا هؤلاء الأئمة والعلماء لتأثرهم بأخلاقهم العالية وانشغالهم بالدين الخفيف والعمل به.

وهذه الصفة نرى في الداعي الأول والأعظم فداه أبي وأمي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما يدعو "مشركي العرب" إلى الله تجدد أنه أليينهم عريكة، كما ذكر الشيخ الندوي في سيرة النبوية: "وقد كان أوسع الناس صدرا، وأليينهم عريكة، وأكرمهم عشيرة، وكان يمازح أصحابه، ويخالطهم ويحدثهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحرّ والعبد، والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر ولم ير ماذا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد"³.

ولكل نوع من هؤلاء أحكامه الخاصة به، ويدعوا جميعاً إلى الإيمان بالله وحده، وإلى الرجوع عن كفرهم وشركهم، وما أكثر الآيات التي تعرضت لدعوتهم في القرآن الكريم.

¹ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 64.

² - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 377/1.

³ - السيرة النبوية، 572.

3- الجاحدون والملحدون:

وهم الذين ينكرون وجود الله تعالى ويحدونه، كما هو حال (الدهريين)، وفي العصر الحديث المتبعين للفلسفة الأوروبية، وفي القديم الصين كانوا يقولون كما أخبر عنهم القرآن الكريم: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾¹، وأيضاً قال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾².

وهذا النوع من المدعو نجده في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، حينما أرسل رسالة إلى ملك الفرس "كسرى أبرويز" أنه مجوسي والمجوسي هكذا الملحد ومنكر من ذات الله تعالى، والشيخ الندوي ذكر ذلك في السيرة النبوية: "ولما كان كسرى أبرويز وقومه يعبدون الشمس والنار، ويدنون بوجود إلهين، أحدهما يمثل الخير وهو يزدان، والثاني يمثل الشر وهو أهرمن، وكانوا بعيدين عن مفهوم النبوة والتصور الصحيح للرسالة السماوية، جاءت في الكتاب الذي وجهه إلى الإمبراطور الإيراني عبارة: (وإني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً)"³.

يرى الأستاذ الندوي أن هذا النوع من المدعويين كثيرون في عصرنا، خاصة بعد الثورة الغربية، لأن الناس في أيامنا يميلون إلى المادة كما قال الشيخ الندوي في كتابه "إلى الإسلام من جديد" وابتلي المسلمون في هذه المرة بتأثير الحضارة الغربية. والفلسفة الغربية، بعبادة المادة وحب الدنيا، والجري وراء النفع العاجل، وتقديم المصالح الشخصية والمنافع المادية على المبادئ والأخلاق، شأن الأمم الأوروبية الجاهلية، فكانت هذه الأخلاق وهذه النفسية والتربية مانعا من الجهاد في سبيل الله واعلاء كلمته، ومن تحمل المشاق، وتجرع المرار، ومكابدة الأهوال والخسائر في سبيل المبدأ الصحيح والعقيدة السامية"⁴.

وجميع هؤلاء المدعويين لا يقبلون أي شيء من المسلمين عن الدعوة إلى الله إلا أن يتمسك المسلمون أنفسهم بالإسلام الحقيقي دون الخرافات، ويعملوا على دينهم بإخلاص، كما كان الحال في حياة السلف والخلف، ثم يدعوهم إلى الإيمان، بالحكمة والموعظة والقدوة الصالحة.

¹ - سورة الأنعام، الآية: 29.

² - سورة الجاثية، الآية: 24.

³ - السيرة النبوية، ص: 397.

⁴ - إلى الإسلام من جديد، ص: 73.

فغير المؤمنين في كل عصر ومصر ، لا يخرجون عن هذه الأنواع الأساسية للكافرين، مهما اختلفت أسمائهم، وتنوعت أساليبهم، فقد وجدو في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ويوجدون في الناس إلى يوم القيامة.

ثانياً- أمة الإستجابة: (المسلمون)

وهم الذين استجابوا للدعوة وأسلموا.

وقد قسم الله تعالى في كتابه المجيد المدعوين المسلمين إلى ثلاثة أنواع:

1- سابق بالخيرات: وهو التقي الصالح.

2- وظالم لنفسه: وهو الفاسق الفاجر.

3- ومقتصد: وهو الضعيف والمتردد بين النوعين السابقين.

وهذه الأنواع الثلاثة موجودة في أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعا. وفي القرآن الكريم ذكر هؤلاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾¹.

وجميع هؤلاء الأنواع المدعوين المسلمين مذكورة في فكر الأستاذ الندوي من خلال كتبه الدعوية، فذكر في "السيرة النبوية" الصحابة رضوان الله عليهم المتقون الصالحون، وكان هؤلاء المدعوين أمام النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك ذكر في كتابه "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" المدعوين الذين بعضهم صالح، ومنهم من هو فاسق وفاجر، ومنهم من هو مقتصد، فالله سبحانه وتعالى اختار منهم رجال الإصلاح والتجديد لكي يصلح لهم، وسدد عقيدتهم، ويعلم أحكام دينهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن طريق الضلال إلى الهدى.

فكلمة المدعوين تشمل الملوك، والولاة والأمراء، والأعراب، والخدم والموالي، والنساء وكبار السن، والشباب والأبناء، والأيتام والمرضى، والزوجات وغير ذلك.

وتكون دعوة كل نوع من هذه الأنواع المدعوين المسلمين، كل بحسب حاله وموقعه من الاستجابة للحق، والالتزام بالهدى، فيدعى السابق بالخيرات إلى الازدياد من الخير والتحقيق بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

¹ - سورة فاطر، الآية: 32.

الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا¹، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾².

ويدعى الظالم لنفسه إلى الرجوع عن فسقه وفجوره، وإلى الالتزام بأمر الله وحكمه، والتوبة من ظلمه لنفسه. وبهذا تكون دعوة كل مسلم من حيث هو قائم، فلا يسيو بين الأنواع الثلاثة في أسلوب الدعوة ولا فيما يدعى إليه.

حقوق المدعو على الداعي في الدعوة إلى الله:

المدعو له حقوق، لا بد أن يراعيها الدعاة، فمن حقوق المدعو:

أولاً: اختيار الداعي الوسائل والأساليب المناسبة والملائمة في دعوته مع المدعو:

يرى الأستاذ الندوي أن اختيار انسب الوسائل والأسلوب الملائم مع المدعو من صميم عمل الدعاة، وذلك أن المدعوين يختلف أنواعهم، فمنهم الأطباء ومنهم أصحاب العلم ومنهم المحامي والمهندس، فكل هؤلاء تختلف أساليب ووسائل مواجهتهم.

ثانياً: الحرص على نصح المدعو رجاء هدايته:

إنما على الداعية إلى الله تعالى أن يكون ناصحاً للمدعو، ويحرص على هدايته في جميع الأحوال، وليتذكر في ذلك أسوته و قدوته نبينا محمد ﷺ، فقد كان رحيماً وشفيقاً بالناس، حريصاً على هدايتهم وإنقاذهم من الضلال إلى الهدى، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

ثالثاً: إتيان المدعو حيثما كان:

قال الأستاذ الندوي: والمقصود من ذلك الذهاب إلى المدعو في أي مكان كان، ولا يجلس الداعي في بيته وينتظر مجيء الناس إليه، وهكذا كان يفعل الداعية الأول نبينا محمد ﷺ، فكان ينتقل في موسم الحج من قافلة إلى قافلة، وكان يأتي مجالس قريش ويخرج إلى القبائل في موسم الحج حين قدومها مكة.

¹ - سورة النساء، الآية: 136.

² - سورة آل عمران، الآية: 102.

و أحياناً يحتاج الداعي إلى أسلوب المقارنة بين الدعوة الإسلامية والدعوات الأخرى، و أسلوب الرد على الشبهات والمفتريات، و أسلوب التربية والإعداد، و أسلوب الترغيب والترهيب، وغير ذلك، وهذا يسهل على الداعي إذا حدد له طبقة من المدعوين قبل أن يبدأ العمل الدعوى.

المبحث الثالث: أنواع الدعوة من حيث مادة الدعوة وموضوعها (الدعوة في الأمور الحتمية واللازمة و
في التبرعات والفضائل)

التمهيد:

إن موضوع الدعوة هو دين الإسلام كله عقيدة وشريعة وأخلاقاً ومعاملة، وأن المدعويين هم جميع الناس كل بحسبه فالكافرون يُدعون إلى الإسلام، والمقصرون يُدعون إلى صدق الالتزام، والعصاة يُدعون إلى ترك الذنوب والآثام وهكذا، والإستسلام لله ولدينه أقيم عوج الحياة، ورد كل فرد في المجتمع البشري إلى موضعه، لا يقصر عنه ولا يتعداه وأصبحت الهيئة البشرية طاقة زهرة لا شوك فيها، أصبح الناس أسرة واحدة أبوهم آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى.

ففي هذا المبحث ساذكر تعريف الإسلام، خصائصه ومبادئه الأساسية من خلال فكر الأستاذ الندوي رحمه الله.

التعريف بموضوع الدعوة في فكر الأستاذ الندوي:

موضوع الدعوة إلى الله هو الإسلام وهو الدين الذي يُدعى إليه الناس. لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾¹.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز⁽²⁾ - رحمه الله - : "أما الشيء الذي يُدعى إليه , ويجب على الدعاة أن يوضحوه للناس , كما أوضحه الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فهو الدعوة إلى صراط الله المستقيم , وهو الإسلام , وهو دين الله الحق"³.

¹ - سورة آل عمران، الآية: 19.

² - شيخ الإسلام في عصره وإمام أهل السنة، المحدث الفقيه، والإمام الجليل: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رحمه الله تعالى، وهو أبرز مشايخه: وقد تلقى العلم على يديه، وتلقى عنه كثيراً من العلوم، من التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، وأصول الحديث، وغيرها، وقد توفي (1420) في المملكة السعودية. انظر لكتاب الشيخ: مسائل الإمام ابن باز رحمه الله تعالى، ص: 11، تقييد وجمع وتعليق: الشيخ أبي محمد عبد الله بن مانع، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1428 هـ - 2007 م.

³ - الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، ص: 30.

وهو ما عَرَفَهُ رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه عمر - رضي الله عنه -، لما سأله جبريل - عليه السلام - عن الإسلام، فقال: (الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً)¹.

وهذا التعريف موافق لفكر الأستاذ الندوي رحمه الله، لأن هذا المفهوم ثبت من القرآن والسنة، ويشمل جميع الوسائل التي لا بدّ منها لنجاح الدنيا والآخرة.

يقول الشيخ الندوي رحمه الله في قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ): "ما عدّد وما عيّن شيئاً معيّناً خاصاً، فمثلاً تدعون الناس إلى الإيمان بالله وحده، وإلى العقيدة الصحيحة، وتحتّون على الصلاة، تدعون إلى مكارم الأخلاق، وإلى الفضيلة، أو تدعون الناس إلى الشعور بكرامة الإنسانية، وأي إنسان تدعو إلى الإسلام (سَبِيلِ رَبِّكَ)، يحوي كل شيء، إنه يمتد ويسع الآفاق، ليست هذه الآفاق فقط، إنّها آفاق الأديان السماوية وآفاق الحاجات البشرية، والحياة الإنسانية فاستحضروا الإعجاز الكامل في قوله تعالى: (ادْعُ)، وهو لا يختصّ بالخطابة، ولا يختص بالكتابة، ولا يختص بالوعظ والنصيحة، إنّما قال: (ادْعُ)، والدعوة عامة تشمل هذه المعاني كلها".²

خصائص الإسلام في فكر الأستاذ الندوي:

دين الإسلام يمتاز عن الأديان السابقة السماوية وجميع الأديان غير السماوية بهذه الخصائص التي سنذكرها في السطور الآتية:

1- العقيدة:

ذكر الشيخ الندوي رحمه الله أن أهم ركيزة وأساس الخصائص لدعوة دين الإسلام التركيز على العقيدة أولاً وقبل كل شيء، فما زال الأنبياء من لدن آدم إلى محمد ﷺ، يدعون إلى عقيدة معينة يوحى بها إليهم، يدعون إليها، ويطالبون بها.

¹ - أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله - سبحانه وتعالى -، وبيان الدليل على التبرؤ ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه. وأخرجه الإمام البخاري بنحو هذا اللفظ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة.

² - انظر! محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، 428/1.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وإن أنجح إنسان في تأسيس حكومة، أو إنشاء مجتمع، أو إحداث انقلاب، لا قيمة له عندهم إذا لم يقتزن كل ذلك بعقيدة جاءوا بها ودعوا إليها، ولم يقم كل هذه الجهود على أساسها، وهذا هو الخط الفاصل الواضح العريض بين دعوات الأنبياء، وبين الزعماء والقادة القوميين والانقلابيين والثوريين والنفعيين والماديين، وكل من كان مصدر تفكيره غير مصدر تعاليم الأنبياء وسيرهم لسبب من الأسباب الاصلية أو الطارئة من التعليم والتربية، أو رد من ردود الفعل، أو الحب الزائد لتحقيق النتيجة المطلوبة، أو قلب نظام أو انتصار أو انتقام"¹.

والقرآن وسيرة جميع الأنبياء عليهم السلام يشاهد عليها كما حكاها الله تعالى عن نبيه إبراهيم، الذي وصف بقوله: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ)²، وأيضاً قال: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)³.

وفي الحديث جاءت شواهد كثيرة على هذا، كما في رواية مسلم: (ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)⁴. بمعنى أن عمله ذلك وإن كان صالحاً لا ينفعه لأنه لم يكن مبنيًا على العقيدة الصحيحة، والإيمان بالله.

وقد ثبت أن الدعوة إلى العقيدة أهم شيء، وبدونها لا يقبل أي عبادة وعمل الخير، فلهذا البدء بالعقيدة في الدعوة إلى الله يوجد في سيرة جميع الأنبياء، وعلى الداعي أن يستحضر هذه الصفة في دعوته إلى الإسلام، لأن هذه خصوصية من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية.

2- طلب الإخلاص:

إنما هو طلب رضا الله تعالى لاغير، وهو كالسيف الحاد الذي يقطع كل شيء ويأتي على كل شيء، فلاعرض من متاع الدنيا، ولا غرض من حكم ورياسة أو ملك، ولا طلب علو في الأرض، أو سيطرة على

¹ - العقيدة والعبادة والسلوك، للعلامة الندوي، ص: 22.

² - سورة هود، الآية: 75.

³ - سورة الممتحنة، الآية: 4.

⁴ - رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل، 196/1، الرقم: 365.

الناس، أو تمتع برفاهية أو بذخ أو غضب أو حمية وغير ذلك، وهذه صفة اقترنت بسيرة الأنبياء، وحياتهم في الدعوة إلى الله.

وقد تجلّى ذلك في دعاء الرسول في الطائف في أروع مظاهره، إذ قال: وقد لقي هنا ما لقي من قومه من الأذى والجفاء، ولم يتحقق الغرض الذي جاء لأجله، فما أسلم أحد من الناس، ولكنه يقول في أدق ساعة وفي أخرج الأحوال النفسية: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ ! إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي)¹.

وأيضاً في قصة نوح عليه السلام، أنه قد أمضى المدة كلها في شغل شاغل من الدعوة إلى الله وانصراف إليها، واتخاذ الأساليب كلها لاقناع الناس بها، فالله سبحانه وتعالى يحكى هذه القصة: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا - فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا - وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا - ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا - ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا)²، فالنتيجة حسبنا ما يقول القرآن: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)³، ولكن نوح عليه السلام لم يتسخط ولم يعتب، ولم يعتبر كل مجهوده قد ذهب سدى ولم يؤثر في مكانته عند الله.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وقد وعد الله بالعلو والغلبة للمؤمنين، إذا تحققت فيهم الصفات الإيمانية، وعملوا لرضاء الله تعالى، ولم يكن هدفهم العلو، فإن العلو نتيجة لا غاية ومنحة لا هدف"⁴.

فلنكن على حذر من كل ما يعارض صفة القلب السليم، ويتحول إلى وثن من الأوثان، أو حباله من حبال الشيطان، ويكون سهيما في حب الله تعالى ومشاركاه.

3- الغيرة والحمية:

إنما هو سمة من سمات دعوة الأنبياء عليهم السلام، أنهم قد اشتدت غيرتهم على ما جاءوا به من عقيدة ودعوة وشريعة، فلا يرضون في حال من الأحوال بإحداث تعديل فيها، أو تغيير لها، حتى لمصلحة من مصالح الدعوة.

¹ - السيرة النبوية لابن كثير، 2/150.

² - سورة نوح، الآية: 5-8.

³ - سورة هود، الآية: 40.

⁴ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 29.

ونحن نرى هذا في دعوة الأنبياء أنهم يدعون إلى الله لامداهنة عندهم ولامساومة، ولاتنازل ولاعدول، ولاإرجاءولاتأجيل، كما قال الله تعالى لآخر نبيه ﷺ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾¹.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "ولكن كل هذا التيسير والتدرج، ومراعاة الحكمة والمصلحة والنظر إلى استعداد النفوس، إنما هو في التعليم والتربية وفي المسائل الجزئية، ومما ليس من العقائد ومبادئ الدين في شيء، أما ما كان من العقائد والمبادئ والفرائض والنصوص ومايفرق بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، وكان من شعائر الاسلام وحدود الله، فالأنبياء عليهم السلام على اختلاف عصورهم، أصلب فيه من الحديد، وأثبت عليه من الجبال، لايعرفون تنازلاً، ولايعرفون هواده، ولايرضون مساومة"².

فعلى الداعي أن يراعي في دعوته هذه الخصوصية لتؤثر دعوته في المجتمع والعالم الإنساني، لأن هذه من خصائص الأنبياء وسيرهم.

4- التشديد على جانب الآخرة:

هو التشديد على جانب الآخرة واللهج بها، والاشادة بذكرها، وهذه ميزة من دعوة النبوة، والأنبياء يتكلمون عن الآخرة باندفاع والتذاذ، ويدعون إليها بحماسة وقوة، وما بقي من الرجال المصلحين وقادات يتكلمون بقدر الضرورة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "ورجال التربية والإصلاح وقادة الجماعات العقلاء يتكلمون عنها بقدر الضرورة الخلقية، أو الحاجة الاجتماعية، وبدافع من الإصلاح والتنظيم الخلقي وشتان ما بين الوجدان والعاطفة، وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية"³.

فعلى الداعي أن يدعوا الناس بدعوته إلى الآخرة لأن أصل الحياة حياة أخروية والدنيا فقط للأعمال والإختبار.

¹ - سورة الحجر، الآية : 94.

² - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 37.

³ - الصراع بين الإيمان والمادية للعلامة الندوي، ص: 89، 90.

5- الحاكمية المطلقة لله تعالى:

والخامس من خصائص الدعوة الإسلامية العالمية: هذا أن الله هو الحاكم الحقيقي، والحكم المطلق وشرع الدين من حقه، كما قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾¹، وايضاً قال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾²، ولكن صلة العبد وربّه أشمل وأوسع، وأعمق وأدق بكثير من صلة الحاكم والمحكوم، الأمر والمأمور، والسلطان والرعية.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد لهج القرآن بذكر أسماء الله وصفاته في بسط وتفصيل، وأسلوب شيق جميل، لا يدلان أبداً، على أن المطلوب من العبد هو الإيمان بمجرد حاكميته المطلقة، والاذعان بسلطته العليا، وأن يشرك آخرين في سلطته، إن هذه الاسماء والصفات والأفعال الإلهية- التي زخر القرآن بذكرها، وماورد من الآيات التي فيها مدح الحب لله، والحث على ذكره الكثير الدائم- تتطلب في صراحة أن يحب العبد إلهه وربّه بقلبه وقالبه، وأن يتفانى في طلب رضاه، وأن يتغنى بمجده ويسبح بحمده"³.

وهذه الميزة تحيط بجميع لوازم الدعوة إلى الله في هذا العصر، فالداعي يعمل عليها بقوة وحماس، لأن هذه خصوصية من خصائص الدعوة النبوية.

6- مما تجب الإشارة إليه والتنويه به:

إن شأن الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم مع الأمم التي يبعثون إليها، ومع الخليقة، أنهم القدوة للإنسانية والمثل الكامل في الأخلاق والأذواق، والأخذ والرد، والتعامل، والحب والرضا، وقد أحاطت العناية الإلهية والقبول الرحاني بنفوس الأنبياء وحياتهم، وشملت أخلاقهم وعاداتهم، حتى صار شعارهم وهدفهم محبة الله ورضاه، وأوجب علينا محبتهم وتمثل تلك المحبة في اتباعهم في كل صغيرة وكبيرة، أعلن الله تعالى ذلك على لسان خاتم النبيين ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾⁴.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وامتاز بهذا الحب وكان له فيه النصيب الأوفر كل من تشبع بروح هذا الدين وأراد الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين، من العلماء الرسخين والمصلحين المجددين والقادة المصلحين، وهذا الحب - الخاضع لأحكام الشريعة وآدابها والمتأسي بأسوة الصحابة- يعين على الاتباع الكامل،

¹ - سورة يوسف، الآية: 40.

² - سورة الشورى، الآية: 21.

³ - التفسير السياسي للإسلام، للعلامة الندوي، ص: 78، 79، دار القلم الكويت، ط: 3.

⁴ - سورة آل عمران، الآية: 31.

والاستقامة على الشريعة، ومحاسبة النفس الدقيقة الأمينة، والطاعة في المنشط والمكروه، ويزيل الأمراض النفسية ويركز النفس ويهذب الأخلاق [إلى أن قال:] "فإن موجة الحب تجرف بالحشيش وتسرى في النفوس سريان النار في الهيشم، وقد أصبح المسلمون بعد ما كانوا مع الحب لله ولرسوله - شعلة من الحياة، وجذوة من النار، ركاما بشرياً، أو فحماً حجرياً، بعد عهده بالنار والحرارة"¹.

7- دعوة الإسلام دعوة أبدية خالدة

هذه الدعوة المباركة دعوة مستمرة حتى يوم القيامة إن شاء الله، وعليها تتوقف سعادة البشر في الدنيا ونجاتهم في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾²، وهذا الدين قد بلغ طوره الأخير من الكمال والوفاء بحاجات البشر، والصلاحية للبقاء والاستمرار، لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾³. (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)⁴

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد استطاعت هذه الأمة- بفضل هذه العقيدة- أن تقاوم المؤمرات الدقيقة، وتحافظ على وحدتها في الدين والعقيدة، ولا يزال لها مركز موحد ومصدر علمي وثقافي عالمي، وشخصيته مجمع عليها، ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً فيجتمع لها الشمل وتتوحد لها الكلمة، ويقوي عندها الشعور بالمسؤولية، وقوة مقاومة الفساد، وإقامة الحق والعدل وموازين القسط، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الدين الخالص، ولا تنتظر لذلك نبياً جديداً يبعث، أو إماماً معصوماً ينهض، فيحقق ما عجز الأنبياء عن تحقيقه، ويكمل ما تركوه ناقصاً.

وقال: "ولا تعتمد في الانتفاضة الإسلامية، وفي النشأة الدينية الجديدة، على شيء غامض يجل عن العقول والظواهر، ويدق فهمه، ويستغله المغرضون والطامحون من أصحاب النيات السيئة، والأغراض السياسية، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون"⁵.

¹ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 46.

² - سورة الأحزاب، الآية: 40.

³ - سورة المائدة، الآية: 3.

⁴ - سورة آل عمران، الآية: 85.

⁵ - النبي الخاتم للعلامة الندوي، تلخيص، المختار الإسلامي، ط: 1، 1395هـ/1975م.

8- الدعوة الإسلامية دعوة إلى دين أصيل محفوظ ومصون عن التغيير والتبديل:

الدين الإسلامي باق على أصالته وحيوته، محفوظ كتابه، مفهوم وميسر، تكفل الله بحفظه، مصونة أمته من الضلال العام والجهالة المطبقة والانحراف الاجتماعي كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾¹ الذي ابتلت به الأمة المسيحية في عهدها الباكر.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولم تصب هذه الأمة حاملة الرسالة الأخيرة التي أخرجت للناس، والتي يرتبط بها مصير الإنسانية، بالعقم والجذب الفكري الدائم، ولا تعيش في عمى وضلال عن مقاصده ومتطلباته، ولا تجتمع على ضلالة، كما جاء في حديث: (أن لا يجمع أمتي على ضلالة)²، وكل فساد وانحراف يغزو هذه الأمة إنما هو طاريء ودخيل، ومناف لطبيعتها وهو كالغبار على جوهر أصيل، وذهب وهاج، لا يلبث أن ينتفض ويتطاير بتأثير القرآن والسنة، والدعوة إلى الدين الخالص، وحركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"³.

9- الدعوة إلى الإسلام دعوة إلى الأمور العملية ومنهج يجب تطبيقه في الحياة

الدعوة إلى الإسلام ليست دعوة إلى أمر فكري يتخيل في الذهن أو العقل أو هي مجرد فلسفة أو أمور تتعلق بالمكتبة، بل بالعكس إن الإسلام في وقت واحد، عقيدة وعمل، وسلوك وخلق وعاطفة وشعور وذوق يسيطر على التفكير والشعور، ويتحكم في موازين الأشياء والقيم، إنه يسبك الإنسان سبكاً جديداً، ويصوغ الحياة صياغة جديدة، لذلك نرى أن الله تبارك وتعالى يسمي الإسلام بصبغة الله، والصبغة لون شامل وسمه مميزة، وطابع ممتاز، وللإسلام أثر أكبر من الديانات الأخرى، حيث يتأثر به المدعو أكثر من كل دين، له حدود معروف معينة، لا يمكن أن يتخطاها المسلم، ولا مفهوم للردة ولا شناعة لها، في دين آخر، بالمعنى الواضح الذي نجده في الشريعة الإسلامية، والتصور الإسلامي.

فالإسلام عبارة عن ثلاثة أمور، الأمر الأول: العقيدة وهي أهم مقاصد البعثة، وأصولها تتلخص في أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى كما في حديث جبريل الطويل⁴، والأمر الثاني هو جانب الشريعة أو العبادة، وأصولها تتلخص في أركان الإسلام كما في حديث

¹ - سورة الحجر، الآية: 9.

² - رواه أحمد في مسنده، باب حديث أبي بصرة الغفاري، 200/45، الرقم: 27224.

³ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 51.

⁴ - أخرجه البخاري، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، 19/1، الرقم: 50.

جبريل السابق، والأمر الثالث: جانب السلوك والأخلاق، وتركبة النفس وللشيخ الندوي رحمه الله كتاب مستقل في هذه الجوانب الثلاثة بأسلوب واضح وعبارات لطيفة مختصرة مفيدة ينبغي أن يكون من ضمن المقررات في المدارس.

هذا باختصار كان موضوع الدعوة في فكر الأستاذ الندوي رحمه الله.

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

أمر الله عز وجل رسوله محمداً ﷺ بأربعة أشياء:

أن يتعلم الوحي، وأن يعمل به، وأن يعلمه الناس، وأن يقيم الناس عليه.

وهذه المسؤوليات انتقلت إلينا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

فالدين خطوتان، خطوة للعبادة، وخ خطوة للدعوة، وحركة في إصلاح النفس، وحركة في إصلاح الغير، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والواجب على المسلم أن يتعلم شيئين:

جهد النبي صلى الله عليه وسلم وهو الدعوة، وحياة النبي صلى الله عليه وسلم وهي الدين الكامل. وإذا كانت الدعوة موجودة في الأمة، وحياة النبي صلى الله عليه وسلم ليست موجودة، فلا يكون في الدعوة فلاح ولا نجاة، ولا تنزل هداية ولا نصر، ولا يحصل تمكين ولا استخلاف، ولا تتحقق عزة ولا أمن.

وقد اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة أصحابه حتى تم فيهم أمران: إقامة الدين في حياتهم، ودعوة الناس إلى هذا الدين على أكمل وجه.

فكل مسلم مسؤول سوف يحاسبه الله على العمل الانفرادي، وهو العبادة، وعلى العمل الاجتماعي وهو الدعوة إلى الله، وسوف يسأل الله كلاً من الداعي والمدعو يوم القيامة عما كانوا يعملون في الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ - فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ - وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾¹.

¹ - سورة الأعراف، الآية: 6-9.

وأيضاً قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ - إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي حُسْرٍ - إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾¹.

¹ - سورة العصر، الآية: 1-3.

الباب الثالث

منهجية الشيخ الندوي في القضايا الدعوية في العصر الحديث

الفصل الأول: التعددية الدينية و منهجية التعامل معها

المبحث الأول: الأديان السماوية

المبحث الثاني: الأديان غير السماوية

الفصل الثاني: التعددية الفكرية داخل الفرق الإسلامية ومنهجية التعامل معها

المبحث الأول: منهجية التعامل في العقائد الإسلامية

المبحث الثاني: منهجية التعامل في العبادات

المبحث الثالث: منهجية التعامل في المعاملات

الفصل الثالث: منهجية التعامل مع الظواهر الفكرية المعاصرة

المبحث الأول: التغريب والتبعية الفكرية

المبحث الثاني: الإلحاد والزندقة

المبحث الثالث: المادية

المبحث الرابع: الحرية المفرطة ومفهوم حقوق الإنسان

المبحث الخامس: الإباحية

الفصل الأول: التعددية الدينية و منهجية التعامل معها

التعددية الدينية

مفهوم التعددية :

يُراد بالتعددية: التنوع في وجهات النظر والمواقف حول نهج أو فكرة معينة، يدخل مفهوم التعددية في مختلف المجالات والتعددية لها أقسام عديدة، يعني التعددية السياسية، والإقتصادية، والدينية والثقافية، لكن نحن نناقش هنا مفهوم التعددية الدينية في ضوء فكر الشيخ الندوي - رحمه الله- ولها عدة توجهات دينية في المجتمع الواحد مع تقبلها وتشجيع التعايش السلمي بينها، وتعتبر الهند من الأمثلة القوية على المجتمع التعددي، ففي الهند نجد تعددية دينية لا مثيل لها، مواطنو الهند يتبعون ديانات مختلفة مثل الهندوسية، المسيحية، الإسلام، السيخية، البوذية، وغيرها إلا أنهم مع ذلك يتعايشون معاً في دولة واحدة ويتقبلون بعضهم البعض.

ما هي أهمية التعددية ؟

تسهم التعددية بأشكالها التي سبق أن ذكرناها في خلق تجربة مميزة وفريدة من نوعها لكل فرد، وربما علينا التوقف للحظة والنظر بتمعن في المجتمع من حولنا إلى أيّ درجة هناك تعددية من حولنا؟ وهل هناك تعددية في مدارسنا، وبيئة عملنا وحياتنا بشكل عام؟ على الرغم من أنّ المجتمعات التعددية قد تواجه بعض التحديات فيما يتعلق بتنظيم الفئات المختلفة التي تشكّل المجتمع، والتي قد تميل أحياناً للانعزال عن بعضها البعض لتشكّل وحدات صغيرة بعقليات جامدة ترفض التغيير والتعايش مع الوحدات الأخرى، إلا أن أهمية التعددية وإيجابياتها تطغى بلا شك على سلبياتها.

مراعاة التعددية الدينية أحد الأسباب المهمة لتوحيد العالم على منصة واحدة في العصر الحديث، لتبادل وجهات النظر والاستماع للآخر، ذكر الشيخ أبو الحسن علي الندوي في كتبه عدداً من الأسباب التي دفعت الأديان الحديثة إلى اعتناق الإسلام، أنه جعلت الإنسانية أكبر درجة في المجتمع، والإسلام يخاطب الإنسانية أيضاً، وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تخاطب عامة الناس والغرض من كل هذه الأشياء هو أن يتعرف الإنسان على الإنسانية، ويراعيها ولا يذل نفسه إلا أمام ربه، فيعظم عند الله، وينال رضا الله، كما قال تعالى في كلامه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾¹، يعني بعد الاستمتاع بكل هذه النعم، لديه القدرة على أن يجديني بطريقة جيدة

¹ - سورة الكهف، الآية: 29.

أو أن ينساني، لكن يجب أن أحاسب أحدهما وأعاقب الآخر، يقول الشيخ الندوي: يمكن للإنسان أن ينتمي إلى أي دين ويميلهم إليه لا بد من تبني القيم التي يخبرنا بها الإسلام، لأن الإسلام لجميع المخلوقات يمكن لأي شخص يلتزم بمبادئها أن يعيش حياة أفضل، لقد أسس الشيخ في حركة كاملة على ذلك و دعا فيها الناس إلى جميع القيم التي وضعها الإسلام لعامة الناس وهي فضيلة عظيمة للداعي أن يخاطب العالم كله، لا أن يكون حزباً واحداً أو مجال معين هدفه، ولكن كما أن الإسلام لسائر البشرية، كذلك ينبغي أن تكون دعوة الداعي مشتركة، وبقي سلاسل الهدى وتقلب القلوب بيد الله تعالى بأي وجه من يشاء، وفي إحدى المرات الله سبحانه وتعالى يخاطب محمداً يقول: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾¹، يعني على الداعي أن يعطي الدعوة فقط مع مراعاة الأسلوب اللازم، وبقية الهداية بيد الله من يشاء، أولاً نحن نذكر في المبحث الأول منهجية الشيخ الندوي في التعددية الدينية مع الأديان الغير السماوية، ثم نذكر في المبحث الثاني منهجية الشيخ الندوي في التعددية الدينية للأديان السماوية بتوفيق الله تعالى.

¹ - سورة القصص، الآية: 56.

التمهيد:

أمضى الشيخ الندوي -رحمه الله- أكثر حصة من حياته في الدعوة إلى الله، ونشر الإسلام في جميع أنحاء العالم بمساعدة موضوع الإنسانية، وجذبت العالم كله لهذه القيم، التي استعارت من الإسلام في دينهم أو هي جزء أساسي من دينهم.

ذكر الشيخ الندوي -رحمه الله- في إحدى القصص التي حكاها: أنه لا يوجد في هذا الوقت أفضل طريق للوصول إلى عقول غير المسلمين وضمايرهم ودعوتهم أفضل من العناية في بمشاكل الحياة المشتركة في البلد الواحد والإنسانية والأخلاق المشتركة والالتفات إلى مصالح الوطن المشتركة فهذا يمكن أن يساعد فتح طريق الدعوة والوصول إليهم وإلى أفكارهم وتصحيحها وإعطاء المسلمين حقوقهم في البلد.¹

وقال الشيخ أيضا: "هذه هي حاجة العالم البشري كله" يجعل الندوي رحمه الله النبي صلى الله عليه وسلم قدوة له في هذا ويقول: لقد شارك النبي -صل الله عليه وسلم- في وثيقة "حلف الفضول" وقد كان النبي -صل الله عليه وسلم- يقول أيضا "لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به في الإسلام لأجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعد ظالم مظلوما".²

عندما سُئل الشيخ الندوي -رحمه الله- لماذا يعتبر من مسؤوليته الوقوف في وجه هذه الدعوة في بلد مليء بغير المسلمين؟ فأجاب: كما أن المسلم مسئول عن روح دينه أن يهتم ببيئته أينما كان، ولا تغمض عينيك عن المخاطر بأن تغرق رأسك في الرمال مثل النعامة، ولا تكرر درس "كل شيء على ما يرام" (سب خيريت به)، والمسلمون مأمورون في كل مكان بفعل الخير ونهى عن المنكر، ويجب أن تفهم أن قارب الحياة الذي تسير عليه سيغرق معها عندما تغرق.

ومقصد التعددية الدينية هو نقل الإسلام إلى الناس مع مراعاة الطريقة الخاصة المناسبة لكل أهل فكر فلكل مقام مقال، وهناك عدة أمور ينبغي العمل بها لتتم مراعاة التعددية الدينية على أحسن وجه والتي ذكرها الشيخ الندوي رحمه الله لنستفيد منها في بيان أسلوبه الدعوي كأساس لتقديم الحلول لمشاكل العصر الحديث ضمن الدعوة، سنذكر هذه الأمور في ما يلي:

¹ - نجات الإنسانية للعلامة الندوي، المترجم: (إنسانية كي مسيحائ)، التفرغ والترتيب: عبد الهادي الأعظمي الندوي، ص: 15، الأكاديمية سيد أحمد شهيد دار عرفات، تكية كالان، راي بري.

² - السيرة النبوية لابن كثير، (البداية والنهاية)، 291/2.

1- الإحسان إلى خلق الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾¹ "يعني بالعدل في الأفعال والإحسان في الأقوال"² هذه الآية هي بيان منهج حياة كلها، والله تعالى أمر بالعدل والإحسان، ولم تذكر الآية من تجب معاملته بإنصاف بل الآية أمرت بالعدل والإحسان مطلقاً، هل هناك يحتاج المجتمع علامة تجارية أو الأسرة، أو البلد أو القوم للعدالة؟ كلا! بل يكفي كونه إنساناً لكي يعامل بالعدل ويواجه بالإحسان والاحترام.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "من سيكون محبوب الله بين البشر؟ ليس الشخص الذي يعبد كثيراً، بل الرجل الذي سيكون محبوباً الذي سيفيد عائلته أكثر فالأكثر،..."³.

وبالتالي الطريقة الوحيدة للترقي هي أن تكون لديك علاقة إنسانية واحترام جميع المخلوقات، الفتنة الطائفية ليست قضية هندوسية إسلامية بل إن المرض الحقيقي هو عدم احترام الإنسانية وعدم أهميتها وعدم قيمتها، في مكان ما في الحياة، يعطي بعض الناس الأولوية للأشجار والحيوانات على البشر، وآخرون يفضلون المال، ومع ذلك فإن مكانة البشر قد حفظها الله سبحانه وتعالى بصفته أشرف وأسمى المخلوقات، وقد سمى الله تعالى جوع الإنسان جوعه، وعطش الإنسان عطشه، ومرض الإنسان مرضه، كما جاء في حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-: (قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا بَنَ آدَمَ، مَرَضْتَ فَلَمْ تَعُدْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدْهُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عَنْده. يَا بَنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتَكَ فَلَمْ تَطْعَمْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَطْعَمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَطْعَمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي يَا بَنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتَكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي)⁴، حتى أنه خلق القارات السبع للإنسان لكن من المهم معرفة ماهية الإنسان، ولقد مضى في العالم أناس عظماء مثل الإسكندر وجنكيز وهولاكو خان وهتلر الذين أشعلوا النار في ميادين الإنسانية، ولم يعرفوا كم غضب - سبحانه وتعالى - على حركتهم، لو كانوا يعرفون حقيقة الإنسان، لما فعلوا ذلك أبداً.

¹ - سورة النحل، الآية: 90.

² - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 259./20

³ - نجات الإنسانية، المترجم: (إنسانيت كي مسيحاء)، ص: 62.

⁴ - رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، 1990/4، الرقم: 2569.

إن احترام الإنسانية من الأمور المهمة التي أخبرنا بها الإسلام، ومن المهم جدا لداعي الإسلام أن يفهم هذا ليتمكن من تجنب أي عائق في نشاطه في العصر الحديث.

2- التوكل والإطمئنان:

التوكل والإطمئنان أحد الأسباب المهمة التي تنفع الدعوة الإسلامية في كل الأحوال لا سيما في تأثير الدعوة حالة التعددية الدينية، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾¹، "أي من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه"²، هذه الآية الكريمة عامة تشمل كل شيء، فالإنسان يفوض أمره إلى الله في كل شيء، ولأن الإنسان هو خليفة الله على هذه الأرض، لذلك عندما يثق شخص ما بشخص آخر فهذا يعني أنه راضٍ عنه ويطمئن إليه، هكذا حينما يصبح الاعتماد على الآخر في المجتمع فهناك يكون إعتدال في الموضع الذي فيه، والبيئة تترك نقوشاً رائعة، وينتشر ضوءها وتأثيرها حولها، وترى من حيث كونك داعياً روح الحب والتضحية بالنفس والإيثار في كل شخص دون أي تمييز بين الناس!

وإذا عم هذا العمل في عوام الناس، فلا شيء آخر يمكن أن يوقف مصير المجتمع من التغيير، وفضله ستصبح جميع الفرق الإسلامية وغير الإسلامية تحت علم واحد يتعايشون فيما بينهم بسلام ووثام دون أن يؤذي أو يتعدى أحد على أحد.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "كما ترى الملابس فيه يرتبط أحد خيوطه بخيط آخر ثم يصبح القماش، بنفس الطريقة المجتمع مترابط فيما بينه، ولأنه لا تعتقد أبداً أنه يمكنك العيش دون غض الطرف عن الآخرين، ولا فرق بين كبير أو صغير، ولا فرق في الصلاحية، كل هؤلاء الشبكة فيها مربوط حلق أحدهما بحلق الآخر"³.

ولهذا شاعر المشرق العلامة محمد إقبال يقول "(فرد قائم ربط ملت سے ہے تنہا کچھ نہیں) - موج ہے دریا میں اور بیرون دریا کچھ نہیں)"⁴ يعني أن كل إنسان مرتبط بالآخر حتى (ولو كانوا مختلفين من حيث الدين)،

¹ - سورة الطلاق، الآية: 3.

² - الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، 161/18، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: 2، 1384هـ - 1964م.

³ - نجات الإنسانية، ص: 234.

⁴ - بانگ درا، علامہ محمد اقبال، (شعاع اور شاعر)۔

و أي مجتمع يتطور على أساس هذه الأخلاق، وعندما تضعف هذه الأخلاق يذهب المجتمع إلى الزوال، ذكر الشيخ الندوي لذلك مثال الإمبراطورية الرومية حيث كانت هي الحكومة القوية ولا نظير لها في الثقافة والقانون والأدب، لكن عندما فسدت في الأخلاق لم يبق أي شيء فيها، وأصبحت عبرة لنا¹.

ولو نظرنا في العصر الحاضر لرأينا نقصاً في مثل هذه الأخلاق في بلدنا وفي سائر البلدان، وبسببه مجتمعنا يذهب إلى الزوال وعدم السكون والإطمئنان، وأيضاً قادتنا السياسيون يجعلوننا نعتقد أننا نتحرك نحو التقدم، لكن الحقيقة هي أننا عندما نذهب إلى مركز الشرطة أو محكمة العدل لحل بعض مشاكلنا، فنحن لا نقوم بعملنا إلا إذا قمنا بتدفئة أيدي الأشخاص ذو الصلة والضباط وغيرهم، والشيخ الندوي - رحمه الله - يشير إلى هذه المسألة منذ سنين و قال: "لا يتدخل أي بلد في الشؤون الداخلية لأي بلد، كل الخوف الذي لدينا هنا يأتي من داخل بلدنا، جاء الخارجيون وعاشوا فترة طويلة ثم ذهبوا، لكن لما كانت عيوبنا الداخلية تسري في عروقنا ودمنا، فما أهمية العدو الخارجي نحن نكفي لإزعاج إخواننا، ولإبكاء إخواننا، ولهوان إخواننا"².

3- المحبة:

الحب والحنان حدائق خضراء تصل بالإنسان من الأرض إلى العرش، إن الإسلام تأكد أن يغرس هذا بطرق مختلفة، لا يجزينا الإسلام أنه إذا أحب المسلمون بعضهم البعض فسيحبهم الله بل الإسلام يوضح مثل هذه القدرة العالية، ربما يستطيع بعض الدين تحمل هذه السعة العالية، في الإسلام يُطلب من محبة ليس فقط المسلمين ولكن أيضاً حب الإنسانية، سواء كان هندوسياً أو سيخياً أو شخصاً آخر.

هذا هو السبب في أن الإسلام يدعي رسالة الحب لجميع الأديان، لأن العمل الذي ينتهي بالحب ليس بالمال أو بأي ثروة أخرى في العالم، ولهذا كان للحب دور كبير في انتشار الإسلام، والله سبحانه وتعالى ذكر في كلامه في صفات محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾³، "أي هو رفيقه بأتمته وإكرامه إياهم"⁴، يعني الله - سبحانه وتعالى - بعث نبيه ﷺ بأعلى الأخلاق، فأهم عنصر في الأخلاق الرفيعة فهي المحبة ولا يزال هناك الكثير من الناس في مجتمعنا يشيدون بهذه المحبة الحمد لله.

¹ - نجات الإنسانية، ص: 233.

² - المصدر السابق، ص: 226.

³ - سورة القلم، الآية: 4.

⁴ - تفسير القرطبي، 227/18.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "في بلادنا عباد الله كثيرون، الذين عملوا الترابط وينضموا القلوب، لقد سافرت في جميع أنحاء العالم وشهدت العديد من البلدان، كما شهدت الدول الإسلامية، لكن هؤلاء العازفين الناي من المحبة، مغني أغنية حب، لدينا في بلدنا أكثر من أي بلد آخر"¹.

في عصرنا حاجة أن يمنحها (المحبة) الفرصة للإزدهار، ولا تقتصر على أي دين، بل ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار رفاة المجتمع بأسره، لذلك ليس اليوم بعيداً عندما يحب الناس في مجتمعنا بعضهم البعض كما تحب الأم أطفالها، لكن كيف يمكن أن تكون علاقة الحب قوية في حين أن الهندوس والمسلمين لا يعرفون بعضهم البعض؟ وستكون هذه المحبة سبب قبول التعددية الدينية، إذا تم القضاء على نقطتي ضعف في العصر الحاضر، فسيحدث تلقائياً التحسن في هذا المجتمع وميل الناس نحو الإسلام، الأول: الكراهية، والثاني: الخوف، هذان هما أمراض اللذان مالم تذهبا المجتمع إلا الزوال يوماً بعد يوم، عندما يعرض المتبع بدين واحد مشاكلهم على أتباع الديانات الأخرى دون حقد أو خوف فلذلك سيخلق جوّاً من السلام، وتنمو بين الناس المحبة والعاطفة.

كتب (C. E. M. Joad) في كتابه (Introduction of Modern Philosophy): "إذا لم تتمكن من إيجاد مجتمع للكراهية والخوف، لذا أحضرها من مكان ما فلماذا لا تحضرها من السماء"²، معناه أن الكراهية والخوف يزرعان في مجتمعنا، لكن يجب أن ينتهي، كيف سينتهي؟ لذلك علينا نحن ننشاء جو من الحب، الذي يشارك في جميع الأنشطة.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "تعيش مع المحبة، لكى تعرف ما هي ذائقة الحياة مع الحب؟ طبعاً نحن نعيش في مجتمع يخاف فيه الإنسان من الإنسان، و الجار يخاف من الجار، (الأسرة التي تحب حتى لو أكلت خبزاً جافاً ولكن كيف تعزف على الفلوت الراحة والإطمئنان، كيف ينام حلو النوم، وفي عائلة فيها كراهية كبيرة أو صغيرة، هناك محاكمة، لا يأتي النوم في الليل)"³.

¹ - نجات الإنسانية، ص: 207.

² - Introduction to Modern Philosophy by C. E. M. Joad. P: 57, Publisher: Dr. B. R. Ambedkar Library Hyderabad.

³ - نجات الإنسانية، ص: 211.

4-كرامة الإنسانية:

احترام الإنسانية هو أيضاً سمة بارزة في التعددية الدينية، كما ذكر في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾¹، ذكر الإمام الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب" تحت هذه الآية: "إنه تعالى فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمر خلقية طبيعية ذاتية مثل العقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المديدة"²، وأيضاً ذكر الإمام ابن كثير في هذه الآية: "يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكرمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها"³، يعني الله سبحانه وتعالى أنعم على نسل آدم بأن جعله معززا مكرماً، وهذه هي الدروس التي علمنا إياها أسلافنا، التقى بالبشر من حيث البشر وأخرج الحدود الجنسية والجغرافيا والدين، واحترم، وأثر على نفسك، وساعد على ماستطعت لو كان في قلبك احترام الإنسانية وكرامة الإنسانية وقيمة الحياة البشرية، ولا يوجد ولا يمكن أن يوجد ما يتصوره الإنسان في حق الآخرين من العلو والقيم والأخلاق والرفعة والسمو إذا لم يكن لدينا ثقافة بشرية مشتركة وقيم وأخلاق يتفق عليها الجميع، فهذه الثقافة المشتركة من القيم والأخلاق هي السبيل لاحترام الآخرين وحلول المشاكل في المجتمع لو حصل منها شيء.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- " كانت الأزمنة السابقة مباركة لما كانت الأنوار أنوار القلب ولم تكن أنوار الكهرباء، أنت فكر بنفسك ما الزمن الذي أنت تحبه لو أحد يريد أن يشتري منك شيئاً؟ أو يتعامل معك بأي معاملة فأَي الزمنين تحب؟

زمن الإنسانية وزمن التداعي كالجسد الواحد زمن التعاون وزمن من يهمه أمرك ويهتم ويهتم لك؟ الزمن الذي كان فيه قدر الإنسان والتفكير في الإنسان واحترامه ؟ أم تحب الزمن الذي لا يوجد فيه أي احترام للإنسانية لكن فيه إعلام ونور الكهرباء والمراوح الكهربائية؟ اليوم لا يوجد سكون واطمئنان القلب لكن يوجد مال كثير ، اليوم يوجد كل شيء لكن الاحترام والقدر الروحاني مثل العنقاء، اليوم يوجد كل شيء لكن لا يوجد هدف،

¹ - سورة الإسراء، الآية: 70.

² - التفسير الكبير، 375/21.

³ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، 89/5، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420هـ - 1999م.

فالذي في حلقه غصة وعطشان فهو يريد حفنة ماء ، كل شيء عنده لا شيء فعنده الأموال لكن ماذا يفعل بها لا يوجد اليوم في التمدن والحضارة ذرة محبة ولا يوجد للإيثار على النفس أثر ولا ذكر من تراه تجده عبدا للمادة، ماذا تفعل بهذا التمدن وهذه الحضارة"¹.

هذه الكلمات المؤلمة للشيخ الندوي-رحمه الله- تخبرنا أن من الأعمال العظيمة في العصر الحاضر مما ينفع في الدعوة إلى الله ويجعل الداعية ناجحا في دعوته هو احترام الإنسانية، يجب علينا أن نحاول إحياء الإنسانية في الحدود الدينية الشرعية، التق بالإنسان مثل الإنسان، ثم يختار أسلوبه الأحسن في الحياة من خلال الدراسة والتأمل والمساعدة الإلهية، لكن أولاً وقبل كل شيء، احترم الإنسانية، لأن هذا هو طريق الأنبياء⁽²⁾.

5- القضاء على الظلم:

الظلم و القسوة هما أيضا من المشاكل الكبيرة في المجتمع، يقتضي جميع أهل الأديان الخلاص منها، كما أنها تعيق التعايش في حال التعددية الدينية، لأن كل أحد ينحاز لأهل طائفته عند حصول ظلم على أحد من طائفته فتكبر المشكلة وتتفاقم الأمور ويصعب العيش بسلام، كما أنهما سبب سخط الرب سبحانه، ولما ذكر الشيخ الندوي القيم الأخلاقية وصف الظلم والقسوة بألفاظ مشددة، وبين أن هذا سبب كل الخرافات والانحرافات في القيم الأخلاقية، حتى يومنا هذا، والواقع المؤلم أنه تقدر وتحترم شخصية القوة والعنف على المثل المعروف: (من كان عصاه جاموسه) نتيجة لذلك، تمهد الطبقة الرأسمالية والنخبة المسرح للتقدم المادي، والطبقة الفقراء يزدادون في فقر، لقد أصبحت هذه مأساة كبيرة في مجتمعاتنا، تسبب هلاك الأمم والبلدان، والتاريخ شاهد على ذلك فهل من معتبر؟

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- : " توجد شواهد في التاريخ أن في بعض الأوقات لأجل آهات المظلوم أو المظلومة أهلك الله البلد بأكمله "³.

اتضح من هذا أنه اتفقت جميع الأديان على شيء واحد، ألا وهو أن الظلم شيء قبيح للغاية.

¹ - تعميم الإنسانية للعلامة الندوي، ص: 72-73.

² - كما في قصة أعراي: جاء أعراي فبال في طائفة المسجد، فزجره الناس، (فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى بوله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فأهريق عليه) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: يهريق الماء على البول، الرقم: 221.

³ - نجات الإنسانية، ص: 296.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "كل ديانات العالم ، كل ثقافات العالم، كل الإصلاحات، وكل الصوفية والسنة يتفقون على أن الإنسان هو شيء عظيم، والإنسان في كل دين، وفي كل مدينة، وفي كل بلد، وفي كل مجتمع، وفي كل سلالة، وفي كل أهلية، سواء كان نافعا أم لا فهو من صنع الله تعالى ومظهر من مظاهر رحمته"¹.

إن فتنة الظلم والهمجية تنتشر بين الحين والآخر منذ القديم، فخذ على سبيل المثال قيام شعب التتار من على حدود الصين في تركستان الشرقية، بدأت أوروبا ترتجف من الخوف لما سمعوا بقيام التتار، لذلك نشر جيبون (Gibbon) في كتابه الشهير "تاريخ انحطاط وسقوط روما" (The Decline and Fall of the Roman Empire): مدى رعب السويدن من ذلك حيث قال "سمع السويديون عن عاصفة التتار عبر روسيا، لقد شعروا بالرعب لدرجة أنهم لم يخرجوا للصيد كالعادة على السواحل الإنجليزية خوفا منهم"²،

كذلك كتب "ايتش جي ولز (H.G. Wells) في هذا الصدد مبينا رعب التتار: "لو يتنبأ أي محلل سياسي في بداية القرن السابع بنظره إلى الدنيا سيصل حتما إلى نتيجة أن أوروبا بتمامها وآسيا ستكون بعدة أزمنة قليلة تحت قبضة المغول"³

كما كتب "هيرالد ليمب" (Harold Lamb) ظلم ودهشة جنكيز خان حيث صدم الحضارة ودمرها حتى بدأت المراكز الحضارية والثقافية اضطرت للبدء من جديد وانتهت سلطنة خوارزم وخلافة بغداد ومملكة روسيا وكذلك انتهت لبعض الأيام حكومة بولندا (بولار)⁴.

التاريخ يعيد نفسه نرى مظاهر مماثلة من الظلم والعدوان في العصر الحاضر، كل يوم يتعرض بعض الناس للظلم في مواجهة القنابل، ويتعرض بعض الناس للظلم بسبب السرقة والنهب، وأحيانا كانت أمهاتنا وأخواننا ضحايا وصمة الشرف والكرامة، لكن الإنسان لا يحتاج إلى أن يصاب بخيبة أمل، هناك طاقة تقلب القلوب وترحب بتنهدات المظلومين، لقد وضع الله تعالى أمة ظالمة مثل التتار على الطريق الصحيح

¹ - نجات الإنسانية، ص: 298.

² - The Decline and Fall of the Roman Empire, p: 16 ,vol:vii, 3rd edition, London, 1909.

³ - A Short History of the World, London 1924, p: 140.

⁴ - Genghis Khan, London, p:206. London 1028.

على يد أهل العلم، فذلك حتى اليوم الله قادر على أخذ هذا العمل من مصلح وداعي، كل ما هو مطلوب هو معرفة نوع البذرة التي تم زرعها والتي هي ثمرتها، وحاول حلها.

تكشف الدراسة حقيقة أن أعظم شر في المجتمع هو تفاهة الإنسان وعدم قيمته، يحتاج البشر إلى الرحم والتعاطف من أجل التنمية في المجتمع، كما قال الشاعر في الأردية:

"درد دل کے واسطہ پیدا کیا انسان کو *** ورنہ طاعت کے لیے کچھ کم نہ تھے کرو بیاں"¹

وكما جاء في الحديث: (الراحمون يرحمهم الرحمن، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)²، وفي نظرة الشيخ الندوي أن دور التعليم والشرطة والصحافة بارز في تحسين المجتمع، إذا كان هؤلاء الثلاثة في الاتجاه الصحيح فلن تجرؤ أي قوة على الظلم والجبر في الدولة والمجتمع، قال: "هناك ثلاثة دوائر في البلاد: التعليم والشرطة والصحافة، هذه الأشياء الثلاثة إذا كانت مستقيمة تؤدي واجبها فلن يكون هناك تلك الحوادث والوقائع الخطيرة التي كانت تحصل سابقا في غياب دور هذه الدوائر"³.

6- العدل والإحسان:

هذان شيئان مهمان في التعددية الدينية لعموم الناس؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾⁴.

ذكر صاحب "مفاتيح الغيب" (التفسير الكبير) ضمن شرح هذه الآية: حديث مقرون بن عمر أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: "إلام تدعوننا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية فقال مقرون بن عمرو: دعوتُ والله إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال

¹ - ديوان درد، خواجه مير درد، ص: 57، الأكاديمية الأردنية، سند، كراتشي، ط: أولى، 1951ء.

² - رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في رحمة المسلمين، 323/4، الرقم: 1924، وقال البيهقي: قال الحسن بن صاحب كتب عن هذا الحديث أبو حاتم الرازي، (جامع الأحاديث) ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطي والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، 276/30، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق من الباحثين بإشراف د علي جمعة (مفتي الديار المصرية) طبع على نفقة: د حسن عباس زكي).

³ - نجات الإنسانية، ص: 306.

⁴ - سورة النحل، الآية: 90.

ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك"¹، وأيضاً جاء في الحديث: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء)².

ذكر الشيخ الندوي-رحمه الله- بعض من كان في حياتهم العدل والإحسان من الطوائف الأخرى ومنهم العالم الهندوسي المقتدى به من أهل الهند "راجا بيكراما جيت" الذي كان مشهوراً بالعدل والإحسان.

وهكذا يجب على قادة المسلمين اليوم اتباع سلفهم الصالح من القادة المنصفين في نشر الأعمال الصالحة من العدل والإحسان مع البشرية جمعاء كما أمر الله به بغض النظر عن الدين الذي ينتسب له، وهذا هو التعايش السليم في حالة التعددية الدينية.

العدل والإحسان ليس خاصاً بأحد دون أحد، إنه عديم اللون مثل الماء المتساقط من السماء، إذا وضعت هذا الماء في زجاجة ملونة يبدو اللون جيداً، ولكن عندما تمطر من السماء لا لون لها، وب نفس الطريقة لا لون للعدل والإحسان، ومع ذلك إذا كان الشخص الذي ينصف مسلماً فيُدعى المنصف مسلماً، وإذا كان هندوسياً يُدعى المنصف هندوسياً، المسلم والهندوس ألوان زجاجتين، لكن لالون للعدل والإحسان، فهي عديمة اللون وستظل عديمة اللون ويجب أن تظل عديمة اللون، لأن الحكم عام في الآية المباركة، لا يقال فيها: إن الله يأمر بالعدل مع المسلمين والإحسان مع المسلمين، وأيضاً الله سبحانه وتعالى قال في كلامه: الحمد لله رب العالمين، لا يقال رب المسلمين، رب الهندود، رب المسيحيين، رب العرب ورب العجم، يعني أنه تعالى رب العلمين، رب الشمس والقمر والنجوم، رب جميع قارات الأرض والنبات والحيوانات، الغرض أنه رب كل شيء، يعني هذا الرب يعم العدل والإحسان.

كما ذكر سبحانه وتعالى في موضع آخر: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾³، ذكر صاحب مفاتيح الغيب ضمن هذه الآية: "أنها عامة والمعنى لا يحملنكم بغض قوم على أن تجوروا عليهم وتجاوزوا الحد فيهم، بل اعدلوا فيهم وإن أساءوا عليكم، وأحسنوا إليهم وإن بالغوا في إجحاشهم، فهذا خطاب عام، ومعناه أمر الله تعالى جميع الخلق بأن لا يعاملوا أحداً إلا على سبيل العدل

¹ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 259/20.

² - رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، 1548/3، الرقم: 1555.

³ - سورة المائدة، الآية: 8.

والإنصاف، وترك الميل والظلم والإعتساف"¹، يعني إذا كان لديك شكوى بسيطة من مجموعة، أو حزب، أو مجتمع، أو تشعر بالمرارة، ولديك قلب، فهذا لا يقنعك بظلمهم، كلما كانت هناك فرصة للعدالة والتوازن لا تدع الموازين تنحني ومنح الحق الكامل، لأنه فعل إرضاء لله واتباع هدايته.

فيجب أن يكون العدل والإنصاف مشتركا بين الجميع، سواء كنا ننتمي إلى أمة أو دين، هذا أمر خالقنا وربنا أنه لا فرق بين العدل والإحسان ومعاملة الله هي نفسها للجميع في الدنيا، الله عزوجل لا يحب الفاسقين ولا الكافرين بل يحب المحسنين والمؤمنين في الذي يحسن للكافر فالله يحبه إذا كان مؤمناً، يمنح الرزق للجميع، ينقذ الجميع من الخطر، وهذا الإله يريد أن تكون العدالة نزيهة وعديمة اللون دون أي تفرقة أو تمييز، وعمل كل الطيبين في زمانهم، وكُتبت أسمائهم بأحرف من ذهب في التاريخ.

ومن كانت أعماله مبنية على العدل والإحسان يقي الله ذكره الحسن في الناس، وأثره الطيب يذكر به اسمه بعده، كما أبقي الله اسم "راجا بكرما جيت" حتى الآن حيث لا يزال الناس يتعاملون في الهند بالتقويم السنوي البكرمي، الذي ينسب له، فأحيا الله ذكره لأعماله الحسنة من العدل والإحسان إلى الناس، كما هو الحال بالنسبة للتقويم الهجري والميلادي، لكن الفرق أن الأخيرين باسم نبين عظيمين لهما أتباع حتى اليوم لذا يتعاملون بهما، لكن راجا بكرما جيت لماذا أحيا الله اسمه مع هذا التقويم الذي يذكر باسم التقويم البكرمي؟ لا شك أن هناك له أعمال كان يحبها الله منه فأحيا الله ذكره في الناس².

وسبب الانحراف والفساد في العصر الحاضر أنه عدم وجود التوازن والعدل والإحسان، وبسبب رفض العدل والإنصاف من كثير منا قد تحملنا مائة عام من العبودية البريطانية، وجرى المناشير على رؤوسنا، وتأسس النظام الاستعماري في العالم، ولو كان هناك العدل والإنصاف في مجتمعنا اليوم لما كانت هناك أعمال كريهة، لم توجد هناك الشكاوى ولا المخاصمات ولا الإضرابات ولا المظاهرات، والمجتمع الذي يتعامل في البيئة بالعدل والإنصاف هناك الأسد والشاة يسقيان من مشرب واحد، ولا طاقة لشخص أن ينظر لشخص بعيون الاستخفاف والأذى.

حدث في عهد عمر -رضي الله عنه- كما روى أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: كنا عند عمر بن الخطاب رضوان الله عليه إذا جاء رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك، قال ومالك، قال أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل فأقبلت فرسى فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو فقال

¹ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 320/11.

² - تحفة الإنسانية، ص: 65.

فرسى ورب الكعبة فلما دنا منى عرفته فقلت فرسى ورب الكعبة، فقام إلي يضربني بالسوط ويقول خذها وأنا ابن الأكرمين، قال فوالله ما زاده عمر على أن قال له اجلس ثم كتب إلى عمرو إذا جاءك كتابي فأقبل وأقبل معك بابنك محمد قال فدعا عمرو ابنه فقال أحدثت حدثاً أجنيت جنانية؟ قال لا قال فما بال عمر يكتب فيك فال فقدم على عمر، قال أنس فوالله أنا عند عمر حتى إذا نحن بعمرو، وقد أقبل في إزار ورداء فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه فقال أين المصري فقال ها أنا ذا قال دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين اضرب ابن الأكرمين، قال فضربه حتى أثخنه ثم قال اجلها على صلعة عمرو فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني قال أما والله لو ضربته ماحلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه أيا عمرو متى استعبدتم وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً، ثم التفت إلى المصري، فقال انصرف راشداً فان رابك ريب فاكذب إلى¹.

ووقعت حادثة مماثلة في الهند قريباً في عهدنا و أساس نزاع على قطعة الأرض بين المسلمين والهندوس، عندما لم يكن هناك حل قال القاضي الإنجليزي هناك شخص من الجانبين توافق على قراره؟ فقال الهندوس أن هناك مولوي "محمود الحسن" إذا يقضي فسوف نقبله، بناء على طلب القاضي تم الاتصال به وسؤاله عن مكانه؟ فقال إن هذا قطعة للهندوس وليس مسجداً للمسلمين²، هؤلاء هم الصادقون والعادلون المحسنون للناس اتباعاً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

7- الحرية والوطنية:

روح الحرية وحب الوطن موجود بشكل طبيعي في قلب كل انسان، وكل انسان يريد وطنه ينعم بالرخاء والسلام والاستقرار، كما يعلمنا دين الإسلام درساً في حب الوطن عندما كان الرسول الكريم -عليه السلام- يهاجر من موطنه مكة، فقال يا مكة! يا لها من مدينة جميلة، كم أنت عزيزة علي! كما ورد في الحديث: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)³،

كما أن روح الوطنية وحب الوطن أمر فطري في الناس، وديننا الحنيف لا يمانع من ذلك بل يؤيده كما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم حبه لمكة المكرمة وهذا هو السبب في أن روح الوطنية لا

¹ - سيرة عمر بن الخطاب، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) ص: 86-87 ، المطبعة المضيرة بالأزهر، القاهرة.

² - نجات الإنسانية، ص: 230.

³ - رواه الترمذي في سننه، باب في فضل مكة، 207/6، الرقم: 3925.

تخرج من القلب، نعم ! قد يقل لبعض الوجوهات، عندما ننظر في العصر الحاضر فنرى روح الحب الوطني أقل من قبل هذا، كل شيء يضيع في مكان ما بين "الجديد" و "القديم"، الشيخ الندوي-رحمه الله- يشرح الحرية والوطنية وحمايتها بطريقة جيدة جدا، أن يكون لكل رجل منزلين أحدهما منزل خاص به يعيش فيه مع أسرته وعائلته، ومن المهم جدًا أن يكون هذا المنزل هادئًا وآمنًا وخاليًا من أي خطر وأن يسوده جو من المحبة والسلام والأخوة، لكن في نفس الوقت يمتلك الإنسان منزلاً آخر، هذا المنزل كبير جدًا، إنه وطنه ، مثل منزل صغير ومنزل كبير (يتكون من منازل صغيرة لا حصر لها) حيث يعيش المسلمون والهندوس والسيخ وجميع الأديان المؤمنين، والأمة.

ويشير الشيخ الندوي-رحمه الله-أساسًا إلى ضرورة توضيح نواحي التعددية الدينية مع هذا الجانب أيضًا، لأنه مثلما نحن أعضاء في منزلنا الصغير ، فنحن أعضاء في البيت الكبير (المجتمع) وسكان البلد، في الوقت نفسه ، يجب ألا نغفل حقيقة أن مصير منزل صغير قد لا يكون بنفس قدر المنزل الكبير (البلد والمجتمع)، إذا كان بيتك الكبير (مجتمعك) هادئًا وآمنًا ومليئًا بالحب وإذا اعترف كل فرد في هذا المنزل بحقوق الآخر فهو يحبه، يعتبر كل إنسان أخاه في الوطن، ويعتبر أن من واجبه حماية حياته وممتلكاته وشرفه وكرامته ، ليكون هذا المنزل محظوظًا، لأن مجتمعه مسلم،

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في حال كثير من الناس يعتبرون : "أن حياتهم واهتماماتهم تقتصر على الجدران الأربعة لهذا المنزل، ويربطون نصيبهم بأسرهم وأفراد عائلاتهم، ويغضون أعينهم تمامًا عن البيت الكبير (الدولة والمجتمع)، وهذه الحقيقة تخرج من أذهانهم، أنه عندما تكون هناك رياح قوية وعواصف رياح في الخارج، يكون هناك حريق بالخارج، ويزيد الحريق، أو تغمر مدينتنا، أو هناك هزات أرضية قوية من جراء زلزال، فحتى ولا منزلاً واحداً لا يمكن أن يكون آمناً بحجة أنه مبني على أساس قوي وعميق للغاية"¹.

إذا درسنا هذا في الوقت الحاضر، سيتضح لنا أن الشيء الذي يعيش بشكل دائم إلى يوم القيامة هو الكون والبيئة، لا شيء يمكن أن ينقذ منزلك الشخصي من التلف إذا كنت لا تعتبر تلك البيئة والمجتمع منزلك، لذلك يجب أن يفكر أولاً في المجتمع والبيئة وبيته الكبير، ثم يفكر في منزله الشخصي.

¹ - نجات الإنسانية، ص: 226.

اليوم كثير من كبارنا وحكماءنا وفلاسفتنا ومفكرينا وكتابنا وحتى الجادين يشتغلون عن قصد أو دون قصد بتكليف الأمور وتديرها في منزلهم الصغير وتكليف الهواء في مساحة المعيشة الخاصة بهم، لكن أغمضوا أعينهم من المجتمع والجو العام والبيئة، وهذا للأنانية، واللامبالاة بالمجتمع للأسف.

ولا شك أن نتيجة الأنانية والمادية يطرح الجميع المجتمع والفرد، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾¹، يعني "وكان معنى الكلام عنده: اتقوا فتنة إن لم تتقوها أصابتكم"²، لدينا العديد من الأمثلة في العالم، عندما كانت دولة أو أمة في حالة تدهور، كان هناك فلاسفة وعلماء ومفكرون عظماء فيها (نحو الإمبراطورية الرومانية وغيرها) لكنهم كانوا مشغولين بمصالحهم الخاصة ومقدمين لمصالحهم الخاصة على المصالح العامة لذلك أصابهم ما أصابهم.

هذه أكبر مشكلة في العصر الحاضر أننا مستعدون لعمل كل شيء من أجل مصلحتنا الخاصة، حتى ولو كان منزلنا الكبير (البلد والمجتمع) معرضا للخطر، والغش، والغلا، والخدع، وعدم دفع الضرائب، وعدم الأمان، وعدم تحمل المشقة، والإباء عن العمل الشاق، وعدم سداد واجباتهم بصدق، وعدم وصول المكتب في الوقت المعين، وعدم أداء الفرائض في الوقت المحدد، وارتكاب الجرائم مثل الفساد والرشوة.

مسؤولية الداعي في العصر الحاضر:

على الداعية أن يستمد من سلفه الصالح تعاملهم مع الناس وأخلاقهم، ويخرج من ذهنه الحدود الجغرافية والدينية ويعملوا في أجل إسعاد الناس، ليكون ناجحا في دعوته إلى الله، وأن يكون قدوة النبي ﷺ أمامه في جميع الأوقات، وأن يكون الداعي مزارعاً للحب بين الناس ومقاطعا للكرهية.

وعلى الداعي أن يعلم الناس احترام الإنسانية من القرآن والحديث بموافقة دينه، يعني ما لإنسانية؟ ما هي صفاتها؟ ما هي حقوق الانسان على الإنسان؟ ما هي حقيقة الانسان؟ من خلق الانسان؟ ولما خُلق؟ (يعني لأي شيء وغرض خُلق) وغيرهم، هذه الأسئلة يركز عليها الداعي ومحاولة إيصال أجوبتها لكل فرد من أفراد المجتمع، الغرض الرئيسي من التعددية الدينية هو العمل بحيث الإنسان على أفعال

¹ - سورة الأنفال، الآية: 25.

² - جامع البيان في تفسير القرآن - المعروف بتفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، 11/116، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمام، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: 1، 1422 هـ - 2001 م.

مشاركة مع بقاء كل على دينه، وحاول أن تجلب الناس إلى الإسلام من خلال أفعالك، والحكمة والموعظة الحسنة.

على الداعي أن يؤدي دوره في المجتمع، ويعتبر الدعوة إلى الله فريضة نبوية، فالناس يسرون على خطوات قادتهم، ويؤصل فيهم أن يحبوا الصدق ويكرهوا الشر، وينشأ روح الرحمة والتعاطف لدى الناس لإنهاء الظلم والقسوة بغض النظر عن الدين أو القبيلة التي ترزق الدعوة والمدعو إليه، هناك حاجة كبيرة لهذا في العصر الحاضر، وهذا هو منهج الشيخ الندوي- رحمه الله- في التعددية الدينية.

على الداعي أن يحي روح الإحسان في الناس، ومن خلالها ينكشف ذوق بيئة الدعوة فيها، إن منصة التعددية الدينية واسعة جداً، وبهذا ينبغي إيقاظ وعي العدل والإنصاف في الناس، الذي يجلب الأمن والسلامة في المجتمع، يمكن قياس أهميتها في العصر الحاضر أن الشيخ الندوي رفع هذا الصوت في العديد من المجالس الفكرية لحل هذه المشكلة منذ سنوات عديدة، لذلك يجب على الداعي أيضاً أن يحاول إصلاح المجتمع أخذاً في الاعتبار منهجه، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه.

وخلاصة جميع هذا الكلام هو أن الشيخ الندوي- رحمه الله- كان واعظاً مسلماً عظيماً استنار بنور القرآن والحديث، وكان لديه أيضاً اهتمام عميق بالتاريخ، في عصره أي مسألة عرضت عليه وأي مشكلة حصلت لقد حلها بمهارة كبيرة بتوفيق الله تعالى، لقد أمضى حياته كلها في مراعاة قدوة النبي ﷺ، واحترم كل الأديان وجمعها على طاولة واحدة، وبالرغم أن الشيخ الندوي- رحمه الله- لم يكتب كتباً مستقلة على التعددية الدينية، لكن كتبه العامة ومحاضراته تشهد على أنه عاملها بنفس الاحترام كموقف عند أهل السنة والجماعة.

هذه كانت معاملة الشيخ مع أولئك الذين ينتمون إلى ما يسمى بالأديان غير السماوية، مثل الهندوسية والسيخية، بالإضافة إلى علماء الفينومينولوجيين الآخرين، إن شاء الله سنذكر في المباحث التالية ما كان تعامل الشيخ الندوي- رحمه الله- في التعددية الدينية لديانات سماوية كاليهودية والنصارية.

المبحث الثاني: الأديان السماوية

التمهيد:

لقد منح الله تعالى الشيخ الندوي-رحمه الله-مكانة عظيمة، ووقفه لنشر موقفه في شتى أنحاء العالم، ونقل الدين لأبناء المناطق والأمم والطوائف المختلفة دون أي تمييز، ومحاولة إصلاحهم في الدنيا والآخرة.

لقد ذكرنا في الصفحات السابقة الصفات الحميدة التي على أساسها حاول الشيخ الندوي -رحمه الله- إيجاد التعاون بين أهل الديانات غير السماوية في الهند والدول الأخرى، وفي هذا المبحث نذكر أفضلية وأحقية دين الإسلام على أولئك الذين ينسبون أنفسهم للأنبياء والرسل -عليهم السلام- (أي اليهود والنصارى)،

لا يوجد أي موقف مدهانة للشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله يؤيد فيه على غير حق الأديان غير الإسلامية في صورة التعددية الدينية وأنها على حق العياذ بالله، إلا أن تاليفاته وتصريحاته تدل على اقتناعه بموقف أهل السنة والجماعة، على قاعدة: خذ ما صفا و دع ما كدر " أي خذ الخير واترك السيئ، كما هو واضح من كتبه رحمه الله.

إن التعددية الدينية قد ذكرت في المبحث الأول مع بيان أسبابها بالتفصيل، وعلى أساسه روج الشيخ الندوي-رحمه الله- للتسامح بين أهل الديانات في التعامل وحسن الخلق هذه هي الأسباب التي ذكرها الشيخ لجذب أتباع الديانات السماوية للدعوة إلى الإسلام من منصة التعددية الدينية كوسيلة طيبة لدعوتهم في الإسلام، والقرآن يؤكد الكتب والأنبياء التي نزلت قبله، في الحقيقة إن تعاليمهم المذكورة في القرآن، أرسل عيسى-عليه السلام-إلى بني إسرائيل، وأنزل الله تعالى كتابه (الإنجيل) على عيسى - عليه السلام-، الذي احتوى على هدى لبني اسرائيل، كما ورد ذكر تعاليم عيسى -عليه السلام- في القرآن الكريم، فيما يلي سوف نستعرض بإيجاز تعاليم عيسى عليه السلام في القرآن وتعاليمه في الإنجيل الحالي، سيوضح هذا ماهية تعاليمهم الأصلية وكيف تعمل المسيحية الحديثة، على الرغم من أن وقت نبوة عيسى - عليه السلام- كان قصيراً جداً لكن في ذلك الوقت القصير، ترك وراءه إرثاً من التعاليم التي ستبقى في الذاكرة دائماً.

كان عيسى -عليه السلام- أحد الأنبياء العظماء أولى العزم الذين ورد ذكرهم بشكل خاص في القرآن الكريم والذين تم الاستشهاد بتعاليمهم مراراً وتكراراً، من جهة يبرز القرآن عظمة عيسى -عليه السلام- وتمجيده، من أجل تبديد المفاهيم الخاطئة الشائعة لدى اليهود عنه، ومن ناحية أخرى يدين بشدة أولئك

الذين يسمونه الله أو ابن الله، على العكس من ذلك يشير القرآن مرارًا وتكرارًا إلى تعاليم عيسى -عليه السلام- الواضحة، ومنه بيان صريح لمذهب التوحيد والنبوة والآخرة، يذكر القرآن الكريم في العديد من المواضع تعاليم سيدنا عيسى -عليه السلام- حول ما علمه قوم بني إسرائيل.

في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾¹، يعني وعندما يقول الله: يا عيسى بن مريم! هل قلت للناس أن تجعلني وأمي إلهًا بدلًا من الله جل شأنه؟ سوف يجيبون: سبحانك يعني حاشاك من الشريك، كيف لي أن أقول ما ليس لي الحق في قوله؟ أنت تعلم ما قلته جيدًا، كلمات نفسي واضحة لك، نعم، ما في نفسك مخفي عني، أنت تعلم كل ما لا يرى.

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: هذا أيضا مما يخاطب الله تعالى به عبده ورسوله عيسى ابن مريم، عليه السلام، قائلًا له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾، وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على رؤوس الأشهاد. هكذا قاله قتادة وغيره².

نقل الله تعالى عن عيسى -عليه السلام- قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾³، يعني الله ربي وربكم فاعبدوه فهذا هو الصراط المستقيم، يتضح من هذه الآيات أن دعوة عيسى -عليه السلام- كانت بالضبط نفس دعوة جميع الأنبياء الآخرين، على سبيل المثال الله وحده وطاهر، لذلك فهو وحده مستحق العبادة، وبهذا المعنى فإن عقيدة المسيح "الألوهية" باطلة، ينبغي طاعة النبي ﷺ نائبًا عن الله، وهذه دعوة جميع الأنبياء، أنه مالك التحليل والتحريم، والجواز وعدم الجواز، لذلك سأحررك من مثل هذه القيود غير المشروعة بإعلان أن الأشياء التي حرمتك على نفسه بأمر من الله، أيضًا، بأمر من الله، قمت بتقليل القيود المفروضة على اليهود في يوم السبت بشكل كبير، لكن لا يمكن إصلاح اليهود واستمروا في التقدم في عداوة عيسى -عليه السلام-.

¹ - سورة المائدة، الآية: 116.

² - تفسير ابن كثير، 232/3.

³ - سورة آل عمران، الآية: 51.

في الحقيقة لا يوجد فرق كبير بين رسالة عيسى وموسى وخاتم النبيين محمد ﷺ، ورسالة الأنبياء الآخرين - عليهم السلام- على العكس من ذلك يتفق جميع الأنبياء على هذا المبدأ لكن بعض الشرائع مختلفة، للأسف أن رسالة سيدنا عيسى عليه السلام في الإنجيل المعاصر لم يبين وصفها كالتى وردت في القرآن، فالمسيح آمن فقط بعبادة الله، كما يتضح من تعليماته "يأتي ملكوتك لتكون مشيئتك على الأرض كما في السماء"¹.

وليس هذا فقط لقد كانوا مقتنعين بهذا، بل كان الغرض من كل جهودهم هو طاعة حكم الله على الأرض كالتى يتم بها طاعة حكمه في السماء، وبالمثل يتضح من أقواله العديدة أن عيسى -عليه السلام- قدم نفسه كنبي وممثل للملكوت السماوي، وبالتالي دعا الناس إلى طاعته.

ورد في القرآن الكريم في موضع آخر: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾²، يعني الكافرون يقولون أن عيسى -عليه السلام- هو الله مع أن عيسى قال لهم: يا بني إسرائيل! اعبدوا الله ربنا وربكم أجمعين، وآمنوا أن من أشرك بالله شيئاً، فإن الله حرم عليه الجنة، ومقره في النار.

ترفض الآيات المذكورة أعلاه من القرآن والإنجيل بشكل كامل كل ما ينسبه الناس إلى الأنبياء ويسجلون في كتبهم الدينية، والتي يعتبر النبي أو الملاك بها إلهاً، تنص هذه الآيات على قاعدة عامة مفادها أنه على الرغم من أن التعليم الذي يعلم عبادة غير الله، فإنه لا يمكن أن يكون من تعليم أي نبي وحيث يوجد مثل هذا الشيء في أي كتاب ديني، إذا كان الأمر كذلك، يجب أن نفهم أن هذا الاعتقاد المضلل هو نتيجة تشوهات الناس.

وبخصوص الأديان غير السماوية، رأى الشيخ الندوي -رحمه الله- أن الإسلام يعلمنا التسامح كالإنسانية، لذلك قد مضى تفصيل هذا، لكن فيما يتعلق بالديانات السماوية، أي اليهودية والمسيحية، يقول الشيخ إن الديانات السماوية الحالية، سواء كانت اليهودية أو المسيحية، بعيدة كل البعد عن تعاليم أنبيائها وتخضع للتغريب، الذي قبلوه، ونسوا تعاليم الأنبياء عليهم السلام، لأن تعاليمهم كانت تشجيعاً على الحسنات، ونهيًا عن المنكرات، في حين أن وضع أتباع هذه الأديان مختلف تماماً.

¹ - بائبل متى، آيت: 9-10.

² - سورة المائدة، الآية: 72.

لقد تخلّى اليهود والمسيحيون في العاصر الحاضر عن معتقداتهم ووقعوا في المادية وحظوظ النفس.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فقدت المسيحية شخصيتها بعد قرون من خروجها من أرض فلسطين ودخولها إلى الإمبراطورية الرومانية، والمسيحية اليوم ليست دين النبي الذي جاء برسالة الله، ونقلوا رسالة الأمن والمحبة، بل المسيحية الحالية هي نتاج "سينت بولس"، وهي نتاج عبقريته، هذا مسيحية السينت بولس ومسيحية العصور الوسطى، إن المسيحية غير قادرة على توجيه مثل هذا البلد الغليان والجري والحضارة والعرق المضطربين، وليس لديها رسالة شمولية، ولا تملك القوة الأخلاقية لوقفها¹.

يذكر القرآن الكريم فضل الأمة اليهودية، يقول الندوي-رحمه الله- "وكانت في أوروبا وآسيا وإفريقيا أمة هي أغنى أمم الأرض مادة في الدين، وأقربها فهماً لمصطلحاته ومعانيه"²، وهي ديانة قديمة مشهورة- فإنها تنظر إلى الله كرب بني إسرائيل، وإله بني إسرائيل في الغالب، إن صحف العهد القديم، والكتب المقدسة الدينية عند اليهود تخلو عن ذكر الله كرب العالمين، ورب الكون بتاتا، ولذلك فالبحت في سيرة نبي من أنبيائهم، مثل موسى وهارون، أو داود وسليمان، عن مثل هذا الإعلان، عبث وإضاعة وقت، فإن هذه الديانة لم تكن- في أي مرحلة من مراحلها- رسالة رحمة ومساواة للجيل الإنساني كله من غير تمييز عنصري ولم تشجع فيها الدعوة إلى هذه الديانة خارج شعب إسرائيل أبداً³.

وبنفسها إن اليهود لم يكن بأقل من وضعهم، لكن قدر لهم أن يحكمهم غيرهم، كما ذكر الشيخ الندوي-رحمه الله- في كتابه الشهير: "أولئك هم اليهود، ولكن لم يكونوا عاملاً من عوامل الحضارة والسياسة أو الدين يؤثر في غيرهم، بل قُضي عليهم من قرون طويلة أن يتحكم فيهم غيرهم، وأن يكونوا عرضة للاضطهاد والاستبداد، والنفي والجلاء، والعذاب والبلاء، وقد أورثهم تاريخهم الخاص وما تفردوا به بين أمم الأرض من العبودية الطويلة والاضطهاد الفظيع والكبرياء القومية، والإدلال بالنسب، والجشع وشهوة المال وتعاطي الربا، أورثهم كل ذلك نفسية غريبة لم توجد في أمة وانفردوا بخصائص خلقية كانت لهم شعاراً على تعاقب الإعصار والأجيال، منها الخنوع عند الضعف، والبطش وسوء السيرة عند الغلبة، والختل والنفاق في عامة الأحوال"⁴.

¹ - العالم الجديد (الولايات المتحدة الأمريكية) للعلامة الندوي، ص: 62، الإدارة البحوث الإسلامية، لکناؤ، 2012.

² - ماذا خسر العالم، ص: 38.

³ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 608.

⁴ - ماذا خسر العالم، ص: 38.

الاعتقادات أعلاه تعطي فكرة عن السيرة والخصائل هذه الديانات السماوية، ولهذا فإن ذكر التعددية الدينية الإيجابية معهم هو نفسه كما في المبحث الأول، هنا نذكر التعددية الدينية السلبية، يعني أي خصال ابتعدوا عن الدين، وكيف دعاهم دعوة الإسلام إلى الإسلام، وما أثر الدعاة عليهم، وما هي الطريقة التي ينبغي أن يتخذها الداعي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر.

التعددية الدينية السلبية:

الشرك بالله

على الرغم من أن المسيحية كانت أمة رفيعة المستوى شاعها آخر نبي بني إسرائيل، إلا أنهم سرعان ما فقدوا مصداقيتهم الدينية عندما استولت المسيحية على الإمبراطورية الرومانية، وكأن عبادة الأصنام والشرك مع الله قد بدأت من هنا، لأن لديهم قوة لا يمكن أن يتصوروها، ومارسوا عبادة الأصنام الرومانية وشوهوا المسيحية داخل القسطنطينية، ومسحوا دين عيسى -عليه السلام- كتب دراير في كتابه:

يقول دراير: "دخلت الشرك والوثنية في النصرانية بتأثير المنفقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهريهم بالنصرانية، ولم يكونوا يحتلفون بأمر الدين، ولم يخلصوا له يوماً من الأيام، وكذلك كان قسطنطين فقد قضى عمره في الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلاً في آخر عمره يعني 337م¹."

سيطرت المسيحية على روما، لكن لم يكن من السهل إحضار المذهب المسيحي وإعتقاده إلى الناس هنا، هذا لأنه عندما انتشر المذهب هنا، بدأ الجميع في قبول المسيحية لتحصيل فوائد شخصية، بينما كانت عبادة الأصنام متأصلة فيهم، وبسبب ذلك أصبحت المسيحية ضحية للصراع في هذه الأرض، هكذا قال الشيخ الندوي - رحمه الله - : "إن الجماعة النصرانية وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها، وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئها، ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء - هناك يختلف الإسلام عن النصرانية، إذ قضى الإسلام على منافسه (الوثنية) قضاء باتاً، ونشر عقائده خالصة بغير غش"².

¹ - الصراع بين المذهب والعلم للعلامة الندوي، المترجم: (معركة مذهب و سائنس)، ص: 53-54.

² - ماذا خسر العالم، ص: 150.

نتيجة لذلك، في نظر أتباع المسيحية المخلصين، يمكن تحسين دين المسيحية في شكل حديث، ولكن الذي حدث هو أن شيئاً ثالثاً خرج من حيرتهم وهو الرهبانية.

تطرف الرهبانية :

أصبحت الرهبانية متطرفة لدرجة أنه كان من الصعب يتصورها في ذلك الوقت، حضروا خمسون ألف راهب في عيد الفصح في زمن سينت جيروم، وفي القرن الرابع، كان هناك 5000 راهب تحت راهب واحد، أيضاً كان هناك عشرة آلاف تحت قيادة السينت سرابين، بحلول نهاية القرن، كان عدد الزهاد والرهبان مساوياً لعدد سكان مصر تقريباً، واستمرت هذه العملية طوال مائتي عام، والتي أطلق عليها السينت مكريس الإسكندرية:

وقال الراهب الإسكندري بعد زمن متلهفا: وأسفاه! لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراماً فإذا بنا الآن ندخل الحمامات، وكان الرهبان يتجولون في البلاد ويختطفون الأطفال ويهربونهم إلى الصحراء والأديار وينتزعون الصبيان من حجور أمهاتهم ويربونهم تربية رهبانية والحكومة لا تملك من الأمر شيئاً، والجمهور يؤيدونهم ويجذون الذين يهجرون آبائهم وأمهاتهم ويختارون الرهبانية ويهتفون باسمهم، وعرف كبار الرهبان ومشاهير التاريخ النصراني بالمهارة في التهريب، حتى روى أن الأمهات كن يسترن أولادهن في البيوت إذا رأين الراهب امبروز (Ambrose)، وأصبح الآباء والأولياء لا يملكون من أولادهم شيئاً وانتقل نفوذهم وولايتهم إلى الرهبان والقسوس¹.

تأثير الرهبانية في أخلاق الأوربيين

كان نتيجة هذه الرهبانية أن خلال الفتوة والمروءة التي كانت تعد فضائل، عادت فاستحالت عيوباً ورزائل، وزهد الناس في البشاشة وخفة الروح والصراحة والسماحة والشجاعة والجرأة وهجرها، وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية، وعم الكنود والقسوة على الأقارب، فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حناناً ورحمة، وعيونهم من الدم، تقسو قلوبهم وتحمّد عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد، فيخلفون الأمهات ثكالي والأزواج أيامى والأولاد يتامى، عالة يتكففون الناس، ويتوجهون قاصدين الصحراء، همهم

¹ - انظر : Lecky History of European morals , volim:iv .

الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة لا يزالون ماتوا أو عاشوا، وحكى "ليكي" من ذلك حكايات تدمع العين وتحزن القلب"¹.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قريهن والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهم في الطريق، والتحدث إليهن ولو كن أمهات وأزواجاً أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية، وروى "ليكي" من هذه المضحكات المبكيات شيئاً"².

عجز الرهبانية عن تعديل المادية الجامعة:

ولا يتوهم أحد أن هذه الرهبانية الغالية قد عدلت من شره المادية الرومية وكبحت من جماحها وغلوائها في البهيمية والشهوات، فإن هذا لم يكن ولا يكون في الغالب وتأباه الفطرة الإنسانية ويكذبه التاريخ، فإن الذي يوجد الاعتدال ويخفض من المادية الجامحة، ويجعل منها حياة معتدلة، هو النظام الروحي الديني الخلقي الكريم الذي يوافق الفطرة الإنسانية الصحيحة، والذي لا يتصدى لأن يزيل الفطرة الإنسانية، بل يوجهها توجيهاً نافعاً، فإنها لاتزال ولكن تميل من شر إلى خير، وهكذا فعل الإسلام، وهكذا فعل سيدنا محمد ﷺ، فقد صرف شجاعة العرب من منافسات القبيلة والتقابل وأخذ الثأر والأحقاد القديمة إلى الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله، وصرف تبذيرهم وسماحتهم إلى الإنفاق في سبيل الله، وشغلهم عن الجاهلية بالدين الإسلامي، وأبدل الشيء بالشيء، وأعطى النفس حقها من النشاط والترويح، فإن النفوس كما قال عالم من علماء المسلمين لاتترك شيئاً إلا بشيء، وإن النفوس خلقت لتعمل، لا لتترك، وإنما الترك مقصود لغيره"³.

¹-انظر: History of European Morals.Part ii Chapter iv, from Constatine, to Charlemagne.

²- ماذا خسر العالم، ص: 152

³- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحارثي الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، 2/ 126، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط:7، 1419هـ - 1999م.

وإن الأنبياء قد بُعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها، لا بتبديلها وتغييرها، فلا يأمرُونَ إلا بما يُوافق المعروف في العقول، الذي تتلقاه القلوب السليمة بالقبول"¹.

وفي رواية عن أنس قال: (قدم رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: "ما هذان اليومان؟" قالوا: كنا نلعبُ فيهما في الجاهلية، فقال رسولُ الله - صَلَّى الله عليه وسلم - : "إن الله قد أبدلكم بهما خيراً مِنهما: يَوْمُ الأَضْحَى، وَيَوْمُ الفِطْرِ)"².

هكذا جاء في حديث آخر عن عائشة رضي الله عنها: (أن أبا بكر رضي الله عنه، دخل عليها عندها جاريَتان في أيام منى تدفان، وتضربان، والنبي صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم عن وجهه، فَقَالَ: دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد، وتلك الأيام أيام منى)³.

بين الرهبانية العاتية، والمادية الجامعة:

نقل الشيخ أبو الحسن عن "ليكي" ما كان عليه العالم النصراني في ذلك العصر من التأرجح بين الرهبانية والفجور فيقول: إن التبذل والإسفاف قد بلغا غايتهما في أخلاق الناس واجتماعهم، وكانت الدعارة والفجور والإخلاد إلى الترف والتساقط على الشهوات والتملق في مجالس الملوك وأندية الاغنياء والأمراء والمسابقة في زخارف اللباس والحلى والزينة في حدتها، وشدها"⁴.

الفساد في مراكز الرهبان الدينية:

قال الشيخ الندوي: "ولم تكن الرهبانية والنظام الديني السليبي إلا مصادمة للفطرة، فبقيت مقهورة بعوامل الديانة الجديدة، وسلطانها الروحي وساعدتها عوامل أخرى، ثم قهرت الطبيعة وتسرب الضعف والانحراف

¹ - النبوت، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحارثي الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، 1091/2، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، رياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1420هـ/2000م.

² - رواه أبو داود في سننه، كتاب: تفریع أبواب الجمعة، باب صلاة العیدین، 295/1، الرقم: 1134، (رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتَّسَائِيَّ وَغَيْرَهُمَا بِأَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى : 676هـ)، 819/2، المحقق : حققه وخرج أحاديثه: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت، ط: 1، 1418هـ - 1997م).

³ - أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب إذا فاتته العيد يصلي ركعتين، وكذلك النساء، ومن كان في البيوت والقرى، 23/2، الرقم: 987.

⁴ - History of European Morals ii, chapter vi -

في المراكز الدينية حتى صار تراحم المراكز الدينية وربما تسبقها في فساد الأخلاق والدعارة والفجور، لذلك وقفت الحكومة المآدب الدينية التي كانت ترمى إلى عقد الألفة والأخوة بين المسيحيين، وأعياد الشهداء والأولياء وذكرياتهم التي وجدت فيها الخلاعة والفجور حمى ومرتعاً، وأتهم القسوس بكبائر ومنكرات¹.

يقول الراهب "جروم" (Jarum): "إن عيش القسوس ونعيمهم كان يزرى بترف الأمراء والأغنياء المترفين، وقد إنحطت أخلاق البابوات انحطاطاً عظيماً واستحوذ عليهم الجشع وحب المال وعدو طورهم، ويروى أن مجموع دخل مملكة فرنسا لم يكن يكفى البابوات لنفقاتهم وإرضاء شهواتهم².

تنافس البابوية والإمبراطورية:

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وبدأ النزاع والمنافسة بين البابوية والإمبراطورية في القرن الحادي عشر، فاشتد بعنف وحمى وطيسها، وانتصرت فيها البابوية أولاً، حتى إن هنرى الرابع ممثل الإمبراطورية اضطر سنة 1088م أن يتقدم بحضوع نحو البلاط البابوي في قلعة كانواسا ولم يسمح له البابا بالدخول إلا بعد أن شفع له الرجال، فسمع له بالمثل بين يديه، فدخل الإمبراطور صاغراً حافياً لابساً الصوف وتاب على يديه فغفر له البابا زلته، وكانت الحرب بين البابوية والإمبراطورية بعد ذلك سجالاتاً حتى ضعفت البابوية، وبقي الناس هذه المدة الطويلة يتنازعهم عاملان ديني ودنيوي وبقوا يريزحون تحت نيرين إمبراطوري وبابوي³.

جناية رجال الدين على الكتب الدينية:

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولكن رجال الدين من سوء حظ النصرانية ومن سوء حظ الأمم التي دانت بها أساؤوا استعمال هذا السلطان الهائل فاستغلوه لأنفسهم ونفوذهم وجاههم، وبقيت أوروبا تتسكع في دجاجير الجهل والخرافة والإنحطاط⁴.

أيضاً قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولكن من أعظم أخطاء رجال الدين في أوروبا ومن أكبر جناياتهم على أنفسهم وعلى الدين الذي كانوا يمثلونه أنهم دسوا في كتبهم الدينية المقدسة معلومات بشرية ومسلمات عصرية عن التاريخ والجغرافية والعلوم الطبيعية ربما كانت أقصى ما وصلوا إليه من العصر، ولكنها ليست

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 151.

² - انظر: Conflict of Religion and Science

³ - ماذا خسر العالم، ص: 155.

⁴ - المصدر السابق، ص: 156.

أقصى ما وصل إليه العلم الإنساني، وإذا كان ذلك في عصر من العصور غاية ما وصل إليه علم البشر فإنه لا يؤمن عليه التحول والتعارض، فإن العلم الإنساني متدرج مترف"¹.

اضطهاد الكنيسة للعلم:

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-:"وكان ذلك في عصر انفجرت فيه بركان العقلية في أوروبا، وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الديني فزيفوا هذه النظريات الجغرافية التي اشتملت عليها هذه الكتب وانتقدوها في صرامة وصراحة، واعتذروا عن عدم اعتقادها بالإيمان بها بالغيب، وأعلنوا اكتشافاتهم العلمية واختباراتهم، فقامت قيامة الكنيسة وقام رجالها المتصرفون بزمم الأمور في أوروبا وكفرهم واستحلوا دماءهم وأموالهم في سبيل الدين المسيحي"².

ثورة رجال التجديد:

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-:"هناك ثار المجددون المتنورون وعيل صبرهم، وأصبحوا حرباً لرجال الدين وممثلي الكنيسة، والمحافظين على القديم ومقتوا كل ما يتصل بهم ويعزى إليهم من عقيدة وثقافة، وعلم وأخلاق وآداب وعادوا الدين المسيحي أولاً والدين ثانياً، واستحالت الحروب بين زعماء العلم والعقلية، وزعماء الدين المسيحي"³.

تقصير الثائرين وعدم تثبتهم:

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-:"ولم يكن عند هؤلاء الثائرين من الصبر والمثابرة على الدراسة والتفكير، ومن الوداعة والهدوء، ومن العقل والاجتهاد ما يميزون به بين الدين ورجاله المحتكرين لزعامته، ويفرقون بين ما يرجع إلى الدين عن عهدة ومسئولية، وما يرجع إلى رجال الكنيسة من جمود وجهل و استبداد وسوء تمثيل، فلا يبنذوا الدين بنذ النواة، ولكن الحفيظة وشنآن رجال الدين والاستعجال لم يسمح بالنظر في أمر الدين والتراث في شأنه كغالب الثوار في أكثر الأعصار والأمصار"⁴.

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 157.

² - المصدر السابق، ص: 157.

³ - المصدر السابق، ص: 158.

⁴ - المصدر السابق، ص: 158.

اتجاه الغرب إلى المادية:

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "وعلى كل فقد وقع المحذور وانصرف اتجاه الغرب إلى المادية بكل معانيها، وبكل ما تتضمنه هذه الكلمة من عقيدة ووجهة نظر ونفسية وعقلية وأخلاق واجتماع وعلم وأدب وسياسة وحكم وكان ذلك تدريجاً"¹

افتضاح المادية في الدور الأخير:

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "ولكن رجال النهضة الأوروبية ظلوا قرونا يجمعون بين النظر المادي الجاحد والحياة المادية، والطقوس الدينية المسيحية، بالتقليد أو بتأثير المحيط الذي لا يزال في العالم النصراني، أو بمصالح خلقية واجتماعية كانت تقتضى البقاء ولو بالاسم على نظام ديني ويؤلف بين أفراد الأمة ويحفظها من الفوضى، حتى افتضحوا في الآخِر وصعب الجمع بينهما بسرعة سير الحضارة المادية، وتخلّف الدين والتقاليد وعجزها عن مسايرتها وما في الجمع بينهما من متاعب وضياح للوقت وتكلف هم في غنى عنه، فطرحوا الحشمة ورموا برقع النفاق"².

نسخة صادقة من الحضارة اليونانية:

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "فأصبحت الحياة في أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين نسخة صادقة من الحياة في يونان وروما والوثنيين الجاهلتين، وعادت الطبيعة الأوروبية (التي كانت النصرانية الشرقية قد قهرتها) جذعة.

ولاغربة في ذلك، فالأوروبيون إنما ينحدرون من أولئك اليونان والرومان، والسلاسل الأوروبية الأخرى ترى دينا خلوا من الروحانية، وكذلك ترى شكاً في الدين واضطراباً في العقيدة واستخفافاً بالنظام الديني وطقوسه وتقاليده، كما رأيت روما بعد التنور"³.

ديانة أوروبا اليوم المادية لا النصرانية:

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "فمما لا شك فيه أن دين أوروبا اليوم الذي يملك عليها القلب والمشاعر ويحكم على الروح هو المادية لا النصرانية كما لم يعلم ذلك كل من عرف النفسية الأوروبية، واتصل بالأوروبيين

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 159.

² - ماذا خسر العالم، ص: 160.

³ - المصدر السابق، ص: 161.

عن كثت لاعن كتب، بل وعن كتب أيضاً، ولم ينخدع بالمظاهر الدينية التي تزيد في إبهة الدولة التي يجد فيها الشعب ترويحاً للنفس وتنوعاً، ولم ينخدع بزيارتهم للكنائس وحضورهم في تقاليدها"¹.

إن الحضارة الغربية لا تجهد الله في شدة وصراحة، ولكن ليس في نظامها الفكري موضع لله في الحقيقة ولا تعرف له فائدة ولا تشعر بحاجة إليه².

مسئولية الداعي في العصر الحاضر:

إن الجهاد الدعوي اليوم واجب الوقت وأكبر احتياج ديني في العصر الحاضر هو مواجهة موجة الإلحاد العاصفة التي تمر في قلب العالم الإسلامي، المهمة المتجددة في هذا الوقت هي استعادة ثقة الشباب، والطبقة المثقفة من الأمة في أصول، ومعتقدات الإسلام ونظامه وحقائقه ورسالة محمد ﷺ، من أعظم العبادات عبادة اليوم، هو علاج هذا الاضطراب العقلي، والاضطراب النفسي الذي يعلق فيه شباب اليوم المتعلم بشدة، وأن يصبح قلبه وعقله الفكري راضين تماماً عن الإسلام، إن أعظم جهاد اليوم هو اختبار أفكار الجاهلية الأساسية التي أصبحت متأصلة في القلب والعقل في مجالات العلم والعمل والفكر، وحتى التمسك بمبادئ الإسلام بإيمان كامل.

كما أنه من المهم أن يراجع العلماء والباحثون المسلمون إلى كتابات المستشرقين وأبحاثهم العلمية، وأن يقوموا بتصفياتهم العلمية في ضوء الحقائق والأحداث، والتعرف على أخطائهم في فهم معاني عباراتهم العربية أو في تحليلها وتفسيرها، ومما يتيح للقراء معرفة أن المصادر التي يعتمدون عليها غير موثوقة، لقد استخلصوا منهم استنتاجات مهمة وأقاموا صرح مطالبهم بالكامل عليهم، وأسسهم ضعيفة ومشكوك فيها أو عفا عليها الزمن، وفي نفس الوقت تظهر إلى أي مدى تعمل أهدافهم وأهدافهم السياسية والدينية في مساعيهم العلمية البريئة، ولكن هذا العمل النقدي والسلي ليس كافياً فحسب، بل إن العمل الإيجابي والبناء أمر لا مفر منه، هناك حاجة ماسة إلى استمرار المعلومات والبحوث المتعمقة حول الموضوعات الإسلامية، وهو مليء بالتحليل والمرجع الصادق للمصادر والمراجع وفهرس تفصيلي مفيد ومتنوع (يعتبر من سمات المستشرقين)، في هذا الصدد، يجب استخدام المواد والكتب التي لا تتبادر إلى الذهن بشكل عام والتي لا ترتبط مباشرة بالموضوع ولا تعتبر تقليدياً كتباً تاريخية.

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 161.

² - Islam At the Cross Roads.p:40, Fifth Edition

وبنفس الطريق في الدول العربية، يجب على الداعي أن يضع هذه الأشياء في الاعتبار: إن الإسلام جنسية الوطن العربي، ومحمد إمامه وقائده، والإيمان كنز قوته التي حارب بها أمما أخرى وانتصر، وسر قوته وسلاحه الفعال الذي هو غدا هو العصر الحاضر الذي يستطيع به محاربة الأعداء وحماية هويته وإيصال دعوته للآخرين، إذا كان على العالم العربي أن يحارب الشيوعية أو اليهودية أو أي عدو آخر، فلا يمكن أن يقاتل بقوة هذه الثروة، التي تتبرع لها المملكة المتحدة، أو تتبرع لها الولايات المتحدة، أو تستلمها بسعر البترول، بل يمكنه أن يواجه عدوه فقط بالإيمان والقوة الروحية والروح الإسلامي، التي دعا بها الحكومتين الرومانية والإيرانية للحرب في نفس الوقت وانتصر فيها، لا يستطيع أن يقاتل بقلب يحب الحياة ويكره الموت، ولا يمكنه أن يقاتل بجسد يحب الرفاهية، ولا يمكنه أن يقاتل بعقل مقرف من الشك، وعندما تتشابك الأفكار والرغبات، يجب أن نتذكر أنه لا يمكن أبدًا كسب ساحة المعركة بإيمان ضعيف وقلب متشكك وقوة لا يستهان بها.

إن أهم مهمة للقائد العربي وقادة جامعة الدول العربية هي زرع بذور الإيمان في كل قسم من أقسام الجيش العربي والفلاحين والتجار والجماهير، بما في ذلك روح الجهاد وشغف الجنة وإرشادهم للتواضع وتعليمهم التغلب على رغبات الحياة وملذاتها، وتحمل المشقات والآلام في سبيل الله، والترحيب بالموت بوجوه مبتسمة، كما يدعو الشيخ الندوي-رحمه الله- العالم العربي إلى تبني أحدث الموارد، والتزود بالمعرفة، واعتماد سبل جديدة للتنمية لا تتعارض مع الدين والأخلاق، يقول: إن العالم العربي يحتاج إلى الاستقلال التام والاكتفاء الذاتي في التجارة والتمويل والصناعة والتعليم كمثل العالم الإسلامي، وأن يكون نتيجة صناعتهم وعملهم الجاد في كل مجال من مجالات الحياة المحرومين من الغرب، وفي كل ما يحتاجونه من منتجات وغذاء وملابس وأسلحة وآلات وأسلحة، لا ينبغي أن يكونوا خدامات الآخرين وغطاء رحمة وملح الغرب، الوضع في الوقت الحاضر هو أنه إذا كان العالم العربي يريد محاربة الغرب بسبب ظروف لا مفر منها، فلا يمكنه فعل ذلك لأنه مدين بالديون ويحتاج إلى مساعدته، القلم الذي يوقع به على المعاهدة مع الغرب هو أيضًا قلم الغرب، تمامًا كما السلاح مع الغرب"¹.

يريد الشيخ الندوي-رحمه الله- أن يلفت أنظار العالم العربي إلى حقيقة أنه مكتفٍ ذاتيًا في احتياجاته، وأن تنظيم التجارة والتمويل له سيطرة كاملة على الاستيراد والتصدير، والصناعة الوطنية، والتدريب العسكري،

¹ - أهم موجّهات للفكر والدعوة، مولانا بلال عبد الحي الندوي، المترجم: (دعوت وفكر کے اہم پہلو)، ص: 88، الأكاديمي السيد أحمد شهيد رائ بريلي.

وتصنيع الآلات والأدوات، وإعداد الأشخاص الذين يمكنهم تولي مسؤوليات الحكومة وأداء واجباتهم الرسمية بمعرفة كاملة واحتراف وأمانة وحسن نية.

إن الشيخ الندوي-رحمه الله-حاول أيضًا لفت انتباه الدعاة الذين يعيشون في الغرب إلى الدين: ويقول أنت خليفة إبراهيم- عليه السلام-، أنت مهندس الحرم، يجب أن تبني عالمًا جديدًا، اليوم العالم ينهار، انهارت بنيت للنظر وفي الواقع الدمار، الرسالة التي تحملها، الكتاب السماوي الذي تحمله، النبي الذي تتبعه، كان من واجب هذا النبي أن يحرر العالم من كل عبودية وأن يدخله في عبودية الله الواحد، أنت ترسل رسالة إلى أهل هذا البلد ، أيقظهم ، هزمهم بأنك على طريق الحياة الخطأ، ما نوع الحياة التي تستمتع بها؟ أنت لا تعرف المعنى الحقيقي للحياة¹، وفي أرض باكستان وغيرها من البلدان يحتاج الداعي إلى التركيز على الإيمان وكذلك الثقافة. قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: " بينما يبحث هذا العصر عن قوة الإيمان والعقيدة، فإنه يسعى أيضًا إلى الدراسة المتعمقة، كما أنه يسعى إلى الجدلية الكبيرة وعمق الفكر، وكذلك الإيثار والتضحية بالنفس، لم يتم إصلاح هذه المرحلة بدون هذه العناصر، ولم يتم إصلاحها من قبل، ولا يمكن إصلاحها الآن، مثلما هو اختبار لإيماننا، فهو أيضًا اختبار لذكائنا، لأنه خلق بنية جديدة لمجتمع جديد وفق تعاليم الإسلام، والقضاء على العناصر المخالفة للإسلام وخلق حضارة جديدة².

وبنفس الطريقة، يجب على الداعي هنا توعية الناس بضيق الجنسية، وشرح أضرار التعصب اللساني والثقافي، ودعوتهم إلى الاتحاد في الوحدة الإسلامية والدينية.

خلاصة هذه هي أنه بالمقارنة مع الخصائص الحالية للأديان السماوية (اليهودية والمسيحية)، يجب على الداعي الالتزام بالأمور المذكورة أعلاه، حتى يتم تذكير المجتمع مرة أخرى بالإسلام كما كان في زمن السلف. وقد أظهرت الدراسات أن تبديل الأديان السماوية (اليهودية والمسيحية) من ديانات طاهرة إلى الوضع الحالي كان لهذه الأسباب:

1. أعطيت مكانة للمادة بدلًا من الاعتقاد
2. أعطيت مكانة للتجارة العالمية التي كانت مخالفة لمنهاج النبوة بدلا من الهداية.
3. تقوم الحكومة على الربح والفوائد الدنيوية بالابتعاد عن الدين والأخلاق

¹ - العالم الجديد، ص: 27-28

² - الدعوة الفكر والعمل للعلامة الندوي، المترجم: (دعوة فكر و عمل)، ص: 53، مجلس التحقيق والنشریات الإسلام، لکناؤ، الهند.

4. ترك النمو الأخلاقي والإرشاد واتبعت صيغة اللورد ماكولاي (حصول الأرباح أكثر في أقصر وقت ممكن)

5. بالمكافآت والتقدم أدت إلى عدم معرفة الله بدلاً من معرفة الله

6. يفضل التنمية الصناعية على التنمية الدينية

هذه هي الخصائص الرذيلة التي أدت لانحيار الأمم، لا يمكن للداعي المسلم أن يبطل هذه الخصائص إلا باتباع ما ورد في مسئولية الداعي.

الفصل الثاني: التعددية الفكرية داخل الفرق الإسلامية ومنهجية التعامل معها

التمهيد:

الاختلاف في الأمة الإسلامية أمر لا مفر منه، لقد حدث في كل عصر وسيستمر في الحدوث، في الحقيقة إنه مظهر من مظاهر قوة الله، حتى لو سعى المرء إلى القضاء عليه، فلا يمكن القضاء عليه، فهي سنة الله الكونية في خلقه، إنها مسألة مختلفة أنه ليس كل الخلاف يستحق اللوم ولا يمكن مدح كل خلاف، الخلافات التي تكون دوافعها وأسبابها قبيحة هي بالتأكيد مذمومة، والواجب الاجتناب منها، وبنفس الطريقة يوجد اختلاف في الرأي في أمور هي مقتضى اختلاف الطبائع والأفهام والعقول، كاختلاف الأئمة المجتهدين في كثير من المسائل، فتبقى هي مع بقاء الأخوة الإيمانية والود، مع الحرص على الاتفاق والاتحاد حسب وسع الإنسان، والاعتصام بحبل الله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وفيما يلي نذكر أسباب الاختلاف وما يجب تجنبه من تلك الأسباب:

ماهي أسباب الاختلاف المذموم؟

الخلافات التي تنشأ لأسباب قبيحة تصبح مذمومة، هناك اسباب كثيرة، لكن يمكن تقسيمها إلى قسمين:

(1) الاختلاف لأجل الجهل (2) الاختلاف لأجل التعصب والأنانية.

(1) الاختلاف لسبب الجهل: بالنظر إلى أسباب الخلافات، فإن "الجهل" هو أحد الأسباب الرئيسية للخلافات، عدم المعرفة بالفرق، والدرجات بين الأحكام، والجهل بحدودها، قلة الخبرة في الموضوع المطروح والجهل بأساسياته، ومتطلباته مرض خطير وجعل الأمة ضحية للشقاق والفرقة، القضايا الدينية لا تحل بالعقل وحده، بل من ذلك تم العثور على الطريق الصحيح بعد اكتشاف مبدأ الدين، رأي الجميع، تدخل الجميع، فتوى الجميع مزقت رأس الأمة إرباً، وأشار في الحديث إلى هذا: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلو)¹.

الاختلافات القائمة على التعصب وحظوظ النفس

يلعب التعصب وحظوظ النفس دوراً رئيسياً في الصراعات، الإنسان يعرف ويعترف لكنه يختلف بسبب التعاطف الوطني واللوائيم اللساني والوحدة المهنية والتضامن السياسي، أو قطع النظر عن هؤلاء فقط أنه

¹ - رواه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، 31/1، الرقم: 100.

يختلف لتكميل هوى النفس وتسكين جذباته، وكان هذا التعصب هو أساس إختلاف اليهود والنصارى مع أنبيائهم، وهو أساس عناد كفار مكة ومجادلتهم التعسفية مع المسلمين، وقد وردت إشارة واضحة إلى هذا الدعاء القبيح في الحديث المرفوع لأبي أمامة- رضي الله عنه-: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية)¹، ﴿مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدْلَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾².

وهذان سببان مهمان للغاية، إذا تم النظر في بقية الأسباب، فستنتهي جميعاً إلى هذين، كما أن الخلافات مكروهة على أساس النوايا والأسباب الشريرة، كذلك فإن الخلاف مكروه في الأمور التي لا خلاف عليها، هم أيضاً في الأساس اثنان:

(1) الخلاف في العقائد (2) الخلاف في الآيات المتشابهة

الاختلاف في العقائد:

الخلاف في العقائد، فقد أعطى الله تعالى أنبيائه بأمرٍ شديد الوضوح، قوانين الأنبياء تتغير حسب الزمان والمكان، لكن أمور الاعتقادات لم تتغير، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾³، يعني "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً" فيه مسألتان: الأولى- قوله تعالى: "شرع لكم من الدين" أي الذي له مقاليد السموات والأرض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، ثم بين ذلك بقوله تعالى: "أن أقيموا الدين" وهو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه ويوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً، ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة"⁴.

الاختلاف في المتشابهات:

وأما الخلاف في المتشابهات هي أيضاً من بين القضايا التي لا مجال للخلاف فيها، لأن الغرض من الخلاف هو إيجاد الصلاح وتحقيقه، إن الوصول إلى المعنى الحقيقي لمراد المتشابهات أمر يفوق قدرة الإنسان لأن

¹ - رواه الترمذي في سننه، باب: ومن سورة الزخرف، 232/5، الرقم: 3253.

² - سورة الزخرف، الآية: 58.

³ - سورة الشورى، الآية: 13.

⁴ - التفسير القرطبي، 9/16.

الإنسان لم يُعطَ العلم به، لقد حفظها الله على العكس من ذلك حرم الكلام في هذا المجال، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾¹، يعني يصف القرآن الكريم اتباعهم بـ "أهل الزيغ والضلال".

كل هذه الأنواع من الاختلافات حقيرة ويمكن تجنبها، لأن بينهما معركة الحق والباطل، وقد أوضح الله الحق، وقد تحدى العلماء الباطل في كل عصر، وقبلوا تحديهم، ووقفوا أمامه بصدورهم مرفوعة، ولم يهتموا أي نوع من المداهنة.

الاختلافات الفروعية والإجتهادية:

لكن بصرف النظر عن كل ذلك، هناك نوع من الاختلاف الفروعي والإجتهادي، هذا الاختلاف أمره سهل و ميسور لا يجوز التشديد فيه، ولأن شرائع الأنبياء اختلفت، هكذا اختلفت آراء كل مجتهد في الموضوعات الفرعية، هذا النوع من الاختلاف لا يجوز التعصب فيه الرأي، كلمة سيدنا عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - لها مغزى كبير: "ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنه لو كان قولاً واحداً كان الناس في ضيق وإنهم أئمة يقتدى بهم ولو أخذ رجل بقول أحدهم كان في سعة"².

ثم إن دائر الخلاف فيها بين الأجر والأجرين، كما جاء في الحديث، فهذه الإختلاف أهون بكثير من الإختلاف في العقائد.

التجاوز عن حدود الاختلاف:

لا يجوز تجاوز حدود الخلاف، سواء أكان ذلك في العقائد أم في الفروع، والتعامل مع الخصوم باعتدال بصرف النظر عن الأفرط والتفريط، وقد قال ذلك القرآن الكريم بكل وضوح: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ

¹ - سورة آل عمران، الآية: 7.

² - جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، 901/2، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1414 هـ - 1994 م.

عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اَعْدِلُوا¹، يعني "لا يعاملوا أحدا إلا على سبيل العدل والإنصاف"²، هذه المعاملة للكفار، في معاملتهم لا يتجاوزوا عن الحد.

وكذلك كتب الفقه مليئة بالاختلافات بين الأئمة، ولكن ما من فقيه يهين كرامة الغير، اشتهرت عبارة الإمام الشافعي في الأوساط العلمية وصحيح أن الناس بحاجة إلى الإمام أبي حنيفة في الفقه، ومع ذلك، فإن الاعتدال مطلوب في كل مسألة، والاعتدال مطلوب أيضاً في الاختلافات.

الاعتدال في ذكر القواعد الفرعية:

يعتمد الكثير من الاختلاف في الخطاب الفقهي على الأفضلية والأولوية، كما أن بعض المسائل يتعلق با لجواز وعدم الجواز، لكن كل هذه الأمور مجتهد فيها احتمال الخطأ والصواب، إلقاء اللوم على أي طرف سيكون تطرفاً وغلو، تعاليم الأئمة هي من أجل الأولوية ولا ينبغي للمرء أن يحيد بلا داعٍ عن تعاليم الإمام، لكن هذه الأوامر ليست وعظاً، لذا فإن ربط الآخرين بأفكار المرء وأفكاره يضر بفصل الاعتدال، جميع المذاهب يستدل من القرآن والحديث والإجماع والقياس.

الاختلافات والممارسات في القضايا العقائدية والنظرية:

ومن الحقائق أيضاً أن هناك بعض الاختلافات الاعتقادية بين الرواة، فالإيمان مبني على الإعتقاد الحقيقي، ومن المهم جداً دعمه، والذي يعتبر الجدل أمراً ضرورياً له، هذا الاختلاف ليس فقط بين الصواب والخطأ، لذلك من الضروري شرح ونشر الفكر الصحيح، لكن تسميم جو الوحدة هو أيضاً ضد شروط ومتطلبات العصر الحاضر، لذلك من الضروري تبني جو من المحبة أكثر من الكراهية، الاعتدال أي حال مطلوب.

اختلاف الرأي في النقد:

طريقة درجات في أمور الخيرية بالوعظ والتبليغ، الأول هو الدعوة إلى الإيمان، والثاني هو الوصية بالوعظ، فقط الطريقة التدريجية هي التي تكون فعالة في الدعوة والوعظ، يعتبر النكير على منكر أيضاً جزءاً أساسياً من الدعوة للإسلام، أيضاً الصمت على المنكر مقدمة للدمار، لذلك من الضروري انتقاد المنكر من حيث الدرجات.

¹ - سورة المائدة، الآية: 8.

² - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 320/11.

شكل فظيع من الفتنة بين القاديانية والسنة:

كما أن القاديانية ضد أهل السنة والجماعة في المعتقدات والنظريات، وقد أوضح الشيخ الندوي رحمه الله - حقيقة هذه الطائفة بشكل واضح جداً، بل أنه كتب عنها كتاباً كاملاً يقول فيه " فقد ظهرت الديانة القاديانية في آخر القرآن التاسع عشر المسيحي في الهند بعد استقرار الحكم الإنجليزي فيها، وهي ثورة على النبوة المحمدية -على صاحبها الصلاة والسلام- وعلى الاسلام، ومؤامرة دينية و سياسية، إن وجد لها نظير في الخطر والضرر على الاسلام، ففي الحركة الاسماعيلية الباطنية التي تولى كبرها عبيد الله بن ميمون القداح في القرن الثالث الهجري، وأشك أنها بلغت مبلغ الأولى - القاديانية- في أصالة الفساد، ودقة المؤامرات ومعاداة الاسلام"¹.

شكل فظيع من الفتنة بين الشيعة والسنة:

هناك الإختلافات النظرية بين الشيعة والسنة، كما بين الشيخ الندوي-رحمه الله في كتابه "صورتان متضادتان"²، لقد جعلوا الأمة، بمعتقداتهم المضللة وإعتقاداتهم العاطفية، على شفا التفكك. المعارك الكبرى رهينة للطرف نفسه ، بل إن بعضها تجاوز الضلال والضلال ودخل في حدود الكفر والإلحاد.

ويكفي موقف الشيخ الندوي-رحمه الله- من التعددية الدينية من داخل الفرق الاسلامية (إلى جميع المذاهب الإسلامية التي تنقسم إلى مجموعات على أساس القضايا المذهبية) أنه لم يخاطب أياً منها بنفسه، بل أدلى ببيان عام عن دعوته، والمسلمون مدعوون إلى الإعتقاد الصحيح والعبادة والمعاملات، كانت ميزة دعوت الشيخ أن كل هذه الطوائف (الديوبندي، البريلوي، أهل الحديث، المماتي، الجماعة الإسلامية، الصوفيون إلخ) كانت حاضرة في حياته، لكنه لم يستهدف أحداً قط، على العكس من ذلك، لقد أشر بوضوح إلى هذه العيوب، على أساس هذا تم تشكيل هذه المجموعة، لتثبت وحدة الأمة بإزالة هذه الأخطاء وسوء الفهم.

حتى أنه قال في مكان واحد إن طبقتنا الدينية قد استُهدفت من قبل قوى خارجية، والمسلمون متورطون في مشاكل بعضهم البعض، ليكونوا ضعفاء في الإيمان، وقد أثبت في كتاباته عن أصول الإسلام أن من يتبعها ينجح، ووصف نواقص الفرق فيها دون تمييز، يعني بعضهم يحاول إدخال البدعة والشرك في الإسلام فشرح شرور البدعة والشرك، كان البعض متشككاً في الصحابة كما شرح ذلك علانية، واختلف البعض

¹ - القاديبي والقاديانية للعلامة الندوي، ص:7، الدار السعودية جدة، ط:3، 1968م.

² - صورتان متضادتان للعلامة الندوي، ص: 15، دار البشير، جدة المملكة السعودية، 1991م.

في الآخرة لذلك بدأت بعض الأفكار في الصوفية تعطي ألواناً مختلفة، تم وصف كل هذه القضايا بطريقة جيدة للغاية.

سيتم ذكر الأبحاث الثلاثة التالية بهذه الطريقة على التوالي:

ذكر المعتقدات

ذكر العبادات

ذكر المعاملات

التمهيد:

لم يكتف الشيخ الندوي بجعل القومية العربية موضوعه فحسب، بل أينما نشأت القومية أو أوضح عيوبها بوضوح، و كما انتقد التعصبات الأخرى سواء كانت لسانية أو دينية أو ثقافية.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "لقد اعترف الإسلام بوحدين حقيقتين في موضوع هذه الوحدات الاصطناعية، وقد أعطاهم الوحدة، الأول هو وحدة البشرية والآخر هو وحدة الإيمان. ثم يقول الشيخ: وخيرنا وحده هو وحدة الإيمان ووحدة الإسلام، بالإضافة إلى ذلك، إذا تم إنشاء "وحدة"، فإنها ستشتت رأس هذه الأمة والوطن، وستتصادم القوى مع بعضها البعض، وسوف يتم إحياء التعصب الجاهل، الذي أُلغاه الإسلام كما يشير الكتاب الحكيم: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُمِيَّةَ حُمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾¹، وبالمثل ربما لم يستخدم الرسول الكريم مثل هذه اللغة القاسية في أي قضية أو مناسبة، اسمحو لي! أن أقول إنه لأول مرة في لسان النبوة خرجت مثل هذه الكلمات القاسية التي خرجت من لسانك عن هذا التعصب الجاهلي، وذلك من أجل البصيرة التي أعطاها الله إياها، وغير الوحي الإلهي الذي أعطاه إياه الله تعالى"².

نشأ الشيخ الندوي -رحمه الله- في بيئة تقوم على التوحيد، ونفس الأثر موجود في كتبه وخطاباته، كما أنه ننظر أساسي في "إصلاحاتهم"، وكان الشيخ يشرح في خطبه عقيدة التوحيد بوضوح كبير، ويبين هي الحقيقة أمام الناس، يقول في خطبة: "الأول هو الحفاظ على صحة العقيدة، والتأكد من أن كل ما يحدث هو في سبيل الله، وظيفته هي الإنشاء، ووظيفته هي اجراء النظام، لا يطير الأوراق من مكانه، ولا يتحرك الذرة إلا بأمر الله، هو الذي يرزق، وهو الذي يعطي الأولاد، وهو الذي يخلق القدر، لا شيء في سلطة فقير أو نبي أو ولي، كلهم خاضعون له، وكل ما يحدث يكون بأمره"³.

قام الشيخ الندوي -رحمه الله- بترجمة كتاب شاه إسماعيل "تقوية الإيمان" إلى اللغة العربية بعناية فائقة، وكتب هذا الكتاب تحت عنوان "رسالة التوحيد" مع إضافة الهوامش إليها، وقال: "إن سمة هذا الدين الأولى و شعاره المميز الأول التركيز على العقيدة أولاً وقبل كل شيء، فما زال الأنبياء من لدن آدم إلى خاتم الرسل محمد ﷺ، يدعون إلى عقيدة معينة يوحى بها إليهم، يدعون إليها، ويطالبون بها، لا يقبلون عنها صرفاً ولا عدلاً، ولا ييغون

¹ - سورة الفتح، الآية: 26.

² - الدعوة الفكر و العمل للعلامة الندوي، ص: 53، 54.

³ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 13.

بها عوضاً ولا بدلاً، وإن أفضل حياة خلقاً وسلوكاً، ورحمة وبراً، واستقامة وسداداً، وإن أنجح إنسانٍ في تأسيس حكومة، أو إنشاء مجتمع، أو إحداث انقلاب، لاقيمة له عندهم إذا لم يفتن كل ذلك بعقيدة جاءوا بها ودعوا إليها، ولم يقم كل هذه الجهود على أساسها، وهذا هو الخط الفاصل الواضح العريض بين دعوة الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، وبين الزعماء والقادة القوميين والانقلابيين والثوريين والنفعيين والماديين، وكل من كان مصدر تفكيره غير مصدر تعاليم الأنبياء وسيرهم¹.

و في العصر الحاضر أصبح من المعتاد صرف النظر إلى الاعتقاد الصحيح، كما يقول أثناء انتقاده الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وقد سرت هذه النظريات في كثير من العاملين في مجال العمل الإسلامي، والمتذمرين من الأوضاع الفاسدة في هذه العصر، فيغتفرون لكل من يهتف بمخالف الثورة، أو يتحدى قوة جبارة، كل فساد في العقيدة، وانحراف وزيف في التفكير، ويصرفون النظر عن ديانته وسلامة عقيدته، بل يهتمون كل من يثير هذا الموضوع، ويتسائل عن عقيدته باهتمام مع القوى الأجنبية"².

قال الشيخ الندوي -رحمه الله- في إثناء بيان أهمية العقيدة: "ما الذي يمكن أن يكون دليلاً أكبر على أهمية الإيمان والتعلق به؟ بأن سورة "الكافرون" نزلت بمكة حين كان الوضع يقتضي شيئاً من اللين والرفقة، وعدم إثارة العداء على أساس العقيدة والعبادة، وتأجيل ذلك إلى وقت يكون الإسلام فيه أقوى والمسلمون آمن، ولكن القرآن يقول، والرسول يعلن³: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾⁴.

وقد صنف الشيخ وألف وكتب المقالات بالدلائل والتفاصيل عن الاعتقاد حوالي عام 1950م على وجه الخصوص، تم تسليط الضوء على فائدة وأهمية هذه المعتقدات، ولقد تم الإعلان عن حاجة إنسانية مهمة. وقد برهن الشيخ في مقاله على التوحيد أنه بدون عقيدة التوحيد يضل الإنسان فيقع فريسة الإهمال ولا يأتي حقيقة نتيجة الحياة في يده، ثم كتب الشيخ أن علم التوحيد خير علم لا ينال إلا من الأنبياء، أولئك الذين لا يتبعونهم يضلون، بعد ذلك وصف الشيخ -رحمه الله- الأنواع الشائعة للشرك بين المشركين العرب،

¹ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 22.

² - المصدر السابق ص: 23.

³ - أيضاً المصدر السابق، ص: 24.

⁴ - سورة الكافرون.

ويذكر من مظاهر وممارسات الشرك والجهل العادات والتقاليد، (والتي توجد أيضًا في العصر الحديث) و يقول أن الغرض الحقيقي من النبوة هو اقتلاع الجهل المشترك من العالم.

الهند التي لطالما كانت مركزًا لتعدد الآلهة وعبادة الأصنام، منذ البداية هنا قام المجددون والمصلحون في الأمة بحماية عقيدة التوحيد بشكل كامل، وقد روى الشيخ الندوي-رحمه الله- تاريخه كله، ويقول إن مصدر التوحيد هو ذات الرسول الكريم ﷺ.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "كان محمد ﷺ أكبر أمناء التوحيد وداعه وخطيبه الأعظم وعارفه الواقعي، الثروة التي جلبوها على مدى قرون ما زالت توزع وسيستمر توزيعها حتى يوم القيامة، بحمد الله، لدينا نفس الثروة عند أقدامنا وأموالكم، وكانوا من أعلم الله، من أحب الله أكثر، من ضحى إلى الله، لذلك كان حال حيائك النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول شخص واحد فقط (من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصيهما فقد غوى)، فمن أطاع الله ورسوله هدى ورسوله، من يعصيهما يضل، لم يستطع تحمله ولم يسمح عنه شيء، فقال: (بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله)، مثل هذا الشخص يقول: (ماشاء الله وشئت) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (جعلتني والله عدلاً) قل (بل ما شاء الله وحده) هذا حياء النبي صلى الله عليه وسلم، كلما أحب العاشق صادق، زاد حيائه، والحياء يخضع للحب، الحياء يخضع للمعرفة، الحياء يخضع للإخلاص"¹.

وكما دعا الشيخ في خطاباته بشدة إلى التوحيد، واقتلاع الشرك ومظاهره الشرك، وذكر الشيخ بقوة كبيرة دعوة وتوحيد الشيخ علي همداني في خطب كشمير، وبالمثل رويت قصة سيدنا يعقوب عليه السلام في عشرات الخطب في الداخل والخارج ودُكرت وصيته، وكان للشيخ أسلوب خاص في بيانه، وقد أطلق الشيخ على عقيدة التوحيد شعار العالمي للمسلمين ومصدر القوة، ووصف الشرك بالضعف، وقدم بين دلائله العقلية في خطاباته.

الرد على الشرك:

ومثلما شرح الشيخ الندوي-رحمه الله- حقيقة التوحيد بطريقة جيدة، فقد أوضح أيضًا الفروق الدقيقة في الكفر والشرك والبدع بحكمة بالغة، وأمر بالابتعاد عنها واجتنابها مراراً وتكراراً، وهذه ميزة العلماء من أسرة الشيخ بأكملها فالشيخ الكبير شاه عِلْم الله الذي ينتسب له علماء أسرته باسم آل الشيخ كالشيخ سيد

¹ - العقائد الثلاثة الأساسية في الإسلام للعلامة الندوي، المترجم: (اسلام كے تین بنیادی عقائد)، ص: 46-47،

الترتيب: مولانا بلال عبد الحي الندوي، الأكاديمي السيد أحمد شهيد، رائ بريلي، الهند.

أحمد آل الشيخ وغيره فقد ردوا على الشريكات والبدع بلهجة شديدة، وردوا عليها، حتى كأنهم عندهم حساسية شديدة من الشريكات والبدع، و كان لهؤلاء السادة تأثير على الأسرة بأكملها، ومنذ أن تدرب الشيخ الندوي -رحمه الله- في هذه البيئة، كانت حساسيته تجاهها عالية جداً، و برؤية مظاهر الشرك والبدعة، بدأت عروق الحمية تنتفخ، وقد أوضح ذلك في خطابه وكتابه، في عام 1942م، عندما لم يكن عمر الشيخ الندوي قد تجاوز حتى العقد الثالث، كتب مقالاً قوياً ومفصلاً في الرد على الشرك والبدعة نُشر في "الفرقان" و"الندوة"، لكن اختلف أسلوبه عن غيره، فلم يتخذ في دعوته أسلوب المناظرة والجدل، بل اعتمد أسلوباً علمياً في التفكير وحاول إرضاء القلب والعقل، وكتب عن الشرك قائلاً: "الشرك دين مستقل وحكومة مستقلة، لا يمكن له ولدين الله أن يكون لهما جسد واحد أو قلب وعقل أو منطقة من الأرض معاً، يشغل هذا الدين غير الإلهي مساحة كبيرة خارج الجسد والروح أقل ما يحتاجه دين الله، كما ورد في كلامه المجيد: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾¹، أي أن بعض الناس هم الذين يجعلون الآخرين متساوين مع الله ويحافظون على حبهم محبة الله، وأيضاً في مقام آخر: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ - إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾².

لا يمكن أن يكون الإسلام والكفر يعيشان في قلب واحد، ولكي يكون الإسلام صحيحاً، لا بد من أن يكون الإنسان خالياً تماماً من الكفر والشرك وعلاقاته، بل ويغضها كلها، يكتب الشيخ ذلك استدلالاً من حديث صحيح: "والدليل على صحة الإسلام أن الكفر ومحيطه كله، وكل ما فيه من علاقات، وكل معلمه وطقوسه، يجب أن يغض، وفكرة العودة إليها والمعاناة منها تؤذي الإنسان، ونضج الإيمان أنه يفضل الموت على أدنى الكفر، كما في حديث البخاري برواية أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)³، أي أن الشخص الذي لديه هذه الأشياء الثلاثة سيجد حلاوة الإيمان.

ثم قال الشيخ الندوي -رحمه الله- مبينا خطورة البدعة أيضاً: "إذا كان الشرك والكفر شرعاً مستقلاً، والشرك والكفر خارجين عن الإسلام، فإن البدع هو تكوين الشريعة البشرية في الشريعة الإلهية، والتي تستمر في النمو والتطور في داخلها، حتى في بعض الأحيان (إذا أتيحت الفرصة للنمو والتطور بحرية)

¹ - سورة البقرة، الآية: 165.

² - سورة الشعراء، الآية: 97-98.

³ - أخرجه البخاري في صحيحه، باب حلاوة الإيمان، 1/ 12، الرقم: 16.

فإن من الشريعة الأصلية تتضاعف أو تتضاعف ثلاث مرات، وبالتدريج يشمل القانون الإلهي كل الفضاء وكل وقت الإنسان، تختلف فقه هذه الشريعة، وواجباتها وواجباتها، والسُّنن والمستحبون ثابتين، وأحياناً يكون العدد أكثر من أحكام الشريعة الإلهية، يتجاهل البدعة أولاً وقبل كل شيء حقيقة أن التشريع حق من حق الله، وإعطاء صفة شرعية لشيء، ووجوب طاعته، فإن هذا الموقف يخص الشريعة فقط، إن التشريع الإنساني هو عصيان على هذا الموقف الإلهي، ولهذا يسمى الإنسان المشرع بـ "الطاغوت": ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾¹.

هكذا ذكر الشيخ الندوي-رحمه الله- ثاني أكبر شر ومفسدة للبدع قائلاً: "الأمر الثاني الذي تتجاهله البدعة أن الشريعة كاملة، ما كان سيتم تحديده تم تعينه، تم شرح جميع الأعمال اللازمة لخلاص الإنسان وجميع الموارد المتاحة للتقرب من الله، وأغلق مشروع عملة الدين، الآن العملة الجديدة التي ستنسب إليه ستكون مزورة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾³.

وما يؤدي إليه البدعة أنه يجب ترك جزء كبير من الدين والشريعة موضع شك وإلى أجل غير مسمى هذا ضد إكمال النعمة المذكور في قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم نعمتي"، ويكون المسلمون على مدى قرون غافلين عن اكتشافها وحرموها من مكافأتها، ولا سيما من كان خير القرون الذي كان أول من خطبوا بـ(أتممت عليكم نعمتي) وبعد ذلك بقرون سيتم الكشف عنها وتحديدها.

كل من أدخل إضافة جديدة على هذه الشريعة واعتبر أي شيء غير ديني جزءاً من الدين، إنه يعتني بشيء لم يهتم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يكشف عن مصدر جديد للقرب إلى الله، وكأنه يقول بلسان الحال نقص في الدين، يتم الآن تحقيق هذا، وهذه تهمة كبرى للنبي صلى الله عليه وسلم الذي أمر: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾⁴

¹ - سورة النساء : الآية :60.

² - دين حق اور علمائے ربانی شرک و بدعت کے خلاف کیوں؟ (لماذا الدين الحق والعلماء الربانيين ضد الشرك والبدع للعلامة الندوي) ص: 29-30.

³ - سورة المائدة، الآية: 3.

⁴ - سورة المائدة، الآية: 67.

ما أجمل قول الإمام مالك-رحمه الله-: "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة فإن الله سبحانه يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً"¹.

كتب الشيخ الندوي-رحمه الله- كذلك "أن بدع كل منطقة تختلف عن الأخرى"².

وعند الرد عليها فقد رد على البدعة، أو الشرك أو الخرافة أو الرسم والرواج لكن لم يذكر اسم أحد عند الرد بل اكتفى بذكر البدعة والخرافة فقط، ومن هنا كان من نصيبه التوفيق من الله عز وجل والنجاح في دعوته وهكذا ينبغي للداعية أن ينظر في دعوته ويهتم بالمبادئ والأفكار حين الدعوة إليها إن كان يدعو إليها أو حين ردها إن كان يرد عليها ويتجنب في الأعم الأغلب عن ذكر أسماء الأشخاص والفرق والطوائف؛ ويجادل قدر الإمكان أن يتجنب الشخصية في دعوته أو حواراته مع المدعوين حتى لا يثير حفيظة النفوس، أو الأحقاد وليكون لدعوته ثماراً طيبة بإذن الله، وهو الهدف الأساسي من الدعوة إلى الله.

الرسالة:

عقيدة النبوة أساسية في المعتقدات الإسلامية بعد عقيدة التوحيد، بل الحقيقة هي أن الوصول إلى حقيقة التوحيد لا يمكن بدون عقيدة وإيمان بالنبى ﷺ، وقد جاءنا علم التوحيد والعلم الصحيح بالله عن طريق الأنبياء -عليهم السلام- كتب الشيخ الندوي-رحمه الله- العديد من المقالات والمضامين حول هذا الموضوع، بالإضافة إلى كتاب مستقل "النبوة والانبياء في ضوء القرآن والسنة" يكشف فيها حقائق ومسائل نادرة متعلقة بالموضوع، وهي عبارة عن المحاضرات الثمانية للشيخ الندوي -رحمه الله- التي ألقاها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، خصوصية هذا الكتاب أنه يذكر نعمة النبوة على الإنسان والحضارة الإنسانية، والحاجة إلى النبوة للإنسانية قدمت في ضوء الدلائل العقلية، وقد ثبت أن الأنبياء -عليهم السلام- هم المصدر الوحيد للهداية، فكيف يمكن للمرء أن يتعثر ويسقط دون هديهم ويفشل، ويرى وجهه.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "لذلك يلح القرآن على أن الأنبياء هم الأدلاء على ذات الله وصفاته الحقيقية، وهم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة، التي لا يشوبها جهل ولا ضلال ولا سوء فهم ولا سوء تعبير، ولا سبيل إلى معرفة الله تعالى الصحيحة إلا ما كان عن طريقهم، لا يستقل بها العقل، ولا يغني فيها الذكاء، ولا تكتفي سلامة الفطرة، وحدة الذهن والإغراق في القياس، والغنى في التجارب، وقد

¹ - لماذا الدين الحق والعلماء الربانيين ضد الشرك والبدع، (المترجم) ص: 33-35.

² - المصدر السابق ص: 38-40.

ذكر الله تعالى هذه الحقيقة الناصعة على لسان أهل الجنة، وهم أهل الصدق وأهل التجربة، وقد أعلنوا ذلك في مقام صدق كذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾¹، وقرنوا هذا الإعتراف والتقرير بقولهم: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ﴾².

وأيضاً قال: وهذا سر ضلال الفلسفة الاغريقية الالهية وأقطابها ونوابغها، فقد غرهم ذكاؤهم وعلومهم وآدابهم وشعرهم الخصب الغني، وملاحمهم العظيمة التي نظموها، ونبوغهم في علوم الرياضة والهندسة، والاقليدس والفلسفة الطبيعة، والنجوم والفلكيات فخاضوا في الالهيات وفي موضوع الذات والصفات والخلق، والإبداع، فجاءوا بالسخيف المرذول وبالمتهافت المتساقط وبالتناقض المتضاد من الآراء والأقوال والتحكمات والتخمينات التي صدق حجة الإسلام الغزالي - رحمه الله - في وصفها بقوله: "ظلمات فوق ظلمات" لو حكاها الإنسان عن منام رآه لاستدل على سوء مزاجه"³.

إن الشيخ الندوي - رحمه الله - يختتم الخطبة الأولى في موضوع خاص، وفيه ينسب السبب الرئيسي لنعم الإنسانية وتطور الحضارة إلى عمل الأنبياء، وقال: "إن المدينة لاتدين لأي طائفة من طوائف البشر كما تدين لهذه الطائفة الربانية، إنها تدين لها في حياتها وبقائها، وفي شرفها وكرامتها، وفي اعتدالها وسدادها فلولاهم صلى الله عليه وسلم لغرقت سفينة الإنسانية، بما فيها من علوم وتراث حضاري وفلسفة وحكمة، ولتحولت الأجيال البشرية إلى قطعان من السائمة أو الوحوش، لاتعرف رباً، ولاتعرف ديناً ولا خلقاً، ولاتعرف رحمة ولا محبة، ولاتعرف معنى أسمى وغاية أعلى من العلف والترع، ومن الماء والكلاء، إن كل ما يوجد في هذا العالم من المعاني الإنسانية الكريمة، والأحاسيس الرقيقة اللطيفة، والأخلاق العالية والفاضلة والعلوم الصحيحة النافعة، ومن القوة والعزم على محاربة الباطل والفساد، إنما يرجع فضله وينتهي تاريخه إلى وحي السماء، وتعليمات الأنبياء، وتبليغهم ودعوتهم وجهادهم، وإلى أصحابهم وتابعيهم بإحسان"⁴.

وقد ذكر الشيخ في الخطبة الثانية سمات الأنبياء المميزة وطباعهم وطريقتهم، وشرح الفروق الأساسية بين الأنبياء والقادة الآخرين، ويقول عن أهم الميزات: "إن أول وأهم ما يمتاز به معشر الأنبياء أن العلم الذي ينشرونه بين الناس والعقيدة التي يدعون إليها والدعوة التي يقومون بها لاتنبع من ذكائهم أو حميتهم أو تألمهم بالوضع المزري الذي يعيشون فيه، أو من شعورهم الدقيق الحاس، وقلوبهم الرقيق الفياض، أو تجاربهم

¹ - سورة الاعراف، الآية: 43.

² - سورة الاعراف، الآية: 43.

³ - النبوة والأنبياء في ضوء القرآن للعلامة الندوي، ص: 24-27، الدار السعودية، جده، الطبعة: 1387هـ.

⁴ - المصدر السابق، ص: 43-44.

الواسعة الحكيمة، لا شيء من ذلك، إنما مصدره الوحي والرسالة التي يصطفون لها ويكرمونها، فلا يقاسون أبداً على الحكماء أو الزعماء أو المصلحون، وجميع اصناف القادة الذين جربتهم البشرية وتاريخ الإصلاح والكفاح الطويل، والذين هم نتيجة بيئتهم، وغرس حكمتهم وصدى محيطهم، ورد فعل لما كان يجيش به مجتمعهم من فساد وفوضى¹.

ويوضح كذلك الفرق بين النبي والقائد بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصرف في رسالته من تلقاء نفسه حسب الأحوال والمستجدات، فلا يزيد ولا ينقص بل يؤدي رسالة الله كما أمر حيث قال: "لذلك لا يخضع الرسول لعوامل نفسية داخلية أو حوادث وقتية خارجية، ولا يدير رسالته حيث دارت الأحوال والأوضاع وشاء المجتمع، وقد قال الله تعالى عن رسوله الكريم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾²، ولا يستطيع أن يحدث تغييراً أو تبديلاً أو تحويراً أو تعديلاً في رسالته وأحكام الله، وقد قال لرسوله: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾³، أي قل ليس لدي سلطة لتغييره نيابة عني. أنا فقط خاضع للأمر الذي يأتي إلي⁴.

أما المصلحون والحكماء والقادة الذين يتجلى عملهم باجتهدهم وجهدهم ووعيمهم حسب بيئتهم والظروف والأحوال، ويظهر كرد فعل لتلك الحوادث والوقائع، يقول عنها الشيخ الندوي-رحمه الله:- "والمصلحون يتكلمون عنها بقدر الضرورة والحاجة الاجتماعية، وبدافع من الإصلاح والتنظيم الخلقي، وشتان ما بين الوجدان والعاطفة، وبين الخضوع للمنطق والمصالح الاجتماعية"⁵.

قال الشيخ الندوي- رحمه الله:- "وهذا كله مستفيض متواتر من سيرته صلى الله عليه مفروض في سيرة الأنبياء السابقين للحكمة التي وصفهم الله بها: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾⁶، أيضاً ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾⁷، ولكن كل هذا التيسير والتدريج ومراعاة الحكمة والمصلحة والنظر إلى استعداد النفوس إنما هو في التعليم والتربية وفي المسائل الجزئية، ومما ليس من العقائد ومبادئ الدين في شيء، أما

¹ - منصب نبوت للعلامة الندوي، ص: 65-66

² - سورة النجم، الآية: 3.

³ - سورة يونس، الآية: 15.

⁴ - النبوة والأنبياء، ص: 45.

⁵ - المصدر السابق، ص: 66.

⁶ - سورة ص، الآية: 20.

⁷ - سورة الانعام، الآية: 89.

ما كان من العقائد والفرائض والنصوص وما يفرق بين الإيمان والكفر والتوحيد والشرك، وكان من شعائر الإسلام وحدود الله فالأنبياء عليهم السلام، على اختلاف عصورهم، أصلب فيه من الحديد وأثبت عليه من الجبال، لا يعرفون تنازلاً، ولا يعرفون هوادة، ولا يرضون مساومة"¹.

ثم يكتب أن الأنبياء أكثر حساسية تجاه التوحيد، هذا هو محور دعوتهم، لا يمكنهم تحمل أدنى شكل الشرك، وكان هذا الشرك والوثنية بكل صوره الظاهرة والغامضة موضوع جهادهم، كما دعا الصحابة إلى الدين بنفس المزاج، ثم استمرت هذه العملية إلى يوم القيامة، لقد قدم افراد الأمة في كل عصر في صورته الكاملة، لم يبق أي عصر من دون وجود أولئك الذين يفهمون الدين بشكل كامل.

وقد اعتبر الشيخ الندوي -رحمه الله- دعوة الإيمان بالآخرة والإيمان بالغيب من صفات الأنبياء، وأفضل آثاره ونتائجه مذكورة بأمثلة. وقد أثبت الشيخ في الخطبة الثالثة أن الأنبياء هم أئمة الهدى وقادة الإنسانية، وخلوهم من كل أنواع العيوب، وهذه العصمة هي ضمان أمن الأمة، إن الإيمان بعصمة الأنبياء ضرورة للإنسانية، وسر نجاح الأمة يكمن في طاعتهم ومحبتهم.

وفي الخطبة الرابعة ذكر عمل المشيئة الإلهية وقوة الإيمان الحقيقية، ومن الأحداث التي وردت في القرآن الكريم أوضح الشيخ الندوي -رحمه الله- كيف تغلب الأنبياء على القوى العظمى بإيمانهم.

وقد وصف الشيخ الندوي -رحمه الله- عنوان قصة إبراهيم عليه السلام بأنه "التحدي الأكبر للمادية وأكبر بغي على إله الأسباب"، ثم هناك بيان النصر الإلهي وانتصار سيدنا إبراهيم عليه السلام، وُصفت قصة النبي موسى عليه السلام بأنها تحدٍ لتضييق ومحدودية العقلية المادية، قصة سيدنا يوسف عليه السلام الغريبة النادرة توصف بأنها شهادة تاريخية ضد الأسباب والمسببات وقانون العلة والمعلول، والقوانين الطبيعية للحوادث.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "فقد اجتمع لسيدنا يوسف عليه السلام من حسد الإخوة وكيدهم له والبقاء في غيابة الجب مدة في الزمان، والتقاط السيارة له والرق، ما هو كفيل بالتعرض للهلاك والأذى والهوان، ولكنه يخرج من كل هذا سليماً معافى، ويعيش ويجمع له من الوقوع في امتحان شديد في العفة، والنزاهة والوفاء والشرف"².

¹ - النبوة والأنبياء، ص: 48.

² - النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ص: 112.

ثم وصف الشيخ الندوي هذه الوقائع بأنها مصدر قوة وثقة للدعاة ومن يعمل من أجل الدين، وقال إن "مستقبل الأمة الإسلامية مرهون بسيرة الأنبياء"¹.

وكان عنوان الخطبة الخامسة "عظمة البعثة المحمدية" التي حلل فيها الشيخ الندوي عصر الجاهلية بحيث تظهر الحاجة لشروق جديد يبرز بمعرفة حقيقية وقوة نية وخير، ويؤمن به مجموعة من دعاة الحق وأتباعه، ومن ثم فإن الدعوة العالمية إلى الإيمان ستؤدي إلى تغيير في البيئة الجاهلة، وبفضل هذا التأثير الثوري لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم يظهر عالم جديد، وتشكل أمة كاملة وهي معجزة عظيمة للرسول ﷺ.

وموضوع الخطبة السادسة "مآثرة النبوة المحمدية" وقد ذكر فيه الشيخ الندوي -رحمه الله- أسرار وعجائب الطبيعة البشرية، ووصف وجود الإنسان بأنه مفتاح كل الخير والبركات والسعادة، ويقول: "إن وجود هذا الإنسان مفتاح كل سعادة وخير، وحل كل أزمة ومشكلة، وإن تقويمه إذا زاغ وتهذيبه إذا فسد، وتكثيره إذا عز وندر، وإعادته إذا ضاع وفقد، موضوع كل نبوة، ومهمة كل نبي في عصره، وإن وجود هؤلاء الأفراد بهذه الكثرة وبهذا الانتشار وفي صورة أتم لم يسمع بمثلا في التاريخ ولم تقع عليها عين السماء ولم تطلع عليها الشمس، وإن انخراطهم في سلك واحد، واجتماعهم في شمل واحد، ثم تعاونهم الوثيق على مبدأ واحد، وهدف واحد، مآثرة المحمدية ومعجزاتها الكبرى.

إن محمداً ﷺ بدأ عمل تكوين الأفراد وتهذيب الإنسان من مستوى لم يبدأ نبي أو مصلح عمله منه ولم يكلف به، لأنه وجد مستوى أرفع منه بكثير، وبلغ النبي ﷺ بهذا العمل إلى مستوى لم يبلغ نبي إليه، بدأ من مستوى تنتهي هنالك الحيوانية وتبتدي منه الإنسانية، وبلغ به إلى مستوى هو منتهى الإنسانية، ولا منزلة فوقه إلا النبوة، وقد ختمت بمحمد ﷺ.

إن كل فرد من هؤلاء الأفراد معجزة مستقلة وآية من آيات النبوة، ومآثرة من مآثرها الخالدة، وبرهان ساطع على أشرفية النوع الإنساني، إن مصوراً لم يصور بريشته البارعة ومخيلته السخية صورة أجمل وأبدع من ما كان عليه هؤلاء الأفراد في عالم الحقيقة والواقع، وفي شهادة التاريخ، وإن شاعراً لم يتخيل بخياله الخصب وقريحته الفياضة ومقدرته الشعرية، أو صافياً أجمل وسيرة أعطر، وجمالاً أكمل، مما وجد في هؤلاء الأفراد، ولزم اجتماع أدباء العالم في صعيد واحد فعرضوا نموذجاً إنسانياً رفيعاً لم يصل بهم الخيال إلى ما وصل إليه الواقع في حياته هؤلاء الأفراد، الذين نشأوا في حجر النبوة وحصانتها، وتخرجوا في مدرستها، إن إيمانهم الراسخ، وعلمهم العميق، وقلوبهم البار، وحياتهم البعيدة عن كل تكلف وصناعة، وعن كل رياء ونفاق، وتجردهم من الأنانية،

¹ - النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ص: 121.

وخشيتهم الله وعفتهم ونزاهتهم وعطفهم على الإنسان، ورقة مشاعرهم وشجاعتهم وجلادهم، وحرصهم على العبادة، وحنينهم إلى الشهادة، وفروسياتهم وفنوتهم وإحياءهم الليل، وزهدهم في حطام الدنيا وزخارف الحياة، وعدلهم وسهرهم على مصالح الرعية وإيثار راحتها على راحتهم، كل ذلك لا يوجد له نظير في الأمم ولاسوالف في التاريخ"¹.

في الاقتباس الآتي يأتي شيثان مهمان عن العقيدة الرسالة بطريقة حكيمة للغاية، أحدهما عقيدة ختم النبوة صلى الله عليه وسلم، والآخر عقيدة عظمة الصحابة رضي الله عنهم، وجميعهم كانوا يستفيضون بصحبة النبوة.

إن الشيخ الندوي -رحمه الله- جعل الخطبتين التاليتين موضوعًا لختم النبوة، وقد قدم الشيخ الندوي في هاتين الخطبتين العقيدة مدعمة بآيات القرآن وأحاديث واضحة، وقد ذكر الصحابة-رضي الله عنهم- وأمة الإسلام إجماعهم محمد على كونه خاتم النبيين، وكراهيتهم لادعاء النبوة من بعده، وقد أثبتتها بالدلائل العقلية.

ووصف الشيخ الندوي "ختم النبوة" بأنها رحمة من الله ورحمته للأمة الإسلامية، ووصفها بأنها ضامن الخلاص من الفوضى الفكرية، وبينما خلق هذا الاعتقاد لدى الإنسان إحساسًا بالوصول إلى سن البلوغ، فقد علمه أيضًا الماضي قدمًا في سباق الحضارة والاعتماد على المعرفة والخبرة في الحياة اليومية، لأن العالم اليوم ليس لديه الفرصة للبحث عن وحي إلهي جديد إلى السماء.

وسيرة محمد ﷺ وحياته أسوة للإنسانية حتى يوم الدين، الله سبحانه وتعالى جعل الأسباب غير المرئية لحمايته وكل لحظة من 23 عاما من حياته محفوظة في كتب الحديث والشمايل، وفي النهاية يقول الشيخ: لم يكن تاريخ الإسلام والمسلمين، أصحاب النبوة، أكثر قلقًا من الضيقة، لكن معظم هؤلاء المطالبين لم يحققوا أي نجاح يذكر، فقد نهضوا وجلسوا مثل الحباب.

لكن حالة "مرزا غلام أحمد قادياني" الذي ادعى أنه نبي في شبه القارة الهندية في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن العشرين، مختلفة لأسباب سياسية.²

¹ - النبوة والأنبياء، ص: 140-141.

² - منصب نبوت للعلامة الندوي، ص: 298.

الرد على القاديانية:

جزء مهم من عقيدة الرسالة هو أيضًا عقيدة ختم النبوة، إذا كان الشخص لا يؤمن أن محمداً هو خاتم الأنبياء، فهو خارج دائرة الإسلام، سبق العديد من المدعين في الأمة النبوة لكنهم فشلوا جميعاً، السياسة التي انتهجها غلام أحمد قادياني في الفترة الماضية وحظيت بتأييد الحكومات، ونتيجة لذلك ظهرت الطائفة القاديانية بانتظام وحاولت أداء مهمتها كرسالة كما يزعمون، انخدع الكثير من الجهلة به وسقط عدد كبير منهم فريسة للجشع، وادعى مرزا في البداية أنه مصلح، ثم قدم نفسه على أنه المسيح الموعود، وأخيراً ادعى النبوة المنتظمة وقدمها كفلسفة دائمة.

في كل وقت رد عليه العلماء، وكشفوا حقيقته، وأعلنوا صراحة نواياه الخبيثة، ومارسوها بأسلوب علمي، وجعلوا الناس على علم بفتنتها، والشيخ الندوي-رحمه الله- عندما دعت الحاجة حارب الفتن بقوة كبيرة واتخذ موقفاً قويا، كما كان له موقف قوي من فتنة التغريب من الفتن الخارجية، وبنفس الطريقة فإن فتنة القاديانية شديدة للغاية في الفتن الداخلية، لأنه كان يحظى بدعم الحكومات، وخاصة الحكومة البريطانية، لقد كانت عملية سطو على اصول وعقيدة الإسلام الأساسية، سماها الشيخ الندوي تمرداً على الإسلام ونبوة محمد خاتم النبيين ﷺ، والغرض الرئيسي منها خلق الفوضى في الأمة وتقسيمها إلى طوائف مختلفة.

البنجاب كانت موطن الشيخ عبد القادر رايبوري شيخ الشيخ الندوي، وكان الشيخ عبد القادر رايبوري -رحمه الله- منزعاً جداً من ظهور فتنة القاديانية في البنجاب، واجتهد هو وأصحابه من أجل الرد عليهم وفضحهم في المجتمع للناس ومخالفتهم لدين الإسلام، وأبرزهم الشيخ عطاء الله شاه بخاري ومولانا حبيب الرحمن اللدهانوي-رحمهم الله-.

في عام 1957-58ء، تم تنظيم "مجلس المذاكرات الإسلامي" (مجلس الحوار) من قبل "جامعة البنجاب" حيث شارك فيه علماء ومفكرون بارزون من الدول العربية، بخصوص نشأة فتنة القاديانية في أرض البنجاب، لذا أرادوا أن يعرفوا عنها في ذلك الوقت، لكن لم يكن هناك كتاب باللغة العربية يطمئن إليه في بيان فتنة القاديانية، وعندما علم الشيخ رايبوري بأن تلميذه الشيخ أبا الحسن سيأتي إليه في البنجاب قال: "إذا جاء علي ميان (يقصد الشيخ أبا الحسن الندوي) سأطلب منه أن يكتب كتاباً باللغة العربية في ذلك"، وكان الشيخ الندوي كذلك يعلم بظهور فتنة القاديانية في البنجاب، وبناء على طلب الشيخ رايبوري منه، أقام الشيخ في لاهور وخلال شهر راجع الأدب القادياني بأكمله وأعد كتاباً باسم "القادياني والقاديانية"

خصوصية هذا الكتاب أنه كتبه الشيخ بأسلوب وجذاب، إذا التقطه أي قادياني سيضطر يكمله لأسلوبه الفريد، ولن يغلقه على الفور، لكنه أيضاً سيضطر إلى التفكير في مراجعة ما يعتقد من الخرافة والضلال، وقد اختار الشيخ الندوي أسلوباً موضوعياً جذاباً في هذا الكتاب، واختار اقتباسات من الأدب القادياني، وقدمها بطريقة باتت حقيقتها واضحة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فقد كتبت هذا الكتاب في أسلوب عصري شائق، وتحاشيت الأسلوب الجدلي القديم، حتى لا يزهّد في قراءته الشباب المثقف، وتناولت شخصية مؤسس الديانة بالدراسة والتحليل العلمي، وذكرت كيف تطورت فكرته وعقيدته، وانتقدت الديانة وصاحبها في أسلوب علمي نزيه، وتحريت الدقة والصحة، والأمانة في ترجمة العبارات والنصوص وحكايتها والاحالة إلى الصفحات"¹.

وقد بين الشيخ الهدف من اختياره هذا الأسلوب، وأنه يهدف فقط لاقتناع الطرف الآخر وإجباره علمياً أن يفكر في تلك المعتقدات الفاسدة التي يتبعها.

أسلوب الكتاب الفريد يعطينا فكرة عن درجة نجاح الشيخ الندوي في مهمته وأسلوبه وطريقته التي بحث بها من البداية إلى النهاية تكشف حقيقة ادعاءات القادياني، وكيف ادعى "المهدية" ثم تطور الأمر إلى ادعاء "النبوة" عندما أصبحت الأرض والظروف مستعدة وجاهزة بزعمه فأعلن نفسه نبياً، وما هو الغرض منه؟ وأوضح الشيخ الندوي نفسه في كتاباته عن وجهة نظر القادياني بشأن الحكومة البريطانية، وأنه وصف نفسه بأنه نبتة عصامية لـ "الحكومة العليا" وخادمه.

أوضح الندوي-رحمه الله- بجلاء في دعوته فتنة هذه الجماعة وأثرها على عقيدة النبوة، وأطلع المسلمين على كل خزعبلات وضلالات القاديانية.

الرد على الشيعة:

وبخصوص مذهب الشيعة أوضح الشيخ الندوي-رحمه الله- أنه ينال من الإيمان بالنبوة، ولا تبقى العقيدة بختم النبوة، والسبب الرئيسي في ذلك أن عقيدة "الفرقة الإمامية الاثني عشرية" وتعريفهم الإمام وصفاته تتعارض مع ختم النبوة ومرادفها "المشاركة في النبوة".

ومن ناحية أخرى فإن إيمانهم بالصحابة أنهم جميعهم مرتدون -معاذ الله- ما عدا ثلاثة أو أربعة أو أكثر بقليل على اختلاف بينهم في الروايات، فالصحابة الذين تتحد الأمة على مكانتهم وجلالتهم وعظمتهم

¹ - القادياني والقاديانية للعلامة الندوي، أبو الحسن الندوي، ص: 15-16.

في الإسلام، لقد عرض مذهب الشيعة الاثني عشرية تصويرهم تصويراً سيئاً مما يتهم به الإسلام نفسه والرسول الكريم ﷺ حيث قام بتدريبتهم وتربيتهم لمدة 23 عامًا، لكن ذلك لم ينفذ ولم ينجح حسب تصورهم والعياذ بالله، فاعتقاد أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو طعن في الإسلام نفسه وتخطيم الثقة في تربية النبي صلى الله عليه وسلم ونبوته.

كتب الشيخ الندوي -رحمه الله- باستمرار في هذا الموضوع، وقدم دراسة مقارنة لمعتقدات أهل السنة ومعتقدات الفرق الاثني عشرية في كتاب مستقل وسماه: " صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية"، وبهذا يفضح افتراءات وأكاذيب أهل الضلال.

لقد أثبت الشيخ الندوي -رحمه الله- في بداية الكتاب أن هناك أربعة شروط أساسية لشمولية الدين ودائميته إلى يوم القيامة، فإن خلا من تلك الشروط لا يعتبر ذلك ديناً رائداً يصلح لإصلاح الإنسانية والثورة العالمية، وبالنظر في معتقدات الشيعة الاثني عشرية نجد أنهم يختلفون مع أهل السنة في ذلك، والشروط كما يلي:

1- إبراز إنسان جديد، وإظهار جيل رائع في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه.

2- تميز نبي هذا الدين صلى الله عليه وسلم عن الحكام السياسيين، والغزاة الفاتحين.

3- حفظ الله سبحانه لكتاب هذا الدين وصيانيته له.

4- أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ذاته هو مركز الهداية والقيادة¹.

وقد ذكر الشيخ هذه المعتقدات هنا حتى يتضح الفرق بين أهل السنة والشيعة، وفصلها تفصيلاً جليلاً من أراد الاستزادة في ذلك فليقرأ ما كتبه الشيخ في كتابه: " صورتان متضادتان".

عقيدة الآخرة:

والثالث من مبادئ الإسلام الثلاثة هو الإيمان بالآخرة، أي الاعتقاد بأن ما يفعله الإنسان في الدنيا سيجني ثماره بعد الموت، والجزاء أو العقوبة سيتم تحديدها وفقاً للعمل، الإيمان هو في النهاية أقوى شيء لخير الإنسان، وهذا هو العلم الذي لا يناله الإنسان إلا عن طريق الأنبياء عليهم السلام، وهذه هي المعرفة الثانية التي يستفيد منها الناس من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- بعد معرفة الله وأسمائه وصفاته.

¹ - صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الإمامية، ص: 10، دار البشير، جده، الطبعة الأولى: 1990م

وقد أكد الشيخ الندوي-رحمه الله- في خطابه في مناسبات عديدة الحث على الإيمان بالآخرة ووصفها بمفتاح قوة العمل، كما كتب مقالة مستقلة في هذا الموضوع، وهو الباب الأخير من كتاب الشيخ "اسلام کے تین بنیادی عقائد" (المعتقدات الأساسية الثلاثة في الإسلام)، وقد ذكر الشيخ في هذا الباب أولاً أن مصدر هذه المعرفة هو الوحي الإلهي، وهو منارة للناس من خلال الأنبياء، وللعلم: أن هذه هي الوسيلة الوحيدة لذلك فلا توجد وسيلة أخرى للوصول إلى معرفة الآخرة، فمع كل الصلاحيات التي يمتلكها الإنسان، وإمكانيته العقلية فهو وإن توصل بعقله إلى قضية البعث بعد الموت، وأنها مقتضى العقل إلا أنه لا يمكن الحصول على هذه المعرفة على وجه التفصيل من البداية بعقله المجرد، فلا يمكن أن يعرف بعقله تفاصيل ما يجري في الآخرة من الأحوال والأهوال، كما لا يمكن إنكارها لأن البعث بعد الموت مقتضى العقل أيضاً فإنكاره مكابرة، قال الشيخ الندوي-رحمه الله- فيما يتعلق بأمور الآخرة بأن الإنسان أمامه أمران: "بعد ذلك بقي للإنسان شيئين فقط، الأول: تصديق أقوال الأنبياء عليهم السلام والثوق بهم في دعواهم من خلال النظر في الأدلة والشواهد التي تدل على صحة ادعائهم والثاني: انكار دعواهم ورفضهم بدون أي دليل علمي"¹.

ماذا يمكن أن يكون سبب الرفض بعد وجود الأدلة إلا العناد والتكبر والجحود؟

الشيخ الندوي-رحمه الله- يقول عن مراحل حياة الإنسان، بأن الإنسان لم يكن يعلم كيف يمر بهذه المراحل حتى أخبرنا الله عز وجل بها، فهكذا مراحل الحياة الآخرة من الأمور الغيبية التي لا يعلمها الإنسان بعقله فيحتاج فيها إلى الأنبياء: "إن أحد حجتها الرئيسية وأحد شهودها هو ولادة الإنسان نفسه وحياته، كم عدد المراحل التي وصلت من العدم إلى الوجود، ثم من الوجود إلى اكتمال الوجود، أخذ شكل الحيوانات المنوية من السائل المنوي، أو جلطات الدم من الحيوانات المنوية، أو العلقه، ثم قطعة من اللحم الصلب أو غير الصحي، ثم الهيكل العظمي، ثم بعد الخروج من الغرفة المظلمة لهذا البطن، أصبح طفولياً لبعض الوقت، ثم دخل إلى حقل الشباب الأخضر، ثم إما خطوته الثانية على أعتاب الموت أو حصل على راحة كبيرة لدرجة أنه رأى ربيع الحياة هذا أيضاً حصاد الخريف للشيخوخة وبدأت رحلة الحياة العكسية، أي بعد الشباب، في سن الشيخوخة، بدأت ظروف الطفولة تستولي عليه مرة أخرى، واستجابت قواته واحدة تلو الأخرى، وضعف العقل والذاكرة معاً، انتهى جزء من الرحلة في هذه الوجهة، لكن الرحلة لم تنته، بل حدثت فقط وجهة وسطى من الرحلة تسمى الموت وعالم برزخ.

¹ - انظر! اسلام کے تین بنیادی عقائد للعلامة الندوي، مترجم: (العقائد الثلاثة الأساسية في الإسلام)، ص: 134.

إذن بالنسبة لمن يعرف جوهر وحقيقة الإنسان (التراب) ثم بدايته وخلقته، ما هو الإشكال العقلي في البعث بعد الموت، والذي شاهد العديد من الانقلابات والتحويلات في مراحل حياة الإنسان وصدقها، ما هو الإشكال العقلي والصعوبة في تصديق الانقلاب الأخير وهو العث بعد الموت؟¹.

وقال: "مثال آخر للحياة بعد الموت هو مناظر حياة الأرض بعد موتها التي تتجدد أمام الأعين مرارًا وتكرارًا، هذه الأرض التي في حضانها آلاف البشر الذين سيعثون، والحيوانات اللاتي سيحيون كأمانة وكنز فيها، هي بنفسها ميتة، وعلى شفيتها جفاف، وهي جثة تراب هامدة، لا إحساس فيها والتي لا حياة فيها بنفسها، ولا تكون وسيلة لحياة أي شيء آخر، ولكن عندما تسقط قطرات ماء الحياة السماوية على شفيتها ويبتل حلقها منها، وتصل إلى صدره، فتلك الأرض تستيقظ فجأة من النوم وتحيا من الموت، ويجري فيها طاقة الحياة وحماس الشباب، وكأنها تتمايل من الفرح وتهتز، وهي تخرج كنوز الثراء والحيوية والحياة، وخضرة معطرة، وحقول متمائلة... هذه المناظرة الجميلة والمبهجة في موسمي الأمطار والربيع من الذي لم يرها بعيونه؟².

وبغيرهما عن هذين الدليلين، يكتب مشيرًا إلى علامات أخرى: "بالإضافة إلى هاتين العلامتين أي علامتين والنمطين المفتوحين، يستمر هذا الامتداد الشاسع للكون في تقديم أنماط ومشاهد من الحياة بعد الموت ليلاً ونهارًا، هنا تستمر الأشياء في التدهور والانهيار، من شيء غير حي ولا واعٍ إلى كائن حي جيد، من كائن حي وكائن حي جيد إلى كائن غير حي وميت تمامًا، تكشف أشياء كثيرة عن آثارها المتناقضة، وفي كثير من المخلوقات يوجد تكرار للخلق وصدى للحياة، الشخص الذي درس القوة اللانهائية لخالق الكون، والخلق البدائي للمخلوقات، واتساع الخلق، لا يمكنه أن يشك للحظة في الحياة بعد الموت، ولهذا لا يوجد في تصديقها أي إشكال عقلي على الإطلاق"³.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في إبراز صفات الإيمان في الآخرة: "لا يجتمع الاستعلاء على الناس وحب الفتنة والفساد والتخريب في الأرض مع عقيدة الإيمان بالآخرة، لا علاقة لهذه الأخلاق والمقاصد مع هذه

¹ - انظر! العقائد الثلاثة الأساسية في الإسلام، ص: 135-136.

² - انظر: المصدر السابق، ص: 136.

³ - اسلام کے تین بنیادی عقائد للعلامة الندوي، مترجم: (العقائد الثلاثة الأساسية في الإسلام)، ص: 142.

العقيدة أبداً، فالله عز وجل وضع ذلك في كتابه،¹ فقال: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذي لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، والعاقبة للمتقين)

فالمؤمن لا يطمئن لهذه الدنيا والتسلط فيها، فهو يعرف أن العزة الأصلية هي العزة في الآخرة والثروة الأصلية هي ثروة عبودية صادقة للخالق سبحانه، لهذا هو مع شكره لله تبارك وتعالى على نعمه سبحانه ما يتمناه هو أن يكون من جملة عباد الله الصالحين² يقول تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام: (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)

ولذلك فإن المؤمن يفضل أكبر عذاب في الدنيا على أخطائه وأكبر وصمة عار في العالم على العذاب الأبدي في الآخرة والعار يوم القيامة، بل أحياناً يفضح نفسه في الدنيا فيذهب بنفسه للقاضي ويعترف بذنبه حتى ينجيه الله من عذاب الآخرة³.

والمؤمن لأجل اعتقاده بالآخرة والحساب والجزاء يكون في حال خلوته وحال اختلاطه بالناس على حد سواء ملزماً بالقانون الإلهي وعبودية الله، وحيث لا يوجد أناس يرونه ولا من يحاسبه، لا يصدر منه كذلك أعمال خلاف أخلاقه وديانته⁴.

وقد ذكر الشيخ آيات وأحاديث شرح بهما ووضح الإيمان باليوم الآخر في عدد من كتبه ومقالاته، فهي ثروة مهمة للداعية ومواقفه مع المدعوين في شتى الحالات، من أراد الاستزادة فليراجع هناك.

مسئولية الداعي في العصر الحاضر:

الدعوة إلى الإيمان بالآخرة من مهام الداعي الكبيرة لكن تكبر الحاجة إليها أكثر في العصر الحديث لمحاولات أعداء الإسلام الكثيرة للوقعة بين المسلمين والافتتان بينهم وإشغالهم بالمسائل الفرعية ونسيانهم الهدف الأكبر من حياتهم وهو الإيمان بالله وعبوديته والإيمان بالآخرة وغيرها من الأركان، فيجب على الداعي أن يشتغل بقضية الدعوة للإيمان بالآخرة ويستفيد في ذلك من وسائل الإعلام المختلفة، وعليه أن يتعرف على المشاكل الجديدة والمضايقات والشبهات الجديدة وواقع الناس وما يتناسب مع عصرهم

¹ - اسلام کے تین بنیادی عقائد للعلامة الندوي، مترجم: (العقائد الثلاثة الأساسية في الإسلام)، ص: 151.

² - العقائد الثلاثة الأساسية في الإسلام، ص: 153.

³ - المصدر السابق، ص: 154.

⁴ - المصدر السابق، ص: 157.

عصر التكنولوجيا الحديثة، ومن المشاكل الحديثة أن غالبية الناس إذا رأوا شخصا في وسائل التواصل والإعلام أظهر شيئا من التعاطف مع الإسلام وإن كان يطن خلاف ما يظهر لكن تجد الكثير من الناس يتبعونه ويضعون إعجابات على كلامه فتجدهم أتباع كل ناعق للأسف لذا تعظم هنا مهمة الداعي والتصرف مع كل هذه الأحوال بحكمة وما يتناسب معها من العلم والرفق واللين.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "لم يعد مقياس المدح والذم والانتقاد والتقريض في أوساط كثيرة، هو الكتاب والسنة، وأسوة السلف، وصحة العقائد والمذهب، بل إن إقامة حكومة مطلقة باسم الإسلام والفوز بالقوة، أو توجيه تحد إلى معسكر غربي، وإحداث العراقيل في طريقته، يكفي لمن يتولى ذلك أن يكون قائداً محبوباً ومثالياً¹.

المشكلة الثانية في عصرنا هي أن الطبقة المتعلمة تجهل العقيدة أيضاً، أي إذا سئلوا: ما هو أثر التوحيد في حياتنا؟ وأيضا لماذا من الضروري تبني عقيدة ختم النبوة؟ سوف تأتي إجابتهم "لا أدري"، وعلينا أن نملأ هذا الفراغ ، ويوم القيامة سيسأل من يدعي أنهم ورثة الأنبياء، لأن ذلك كان واجبهم الذي لم يقوموا به.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "تفقد العقيدة أهميتها لدى جيلنا الجديد المثقف إلى حدٍ خطير جداً، وذلك واقع يبعث على القلق والاضطراب، فإن العقيدة هي الخط الفاصل بين دعوات الأنبياء ومقاصد مجهوداتهم وعواملها، وبين دعوات غيرهم، ومقاصد جهودهم، تلك العقيدة لا يرضى الأنبياء وخلفائهم بالمساومة أو التفاهم عليها بأكبر ثمن، إن مقياس الرضا والقبول والإستحسان والإستهان، وشروط الفصل والوصل عندهم هي العقيدة، وهذا الدين الذي لا يزال موجوداً بصورته الأصلية"².

¹ - انظر: صورتان متضادتان، ص: 98.

² - انظر المصدر السابق، ص: 98.

المبحث الثاني: منهجية التعامل في العبادات

مفهوم التدين في الإسلام واسع جداً مقارنة بالديانات الأخرى، كل عمل مرغوب فيه بقصد الثواب والإيمان برضا الله والتعبد به لله يسمى ديناً، وسواء كانت هذه الممارسة تتعلق بعوامل الدنيا أو احتياجات الإنسان أو الاحتياجات الاقتصادية، فإن العبادات الخاصة والأركان وواجبات الدين مثل الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد لها مكانة عالية ولها أهمية كبيرة، إن التقليل من مكانتها وأهميتها، والمساواة بين هذه الأعمال وسائر الأعمال التي يسعى الإنسان من خلالها للثواب، هو فتح باب التحريف والإلحاد في الدين.¹

العبادة باب مستقل في الإسلام يقوم على أساسه عمود من أركان عمارة الإسلام، ويدور حوله فلك حياة الإنسان، ولهذا فقد كتب عنها الشيخ الندوي-رحمه الله- بانتظام وعرض أهميتها والغرض منها في العصر الحاضر بكلمات سهلة، وقيل إن المسلم مهما كان انتمائه لأي طائفة إسلامية إذا أدخل هذه الأمور في حياته بطريقة جيدة فإنه يكون ناجحاً إن شاء الله وتكون منازلته التالية أسهل.

فيما يلي نذكر مقومات العبادة الخاصة والمهمة، والتي كانت لازمة ومهمة في كل عصر، والتي لها الأولوية في الإسلام، ويوم القيامة يسأل الله العبد عنها ويحاسب عليها، - وقد عرض الشيخ الندوي-رحمه الله- في كتابه الشهير "العقيدة والعبادة والسلوك/ الأركان الأربعة" بشكل جميل هذه الجوانب الهامة من العبادة.

يقول في مقدمة نفس الكتاب بالإشارة إلى "الأركان الأربعة": "فبدأت بالكتاب والسنة وماورد عن هذه الأركان، وعن روحها وحقيقتها، ومقاصدها وآدابها، في القرآن والحديث، وأردفت ذلك بما جاء في كتب هؤلاء الأئمة في تفصيلها، وتوجيهها وتعليمها، فجاء تفصيلاً للمجمل، وتبسيطاً للموجز، ولم يمنعني الحياء والشعور بالنقص عن عرض ما فتح الله به علي وهو الفتح العليم، من فهم بعض مقاصد هذه الأركان الجليلة، والكشف عن بعض جوانبها ومطابيحها وصلتها بالحياة وفَضَّها لكثير من المعضلات والمشكلات، ولم أتوقف من نقل بعض أقوال العلماء المعاصرين، وذلك كله في أسلوب علمي أدبي عصري، فجاء الكتاب بحول الله يجمع بين القديم والجديد".²

¹ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 81، هامش رقم: 1.

² - الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة للعلامة أبو الحسن علي الندوي، ص: 6، دار الكتب الإسلامية.

الصلاة:

وللصلاة مكانتها الأولى في العبادة، كما قال الشيخ الندوي: "ومن أقدم هذه العبادات وأهمها الصلاة المفروضة، فإنها عماد الدين، والفارق بين الكفار والمسلمين"¹.

الصلة بين الساجد وربّه:

الشخص الذي يمكنه الاستمتاع بالصلاة هو الذي يدرك واقعها تمامًا وعلاقتها الغريبة، والعالية والخفية التي لا يمكن تصورها، يبدو الأمر كما لو أن الشخص الذي يستمتع بالصلاة هو الوحيد الذي يعرف سر عابد و معبود، ساجد و مسجود، راکع و مرکوع، وأيضاً من أجل حصول هذه اللذة من الضروري أن يتحلى الساجد بالصفات التي يطلبها المسجود.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولا يفهم هذه الصلة الغريبة الفريدة بين العبد والرب، إلا من عرف صفة العبد والرب، والصلة دائماً تابعة للصفة، نابعة منها، إنك لا تستطيع أن تحدّد صلة بين طرفين، وبين إثنين، إلا إذا عرفت صفة كل واحد منهما، وعرفت التفاوت، أو التفاضل بينهما، وعرفت مقدار احتياج أحدهما إلى الآخر، وفضل أحدهما على الآخر، وجميع الصّلات التي تمارسها في الحياة، والتي تشكّل القانون، وتكون المدنية، وتصوّغ المجتمع خاضعة للصفات التي نعرفها أو نتوهم للأفراد والكائنات، أو أعضاء الأسرة أو ذوي السلطان"².

لقد أعطي الإنسان شيئاً غير الحواس الخمس التي تدل على المحبة والعاطفة التي تميز بها، وإلا فإن جميع مخلوقاته دائماً ما تنخرط في العبادة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "أما احتياج هذا الإنسان إلى أن يكون في خضوع دائم، وفي ركوع أو سجود لا انقطاع لهما، أمام الرب الذي هو الإله الحق والجود المطلق، والذي اعطاه من كل ما سأل بلسان القول أو بلسان الحال؟:

﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾³، والذي يعلم الخواطر الدقيقة الدفينة، والأمانى المؤودة المنسية أو الأحلام القديمة المطمورة، التي نسيها الإنسان أو تخلّى عنها أو ينس من تحقيقها،

¹ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 83

² - الأركان الأربعة، ص: 13-14

³ - سورة إبراهيم، الآية: 34.

والتي قد يغار عليها القلب فلا يشرك فيها العقل، وفي قوله : ﴿وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾¹، والذي هو أقرب من كل قريب"².

الله عز وجل كرم الإنسان فخلق المخلوقات لنفع الإنسان وفائدته ومصلحته ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾³، وخلق الإنسان لعبادته فلا يجوز للإنسان أن يتهاون في عبادته، أما اليوم، فإن الشباب والنساء والأطفال أقل ميلاً إلى الله وترتيب الصلوات، بينما يقوم كبار السن بترتيب المزيد من الصلوات وما إلى ذلك.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فهذه المخلوقات التي لاعقل لها ولاقلب في عبادة دائمة، في طاعة وخضوع لأمر الله تعالى، فلا عصيان ولا ثروة، ولا تمرد ولا جوح، ولا ملل ولا سامة، ولا إضراب ولا انقطاع عن العمل، ولا راحة ولا عطلة، فكأنما دائماً في السجود، في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾"⁴، فهذه المخلوقات على اختلاف أنواعها وعلى تنوع عبادتها في صلاة، تتفق مع طبيعتها ووظيفتها"⁵.

لقد كان الإنسان بشرفه واختصاصه، وعقله وقلبه، أحق من جميع هذه المخلوقات التي سبق ذكرها، بأن يكون في عبادة دائمة لا انقطاع لها، من قيام وركوع وسجود، ومن حمد وتسبيح وذكر لا يفتقر عنه لسانه، وقد كانت الهبات التي اختص بها، والعناية الإلهية التي كان موضعها، والنعم التي تدفقت عليه ونزلت كالمنزل الغزير، تقتضي أن لا ينقطع عن هذه العبادة، ولا ينصرف عن هذه "الصلاة" طرفة عين، ولكنه اختير ليكون خليفة الله في أرضه، وهبى لهذا المنصب، فخلقت فيه الشهوات، ووضعت فيه الحاجات، وأودعت فيه الحب والحنان والرقّة، والتألم والإلتذاذ، ووضع فيه الإستعداد للمعرفة، واستخدام ما خلقه الله في هذه الأرض وبثه من دفائن وخزائن، ونعم وخيرات، وقوى وطاقات"⁶.

¹ - سورة الأنفال، الآية: 24.

² - الأركان الأربعة، ص: 17-18.

³ - سورة البقرة، الآية: 29.

⁴ - سورة الحج، الآية: 18.

⁵ - الأركان الأربعة، ص: 19-20.

⁶ - انظر: الأركان الأربعة، ص: 20.

عبادة مطابقة لوضعه الخاص ومركزه الدقيق:

"إذا كان لابد من عبادة تليق بفطرته ومنصبه، ومركزه في هذا الوجود، والمهمة التي ألقيت على عاتقه، والواجبات التي يجب أن ينوء بها، فكان لابد من عبادة لأنها مقتضى الفطرة، ونتيجة الغريزة، ونداء الضمير، وواجب الشرف، وحاجة الإنسانية، وغذا القلب، وكان لابد أن تكون هذه العبادة مطابقة كل المطابقة لوضعه الخاص، ومركزه الدقيق، وموقفه الفريد، وأن يكون لباساً قد فصل على قامته، وعلى قدر حاجته"¹.

كل من الجسم والعقل والقلب له نصيب في الصلاة:

احتاج الإنسان إلى شكل من أشكال العبادة تتحرك فيه أطرافه الثلاثة (الجسد، العقل، القلب).

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وذلك لأن الصلاة ليست حركات رياضية، ونظاماً رتيباً خشيعاً جامداً، لا روح فيه ولا حياة، ولا نظاماً عسكرياً، لا إرادة فيه ولا خيار، إنما هو عمل يشترك فيه الجسم والعقل والقلب، ولكل منها نصيب غير منقوص، وكل فيها تمثل تمثيلاً حكيماً عادلاً"².

هذا هو السبب في أن الصلاة لها تأثير على شخصيتنا، ففي المجتمع اليوم فإن الفجور وسوء السلوك والكلمات البذيئة من صغار السن وقلة الرحمة من الكبار هي نتيجة الضعف والكسل في هذه الصلاة، حيث تسببت وسائل التواصل الاجتماعي في الكثير من الضرر اليوم، فإن أحد العيوب الرئيسية هو إساءة استخدام جيل الشباب، وفي الليل كانت الباقات المجانية أو الرخيصة قد أربكت الأمة المسلمة، فجميع حزم الشبكات (NETWORKS) في الليل تكون رخيصة أو مجانية تماماً، نتيجة لذلك، يسيء شبابنا استخدام الشبكة طوال الليل ثم ينامون طوال اليوم، وتجدر الإشارة إلى أن هذه العبوات لا يستخدمها أي رجل أعمال (BUSINESSMAN) بين عشية وضحاها، بل يستخدمها جيل الشباب على حسابهم، وإهمال الصلاة.

وللصلاة تأثير في صرف النفس عن الأخلاق الرذيلة، والفحشاء والمنكر، والتمتع بالمتعة الرخيصة، ما ليس لشيء آخر بعد كلمة التوحيد، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾³، وذلك لأنها تصرف

¹ - الأركان الأربعة، ص: 22.

² - أيضاً المصدر السابق، ص: 31.

³ - سورة العنكبوت، الآية: 45.

صاحبها من جهة إلى جهة، ومن ذوق إلى ذوق، ومن طلب إلى طلب، ومن تفكير إلى تفكير، ومن سفاسف الأمور إلى معاليها، وتحبب إليه الإيمان¹.

فضائل المساجد:

ومن ثم فإن بناء المساجد لهذه الصلاة هو سبب مهم للغاية، حيث تتحقق جميع أهدافنا الأساسية للإسلام، في الأيام الأولى للإسلام، كانت جميع القرارات تقريباً تتخذ في المساجد، ولكن لاحقاً، بسبب الحشود، وما إلى ذلك، تم اختيار مكان منفصل لها، وبنفس الطريقة يتم ترتيب الزواج في المسجد، وفي بعض الأماكن لا يزال يتم ترتيبه في المسجد، نظراً لأن معظم الزيجات لا تتم في المسجد، فقد نشأت مشاكل مختلفة في المجتمع اليوم.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "تمّ بنيت لها المساجد التي لا يوجد لها نظير في معاهد الأمم والملل، في السداجة والبساطة، والنظافة والسكينة، وفي الجوّ الخاشع الروحاني الذي يسودها، وفي شعائر التوحيد التي تتجلى فيها: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾²، وكانت هذه المساجد، ويجب أن تظل هكذا، ومركز حياة المسلمين، وتعلّمهم ودراساتهم، ومصدر الإصلاح والتوجيه، تعالج فيها قضايا المسلمين الاجتماعية والدّينية"³.

ومن واجبات هذه الأمة وعلمائها ومربيها، بالأخص، أن لا ينقطع هذا الإرث، وأن لاتضيع هذه الثروة المباركة، وأن لاينطفئ هذا النور مهما تغيرت الأوضاع، وغوت المادية القلوب والنفوس، فإنها خسارة لاتعوض بشيء، وفراغ لايملاً باكبر قسط من الأحكام الفقهية، وأسرار التشريع، وذلاقة اللسان وسيلان القلم، ولأمل في حركة إصلاحية، أو محاولة لبعث إسلامي، إلا إذا ألهبت جذوة الإيمان، والحب والحنان، في نفوس أصحابها ودعائها، وأعادت إلى الأمة عن طريق دعوتها وتربيتها وجهادها ظلال تلك الصلاة الخاشعة الرقيقة، التي امتازت بها القرون، المشهود لها بالخير، وعرفت كيف تقوم أمام ربها في الصلاة قبل أن تعرف كيف تقف أمام عدوّها، وفي المشكلات والأزمات، وصدق إمام دار الهجرة مالك بن أنس، إذ

¹ - الأركان الأربعة، ص: 49.

² - سورة النور، الآية: 36.

³ - الأركان الأربعة، ص: 52-53.

قال "لن يصلح آخر هذه الأمة، إلا ما أصلح أولها" وصدق الله العظيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ - الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾¹.

الزكاة:

وفي إشارة إلى معنى الزكاة، قال الشيخ الندوي إن الزكاة في العصر المكي تعني الصدقة والخيرات المطلقة، كما جاء في آية سورة المؤمنون التي نزلت في العصر المكي: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾²، وبالمثل قال سيدنا جعفر الطيار رضي الله عنه ردًا على سؤال ملك الحبشة (النجاشي) (وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام)³، وحدثت هذه الهجرة إلى الحبشة في نهاية السنة الخامسة لبعثة النبوة ﷺ.

عندما نضجت العقيدة الإسلامية واكتسب المسلمون القوة على جميع أنواع التأثيرات، ظهرت مجموعات مختلفة بينهم، منهم الأغنياء وبعضهم فقير وبعضهم متوسط الحال، ثم في مثل هذا المجتمع المعتدل كانت هناك حاجة لإدخال نظام زكاة معتدل للجميع، فكانت أحكام الزكاة العادلة في الإسلام تحل مشاكل المجتمعات هذه بعدل وإنصاف يرضاه كل عاقل مؤمن.

وقد أوجب الله عز وجل الزكاة وقد راعى فيها مصلحة أرباب الأموال ومصلحة المساكين، وجعلها الله سبحانه وتعالى طهرة للمال ولصاحبه، وقيد النعمة بها على الأغنياء، فما زالت النعمة بالمال على من أدى زكاته، بل يحفظه عليه وينميه له، ويدفع عنه بها الآفات، ويجعلها سورا عليه وحصنا له وحارسا له. ثم إنه جعلها في أربعة أصناف من المال، وهي أكثر الأموال دورانا بين الخلق، وحاجتهم إليها ضرورية، والأصناف الأربعة هي:

النوع الأول الزرع والثمار، النوع الثاني بهيمة الأنعام الإبل، والبقر والغنم، النوع الثالث الجوهران اللذان بهما قوام العالم، أي الذهب، الفضة، النوع الرابع أموال التجارة على اختلاف أنواعها⁴.

¹ - سورة المؤمنون، الآية : 1-2.

² - سورة المؤمنون، الآية: 4.

³ - أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، باب حديث جعفر بن أبي طالب وهو حديث الهجرة، 357/2، الرقم: 1740.

⁴ - انظر: زاد المعاد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، 5/2، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27، 1415هـ/1994م.

وفي العصر الحاضر تتم التجارة عبر الإنترنت (Online) ولا فرق بينها وبين التجارة العادية في أحكام الزكاة.

بين الشيخ الندوي-رحمه الله- وجه العدل والأنصاف في مواقيت الزكاة ومقاديرها ناقلاً من كتاب شاه ولي الله المحدث الدهلوي: "ثم إنه أوجبها مرة كل عام، وجعل حول الزرع والثمار عند كمالها واستوائها، وهذا أعدل ما يكون، إذ وجوبها كل شهر أو كل جمعة، يضرّ بأرباب الأموال، ووجوبها في العمر مرة ممّا يضرّ بالمساكين، فلم يكن أعدل من وجوبها كل عام مرة، ثمّ إنه فاوت بين مقادير الواجب بحسب سعي أرباب الأموال في تحصيلها، وسهولة ذلك ومشقة، فأوجب الخمس فيما صادفه الإنسان مجموعاً محصلاً من الأموال، وهو الركاز، ولم يعتبر له حولاً، بل أوجب فيه الخمس متى ظفر به، وأوجب نصفه، وهو العشر فيما كانت مشقة تحصيله وتعبه وكلفته فوق ذلك وتقع موقعها من المساكين فجعل للورق مائتي درهم، وللذهب عشرين مثقالاً، وللحبوب والثمار خمسة أوسق، وهي خمسة أحمال من أحمال إبل العرب، وللغنم أربعين شاة، وللبقر ثلاثين، وللإبل خمساً"¹.

في نظر العديد من الفلاسفة والمتعلمين المعاصرين اليوم، الزكاة ليست سوى ضريبة عادلة، أي أنهم ينظرون إلى الزكاة على أنها ضريبة، أو على الأقل يحصل قارئ كتاباتهم على نفس الانطباع.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "اعتاد كثير من الكتاب الإسلاميين المعاصرين الذين خضعوا في قليل أو كثير للنظم الإقتصادية الحديثة، وأهمية علم الاقتصاد وسيطرته على جميع النظم ومناهج التفكير في هذا العصر، أن يفيضوا ويسترسلوا في مصالح الزكاة الإقتصادية والإجتماعية، وما تعود به على المجتمع الإسلامي من فوائد ومنافع، واعتبروها- وبالأصح يفهم القارئ لكتاباتهم وبحوثهم أنهم يعتبرونها- جباية مالية من أعدل الجبايات، وأكثرها اتزاناً واعتدالاً في جميع الجبايات التي عرفها تاريخ الاقتصاد في العالم، ولذلك يعتبرون أنها أكبر أساس، وأقوى دعامة "للإشتراكية" التي يعتقدون أن الإسلام دعا إليها وتحققت في أفضل عصوره، وكادوا يغفلون - إلا من عصم الله ووقفه- روح الزكاة التي تسيطر عليها، وهي روح العبادة والتقرب إلى الله"².

والمصلحة الثانية أن الزكاة مرتبطة بالمدينة، أي عندما يتجه المحتاجون من القرى إلى المدينة، هنا ينشغل المسؤولون الحكوميون في تلبية احتياجاتهم، لذلك، يُنصح بتحصيل مبلغ ثابت من الناس لهذه المصالح.

¹ - الأركان الأربعة، ص: 107 - 108

² - المصدر السابق، ص: 111 - 112

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "ومصلحة ترجع إلى المدينة، وهي أنها تجمع لاحتالة الضعفاء و ذوي الحاجة، وتلك الحوادث تغدو على قوم، وتروح على آخرين، فلو لم تكن السنة بينهم مواساة الفقراء وأهل الحاجات لهلكوا وماتوا جوعاً¹.

من هذه المصالح، يتضح أن هناك فرقاً كبيراً بين الضرائب والزكاة، وقد أعطى الله تعالى للزكاة لوناً ومزاجاً خاصاً، وأعطاهها حرمة وطهارة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وتلى هذه المصلحة الأساسية مصلحة الجماعة والمجتمع، وهي كفالة المجتمع، الكفالة اللازمة الضرورية، وسد حاجات الفقراء الطبيعة البدائية، وتهيئة كل عضو من أعضاء المجتمع أسباب الحياة الشريفة التي يستطيع القيام بحقوق الله وحقوق النفس، والوصول إلى الكمال المطلوب، والغاية المطلوبة من كل فرد مسلم"².

إذا نظرنا إلى خصائص الزكاة نجد أن أبرز ما يميز "الإنذار والتبشير" وهذا يعني أن القرآن والحديث يحتويان حول مكافآت دفع الزكاة وعلى وعود عديدة عدم الدفع، في العصر الحديث، إذا دفع المرء ضرائب، فهو يعلم أنه سيتم إنفاقها على كماليات النخبة التي لا يدفعها بسعادة، و بينما تدفع الزكاة بسرور مع العلم بدليل رضا الله تعالى، ولهذا اهتم العلماء كثيراً بالنفقة في سبيل الله.

قال الشاه ولي الله في كتابه: "ثم مست الحاجة إلى بيان فضائل الإنفاق والترغيب فيه، ليكون برغبة وسخاوة نفس، وهي روح الزكاة، وبها قوام المصلحة الراجعة إلى تهذيب النفس، وإلى بيان مساوئ الامساك، والترهيد فيه، وإذا الشح هو مبدأ تضرر مانع الزكاة، وذلك إما في الدنيا، قوله ﷺ "اتقوا الشح فإن الشح أهلك من قبلكم" الحديث، وقوله صلى الله عليه وسلم "إن الصدقة لتطفي غضب الرب"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الصدقة تطفي الخطيئة كما يطفئ الماء النار"، وقوله ﷺ: "فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبها" الحديث أقول: سر ذلك كله أن دعوة المألأ الأعلى إصلاح حال بني آدم والرحمة بمن يسعى في إصلاح المدينة أو في تهذيب نفسه إلى أن تنصرف هذا المنفق، فتورث تلقي علوم المألأ السافل وبني آدم أن يحسنوا إليه، ويكون سبباً لمغفرة خطاياهم، ومعنى يتقبلها أن تتمثل صورة العمل في المثال منسوبة إلى صاحبها فتتسبغ هنالك بدعوات المألأ الأعلى ورحمة الله به، أو في الآخرة، وهو قوله صلى الله عليه وسلم

¹ - الأركان الأربعة، ص: 114.

² - المصدر السابق، ص: 113

(ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار)¹.

المصرف الاصيلي للزكاة في العصر الحاضر مفقود، (أي يجب أن يتم تلقيها من الأغنياء ومنحها للفقراء) الذي ظهر في قوله ﷺ: (تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم)².
الضرائب التي تأخذها الحكومات الحالية، وتُعاد إلى الأغنياء.

كما قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وبالعكس من ذلك الجبايات والضرائب والمكوس، التي تفرضها الحكومات اليوم، فهي صورة مقابضة معكوسة للزكاة، فهذه الضرائب- العادلة منها والمجحفة، والصغيرة منها والضخمة- تؤخذ من الفقراء وأوساط الناس، وتردّ على الرؤساء والأغنياء والأقوياء، إنها تجتمع بعرق جبين الفلاحين، والعملة والصناعيين"³.

و من خصائص الزكاة التي يقبلها الله عز وجل أن تكون بإخلاص، أي: من يخرج الزكاة يكون متواضعا يمتنع عن الإحسان على من يدفع له الزكاة، لا يريد به سلطة أو سمعة أو جاها بل لا يريد إلا وجه الله عز وجل، وهو الأمر الذي تم التأكيد عليه مرارًا وتكرارًا في القرآن والحديث: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁴، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (مثل البخيل والمنفق كمثلي رجلين عليهما جبتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيهما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده، حتى تخفي بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع)⁵.

في العصر الحاضر هناك مئات الأعذار والحيل المستخدمة لتجنب الإخلاص في التهرب الضريبي.

¹ - حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ الشاه ولي الله الدهلوي (المتوفى: 1176هـ)، 63/2، المحقق: السيد سابق، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، ط: 1، سنة الطبع: 1426 هـ - 2005 م.

² - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، 104/2، الرقم: 1395.

³ - الأركان الأربعة، ص: 121.

⁴ - سورة البقرة، الآية: 162.

⁵ - أخرجه البخاري، باب مثل المتصدق والبخيل، 115/2، الرقم: 1443.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-وبالعكس من ذلك الجبايات التي تجبها الحكومات-عدلاً أو ظلماً- تتجرد من هذا الروح الخلقي والتعبدية، وعن تواضع النفس، والخوف على العمل والرياء وعدم الإخلاص، وتحري المال الطاهر الطيب الأثير الكريم، ففي غالب الأحيان تقتزن هذه الجبايات بروح المقت والضجر والإحتيال القانوني، وتعتمد المال الذي جاء من طريق غير شرعية، وتلك طبيعة الأحكام والقوانين العلمانية الزمنية، التي لاتسند عقيدة، ولافكرة دينية، أو قُديسي وروحي"¹.

ولهذا يوجد فرق بين الزكاة والربا، وباختصار فإن أبرز اختلاف هو أن الزكاة تشتمل على مخافة الله وطاعته، بينما الربا يشمل معصية الله وإعلان الحرب.

في العصر الحديث يتزايد نمو الاضطهاد والقسوة والانفصال والأنانية في المجتمع بسبب هذا الاهتمام.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فروح الزكاة خشية الله وطاعته، وابتغاء رضوانه، والمواساة والعطف على الفقراء والرتاء لأحوالهم ورقة القلب، والإخلاص والتجرد عن الأغراض، حين كان روح الربا معصية الله، ومبارزته بالحرب، وقسوة القلب، والشح المفرط، والنهامة المسرفة للمال، وتضحّمه وتناسله، من كل طريق، وانتهاز فرصة حاجة الفقير الملحة، واستغلال فقره وضعفه"².

مثلاً أجرى الإسلام إصلاحات مختلفة في جوانب أخرى مثل الصلاة والصوم والجهاد والحج، كذلك لعبت الزكاة دوراً تصحيحياً فيها لأنها واجب ديني وعبادة، تغطي هذه الإصلاحات جميع المصالح الفردية والجماعية لقانون الزكاة وأحكامه، وخالية من كل آثار التحريف والفساد التي تظهر فيها الأمم والأديان الماضية.

الجهاد:

الجهاد له أهمية كبيرة في الإسلام، لكن لاتصل لمنزلة الصلاة وبقية الأركان، فالعلماء اختلفوا في كفر تارك الصلاة وغيرها من الأركان، لكن لم يختلفوا في تارك الجهاد، فهناك فرق بين المنزلتين، الجهادله منزلة عظيمة ومكانة مرموقة في الإسلام، فقد كان من الأعمال المفضلة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم،

¹ - الأركان الأربعة، ص: 123.

² - المصدر السابق، ص: 124.

وقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾¹، وأيضاً ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾².

الجهاد أربعة أنواع: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، والجهاد ضد المنافقين، وقد ورد تأكيد هذه الأربعة مراراً وتكراراً في القرآن والحديث، ولهذا جاهد النبي صلى الله عليه وسلم في سبيل الله بقلبه وكبدته ودعوته ووعظه، قضى النبي ﷺ أيامه ولياليه في الجهاد والقلب واللسان والجسد، وهذا هو سبب مكانة الرسول الكريم السامية عند الله تعالى.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ثم هجرته هو صلى الله عليه وسلم واصحابه إلى المدينة، فلما استقر بالمدينة وأيده الله بنصره والمؤمنين، وألف بين قلوبهم، ومنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام، من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء، والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وثمروا لهم عن ساق العداوة والمخاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح، حتى قويت الشوكة واشتد الجناح بأذن لهم حينئذ في القتال، ولم يفرضه عليهم"³.

في العصر الحاضر عدد المسلمين في العالم يتزايد يوماً بعد يوم، ولكن عملياً فإن مجد الإسلام وهيمته فارغين، والسبب الرئيسي في ذلك هو بعد المسلمين عن الجهاد.

كما يقوم الجهاد على قواعد ومبادئ معينة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾⁴.

ماذا سيحصل من الجهاد؟ فيه فضائل وفوائد كثيرة، إذا تم مع مراعاة الآداب والأصول.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد ثبت أنه قال: (لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت عن سرية، ولكن لا أجد حمولة، ولا أجد ما أحملهم عليه، ويشق علي أن يتخلفوا عني، ولوددت أني قاتلت في سبيل الله،

¹ - سورة الفتح، الآية: 28.

² - سورة الانفال، الآية: 39.

³ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 127.

⁴ - سورة البقرة، الآية: 190.

فقتلت، ثم أحييت ثم قتلت، ثم أحييت)¹، وكان الناس إذا اشتدّ الحرب اتقوا به صلى الله عليه وسلم فكان أقربهم إلى العدو"².

الإسلام ينهى عن القسوة في الجهاد، أي لا يقبل تدنيس الإنسان، فهذه صفة الإسلام وما يميزه، في الأزمنة الحديثة، شهدنا بلداناً مختلفة من العالم، قتل فيها المسلمون بقسوة ووحشية واضطهاد شديد، خلال أعمال الشغب التي اندلعت في الهند عام 2021، قُتل المسلمون بلا مبالاة، ثم شوهد الإعلام يقطع أطرافهم، وبالمثل فظائع إسرائيل في فلسطين أمامنا وفي كشمير، تُرى بربرية الهند كل يوم، اضطهاد المسلمين في ميانمار هذه الأحداث التي تظهر أنه إذا كان هناك أي دين في العالم لا يزال يحارب خصومه مع مراعاة الحدود والمبادئ فهو الإسلام.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وكان ينهى عن قتل النساء والولدان ، وكان إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ، ويقول : (سيروا بسم الله وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً، وكان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية كان فيما يوصيه به ويأمره، أن يقول :إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتين ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي مجرى على المؤمنين،)"³.

وقد شارك الرسول الكريم ﷺ نفسه في 27 غزوة، وتقريباً جميع الغزوات والسرايات تصل إلى 60، ولم يكن في جميعها قتال، لكن حصيلة القتلى في جميعها من الغزوات والسرايات والبعوث لم تتجاوز 1018 قتيلاً من الفريقين.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فلم تتجاوز القتلى كلها 1018 قتيلاً من الفريقين، وكانت حاقتة لدماء، عاصمة لنفوس وأعراض لا يحصيها إحصاء، باسطة للأمن في أرجاء الجزيرة حتى استطاعت الطعينة، أن ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، ولا تخاف أحداً إلا الله، والمرأة من القادسية على بغيرها حتى تزور

¹ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الجعائل والحملان في السبيل، 53/4، الرقم: 2975.

² - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 128.

³ - المصدر السابق، ص: 129.

البيت لا تخاف، بعد ما كانت الجزيرة كلها كفة حابل، وشبكة دقيقة من ترات وثارات، وحروب وغارات، لا تمشي فيها قوافل الحكومات الكبيرة إلا بخفارة ساهرة، وبذرة ماهرة"¹،

ومع ذلك، إذا قمنا بالحساب فقط من بداية عام 2021 حتى الآن، وإذا ألقيت نظرة على تقرير أي قناة إعلامية مرموقة نجد أن عدد قتيل الحرب في مختلف دول العالم بالملايين، كما قُتل أطفال وشيوخ ونساء وذوي إعاقة، ونهى الإسلام عنهم من حمل السلاح، كما ذكرنا سابقاً، لكن أفغانستان نالت استقلالها مؤخراً عن الولايات المتحدة الأمريكية، فكم عدد الأشخاص الذين قتلهم أمريكا في أفغانستان، وكم عدد الأشخاص الذين قُتلوا بسبب الغزو الروسي لأفغانستان ثم غزوهم لأوكرانيا؟!!!!، فهنا يمكننا أن نفرق بين الإسلام والديانات الأخرى، بكل وضوح وما هي الديانة التي تراعي السلام والأمن والأمان للناس من بين تلك الديانات؟.

ولهذا يقال: إن الجهاد إذا اقترن بحدود وقيود فهو سبب عظيم للبركات.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد كان الجهاد الاسلامي بشروطه وأحكامه وآدابه- مصدر خير كثير وبركة للعالم ورحمة للانسانية، وقد حرم العالم فوائده وبركاته منذ انقطع وتوقف، وحلت مكانه الحروب القومية والوطنية والمادية والسياسية، والثورات الداخلية، التي لم يرد بها وجه الله، ولم يقصد بها إعلاء كلمة الله، وإنقاذ البشرية من الجاهلية وعبادة الطاغوت والنفس وإسعادها"².

وأيضاً قال الشاه ولي الله الدهلوي-رحمه الله-: "فبالأولى تحصل المصلحتان من نظام العالم ورفع التظالم من بينهم ومن تهذيب نفوسهم بأن يحصل نجاحهم من النار ويكونوا ساعين في تمشية أمر الله. وبالثانية النجاة من النار من غير أن ينالوا درجات المجاهدين. وبالثالثة زوال شوكة الكفار وظهور شوكة المسلمين، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم لهذه المصالح.

ويجب على الإمام أن ينظر في أسباب ظهور شوكة المسلمين وقطع أيدي الكفار عنهم، ويجتهد، ويتأمل في ذلك فيفعل ما أدى إليه اجتهاده مما عرف هو أو نظيره عن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه رضي الله عنهم؛ لأن الإمام إنما جعل لمصالح، ولا تتم إلا بذلك، والأصل في هذا الباب سير النبي صلى الله عليه وسلم"³.

¹ - السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، ص: 496.

² - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 130

³ - حجة الله البالغة، 2/270.

إن الغرض من الجهاد ليس القتال فحسب، بل أيضاً بذل كل جهد ممكن لإعلاء كلمة الله.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وليس الجهاد مقصوداً على القتال- الذي قد يكون أفضل أنواعه ومظاهره إذا كان لا بد منه- بل كل سعى يبذل لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه، من الجهاد¹، وقد ذكر في حديث: (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، أو أمير جائر)².

ولا يجوز للمسلمين أن يتغافلوا عن إخوانهم في الدين، والمستضعفين من المسلمين، الذين يستهدفون للظلم والمهانة، والاضطهاد، وأنواع الوحشية في بلد، ولا ذنب لهم إلا الإسلام، ويجب علينا أن نبذل ما في وسعنا لتغيير هذا الوضع، ونشعر القائمين بهذا الظلم والاضطهاد، باستنكارنا وامتعضنا وقلقنا الشديد، وكما جاء في الحديث: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)³.

الصوم:

الله سبحانه وتعالى جعل الإنسان خليفة في الأرض، وجعله بين مخلوقين مختلفين، فكان من لوازم كونه خليفة أن يميز بين صفات الحيوانات البهيمية وصفات الملائكة العالية، وموقع الخلافة مناسب جداً ليس فقط للذات الذي أوكّل إليه واجب الخلافة، ولكن أيضاً من المكان الذي يجب أن يؤدي فيه هذا الواجب، بل يجب أن يكون مناسباً للمكان الذي يتعين عليه أداء هذا الواجب فيه، يجب أيضاً أن يكون هناك توافق كامل مع هذا المخلوق الذي تقع مسؤوليته الكاملة عليه، لذلك من الضروري للإنسان أن يقبل أولاً انعكاس هذه الصفات النبيلة، التي يعرف بها: نكران الذات والإستغناء، والنقاء والتعظيم، والرحمة، والصبر، والقوة والغضب، والنقاء والتزكية، والسلام يحدث بأمان، لهذا السبب اليوم (ما يقرب من ربع القرن الحادي والعشرين على وشك الانتهاء) ترك الإنسان بصماته على العالم كله من خلال أفعاله الفاضلة، ووضع أعلى مثال في العالم.

¹ - العقيدة والعبادة والسلوك، ص: 131.

² - أخرجه أبو داود في سننه: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، باب الأمر والنهي، 124/4، الرقم: 4344، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

³ - أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، 1999/4، الرقم: 66.

كان انسجام المجتمع ضروريًا، وكان سبب المشاركة في خصائص المجتمع وأوجهه الضعيفة أنه يمكن اعتباره شريكًا لهم في ألمهم، استمتع ببركات الأرض، واستغل كل شيء، كالرغبة في الأكل والشرب، والرغبة الجنسية، والجوع والعطش، واسترخاء القلب، والابتكار، والصناعة، والتنوع في الطعام والشراب دخلت في حدودها.

كأن الإنسان مركب من الروح والجسد، فإن الروح تجتذب الإنسان إلى صفات الكمال، أي أنها تريد أن تأخذه من المادية والدينية.

أحد أسباب ازدهار مفهوم المادية هذا في العالم الحديث هو أن البشر قد أهملوا الدين الإلهي، وأفرغوا جزءًا من الإنسان، الروح، من صفات الكمال، وهم يريدون فقط السيطرة على العالم بمساعدة الجسد، وهو جهد كبير للتمييز بين طبيعة الوحش.

صفات الروح الكمالية تدعو الإنسان لقضاء بضع لحظات، ولو مرة واحدة (في السنة)، متحرراً من عبودية الطعام والعادة، حتى لو كان لديها طعام وشراب عالي الجودة، فقط استسلم وارتاح لبعض الوقت بما تريد، حتى تستحق المكافأة، وهذا يسمى بـ "الصوم".

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "والتجرد من الشهوات، والتحرر من النظام الرتيب الخشيب، قيمة الحياة ولذتها، وسرق النفس وبهجتها، فلا يزال يحن إليه حنين الطائر إلى الوكر، وحنين السمك إلى الماء، وذلك كله صنع الروح التي أودعت فيه، وانتقلت إليه من عالم الغيب، في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾¹، والجسد هو الذي يجذبه إلى أصله ومركزه، وهي الأرض"².

لقد تبنى الإسلام عبادة الصيام للناس في وقت كان العالم كله يعبد البطن، لأن الجزء الآخر من الإنسان، أي الجسد، كان بحاجة إلى هذه الأشياء، لذلك قام كل عام ببعض التخفيض في الجهاز الهضمي، حتى يتمكن الإنسان من استعادة الحيوية المفقودة في الحياة.

¹ - سورة الإسراء، الآية: 85.

² - الأركان الأربعة، ص: 165.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "ولا يعرف غير الطواف بينهما شغلاً و جهاداً فتموت فيه كل رغبة إلا رغبة الطعام والشراب، ويتبلد فيه كل حس إلا حس اللذة والمتعة، ويزول عنه كل هم، الأهم الكسب ليأكل، والأكل ليكسب"¹.

قال الإمام الغزالي في مقصد الصوم وفوائده: "ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها، وتضاعفت قوتها، وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها، فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل، ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عن الملكوت محجوب"².

يشرح العلامة ابن القيم كذلك: "المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئاً، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إثارة لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربّه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم"³.

لأن الصيام فعال للغاية في حماية الطاقة الخارجية والداخلية، فإن تراكم المواد الضارة يسبب عيوباً في الإنسان، كان من الضروري حمايتهم، والصيام مفيد جداً في عيش حياة صحية وتقوى، فهو يجعل السكون للروح.

¹ - الأركان الأربعة، ص: 166.

² - موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، 62/1، المحقق: مأمون بن محيي الدين الجنان، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1415 هـ - 1995م.

³ - زاد المعاد، 2 / 27.

في العصر الحديث يعتقد بعض الأشخاص المتأثرين بالغرب أن الصيام يمثل مشكلة، إذا نظرنا إليها، نجد أن أبرز طرق الصوم موجود في الإسلام، فهناك وقت محدد للصيام، وهناك شهر ثابت في السنة، ثم أفضل شيء أن الشهر القمري مقرره الله للصيام، من أجل الاستمتاع بجميع الفصول في الصيام، كان الصيام إلزاميًا في جميع الأديان الأخرى ولكن لم يكن أي منها لطيفًا ومريحًا.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وكانت الأيام التي تصام في كثير من الديانات القديمة، وعند طوائف من الامم، أياماً موزعة مبعثرة في طول السنة، تتخلل بينهما فترات طويلة تفقدها التأثير في الأخلاق والميول والعادات، ولا تجعل النفس تنصبغ بها، فكان من المصلحة والحكمة، أن تتوالى هذه الأيام وأن تكرر"¹،

حرم من ثواب الصيام في العصر الحديث لتنوع العادات والتقاليد التي أمر بها.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "فللحكم السامية، والمقاصد الأخروية والدينية التي قدّمتها، والتي لا يحيط بها علم العلماء، وذكاء الأذكياء، ولإعالة الروح التي تجنى عليها التخمّة والحياة المترفة الرتيبة، فتصبح هزيلة، والتمكين المسلم من أداء رسالته الخاصة، -الخلافة- التي لا يقوم عليها إلا بالتوسط والإعتدال، والصبر والإحتمال، فرض الله صوم رمضان"².

والشيء الآخر الشائع هو أنه كلما عملت في الصيام زادت المكافأة، وهذا خطأ مطلق.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "هذا هو الصوم الإسلامي، أو الشحن الروحاني، الزاخر بالحياة والمنافع والبركات، بعيداً عن الإرهاق والإجهاد والمشقّات، التي لاتطيقها النفوس"³.

فالصوم في الحقيقة احترام للأمر الإلهي، أي حرام الأكل بعد الفجر مهما كان جائعاً وعطشاً وحاجة، وبنفس الطريقة، فإن تأخير وقت الإفطار هو تجنب للأمر الإلهي.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "والصوم كله خضوع للأمر الإلهي، فلا أكل ولا شرب، ولا متعة بما حظر على الصائم بعد تبينّ الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر إلى غروب الشمس، مهما جمحت النفس، وطغت شهوة الطعام والشراب، ولا إمساك عن الطعام والشراب وما حظر في النهار، بعد غروب

¹ - الأركان الأربعة، ص: 180.

² - المصدر السابق، ص: 189.

³ - المصدر السابق، ص: 195.

الشمس، مهما جمحت طبيعة الزهد والنسك، فليس الحكم للنفس والشهوة والعادة، إنما الحكم لله، ولا تجلد مع الله ولا مصارعة مع الدين...¹.

وبنفس الطريقة فمن خلال نعمة الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، جعلها الله تعالى أكثر تكاملاً بالله في ثمرات الصوم.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "والإعتكاف في رمضان متمم لفوائده ومقاصده، متدارك لما فات الصائم، من جملة القلب، وهدوء النفس، واجتماع الهمم، والإنقطاع إلى الله تعالى بالقلب والقالب، وحقيقة الفرار إلى الله"².

ثم زينها بمباركة ليلة القدر.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وكان من حكمة الله تعالى ورحمته بعباده، أن جعلها غامضة مبهمة في العشر الأواخر من رمضان، لتثيرها المسلمون، وتعلو هممتهم، ويشتد طلبهم، ويحبوا الليالي الأخيرة كلها بقيام ودعاء وعبادة"³.

في الوقت الحاضر من لغة الجاهلية الشائعة أن الشخص الذي ينعم بليلة القدر، يعني أنه سافر في جميع أنحاء العالم ليلاً، إما أنه رأى الله أو رأى نور النهار في تلك الليلة ونحو ذلك، لذا فهذه خرافات يجب تجنبها.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "والثانية يكون فيها نوع من انتشار الروحانية ومجيء الملائكة إلى الأرض، فيتفق المسلمون فيها على الطاعات، فتعكس أنوارهم فيما بينهم، ويتقرب منهم الملائكة، ويتباعد منهم الشياطين ويستجاب منهم أديعتهم وطاعاتهم، وهي ليلة في كل رمضان في أوتار العشر الأواخر تتقدم، وتتأخر فيها، ولا تخرج منها، فمن قصد الأولى قال: هي في كل السنة، ومن قصد الثانية قال: هي في العشر الأواخر من رمضان، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر، وقال: أرايت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتني أسجد في ماء وطين " فكان ذلك في ليلة إحدى وعشرين"⁴.

¹ - الأركان الأربعة، ص: 209.

² - المصدر السابق، ص: 209.

³ - المصدر السابق، ص: 211.

⁴ - حجة الله البالغة، 85/2.

للصوم تأثير عميق على المجتمع من حيث الخلق، وهناك العديد من الفوائد الروحية والجماعية للمجتمع في الصيام.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "يتمتع فيها الصائم بالنشاط والفرح، ويستبشر بما وعد الله تعالى، وثوابه الجزيل، ورضاه، ووردت الآيات والأحاديث المبشرة بالثواب، المتضمنة بالفرح الطبيعي، تثير في الصائم هذا الشعور وهذه الثقة"¹.

الحج:

بطبيعته كان الإنسان دائماً يبحث عن شيء يمكنه رؤيته في الجسد، يمكنه من خلاله إشباع شغفه وتحقيق الروحانية، لقد خلق الله تعالى للإنسان بعض الآيات لسد هذه الحاجة التي يشبع بها الإنسان روحانياته، وضمن هذه العلامات وضع الله هذه الصفات والخصائص التي تعود إلى هذه الطبقة، وقد سميت هذه العلامات باسم "شعائر الله".

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وقد اختار الله أموراً ظاهرة محسوسة، اختصت به، ونسبت إليه، وتجلت عليها رحمته، وحققها عنايته بحيث إذا رؤيت، ذكر الله، وارتبط بها وقائع وحوادث، وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله وآلائه، ودينه وتوحيده، وحسن بلاء أنبيائه، وسمّاها "شعائر الله"²، التي جعل تعظيمها تعظيمه، والتفريط في جنبها تفريطاً في جنبه، وسمع الناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن في نفوسهم، ورغبتهم الفطرية في الدنو والمشاهدة، بل حثّ على ذلك"³.

لقد جمع الله تعالى الإنسان في مركب من صفات الكمال، ولهذا يسوده شعور بالحب والتبني والبغضاء في داخله، ونرى مثلاً على هذا الحب في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ووجد أيضاً أن الحج إلى بيت الله هو لإرضاء المحبة والحنان، لأنه أيضاً من شعائر الله.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "إن صلة هذا الإنسان بربه، ليست صلة قانونية، عقلية فحسب، يقوم بواجباته ويدفع ضرائبه، ويخضع أمامه، ويطيع أوامره وأحكامه، إنما هي صلة حبّ، وعاطفة كذلك- ويحكى قصة خليله إبراهيم عليه السلام كيف أثر حبّ الله وطاعته على حب ولده"⁴.

¹-الأركان الأربعة، ص: 213.

²- جاء ذكر ذلك في سورة الحج، الآية: 32.

³- الأركان الأربعة، ص: 222.

⁴- المصدر السابق، ص: 123-124.

وقد بين الإمام الغزالي هذا حسناً جداً: "فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فبالحري أن يشتاق إليه مجرد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل"¹.

في العصر الحديث الذي أتت فيه جميع أنواع الوفرة والتوسع، إذا تمت دراسة الحج بيت الله بعناية، فسيكون الشخص الحكيم على دراية جيدة به، النطاق والحاجة أكبر بكثير.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وكان للمسلم أن يروي ظمأ روحه، ويقضي حاجة حنانه، ويكسر هذا في الصوم نفسه، ويتنصر على "وثنية" عاداته ومألوفه، وأن يغذي روحه بتخلية معدته في شهر رمضان، ولكنها ساعات محدودة كذلك - فكان المسلم - بكل ذلك - في حاجة إلى طفرة، أوقفزة واسعة يفك بها أغلاله وسلاسله، وينسلخ بها من سجنه الضيق القديم، العتيق الخالق، وينتقل من عالم، كله قديم مألوف، ومقيد محدود، ومخطوط مرسوم، ومصنوع معمول إلى عالم، كله جديد وطريف"².

وبنفس الطريقة، يرفع الحاج لبيت الله الوعي بحركة تمرد ضد من يرتبط فقط بباب وجدار العقل والمادية.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وما لذة حياة لا ثورة فيها ولا تمرد؟ وكان في حاجة إلى أن يتخطى الدائرة المرسومة من عادات ومألوفات، وقوانين وضعية، وحضارة مصطنعة ومجتمع قاس، ويفك قيوده وأغلاقه، وينتزع الزمام من يد عقله، الذي استبد به زماناً طويلاً - وسيطرت عليه الحضارة، وتسَلَّطت عليه آلهة التقاليد، ولا توحيد لمن أسرته العادات"³.

في العصر الحاضر يمكن لأي شخص مادي وملحد أن يقول: يمكن للمرء أن يعبد مثل هذا في أي وقت في منطقته، ما هي الحاجة للذهاب إلى هناك، من الضروري خسارة كل من الثروة والحياة.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "ويعرف فوائده المادية المحسوسة، والحج بوضعه الدقيق الغامض، المنافي للمألوف المعروف، لعباد العقل والمادة، وأسارى النظم والترتيبات، ودعوة إلى الايمان بالغيب، واتباع الأمر

¹ - إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، 267/1، الناشر: دار المعرفة -

بيروت.

² - الأركان الأربعة، ص: 227.

³ - المصدر السابق، ص: 228.

المجرد، وعزل العقل عن وظيفته لمدة محدودة، وفي مكان محدود، وصرفه عن طلب الدليل والحكمة، والمنطق والفلسفة في كل حين وأوان، وفي كل زمان ومكان¹.

في هذا التجمع الكبير للمؤمنين، لما تتميز به من خاصية جذب الرحمة الإلهية في صلواتهم، تتحقق حياة وحركة ذوي القلوب القوية وحالة أذواقهم وهواياتهم، وقد لفت العلماء الانتباه، لذلك يقول الإمام الغزالي: "ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعنا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في إذعائهم وانقيادهم، ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمرورة على سبيل التكرار.

وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية، فإن الزكاة إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل، والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل، والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل، فأما ترددات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس، والطبع عن محل أنسه فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للأمر، وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا، ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها².

وأيضاً قال الشاه ولي الله الدهلوي: "اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين في زمان يذكر حال المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين، ومكان فيه آيات بينات، قد قصده جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله ومتضرعين راغبين وراجين من الله الخير وتكفير الخطايا، فإن اهتم إذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة³.

¹ - الأركان الأربع، ص: 227.

² - إحياء علوم الدين، 1/ 266.

³ - حجة الله البالغة، 1/ 141.

إذا نظرنا إلى المقاصد من الحج، فإن من المقاصد البارزة تحديد العلاقة مع إبراهيم من خلال الحج.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "ومن مقاصد الحج الرئيسية تحديد الصلة بإمام الملة الحنيفية ومؤسسها إبراهيم الخليل، والتشبع بروحه، والمحافظة على إرثائه، والمقارنة بين حياتنا وحياته"¹.

إن مجيء إبراهيم إلى وادي "غير ذي زرع" بأمر الله، تاركاً أرضاً خصبة ومورقة مثل سوريا، لا يقل بالنسبة لنا عن حقيقة أنه لا بد من التضحية بكل شيء في سبيل الله.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وتطيب له الإقامة في الشام حيث يتوفر الخصب ويتسع الرزق، ويتجلى جمال الطبيعة، فلا يثبث، ان يؤمر بالتوجه الى أرض تقابل الشام في الخصب والماء، وإبراهيم لا يعرف لنفسه حقاً، ولا يرتبط بأرض أو وطن، إنما هو طوع إشارة ورهن أمر، يعتبر العالم بلده والسلسلة البشرية أسرته، يؤمر بأن ينتقل مع زوجته (هاجر) ومولودها الصغير الرضيع، وهنا في واد ضيق، أحاطت به الجبال الجرداء من كل جانب، وقساوه الجو، وفقد الماء، وغاب الأنيس، وأوحش المكان، يؤمر بترك زوجته المرأة الضعيفة العاجزة، والمولود الصغير، توكلًا على الله وامتنالاً لأمره"².

وفي مقابل تضحية إبراهيم، جعل الله حالة الإضطرارية زوجته وطفله اختيارية للأجيال اللاحقة، وهذا ثواب الحب والتضحية.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وخلده الله هذه الحركة الاضطرارية، التي ظهرت من امرأة مؤمنة مخلصه، فجعلها حركة اختيارية، يكلف بها أعظم العقلاء، وأعظم الفلاسفة والنبغاء، وأعظم الملوك والعظماء، في كل عصر وفي كل جيل، فلا يتم نسكهم إلا بالسعي بين هذين الجبلين اللذين هما ميقات كل محب، وغاية كل مطيع"³.

في العصر الحديث يؤدي عدم الإيمان والشوق لدى الشباب إلى نقلهم إلى طرف أخرى، لذلك من المهم التعلم من هذه الأحداث والاعتماد على الإيمان والشجاعة، شيء آخر رأيناه في العصر الحديث هو أن العالم يؤمن بالعقل فقط، كما كان الحال في زمن إبراهيم عليه السلام.

¹ - الأركان الأربعة، ص: 233.

² - المصدر السابق، ص: 236.

³ - المصدر السابق، ص: 237.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "والسعي خير ممثل لموقف المسلم في هذا العالم، فهو يجمع بين العقل والعاطفة، وبين الحس والعقيدة، إنه يستعين بالعقل، ويستخدمه في مصالح حياته، ولكنه ينقاد أحياناً للعاطفة، التي هي أعمق من العقل، إنه يعيش في عالم قد حَفَّ بالشهوات، وملئ بالزحاف والمظاهر، لكنه يمرّ بينها، كالساعي بين الصفا والمروة"¹.

وبالمثل فإن الإحرام، الذي يتكون من لباسين بسيطين للغاية، عندما يتستر الحجاج على أنفسهم، هو دليل على التحرر من الأنانية والكبر والنفسية.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وهو إظهار لشعار هذه القومية، فتتجرد جميع الشعوب الإسلامية عن جميع ملابسه وأزيائها الإقليمية التي تميّز بعضها عن بعض ويتعصّب لها أقوام، وتظهر كلها في مظهر واحد يسمى (الإحرام)"².

من سمات الحج بيت الله أنه في كل عام من خلال هذا التجمع يكون هناك انطباع بأن كل دين في العالم قد شوه أركانه، وشعائره ولكن الإسلام خالٍ من أي نوع من التحريف والفساد.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "الحج عرضه سنوية للملّة، يرجع إليها الفضل في نقائها وأصالتها، وفي بقاء هذا الدين، بعيداً عن التحريف والغموض والإلتباس، وفي بقاء هذه الأمة، بعيداً عن الإنقطاع عن الأصل، والمصدر والأساس، محفوظة من المؤامرات والمغالطات التي وقعت أمم كثيرة فريستها في الزمن الماضي"³.

وشرحها الشاه ولي الله الدهلوي هكذا: "وكما أن الدولة تحتاج إلى عرضة بعد كل مدة؛ لتمييز الناصح من الغاش والمنقاد من المتمرد، وليرتفع الصيت، وتعلو الكلمة، ويتعارف أهلها فيما بينهم، فكذلك الملّة تحتاج إلى حج لتمييز الموفق من المنافق، وليظهر دخول الناس في دين الله أفواجا، وليرى بعضهم بعضا، فيستفيد كل واحد ما ليس عنده، إذ الرغائب إنما تكتسب بالمصاحبة والتراخي. وإذا جعل الحج رسماً مشهوراً نفع من غوائل الرسوم، ولا شيء مثله في تذكر الحالة التي كان فيها أئمة الملّة والتحضيض على الأخذ بها. ولما

¹ - الأركان الأربعة، ص: 237.

² - المصدر السابق، ص: 247.

³ - المصدر السابق، ص: 244.

كان الحج سفراً شائعاً وعملاً شاقاً لا يتم إلا بجهد الأنفس كان مباشرته خالصة لله مكفراً للخطايا هادماً لما قبله بمنزلة الإيمان"¹.

وحج بيت الله يدل على الوحدة الإسلامية والأخوة والمجتمع الدولي.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "والحج انتصار للقومية الإسلامية على القوميات الوطنية والعنصرية واللسانية التي قد يصبح بعض الشعوب الإسلامية فريستها تحت ضغط عوامل كثيرة، وهو إظهار لشعار هذه القومية، فتجرد جميع الشعوب عن جميع ملابسها وأزيائها الإقليمية التي تميز بعضها عن بعض ويتعصب لها أقوام"².

في عصرنا الحاضر حيث وصلت المعرفة إلى مراتب عليا، لا شك أن السؤال الذي يطرح في ذهن المرء ما هي فوائد ومزايا الحج بيت الله؟

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وشرع الحج لجميع هذه الفوائد والمنافع التي نعلم منها الكثير، ونجهل منها الكثير، وربما كان مانجهله ونتمتع به أكثر مما نعرفه/ ومما نوه به حكماء الإسلام، وأشادوا به في مؤلفاتهم، فقد قال الله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ هُمْ﴾"³، فأطلق المنافع، ونكرها وأبهمها، ودلّ هذا التعبير البليغ على كثرتها وتنوعها وتجدها، في كل زمان وإنها أكثر من أن يأتي عليها الإحصاء والإستقصاء"⁴.

وأرض الحرمين تقوم بذلك على أكمل وجه وأفضل طريقة من خلال نوعية الحج.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله: "ولما كان الحج عرضة سنوية للملّة، يلتقي فيها المسلمون على صعيد واحد من العقيدة والعاطفة والغاية، في جوٍّ دينيٍّ ربّانيٍّ، وفي محيطٍ روحيٍّ إيمانيٍّ، يستمدون منه قوة جديدة وروحاً جديدة، ويصحّحون ما وقع في عقيدتهم من انحراف، وفي عاداتهم وشعاراتهم من فساد، وما اعتراهم من زيف أو وهن بتأثير الحضارات والفلسفات العجمية الأجنبية، وتقليد الشعوب والأمم التي تجاوزهم، أو يعيشون فيها، ويستطيعون أن يردّوا كل شيء على أصله، وأن يستقوا الدين من منابعه الصافية الأصلية، وجب

¹ - حجة الله البالغة، 1/142.

² - الأركان الأربعة، ص: 247.

³ - سورة الحج، الآية: 28.

⁴ - الأركان الأربعة، ص: 248.

بحكم العقل والمنطق، وبحكم روح الإسلام وحكمة الحج، أن يظلّ البلد الأمين الذي يقع فيه الحج، ويدور حوله أميناً للحياة الإسلامية، الصافية الأصلية، بجميع جوانبها ومزاياها ومظاهرها"¹.

على هذا النحو، يجب أن تحتفظ بخصائصها.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وهو أن يبقى هذا البلد الأمين -على مرّ العصور والأجيال، ورغم تطورات المدنية ومرافق الحياة في العالم- محافظاً على شيء من البساطة والطبيعة، وعلى شيء من التقشّف، ويتذكّر فيه الوافدون من أنحاء العالم"².

الميزات مهم جدا لاستعمار الروحانية والدخول في النسك.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "ومن هذه التشريعات الدقيقة الحكيمة "المواقيت" التي تنبّه في الحاج شعوراً جديداً، وبقطة فكرية روحية، فيعرف أنه دنا من الحضرة الملوكية، ودخل في حدودها المحمية المقدّسة، فلو لا المواقيت لاقتحم الحجاج الحفرة المقدّسة، وحجموا عليها كما يهجم الجهال الأجلاف على حضرة الملوك وعتبة السلاطين"³.

الدور الإصلاحية لحج بيت الله بارز جدا يكسر شعائر أهل الجهل.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وقام الإسلام- شأنه في الأركان الأربعة الأخرى- بدوره الإصلاحية التجديدي في الحج، وقد كان أهل الجاهلية قد أدخلوا في الحج عادات جاهلية، وأمورا ابتدعوها، ما أنزل الله بها من سلطان، واصطلحوا على أشياء، وتواضعوا عليها من الزمن القديم، وتوارثته قبائل العرب جيلاً بعد جيل جني على كثير من مقاصده وفوائده، وكانت الحميّة الجاهلية، والنخوة القبلية، وما كانت عليه قريش من التفاخر والكبرياء، وحرصهم على التميّز هو الباعث الأكبر على هذه الزيادات والتحريفات، فجاء القرآن والتشريع الإسلامي بإزالة هذه البدعة والتحريفات وإبطالها"⁴.

¹ - الأركان الاربعة، ص: 250.

² - المصدر السابق، ص: 251.

³ - المصدر السابق، ص: 254.

⁴ - المصدر السابق، ص: 269.

المبحث الثالث: منهجية التعامل في إصلاح المعاشرة

التمهيد:

وبحسب ما يراه الشيخ الندوي، فإن إصلاح المعاشرة وطريقة التعامل معها هو أساس قيام حكومة إسلامية، إذا كان المجتمع لا يراعي حسن التعامل، فلا اعتبار لأي شيء آخر، وضرب الشيخ مثالا لذلك بفرع (غصن) تعشيش الطيور (شاخ نشيمن ومراده "الملجأ")، إذا وجد الغصن أولا حينها يُسأل عن "التعشيش" كيف سيكون؟ ولكن إذا لم يكن هناك فرع، فلا يمكن وجود التعشيش.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- " الغصن الذي سيكون عليه التعشيش، هذا الغصن هو "المجتمع"، وهي الحياة العادية للبلد، الأشخاص الذين يمشون في المدينة، أولئك الذين يشترون ويبيعون في السوق، أولئك الذين يعملون في المصانع، والذين يقومون بالتدريس في المدارس والجامعات، هذا هو عدد السكان الحقيقي، وما هي الموازين التي عليها يحب ويكره؟ ما هي مشاعرها؟ ما مقدار القدرة التي يجب أن يتحملها؟ كل هذا يتوقف على كيف يكون مجتمعنا، كيف حال مجتمعنا اعتقاديا وأخلاقيا؟ هل الأشياء الأساسية للحياة، المبدأ الأول، تحقق الشروط الأساسية للإنسانية أم لا؟¹.

ويرى الشيخ أنه إذا أصبح الميل إلى المعصية والأنانية هو مزاج المجتمع، لا يمكن لأي عمل أن ينجح بتجاهله، ويكتب موضحا ذلك: "إذا كنت ترغب في بناء ملجأ، فكر في الفرع الذي سيبني عليه الملجأ، في أي حال هو؟ إذا كان هناك المئات من الأشخاص في هذا الفرع ولا يوجد سوى بانٍ واحد، وأعتقد أنه يتمتع بمستوى عالٍ من السعة والموارد الكاملة، ولكن حيث يوجد الآلاف من الأشخاص الذين يديرون القارب، فهو رجل وحيد يريد القيام بعمل بناء، لا يمكنه أن يقوم بذلك لوحده وينجح².

يقصد الشيخ رحمه الله أنك إذا تريد بناء مجتمع ما فقبل أن تركز على الأنظمة ركز على الأفراد وابن الأفراد أولا حتى يكونوا مستعدين لتطبيق شرع الله عز وجل فيطبق الشرع أولا على نفسه كل في مجاله البائع في تجارته والمدرس في تدريسه والعامل في عمله، ثم بعد ذلك سيجد له أعوانا يساعدونه على القيام بالإصلاحات المطلوبة.

وعبر الشيخ الندوي-رحمه الله- عن فكرة أن المجتمع يأتي إلى الوجود من الأفراد والطبقات المختلفة، هذا هو السبب في أنه من الأهمية بمكان أن يتم إصلاح الأفراد وفهم المعاملات، وقال: "إن

¹ - انظر: دعوة فكر و عمل (بالأردو) للعلامة الندوي ص: 63-64.

² - المصدر السابق، ص: 65.

الوهم الذي يدور في أذهان الناس بأن مسألة الأفراد ليست بهذه الأهمية وأن الاجتماع لو صلح صلحت الأفراد هي القضية (المشكلة) حقيقةً، -ثم ذكر مثالا لقولهم هذا وقال: كأنهم يقولون بمنطقهم هذا أن السارق لو كان لوحده فهو سارق لكن لو كون السارق لأنفسهم اتحادا وجماعة لصلح السارق كلهم ثم قال: هذا المنطق لا يدخل في ذهني"¹.

وأعطى الله تعالى للشيخ الندوي- رحمه الله- شعوراً عظيماً وقلبا يهتم بأمور الأمة، قضى حياته كلها يفكر في خير الأمة ونموها، وقد خاطب كل طائفة من طوائف الأمة -العلماء وطلبة العلم ورجال الإعلام والعساكر، والنساء وغيرها من الطوائف- مبيناً نواقصها، وحدد الأمراض ومعايير علاجها، ولكن لهذا كله اتخذ الأسلوب الذي كان عليه الأسوة الحسنة (الرسول ﷺ)، الشيخ لم يسيء لأحد أعني الأشخاص، وإنما أنكر وهاجم المنكرات والبدع والشركيات بأسلوب حسن دون التعرض للشخصيات، فلم يهاجم أحداً أبداً، اعترف بمزايا كل واحد، وقدرها على أكمل وجه، وأصلحها بقدر كبير من الاجتهاد والتفاني عند الحاجة.

تلقى الشيخ مثل هذا التدريب من البيت والأسرة التي نشأ فيها فكانت أسرة علم وتقوى وورع، وكان لدراسته المبكرة أثر عميق عليه، فقد خاطب الشيخ الناس في مصلى العيد يوم العيد، ربما كان هذا هو الخطاب الأول للشيخ فبكى وأبكى الناس، وبعد صلاة العيد قال بعض شيوخ الأسرة وهو الشيخ: "علي ميان" له: لا تبك في العيد" لما رأى من حالة الناس وبكائهم وكأنهم ليسوا في العيد.

كانت هذه بداية جهود الشيخ الندوي- رحمه الله- للدعوة والإصلاح، يمتد نطاقه الزمني سبعة عقود ، وفيما يلي نماذج من خطابه لمختلف الطوائف نستفيد منها منهجه في إصلاح المعاشرة:

الخطاب للعلماء:

ولفت الشيخ الندوي أنظار كل طبقة إلى تحسين المعاملات وتصحيح الأخطاء لإصلاح المعاشرة، ولا سيما العلماء الذين هم أعظم دعاة هذه الأمة وورثة الأنبياء قد خاطبواهم مراراً ولفتوا انتباههم إلى المسؤوليات التي على عاتقهم في الوقت الحاضر.

قال الشيخ الندوي- رحمه الله-: "وينبغي على العلماء أن يقدموا نموذجاً للحياة ليعلموا أنهم أفراد ينتمون إلى طبقة أخرى، هم ورثة ميراث الأنبياء عليهم السلام، هؤلاء هم نواب الأنبياء، هم ليسوا شهداء المادية

¹ - دعوة فكر و عمل، ص: 70.

ولا مجروحيتها ولا قتلها، الزهاد الذين لو ذهب إليهم تعرف حقيقة الدنيا، على الأقل تعرف أن الثروة ليست كل شيء، فمن له حاجة إليك يأتي إليك ولو مائة مرة، دون أن تذهب إليه أنت، المهم نحن لا نقف على أبواب الناس، لا نذهب إلى باب أحد، فإن ذهبنا نذهب لدعوتهم إلى الدين، نذهب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نذهب لإحياء فريضة، أو سنة، لا نذهب لفائدتنا وغرضنا الخاص.¹

وقال مخاطباً علماء مدينة "صيدا" اللبنانية: "ولاشك أن إصلاح الأمة وصلاحها يتوقف على صواب أهل العلم وصلاحهم، فإن كان العلماء على الصراط المستقيم، تكون الأمة أيضاً على الطريق الصحيح، وإذا كان في العلماء انحراف وميل إلى أن يكونوا سطحيين وخاضعين للحالات في مواجهة الرغبات المادية، وفي تفكير وهم دائم في أن يكون مستوى معيشتهم أعلى، وكانوا معتادين على التساهل والاستدراج، فسيكون لذلك حتماً تأثير سلبي على الناس.

من الطبيعة البشرية أن تكون مفتوناً (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة) لكن لا ينبغي أن يكون الدعاة مثل بقية الناس، كان المجتمع الإسلامي بداية يعامل العلماء باحترام، وينظر إليهم باحترام وكرامة كبيرين، لما كانوا متحلين بالزهد والقناعة واحترام الذات العالي ودرجة من البساطة.

لكن حال العلماء اليوم هو أنهم أيضاً منشغلون بكل سباق في سبيل الراحة، والآن لا يوجد تمييز بينهم وبين أبناء وطنهم وأقراهم، لذلك بدأ المجتمع ينظر إليهم بنفس عيون الناس، والآن لا مكان في نفوس الناس لأي نصيحة أو نقد للعلماء.

لا بد للعلماء من استعادة مكانهم الضائع للدعوة والتبليغ، بناء على إعتبارك ووعيك بقيمتك الدينية والاجتماعية، في تاريخ الإصلاح والتجديد، رأينا أنه كلما كان الإسلام والمسلمون في حالة اضطراب كبير، وعندما أصبح غيوم اليأس وعدم اليقين في كل مكان، ظهر عالم في مجال الإصلاح والجهاد، تحدى الأوضاع وقلب تيار التاريخ والأحداث، أدى واجب الحفاظ على أمن المعتقدات الإسلامية وعظمة الشريعة الإسلامية، لقد نفخ حياة جديدة في جسد الأمة، وأعطاه حياة جديدة.

نحن نرى هذا العمل باستمرار، من الحسن البصري إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، ومن ابن تيمية الحراني إلى الشيخ أحمد السرهندي -رحمهم الله-، ومن علماء وأئمة ربانيي هذا القرن، فقد حدث ذلك في كل

¹ - الدعوة الفكر والعمل، ص: 179.

عصر وفي كل قرن، وهذه السلسلة من الدعوات والوعظ والإصلاح والذكر ينبغي أن تستمر إلى يوم القيامة.¹

الواجب الثاني للعلماء والمفكرين هو إعطاء الأولوية لكل مصلحة للإسلام على مصلحة كل طرف وكل مؤسسة وكل مدرسة وكل جماعة، أقول لك بصراحة! إذا علمنا أنه يجب القضاء على جميع الأطراف، يجب إزالة جميع العلامات، ويجب إزالة جميع الأسماء، ويجب إزالة جميع اللوحات، وإذا ساد الإسلام في هذا البلد فلا ينبغي لنا أن نتردد لحظة، يجب أن نعزز بمصلحة الدين والأمة من كل طرف، كانت معجزة محمد صلى الله عليه وسلم أنه أخرج من قلوب الصحابة رضي الله عنهم الفخر والاعتداد بأعمالهم.²

مسؤولية طلبة المدارس الإسلامية:

طلاب المدرسة كانوا مركز آمال الشيخ الندوي-رحمه الله-، لقد خاطب هو نفسه الطلاب مرارًا وتكرارًا في ندوة العلماء، ولفت الانتباه إلى الإصلاح، بالإضافة إلى ذلك، خاطب الشيخ الطلاب في مختلف دول العالم، في هذه الخطب قال الشيخ مرارًا: "أنا فرد من أفراد عائلتك، ولا أحد يعرف العائلة مثل أحد أفرادها".

وصدرت مجموعة من هذه الخطب المؤثرة للشيخ باسم "پاجا سراغ زندگی"⁽³⁾، عن ذلك يقول مرتبه السيد محمد الحسنی -رحمه الله-: "يتجلى الألم الذي ألقى به الشيخ في خطبه وجوهر معرفته الطويلة ودراسته وتجربته وملاحظته من سطور الكتاب"⁴.

وما قاله الشيخ في هذه الخطب وما أكدته نذكره بإيجاز

ذكر العلاقة بين المعلمين والطلاب، وقال: "إفهم أنه يمكنك تكوين الأذواق الصحيحة والشوق السليم من خلال حضور اجتماعات هؤلاء المعلمين، لكن بشرط أن تجلس معهم معتمدا عليهم بعد الله عز وجل...

¹ - دریائے کابل سے دریائے یرموک تک للعلامة الندوي، المترجم: (من نهر كابول إلى نهر اليرموك)، ص: 143-145.

² - الدعوة الفكر والعمل، ص: 86-87.

³ - هذا كتاب للشيخ الندوي في الأردية، ومعناه (خذ سر الحياة)

⁴ - پاجا سراغ زندگی للعلامة الندوي، (خذ سر الحياة) ص: 9.

يوجد اليوم الخلا والفراغ في كل المدارس، وهذا يعني أنه لا توجد علاقة بين المعلمين والطلاب، بل هناك فجوة بينهما، وهم يقومون فقط بتدريس المعلمين وتعليم الطلاب، يجب سد هذه الفجوة ويجب سد هذا الفراغ، وهنا يكمن نجاح المدارس الدينية وتطورها"¹.

التأكيد على أهمية ضرورة العمل الجاد الشخصي، وقال: "التاريخ والتذكرة هما موضوعي، وأنا أعتمد على طلبي وخبرتي لأقول إنه لا يمكن لمدرسة أو كتاب أن يصنع إنساناً، بل الإنسان مصنوع بقوته وبعمله الشاق وجهده، إذا نظرت في قسم الأولياء، ستعرف أنهم كانوا الخدم المختارين، ولم يكن لديهم أوصياء، وكانت البيئة غير مواتية لهم، لكنهم أصبحوا أوصياء مثاليين بعملهم الجاد وعطشهم"².

يشرح مسؤوليات الطلاب ويقول: "يجب أن تتحلى بالشجاعة والعزم حتى لا تفكر في مسألة التخلي عن الدين حتى عن نقطة واحدة في مقابل المادة، يجب أن يكون قلبك مليئاً بروح الحماية والمساعدة، ويجب أن يكون قلبك مليئاً بالفخر والامتنان لهذه الثروة التي لا تقدر بثمن، لديك إيمان لا يتزعزع في أصالتها، وعقلانيته، وخلودها، وقدرتها في كل الأوقات، وتفوقها وسيطرتها، وبراءتها، وتعتبر كل شيء يقابلها، ويضادها جهلاً وإرثاً للجهل، ، وحيثما تسمع احكام الله وتعاليم الإسلام تقول: "سمعنا وأطعنا"، فقل لمخاطبة رواد الجهل هناك: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾³.

إنك تؤمن بأن نجاة العالم في هدي الإسلام وأسوة محمد ﷺ، وتعتقد أن سفينة نوح عليه السلام هذه في طوفان نوح الآن ما هي إلا نبوة وقيادة محمد خاتم النبيين، إنك تعتقد أن شرط علو شأن وعزة الأفراد والأمم هو اتباع رسول الله فقط، وأنت تعلم أن تعاليم النبوة هي لب لباب العلم، وحقيقة الحقائق وفي مقابل هذا لا تحكم على جميع علوم الدنيا من إلهيات وفلسفة ما بعد الطبيعة والقياسات والرسومات أكثر من أنها قصص وخرافات، أنت تعلم حقيقة التوحيد وتلتزم به، وتصبر عليه، وتنظر باحتقار إلى الشرك وكل علوم الأصنام في الدنيا كلها، حتى ولو بينها بالاصطلاحات الفلسفية والعظمة والجلال، ولا ترضى بأكثر من القول بأنها (زُخْرِفَ الْقَوْلُ غُرُورًا) و أنت تحرص على اتباع السنة، وتؤمن بأن "خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم"، والمراد: أنك في اعتقادك وذهنك وفكرك وقلبك وذوقك وعملك قائل بشمول وعملية النبوة المحمدية وأنت تفسر عملي لها.

¹ - خذ سر الحياة ، (المترجم)، ص: 71-72.

² - المصدر السابق، ص: 59-60.

³ - سورة الممتحنة، الآية: 4.

-ثم بين ما يمتاز به طلبة العلم عن العوام فقال:- أصدقائي، إن امتيازكم عن غيركم من المسلمين في العالم هو أن الإيمان الإجمالي للآخرين بهذه الحقائق كافٍ، ولكن عليك أن تطمئن بها وتشرح صدرك فيها، لا يكفي أن تكون قائلًا بما فقط، بل يجب أن تكون داعيًا إليها، مطمئنًا بها منشرحًا صدرك قوي الإيمان واليقين بها، ولا يكون علمك حكرًا عليك بل تفيد منه الآخرين أيضًا، ولا يمكن أن تحصل على السعادة حتى تجد في نفسك حقيقة: (يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار)، والمعرفة السطحية لتعاليم النبوة تكفي للآخرين، لكن من الضروري أن يكون لك تأثير على الآخرين في علوم النبوة، وحب علوم النبوة وتحبيبها في الناس، وتقدير علوم النبوة، والإصرار عليها، من المستحيل أن تتصور دعوة بدونها¹.

والشعور بالنقص الذي تنشأ لدى طلاب المدارس الدينية، شرح حقيقة ذلك وقال: "عزيزي! لماذا تشعر بالنقص؟ إن الشعور بالنقص لدى الآخرين مرض عقلي، لكن شعورك بالنقص دليل على الضعف الديني وضعف العقيدة وضعف الإيمان، وعواقبها بالغة الخطورة وبعيدة المدى، فإذا أدرك نواب الأنبياء ومن هم على علم بالنبوة دونهم واحتقارهم، فهذا يعني أنهم لا يعرفون مكان النبوة ولا يقين².

مؤكدًا على الحاجة إلى إعداد واسع وقدرات متنوعة، يقول: عزيزي! تمثيل الدين في عصر الثورة هذا، إن تفسير تعاليم الإسلام وليس فقط تفسيرها وفهمها ولكن أيضًا لإثبات صورة تفوقها وعظمتها يتطلب قدرًا كبيرًا من الإعداد وقدرات متنوعة، أنت جندي من جنود الإسلام، وتستعد لمعركة الحياة، أنسب مناظرة لساحة تدريب عسكرية وتشكيل الجيش هناك، أخطر بحث، والنقاش حول الأسلحة وأساليب الحرب القديمة والحديثة، وليس السلاح قديمًا ولا حديثًا بالنسبة للجندي، يبقى أن نرى أي سلاح يقع في ساحة المعركة، وأي أسلوب حرب، لا يوجد مجال للتعصب للجندي الجاهز، لا علاقة له بأي سلاح معين أو أي فن حرب معين، يجب أن يكون مسلحًا بكل الأسلحة اللازمة، قال الشاعر العربي منذ زمن بعيد: كل امرئ يسعى إلى - يوم الهياج بما استعدا"³.

ينصح الشيخ الطلاب بالثبات والاستقرار والعمل بالدين يقول: "أثبت أنك تقف على مثل هذه الجبهة وأن هذه المدفعة إذا تركت تلك الجبهة فلن يكون هناك من يتعامل معها، و تثبت أنك تقف في مقدمة الأخلاق، وتقف في مقدمة الروحانيات، وتقف في مقدمة خدمة الشعب، وتقف في مقدمة العلو

¹ - انظر: خذ سر الحياة (مترجم)، ص: 92-94.

² - المصدر السابق، ص: 98.

³ - خذ سر الحياة (مترجم)، ص: 113-122.

الفكري، وتقف في مقدمة البحث العلمي، إذا تركت مكانك أو أبعدت عنك، فستكون هناك فجوة في الحياة لن تتمكن من سدها في الجامعات، ولا في المؤتمرات الأكاديمية، ولا في الأكاديميات ولا غيرها، هذا هو القانون الأزلي الذي وضعه الله في هذه الآية من القرآن: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾¹.

خطابه – رحمه الله- للعسكرية الإسلامية:

وصف الشيخ الندوي-رحمه الله- بشكل عام مسؤوليات المجاهدين في مواضع كثيرة في كتاباته، لكنه خاطب الجيش الإسلامي مباشرة في مناسبتين أو ثلاث، وفي إشارة إلى الموقف الذي كان سيحدث للشيخ أثناء خطاباته، قال: "عندما قاموا شبان مسلحون وصفونا بالطريقة الإسلامية، (وهذا أول مشهد رأيته في حياتي)، وهكذا مرت موجة من العزم والإيمان والفرح والصفاء في جسدي ونشأت حالة من الإثارة لم أشعر بها من قبل، كانت هناك دموع في عيني بسبب هذه الحالة، واشتعلت أعصابي².

وسلط الشيخ الضوء على أهمية الجهاد وأخيراً أولى اهتماماً خاصاً لأمرين، واحد على تصحيح النية والآخر هو تجنب المعاصي.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "الشيء الثاني الذي لفتت الانتباه إليه هو تجنب الخطيئة وكل ما هو سبب لغضب الله وضد متطلبات العون الإلهي، وكان عمر بن عبد العزيز قد كتب رسالة إلى أحد جنرالاته قال فيها: يجب ألا يخافوا من قوة العدو وأسلحته بقدر ما يخافون من الخطيئة وعصيان الله لأن الذنوب في رأيي أخطر من حيل العدو"³.

مسؤولية قادة الأمة:

قال الشيخ في كثير من الأماكن أن الأمة تعتمد على القادة ورؤساء الأمة، وقال: "إذا أصبحت هذه الطبقة خائنة للأمة، فسيكون لذلك عواقب وخيمة للغاية، يشهد تاريخ هذه الأمة، جنباً إلى جنب مع تاريخ وشخصيات الأمم والشعوب، على حقيقة أن نفس فئة الضمير أو اللامبالاة والأنانية والطموح والشهوة للسلطة قد أطفأت مصباح الإمبراطوريات العظيمة المستقرة وطويلة الأمد، أمة كاملة، أذلت وحافظت عليه، نهاية الخلافة العباسية، تدمير بغداد، احتلال الصليبيين للقدس، سقوط إمبراطورية المغول،

¹ - سورة الرعد، الآية: 17.

² - خذ سر الحياة (المترجم)، ص: 162.

³ - من النهر الكابل إلى النهر اليرموك، المترجم، ص: 272.

سقوط قوة ميسور الصاعدة وفشل تيبو سلطان، هزيمة الأتراك والأماكن المقدسة والأراضي العربية كل هذا نتيجة قومية وشهوة للسلطة وأناية هذه الطبقة، وإذا كان هذا الحزب صحيحًا، فستظهر أفضل النتائج¹.

أعطى الشيخ مثالاً للقلب وأنه إذا تم إصلاحه، يصبح الجسم كله صالحاً وسليماً، وقال مثله: "الولاء الديني والعزة الوطنية لهذه الطبقة، والشجاعة الأخلاقية، والتضحيات المتواضعة، يؤمن مستقبل الأمة لقرون، وما لا يستطيع الملايين من الناس فعله في بعض الأحيان، يفعله هذا العدد القليل من الناس"².

وفي شرحه للصفات الجوهرية للرؤساء والقادات، يقول: "يتطلب أن يكون كل إنسان مصدر قوة للشخص الآخر، ودعّمه، وصابراً، ومستقيماً في نفسه، وواعظاً للصبر والمثابرة للآخرين، عسى حياته وإيمانه وقناعاته وصبره وتوكله وعزمه وشخصيته السامية وسيلة غرس الاعتماد في الآخرين ومنازة لهم، برؤية هذه الخطوات العديدة تصبح راكدة، وطبيعة مكتتبة، ويرتفع الروح المعنوية، ويصبح من الصعب الكلام وفعل نفاد الصبر ونفاد الصبر في هذه الفجة، ويجب اعتبارها معيبة مثل عالم التردد والخوف والرعب، أغرس الصبر والمثابرة والتوجيه بالمثابرة والثبات"³.

سافر الشيخ الندوي-رحمه الله-إلى كثير من دول العالم، وزار الولايات المتحدة والدول الأوروبية عشرات المرات، وخاطب مراراً المسلمين المقيمين هناك، وأشار إلى أمراضهم واقترح عليهم العلاج، وأعطى لهم المحترحات لإصلاحها، يقول في خطاب ألقاه في الولايات المتحدة: "إن مسؤولية هؤلاء المسلمين (الذين يعيشون في الولايات المتحدة وأوروبا) تزداد بشكل كبير، لو كانت مجرد مسألة إيمان، أو مجرد أفعال وعبادات، كالإسلام والأديان، لكان الأمر أسهل بكثير، لكن إذا كان لوناً، فهو حياة وشغف ووعي وذوق وضمير وشعور، وأيضاً طبيعة أكثر حساسية وحساسية من الديانات الأخرى، ونوعية الأشياء وقيمتها وجمال الأشياء وقبحها. يدعو إلى تغيير جذري في الإدراك، لذلك تصبح قضيته حساسة وصعبة للغاية، وتزايد مسؤوليته كثيراً.

لذلك، لا يمكن للمرء أن يكتفي بمجرد قراءة الكتب والاستماع إلى المقالات، بغض النظر عن مدى رتبته العالية ودرايتها، لا يمكننا تذوق الإسلام إلا من خلال هذه الكتب والمقالات، رغم أن هذه الكتب والمقالات ضرورية ومفيدة أيضاً، لكن الاعتماد والإنحصار عليهم ليس صحيحاً، بل إن حاجتنا الحقيقية

¹ - خواص، ملت مي ان كا مقام اور ذمه داريان للعلامة الندوي، (لخواص في الملة ومقامها ومسؤوليتها)، ص: 22.

² - المصدر السابق، ص: 23.

³ - المصدر السابق، ص: 18.

هي منطقة إسلامية، وأجواء إسلامية، ووجود لون إسلامي، حيث نرى الإسلام بأعيننا، ونسمعه بأذاننا، ونلمسه بأيدينا ونشعر به بأحاسيسنا، لهذا نحتاج إلى اجتماعات، ولهذا نحتاج إلى أن نعيش حياة إسلامية، وأن نذهب إلى المناطق التي توجد فيها الحياة الإسلامية ومجتمع مسلم مثالي من أي نوع، حيث يمكننا اعتناق الإسلام كإنسان حي وحيوي، امشي وانظر يتحرك ويتنفس"¹.

ويؤكد على ضرورة رعاية المجتمع الإسلامي، وقال: "لا يزال المجتمع الإسلامي هنا في مهده ومراحل تطوره الأولى، لذلك يجب أن نكون واعين بمسؤوليتنا في هذا المجتمع الجديد، نحن نؤمن أن هذا المجتمع الذي أسسه محمد الله لن ينجو فقط، بل سيبلغ نضجه ووعيه، وستكون لديه الوسائل والموارد للتدريب، ما هي تلك الوسائل للتدريب؟ هذا هو الإيمان والعقيدة، والبحث ودراسة المعرفة والثقافة، والرفقة الصالحة والمجاهدة"².

مشيرا إلى خطر مهم جدا، وقال: "وأخراً! أشعر بالتهديد هنا في الولايات المتحدة وفي كل مكان، عندما نكون محصورين في أنفسنا وفي قوقعتنا، مثل ثعبان ملفوف بغمده، ومجرد الدراسة الكتب والبحث العلمي، ولن تبقى علاقتنا بمصادر الإسلام الحقيقية ومراكز الإسلام هذه، يحيا فيه الإسلام على الرغم من ضعفه، في أجواء طغت على الإسلام، وإذا جف مصدر تنامي المشاعر الإسلامية في قلوبنا وأرواحنا، فسيبدأ في الظهور الإسلام الأمريكي والإسلام الأوروبي والإسلام الياباني والإيراني والهندي والباكستاني، لن يتعرفوا حتى على بعضهم البعض، وسيكونون مختلفين عن بعضهم البعض مثل الأمريكي من آسيا، والرجل الياباني عن الرجل الأفغاني، وستكون هناك مجتمعات إسلامية ستكون أذواقها وعقولها وقيمتها ومعاييرها مختلفة تماماً"³.

قال بصراحة في خطاب ألقاه في كندا: "بعد أن عشت هنا تمكنت من إدارة وإرضاء إيمانك وحماية الإسلام لأجيالك القادمة، وبوجودك هنا فإنك تقوم بعمل دعوة الإسلام، وتظهر حياة إسلامية جذابة للآخرين، لذلك لديك الحق في البقاء هنا، ليس فقط الحق ولكن هذا جهاد عظيم وخدمة رائعة، إذا لم يكن الأمر كذلك، وكان هدفك هو كسب الطعام فقط، فإن هذا الغرض لا يتوافق مع موقع وهدف حياة المسلمين"⁴.

¹ - نئي دنيا امريكه مين صاف صاف باتين للعلامة الندوي، (الأحاديث الصريحة في أمريكا)، ص: 86-87.

² - المصدر السابق، ص: 88.

³ - المصدر السابق، ص: 89-90.

⁴ - المصدر السابق، ص: 97.

في خطابه الأخير في الولايات المتحدة، قال الشيخ ستة أشياء بقوة كبيرة: "الخبر الأول لأننا سنبدل قصارى جهدنا حتى لا نفقد عاصمة الإسلام التي لديك، إذا تخيلت مدى قصر حياة هذا العالم وكم ستكون الحياة القادمة وما هي المراحل التي يجب أن تمر بها في الآخرة، عندها سيقف شعرك في نهايته ومن المحتمل أن يزول قلقك، لو فعلنا كل شيء في هذا البلد وأهدرنا مكاسبنا في الآخرة وخشية الله، فلن يكون أحداً منا أسوأ منا، كشخص واقعي أقسم بالله أن الاحتياج إلى الحبوب أفضل بكثير من تعريض أنفسنا للخطر، ونضع المستقبل الديني لأولادك على المحك، فإذا حصلنا على كل شيء وخسرنا ثروة الإيمان، فهذه أكبر خسارة"¹.

ثانيًا: استمر في تصحيح نيتك، وافعل ما تفعله لرضا الله، ولا تتدخل في أي منصب أو غرض"².

والشيء الثالث هو عدم الإهمال من جانبك، بل استمر في احتساب قلبك وأفعالك ونفوسك، حتى لو أصبحت مختبرك، واستمر في لمسه، لهذا أنصحك بالذهاب إلى بلدك لبعض الوقت بعد عام أو عامين، وابق على اتصال من هناك، فمن الأفضل أن تكون الهند وباكستان والحرمين المقدسين، والبقاء هناك وخدمة أهل حقاني رباني الطيبين الذين يبدون نكران الذات، ويجلسون ويذكرون الله، ويلتقون بهم، أو يقضون بعض الوقت في بيئة دينية، إذا بقيت هنا، فإن العلاقة بين الله والإيمان ستنتهي، كما لو استخدمت البطارية بشكل صحيح، فستختفي المشكلة، وستحتاج إلى خلايا جديدة، وبالتالي بطارية قلبك، فدائمًا أعط خلايا جديدة"³.

رابعًا، لا تشك في السلفيين وأهل الأمة الذين مارسوا الدين في دوائهم، فهذا أمر شديد الخطورة.⁴

هذا ما قاله الشيخ بكل وضوح: "لا تعتقد أبدًا أن بعض الناس قد فهموا الإسلام الآن، ولم يفهم أحد الإسلام بأكمله من قبل، فهذا اتهام كبير للإسلام، وهذه وصمة عار على إمكانات الإسلام، تجعله يشك في سيرة القرآن ووضوحه وفهمه، وهو ما أثبتته "كتاب عربي مبين، لسان عربي مبين"، إلى جانب ذلك، وهو كتاب لم يفهم منذ ألف واثنين عشرة سنة، فهل هناك ما يرضي الآن بعد أن اعتُبر صحيحًا؟ لهذا السبب أعتبر كل كتابة تعطي انطباعًا بأن الإسلام كله لم يفهم منذ ألف ومائة عام، أو أن بعض الحقائق الإسلامية لا تزال في الظلام، أنا لست مستعدًا لقبول ذلك على الإطلاق، وتتطور المبادئ الأساسية

¹ - الأحاديث الصريحة في أمريكا، ص: 126-127.

² - المصدر السابق، ص: 129.

³ - المصدر السابق، ص: 131.

⁴ - المصدر السابق، ص: 132.

للإسلام، وحقائق القرآن، وتعاليم الدين باستمرار، وقد اثبت أن نسي العالم الإسلامي هذه الحقيقة تمامًا، بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه كتب أنه لا توجد سنة واحدة خرجت من عالم الإسلام كله، فلو لم تكن موجودة في هذه الزاوية لكانت موجودة في الزاوية آخر¹.

الأمر الخامس: أنه في حالة حفظ الإيمان في هذه البلاد، فلا يجب أن تفوتك الصلاة، ابذل قصارى جهدك لأداء الصلاة في وقتها، كتبت سيدنا عمر في مرسوم جوال "وأهم شيء في كل أمورك الصلاة، فمن يحميها يحميها، ومن تركها وضعها لم يترك شيئاً" لذا استمر في الصلاة، وقرأ الفرائض في البازار أو في أي مكان، وحاول أداء باقي السنن قدر الإمكان، فهذه السنن وواجبات النوافل محفوظة أيضاً.

والشيء السادس من الحضارة هنا وهي في أوجها، احم نفسك ، لقد رأيت الكثير من التسامح في بعض الأشياء هنا، أستطيع أن أقول بوضوح أن هناك الكثير من الاختلاط بين الرجال والنساء هنا، حاول قدر الإمكان تجنب الاجتماعات والتجمعات المختلطة، إذا كان هناك اجتماع بمشاركة النساء، وإذا كانت مشاركتك ضرورية هناك، فاجعل دائرتهم منفصلة، حتى في سبيلهم، يقوم المجتمع الإسلامي على حكمة عظيمة، وتحتوي الأحاديث على أقوال قوية لإخلاء الرجال والنساء، يجب على الحضارة الأمريكية ألا تقبل هذه التأثيرات، وتحمي الثقافة الإسلامية والمجتمع الإسلامي بقدر الإمكان، وتحاول الاحتفاظ بسماتها الجيدة ومكوناتها الجيدة².

أهمية دور النساء وفعاليتهن في الدعوة:

ووصف الشيخ الندوي- رحمه الله- المرأة بأنها عضو كبير في المجتمع الإسلامي وعضو مؤثر وفاعل في الجسم الإسلامي، وقد وُصف دورهم بأنه فعال ومهم لوجود وبقاء مجتمع إسلامي حقيقي، وحثهم على تبني المجتمع الإسلامي، وقال لمخاطبة النساء في الاجتماع الذي عقده (كلية البنات في قطر): " وهذه المسؤوليات ملقاة على عواتقك ايتها الشابات والبنات المسلمات العزيزات، فأنتن إذا أردتن أن ينشأ الجيل الجديد مسلماً في اعماق قلبه، ومسلماً في حضارته، ومسلماً في آدابه، وفي أخلاقه، وفي سلوكه، فالمسؤولية تقع عليهن، والله سبحانه وتعالى قد قرن الجزئين في المجتمع الإسلامي بآية واحدة في قوله: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)³، وهنالك التاريخ الإسلامي

¹ - الأحاديث الصريحة في أمريكا (ننى دنيا امريكا ميس صاف صاف باتيس)، ص: 136.

² - المصدر السابق، ص: 138.

³ - سورة آل عمران، الآية: 195.

وكتب التراجم حافلة بذكر السيدات الفاضلات، العاملات المربيات المفكرات، والمعلمات المحدثات، المفسرات، الأدبيات، لو بدأت أذكر أخبارهن لضاق الوقت، ولكنكنّ ستدرسن إن شاء الله في كتب التراجم، وأيضاً قد خلق الله في النساء كل صلاحية، وكل قدرة للبلوغ إلى الكمال، وفي التقدم في مضمار العلم¹.

وقال مخاطباً النساء في الهند: "استمعي يا أخت! اجعل أطفالك مسلمين، واجعلهم مسلمين، وعلمهم قراءة الأردية، وتمكينهم من قراءة القرآن، واغربي التوحيد في قلوبهم، كُفيهم عن الشرك والبدعة والوثنية كفيهم عن كل هذه الأمور رزقنا الله وإياكن التوفيق، إذا تم ذلك ففيه الكثير من الضمانات لبقاء الإسلام وحمايته، وإلا فستكون تبقى الجهود الخارجية والتنظيمية فقط والصحف والمجلات والمؤتمرات مفيدة، لكنها لن تكون كافية"².

وقال في مقام آخر: "نقول بوضوح أن على المسلمين أن يظلوا مسلمين في هذا البلد، وأن يكونوا قادرين على قراءة القرآن الكريم، والاستفادة من كتب الأردية، والاطلاع على الشعائر والقواعد الإسلامية، واعتماد الثقافة الإسلامية، والالتزام بها، وتعزيز عقيدة التوحيد. المسؤولية تقع على عاتق نساءنا وأطفالنا"³.

وأشار إلى بعض التقصير عند بعض البنات المسلمات في العصر الحديث ودعا إلى إصلاحه، وقال: إذا خرجت إلى السوق ورأيت النساء يمشين ويتجولن هنا وهناك من دكان إلى دكان، يبدأ القلب في الخفقان في البازار من هول ما ترى، كأنه لا خدمة لهن في البيت بل لا يعرفن شيء اسمه خدمة البيت، والمؤمن إذا رأى النساء اللواتي يمشين في الأسواق، يبدأ قلبه في الانزعاج، وهذه ليست وظيفة المرأة المسلمة، فاختاري لنفسك أيتها المسلمة ما اختارته زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنفسهم من الحياء والعفة والحشمة والاستقرار في البيت وخدمة الأهل والانشغال بعبادة الله تعالى، فاختاري ما اختاره الله عز وجل لزوجات رسوله صلى الله عليه وسلم فهو المقتدى به⁴: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾⁵.

¹ - محاضرات اسلامية في الفكر والدعوة.

² - اسلام میں عورت کا درجہ اور اس کے حقوق و فرائض للعلامة الندوي، مترجم: (مقام المرأة في الإسلام وحقوقها وفرائضها)، ص: 116.

³ - المصدر السابق، ص: 112.

⁴ - انظر: المصدر السابق، ص: 116.

⁵ - سورة الاحزاب، الآية: 33.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "إن عصر الجاهلية، وهو زمن سيئ، هو زمن الجهل، لا تتزني بمثل هذا المكياج (MAKE UP)، وصلي الصلاة، وادفعي الزكاة، وخصصي مكانا للصلاة، واقرئي التسيح هناك، واقرئي الكتب، وعلمي أطفالك الدين، عندما يكون لديك وقت، اخدمي زوجك واقضي الوقت في تربية أطفالك"¹.

ووصف في خطاب -ألقاه في كابول (أفغانستان)- التعري والتمرد على القيم الاجتماعية بأنه مقدمة للانحدار القومي، وقال: "لقد درست تاريخ الأمم والحضارات (وخاصة تاريخ تطور الدول والحضارات وانحطاطها) بعناية وتدبر كبيرين، وقد توصلت إلى استنتاج مفاده أن تراجع الأمم والشعوب وتدميرها وخرابها، والسبب الأهم والأساسي لانحدار وفناء الحضارات والحضارات المتطورة والساحرة هو التفكك في نظامهم العائلي، فقدان الاعتدال والتوازن في الحياة الأسرية، واضطراب في العلاقة بين الرجل والمرأة، وإهمال المرأة لبيتها، والفرار من مسؤولياتها، على مر التاريخ، رأينا حضارات متدهورة وأما تندفع نحو التدهور والدمار، هناك يبدو أن المرض قد ترسخ لدرجة أن النساء هربن من الحياة المنزلية وأهملن مسؤولياتهن، لقد فقدن روح الأمومة، وغفلن من تربية الأولاد، واستقرار البيوت حيث يمكن للرجل أن يحصل على ثروة من السلام والطمأنينة والراحة، وعندما يدخل المنزل يشعر وكأنه دخل الجنة، بدلاً من ذلك، يريدون أن يكونوا متساوين مع مسؤوليات الرجال ومشاركتهم المتساوية في مجال العمل، وجنت جنونهن في التنافس معهم في جميع مناحي الحياة، ونتيجة لذلك، نشأت في هذه المجتمعات فوضى عقلية وفكرية، وخروج عام على القانون، وفوضى وأزمة أخلاقية، نتيجة لذلك تسارعت خطواتهم نحو كهف الدمار، هذه قصة قدماء الإغريق، وهذه قصة سقوط الرومان والإيرانيين، وأخشى أن تعاني دول الشرق من نفس المصير، والحقيقة المحزنة هي أن آثار ذلك قد ظهرت بالفعل في مجتمعنا الإسلامي الشرقي"².

وكان من ما يميز الشيخ أنه خاطب كل شريحة من الناس بما يناسبهم، ولفت الانتباه إلى تحسين معاملاتهم، من كوخ الفقير إلى إيوان الملك ليصلهم كلهم دعوة دين الحق، ثم شرح أمراض كل طبقة كما تم شرح إجراءات علاجها، واهتم برؤساء الدول وشيوخ الحكومة والمثقفين، وخاطبهم ونصحهم.

¹ - مقام المرأة في الإسلام وحقوقها وفرائضها (المترجم)، ص: 124.

² - من نهر كابل إلى نهر يرموك (المترجم)، ص: 33-34.

وأكد الشيخ في خطابه العديدة أن المرض الأكبر لدى العامة في الوقت الحالي هو قلة اليقين، نتيجة لذلك هناك تقاعس وإهمال وتُبعد عن مظاهر الدين والأمراض المختلفة التي تنشأ، وهذا هو السبب الرئيسي وراء تراجع المسلمين في كل جبهة، وهم يواجهون نكسات.

وقد أصر الشيخ الندوي -رحمه الله- على تقوية النوايا والعزم كثيرا، وقال مرات عديدة إن المرض الحقيقي لهذه الأمة هو ضعف النية وليس سوء النية.

وكرر الشيخ في خطابه القول بأن الإنسان يفكر في أخطاء الآخرين ولا يفكر في أخطائه وهذا خطأ اجتماعي يقول: "فلسفتنا الاجتماعية والسياسية خلقت فكرة أن الإنسان يكون نظره على عيوب الآخرين، والمحاسبة على تلك العيوب تكون من الآخرين فلا يحاسب نفسه أحد، بل يفكر في الآخرين: أصحاب الحزب الفلاني يفعلون كذا والطبقة الفلانية تفعل كذا، فلان لا يؤدي مسؤولياته، ولا يجد فرصة لأن ينظر في نفسه وعيوبه ليصلحها¹.

ذكر في كتاب "إصلاحات" للشيخ الندوي، أن "إصلاح المجتمع" له أهمية خاصة في الأمور، وأكد ذلك في خطابه ومواعظه وكتابه، في الهند، وبدأ الشيخ بتنظيم جماعة صغيرة باسم (حركة رسالة الإنسانية) لإصلاح المجتمع وما فيه من خلل، هذا الموضوع بارز جدا في الخطب التي ألقاها على مجلس قانون الأحوال الشخصية الإسلامي (مسلم پرسنل لا بورڈ)، بالإضافة إلى خوض معركة قانونية مع الحكومة، هز الشيخ أيضاً جماهير المسلمين ودعا إلى الإحتساب، لقد تم بيان شُرور المجتمع بوضوح ودعى المجتمع بقوة وفاعلية لتطهيره، وقال مخاطبا المجلس الذي أنشأه: "عندما نشككي من حكومتنا وإخواننا في الوطن فلماذا لا يحق لنا الشكوى منكم؟ سوف نشكو هؤلاء، ونمسكهم، لكن سنمسك حناجركم، وتلك اليد التي تمسككم لا تكون يدنا بل تكون يد الشريعة، ستكون تلك يد المحاسبة الدينية، ويسألك انظر لنفسك أولا كم تسير وفق هذا القانون، وما مدى احترام القانون هذا في عيونك؟ أنت في المكان الذي تستطيع أن تطبق هذا القانون هل تطبقه هناك أم لا ؟ أنتم لا تطبقون هذا القانون في بيوتكم، وتطالبون الحكومات أن يطبقوا قانونكم ويحترموا يا للعجب!!!"².

وقد وصف الشيخ بالتفصيل العيوب في شؤون المجتمع ، مثل الإسراف في الزواج ، والإسراف في الشعائر، والتوزيع غير المشروع للميراث، والعيوب في المعاملات، وقال: "وعد من هنا أنك ستبتع الآن

¹ - الدعوة الفكر والعمل، (المترجم)، ص: 159.

² - جهد مسلسل للعلامة الندوي، المترجم: (الجهد المسلسل)، ص: 156-157.

قانون الشريعة، ما مشكلة هذا المهر، فالأولاد لديهم قائمة مطالب طويلة، وشروطه معروضة، عندما لا تتحقق تحترق الفتيات البريئات، وهناك مئات الحوادث في البلاد"¹.

ثم يقول: "أنتم أمة الرحمة للعالمين، وأن يكون هذا القهر في المجتمع الهندي وفي المجتمع الهندي وفي مئات المواقع أثناء وجودك هناك! العقل ليس مستعدا لقبوله، ما كان يجب أن يحدث لك، حتى لو كان بين يديك."².

من منصة مجلس قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ودار العلوم ندوة العلماء، أطلق الشيخ "حركة رسالة الإنسانية لإصلاح المجتمع" بالإضافة إلى ذلك، في اجتماعات المدارس، وفي خطب الزواج، وجه الشيخ دعوة فعالة لبناء المجتمع الإسلامي وأعطت جهوده ثمارها بفضل الله، وهذا باب منور في حياة الداعية الشيخ الندوي-رحمه الله- وعزمه، ولا يمكن لأي مؤرخ أن يتجاهله.

تزكية الباطن:

كما أن الطهارة الخارجية ضرورية، كذلك الطهارة الداخلية لا بد منها، يقول الشيخ الندوي: لا يمكن للإنسان أن يكتمل بغير طهارة القلب، ويفسر -رحمه الله- الطهارة الباطنية والكمال والآداب بـ "الفقه الباطني"

قال الشيخ الندوي: (إذا نظر المرء إلى الشريعة الإسلامية وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يتبين أنها قسمت الدين إلى قسمين: أحدهما يتعلق بالأفعال والأفكار، كالوقوف والقعود والركوع والسجود والتلاوة والتمجيد والذكر والدعاء والقواعد والعبادات.

النوع الثاني: ما يتعامل مع الكيفيات الباطنية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بهذه الأعمال والحركات والتي تظهر في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحواله كلها وفي ميدان الجهاد وفي كل مكان، ومعاني هذه الكيفيات: الإخلاص والمحاسبة، والصبر والثقة، والزهد والتضحية بالنفس، والإيثار والكرم، والأدب والتواضع، والخضوع، والدعاء، وانكسار القلب وقت الصلاة، وتفضيل الآخرة.

¹ - الجهد المسلسل (المترجم)، ص: 128.

² - المصدر السابق، ص: 129.

... إذا كان من الممكن تسمية المعرفة التي تتعامل مع التفسير الأول بـ "الفقه الظاهري"، فإن المعرفة التي تفسر هذه الشروط وتوجه تحقيقها يمكن أن يطلق عليها "الفقه الباطني".¹

يقول الشيخ الندوي-رحمه الله-: "إحسان وفقه الباطن كلها حقائق علمية وشرعية، ولا يمكن تحسين الحياة الاجتماعية ولا الاستمتاع بها حقًا بدونها".²

وانتقد الشيخ بشدة من يسمون بالصوفيين الذين استخدموا مصطلح الصوفية كأداة لأغراضهم الدنيوية، واكتسبت من خلاله المال والشرف، لكن هؤلاء السادة الذين طالبوا بالتطهير الحقيقي للناس، والذي يسمى بالإحسان وفقه الباطن، وصفهم الشيخ بأنهم استمرار لتجديد الدين.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "لا شك في أنه لولا هؤلاء لكان المجتمع الإسلامي قد مات منذ زمن طويل. حتى يوقف فرع الدين الذي هو فرع من فروع النبوة (أي تطهير الروح والفقه الباطني) نهائياً".³ أمضى الشيخ حياته كلها في دعوته، وزينها بطهارة النفس وإشراقها، وطهارة القلب، والإخلاص لله تعالى، والتواضع والطاعة، والصبر والثقة، والزهد والولاء، هذه هي السمات التي هي سر قوة دعوة الشيخ رحمه الله.

إخلاص العمل:

الإخلاص هو معيار العمل، والعمل إذا تم بدون نية أو بنية خاطئة، فهو إذن ليس مقبولا عند الله، وقد أشار الشيخ الندوي مرارًا وتكرارًا إلى ضرورة وأهمية ذلك، وأشار في خطب مختلفة إلى الحديثين اللذين يقتضيان أيضًا الإيمان والمحاسبة على صيام رمضان والتراويح: (من صام رمضان، إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه)⁴، (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه)⁵، في حين أن كلاهما يتم عادة بقصد رضا الله، إن مرض الأمة الحقيقي هو ضعف النية وليس سوء النية، وقال: "كل عمل يقوم به الإنسان فقط بإرضاء الله وبشغف وإخلاص وطاعة هو وسيلة لبلوغ القرب من الله وأعلى مستوى من الإيمان واليقين، وأن الدين الخالص خالٍ من كل مكروه، سواء كان جهادًا وقتالًا في سبيل الله، أو حكمًا

¹ - تزكية و احسان يا تصوف و سلوك للعلامة الندوي، (التزكية والإحسان)، ص 15-16.

² - المصدر السابق، ص 16-17.

³ - المصدر السابق، ص: 22-23.

⁴ - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب: صوم رمضان احتسابًا من الإيمان، 16/1، الرقم: 38.

⁵ - أخرجه الإمام مالك في الموطأ، باب: الترغيب في الصلاة في رمضان، 156/2، الرقم: 376.

وإدارة، أو انتفاعاً بالنعم الدنيوية، أو تحقيق متطلبات الروح المشروعة، أو السعي وراء القوت والعمل الشرعيين، كن أو أن يكون فناً شرعياً أو استمتع بأسرة أو بحياة زوجية، على العكس من ذلك، أي عبادة أو خدمة دينية تخلو من طلب رضا الله والسعي إليه، مؤمناً بأوامر الله ونواهيه وقيامها، والمغطة بحجاب الإهمال ونسيان الآخرة، وسواء كان هذا الفعل فرضاً كصلاة وهجرة وجهاد وأذكار وتمجيد واستشهاد في سبيل الله، فإن كل من يفعل مثل هذا الفعل، سواء كان عالماً أو مجاهداً أو خطيئاً، سيواجه الحرمان من الثواب، بل هناك خطر أن تصبح هذه الأعمال والخدمات حجاباً بينه وبين الله¹.

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

على الداعي أن يبدأ أولاً بصحة العقائد على منهج القرآن والحديث، ومنهج السلف الصالح والعلماء الراسخين في العلم أهل السنة والجماعة، وأن يزيل أي نوع من الفساد والضعف فيها، كما ينبغي توجيهه وانتباه الناس إلى ذلك.

كما أن في العبادات المشروعة (كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والجهاد وغيرها)، يجب الاهتمام بتعليمها وتعليمها والعمل بها ظاهرياً وباطنيّاً، حسيّاً وروحيّاً، ويجب بذل كل جهد للسير على اتباع قدوتنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

ولا بد من ضبط القواعد والمسائل الدينية لا سيما في الأركان (الصلاة، والصيام، والزكاة وكذلك الحج لمن استطاع إليه سبيلاً)، وكذلك في الحلال والحرام، والجواز وعدمه، والفرائض، والواجبات، والسنن، يجب أن يكون هناك وعي ديني كامل بها.

وأيضاً من الضروري لفت انتباه الناس لأداء العبادات المذكورة كعبادة وليس كعادة كحال كثير من الناس للأسف؛ لأنه بالعادة تفقد العبادة روحها والغرض من فعلها فلا يترتب عليها ثوابها أو ينقص من ثوابها بمقدار نقص استشعار التعبد فيها.

ويجب أن يصبح من عادات الداعي اليومية تلاوة القرآن الكريم، فإنه يلعب دوراً مهماً في جعل الحياة جميلة أولاً وجعل دعوته لها أثراً واضحاً ملموساً في الناس، فهو أمر مهم جداً للداعي، وأجر الآخرة لا حصر له.

¹ - دستور حيات للعلامة الندوي، (دستور الحياة)، ص: 218.

بعد العقائد والواجبات وحقوق الله، فإن مسألة حقوق العباد هي قبل كل شيء وأهمها، وعدم التهاون فيها أبداً فإن الله ربما يغفر للعبد حقوقه سبحانه إن شاء لكن حقوق العباد ومطالبهم لا يغفرها الله حتى يرجع لصاحب الحق حقه أو يتحلل منه؛ لذلك يحتاج الداعي إلى الاهتمام في هذه الأمور أيضاً، وإطلاع الناس على ذلك، وحثهم على إصلاح معاملاتهم وأداء حقوق العباد.

كذلك يجب على الدعاة أن يحسنوا أخلاقهم ويهتموا بجانب تطهير النفس وتركبة القلب من الرذائل وتزينه بالفضائل، لأنهم القدوة للأمة، وتفعل الأمة كما يفعلون.

أيضاً يجب أن يجعل بعض الأذكار والوظائف الخاصة معمولاً له، حتى يكون متعلقاً بالله عز وجل في كل أحواله أولاً وحتى تؤتي دعوته ثمارها بفضل الله سبحانه.

وأيضاً يقرأ حياة السلف الصالحين وأهل الله، ويستخلص منها العبر.

أختتم هذا الفصل بكلمات الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وليكن لنا حظ في مراقبة الموت، واهتمام زائد بحسن الخاتمة، فإن العبرة بالخواتيم، وقد عرف جميع أولياء هذه الأمة، وعارفوها ومحققوها، والذين شهدت لهم الخلائق بالاستقامة وعلو المكانة عند الله والقبول في الناس ورويت عنهم كرامات وخوارق ولهجت الألسنة بالثناء عليهم والشهادة لهم بالاهتمام التي لا مزيد عليه، بحسن الخاتمة والموت على الإيمان حتى كان ذلك لهم الشغل الشاغل، والههم الأكبر يظنون وجلين مشفقين غير مدللين بحسن عملهم، واعتقاد الناس فيهم، غير معتمدين على سعيهم وجهدهم ومتذكرين للحديث: (لن ينجي أحداً منكم عمله) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا)¹، ... والله الموفق للسداد والصواب وإليه المرجع والآب"².

¹ - أخرجه البخاري، باب القصد والمداومة على العمل، 98/8.

² - الأركان الأربعة، ص: 198.

الفصل الثالث: منهجية التعامل مع الظواهر الفكرية المعاصرة

التمهيد:

الشيخ أبو الحسن علي الندوي - رحمه الله - هو بحق شخصية إسلامية في القرن العشرين، ويرجع ذلك أساسًا إلى تفكيره الجامع والمعتدل الذي ترك بنقوشه في قلوب الكثير من شعوب العالم.

توجد في العصر الحاضر طوائف فكرية إسلامية مختلفة، منها طائفة تركز فقط على الإصلاح الداخلي، وتكشف سر ضعف المسلمين، والطائفة الثانية: التي مشت على سياسة المنافسة، يعني أن الحق هو فقط يجب أن يغلب، مهما كانت الوسائل والموارد، ويجب بذل الجهود للتغلب على المنافس بأي ثمن، على الأقل هناك حاجة للنظر في أسباب عدم الغلبة والهيمنة، ومحاولة التخلص منها، وطائفة ثالثة تقول بأن الاعتدال مطلوب، فمن ناحية يتم التأكيد على الإصلاح الداخلي، ومن ناحية أخرى السعي للحكم هو ضرورة دينية، هذه الطائفة الأخيرة هي المكتبة الفكرية المعتدلة والمتوازنة التي قدمها الشيخ الندوي - رحمه الله - بقوة في خطبه وكتابات ومواعظه.

إن الحاجة الأولى هي الإصلاح الداخلي، فالدين يجب أن يأتي إلى السلطة، عند الشيخ الندوي - رحمه الله -، ولهذا دعا الشيخ إلى اتخاذ طريق حكيم بدلاً من تبني سياسة المنافسة، وأيضاً عند الشيخ فإن الطريقة الأكثر فاعلية هي التأثير على الطبقة التي لها اليد العليا، أو القادرة على لعب دور رئيسي في أي شعبة من شعب الحياة، إذا قبلت هذه الطبقة الدعوة الدينية الحقيقية، فإن الجهود للسيطرة على الدين ستنتج بسهولة، وإذا تم تبني سياسة المنافسة، يخشى أنها ستفقد قدراتها.

اتخذ الشيخ الندوي - رحمه الله - خطوات عملية مختلفة، كان أولها محاولة إقناع الشباب المسلم، لقد فهم الشيخ نفسية هؤلاء، وعلى هذا الأساس وضع لهم أسلوب الكتابة والخطابة المناسبين، الأمر الذي ثبت أنه مفيد للغاية، كما تعرّفوا عليه، ولا سيما كتاب الشيخ "ماذا خسر العالم"، لقد لقي الكتاب استحساناً في هذا الطبقة، وكان للكتاب في كثير من البلدان تأثير هائل على الطبقة المتعلمة.

وضع الشيخ الندوي - رحمه الله - دعوته أمام العالم، فقوبلت بالترحيب، وسعى - رحمه الله - إلى الإصلاح في داخلهم، وكان من أهم أعمال الشيخ جعل الأدب مصدراً للإصلاح والدعوة، وفي ذلك الوقت تأثر الأدب العربي الإسلامي بالكتاب والمفكرين الملحدون، نتيجة لذلك، كانت الطبقة المتعلمة من الشباب تتجه بسرعة نحو الإلحاد وتم خلق النفور من الدين من خلال الأدب، صرح الشيخ صراحة حقيقة أنه إذا بقيت مقاليد الأدب في أيدي الملحدون، فسيكون من الصعب على الشباب التعامل معها، من

جهة دعا الشيخ إلى توسيع حدود الأدب من خلال هذا الأدب العربي، ومن جهة أخرى قدم أفضل الأمثلة في اللغة العربية وآدابها، وهكذا بدأ الكتاب الإسلاميون بالظهور في أفق الأدب العربي، صادف الشباب المتعلمون، الذين اعتادوا حتى الآن على الأدب الهدام، أفضل الأمثلة على الأدب البناء، وتأثروا بها كثيراً.

كل أمة لها تاريخها الخاص في الصعود والسقوط، ولها تأثير على مستقبل الأمم، ولا يمكن لأي دولة نامية أن تنظر إلى ما وراء تاريخها، لديها مئات الأماكن للتعلم منها وتسهيل رحلته المقبلة، واستكشف الشيخ الندوي التاريخ بهذه النظرة، واستكشف تقلباته، واستخرج منه اللؤلؤ الثمين للأمة، والشيخ الندوي بذل قصارى جهده لتوحيد الناس بالدين، وقال: إن السبب الرئيسي لانحطاط المسلمين البعد عن الدين والملة، وعدم اتباع جميع أفرادهم بالطريقة الصحيحة، وينطبق الشيء نفسه على جميع دول العالم، والتي بسببها تزداد قوة شبكة الحضارة الغربية علينا اليوم، إذا أراد التحرر من أغلاله فعليه أن يحاول التغلب على نواقصه، ومحاولة التنافس معهم بحكمة في كل مجال يحاول فيه إثبات تفوقه.

وفيما يلي نذكر بعض القضايا المعاصرة من منهجية الشيخ الندوي-رحمه الله-، فكيف ينبغي أن يفهم المسلمون هذه القضايا ويتعاملوا معها، وما هي الصورة التي تركها لنا الأمة الإسلامية في عصر خير القرون؟ وقد تنافسوا مع أعظم القوى في عصرهم، روما وبلاد فارس اللتين كانتا أعظم القوى في ذلك الوقت، والأمة المسلمة ينعش هذه الذكرى مرة أخرى.

المبحث الأول: التغريب والتبعية الفكرية

أولاً: بيان ذكر بعض المفاهيم التي ترتبط بالتغريب:

ثمة مفاهيم مرتبطة بعنوان التغريب، ينبغي لنا إلقاء الضوء عليها، لما يوجد من ترابط شديد بين مدلولاتها من أبرزها: (الإستشراق-الإستغراب-الإستعمار)

فالإستشراق: فقد جاء في المصادر اللغوية أن الإستشراق أي: طلب علوم الشرق ولغتهم، ويقال ذلك لمن يعني بهذا من علماء الفرنجة، إذا الإستشراق هو طلب علوم الشرق، ويراد به اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق، ولغاته، وآدابه، وعلومه ومعتقداته.¹

وأما الإستغراب: فكلمة استغراب مأخوذة من (غرب) وتعني مغرب الشمس، وبناءً على ذلك يكون معنى الإستغراب هو علم الغرب، وبذلك يكون مفهوم الإستغراب هو: "التبحر في إحدى لغات الغرب وآدابها، وحضارتها، وتاريخها، بمعنى أن يصبح الشخص غربي التقاليد، والعادات، واللغة، ويطبع بطابع الحضارة الغربية"².

وأما الإستعمار: "هو حصول دولة أجنبية مستقلة على مجهودات وموارد دولة أخرى مستقلة دون أن تقوم الأولى بإضافة شيء لمجتمع الثانية إلا بما يخدم مصالحها. وللإستعمار خططه ومناهجه، ووسائله، وغاياته في الغزو الفكري للدول التي تقع تحت نيران الإستعمار، والتشكيك في دينها، وتاريخها، ولغاتها، والطعن في ماضيها، لإنشاء جيل لا يعرف شيئاً عن دينه"³.

ومن خلال إلقاء نظرة عابرة على هذه المفاهيم المتعلقة، يبدأ بوضوح مدى اتحاد الهدف، والغاية، والوسيلة، ومدى المداينة في التعامل مع الشرق العربي، والقضاء على كل ما هو شرقي، لاسيما الإسلامي والإستيلاء على الوطن العربي بأسره بكل ما فيه، ومن هنا يتضح الصورة الأصلية والعنكبوتية الغربية التي تستعمل للقضاء على الإسلام، وعلى الأمة المسلمة بوضوح.

مفهوم التغريب:

¹ - المعجم الوسيط، 482/1، لسان العرب، 173/10، القاموس المحيط، ص: 249، تهذيب اللغة، 316/8.

² - الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، ص: 42، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 5، 1402هـ/ 1983م.

³ - بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد، د. علي محمد عبد الوهاب، ص: 115-117، دار عالم الكتب، ط: 2، 1421هـ/ 2000م.

التغريب: طبعاً! التغريب يستعمل لمعنيين، البعد، والإخراج عن البلد. النفي عن البلد الذي وقعت الجناية فيه. يقال: أغربته وغربته إذا نحته وأبعدته¹.

وفي الإصطلاح: الثقافي والفكري المعاصر، غالباً على "حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخذ بالقيم والنظم وأساليب الحياة الغربية، بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له هذا الموقف أو الاتجاه غريباً في مبادئه وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، ينظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قيم ونظم ونظريات وأساليب حياة نظرة إعجاب وإكبار، ويرى في الأخذ بها الطريقة المثلى لتقدم جماعته أو أمته الإسلامية"².

وهذا المعنى قريب من دلالة الفعل "عَرَّبَ" (To Westernize) في الإنجليزية، إذ يعرف معجم "أوكسفورد" هذا الفعل على النحو الآتي: "To Make an eastern country, person, institutions, etc etc more like one in the west, esp in ways of living and thinking, ..."³، أي جعل الشرق تابعاً للغرب في الثقافة وأساليب العيش وطرق التفكير... وفي الفرنسية، يعني التغريب الشيء نفسه.

والخلاصة هذا يعني إنه مفهوم ثقافي مرتبط بمجموعة من الدول التي تشترك في التقاليد اليهودية المسيحية والتراث الثقافي الكلاسيكي لليونان وروما مع أنظمة القيم الخاصة بهم ومؤسساتهم السياسية وأنماطهم الاقتصادية والاجتماعية، على هذا النحو، فإن العالم الغربي عبارة عن مجموعة من الدول الأوروبية وكذلك البلدان التي شهدت تأثيرات أوروبية كبيرة على مدار تاريخها، في الغالب بسبب عملية الهيمنة الاستعمارية، لذلك، تعتبر القارة الأمريكية جزءاً من الغرب ككل، وكذلك دول مثل أستراليا ونيوزيلندا والمحيط الأطلسي وجنوب إفريقيا وأفريقيا.

¹ - لسان العرب، 639/1.

² - التغريب والغزو الصهيوني، عمر التومي الشيباني، ص: 162، مجلة الثقافة العربية، ليبيا، ع. 10، سن الإضاءة. 9، 1982.

³ - OXFORD UNIVERSITY OXFORD Advanced Learner's Dictionary, P1355.

بداية التغريب وإرتقائه:

ظهرت الحضارة الغربية في العالم الحالي باسم جديد، لكنها في الواقع انتقلت من الحضارة اليونانية إلى الحضارة الرومانية ومرة تلو الأخرى اتخذت الخطوة التالية في أوروبا تحت الاسم الغربي، والعالم كله في قبضتها اليوم.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وهكذا انتقلت الفلسفة اليونانية والثقافة اليونانية، بل النفسية اليونانية إلى الروم، وجرت منهم مجرى الروح والدم، ولم يكن الروم - بطبيعتهم الأوروبية"¹.

وقال في موضع آخر: "ليست الحضارة الغربية في القرن العشرين المسيحية وليدة هذه القرون المتأخرة التي تلت القرون المظلمة في أوربا أو حديثة كما يتوهم كثير من الناس، بل يرجع تاريخها إلى آلاف من السنين، فهي سليله الحضارة اليونانية الحضارة الرومية قد خلفتهما في تراثهما السياسي والعقلي والمدني، وورثت عنهما كل ما خلفتا من ممتلكات ونظام سياسي وفلسفة اجتماعية، وتراث عقلي وعلمي، وانطبعت فيها ميولهما ونزعاتهما وخصائصهما، بل انحدرت إليها في الدم، فقد كانت الحضارة اليونانية أول مظهر رائع - حفظه لنا التاريخ - للعقلية الأوروبية، وأول حضارة - سجلها التاريخ - قامت على أساس الفلسفة الأوروبية تجلت فيها النفسية الأوروبية، وعلى أنقاضها قام صرح الحضارة الرومية تحمل روحاً واحدة هي الروح الأوروبية، وظلت الشعوب الأوروبية طيلة قرون محتفظة بخصائصها وطبيعتها، وارثة لفلسفتها وعلومها وآدابها وأفكارها، حتى برزت بها في القرن التاسع عشر في ثوب براق يوهمك - بطلاوته وزهو ألوانه - أنه جديد النسج ولكن لحمته وسداه من نسج اليونان والرومان"².

كانت المسيحية ثاني أكبر ديانة بعد الإسلام ولكن أسسها كانت إهمال العلم ومن ناحية أخرى أدرك المفكرون المسيحيون حقيقة أنهم بدون علم ولا يمكنهم المضي قدماً، فعارضتهم الكنيسة بشدة في البداية واستمر الصراع بين الدين والحضارة، وفي النهاية هُزمت الكنيسة وانفصلت تماماً عن ميدان الحياة.

كتب الملك لويس التاسع ملك فرنسا المتوفى سنة: (1270)، الذي فشل في غزو تونس بعد أسره في مصر، في وصيته وقت وفاته "نحاول منذ وقت طويل إخضاع المسلمين"، استمرت الحروب الصليبية منذ زمن بعيد ، لكننا لم نتمكن من التغلب عليها، والسبب في ذلك أنه في وقت الهجوم نشأ مثل هذا

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 164.

² - المصدر السابق، ص: 164.

الحماس بين المسلمين يصعب مواجهته، يجب الآن استخدام وسائل أخرى لوقف الحماس، والطريقة الوحيدة لفعل ذلك هي إثارة أذهانهم¹.

بعد ذلك بوقت قصير، ريمان ليل (Raman Lull) (1232-1310م) و روجر بيكن (Roger Bacon) (1214-1294) سعيا للحصول على إذن من البابا لاكتساب المعرفة الإسلامية، كان البابا مترددًا في القيام بذلك، ولكن عندما قيل له إن هدفه هو خدمة المسيحية وأنه سيساعد في التأثير على عقول المسلمين وإخضاعها، وبعد الرفض، أعطى الإذن، في وقت سابق درس الأوروبيون في الأندلس سرًا وترجمت بعض الكتب الإسلامية، وبدأ هذا العمل في التوسع بإذن من البابا².

بدأت المؤسسات التعليمية في أوروبا في التأسيس في القرن الثالث عشر الميلادي، في القرن الخامس عشر بعد اختراع الصحافة وانتقال رأس المال الفكري إلى القسطنطينية والأندلس، حدثت الثورة العلمية وبدأت في الظهور نتيجة لذلك، التي كانت أوروبا لها اليد العليا على العالم الإسلامي.

يظهر تاريخ صعود وسقوط العالم أن الأمم التي غلبت قد تركت بصمة فكرها وحضارتها على الأمم الأخرى المقهورة، وهكذا ظل تأثير الثقافة الإسلامية على العالم، لكن حينما غلبت المسيحيون على العالم واليهود أصبحت حلفاء لهم في الأيام الأخيرة، ونرى اليوم تأثير نفس الحضارة الغربية على العالم.

¹ - لا تزال الوصية محفوظة في باريس ، برنامج من أربع نقاط - 1 - قسّموا بين القادة المسلمين، وبعد ذلك، قدر المستطاع، وقسمهم إلى أجزاء صغيرة حتى تنشئت قوتهم. 2- - زعزعة استقرار نظام الحكم في الدول الإسلامية، ونشر الرشوة والفساد والفسق بطريقة تطيح به. 3- لا تسمحوا أبدا لأي حزب أو جيش أن يتنظم يؤمن بالعقائد الإسلامية ويفهم حق وطنه ومستعد لتقديم أي تضحية من أجل الدين. 4- كانت إقامة إمبراطورية أوروبية تمتد من غزة جنوبا إلى أنطاكية في الشمال ثم في الشرق حدودها واسعة بما يكفي لتصل إلى أوروبا. (الغز و الفكرى ص: 29-30، دكتور محمد اسماعيل).

² - (في عام 1312، بناءً على نصيحة روجر بيكون وريمان ليل، أصدر البابا مرسوماً بتدريس العلوم الإسلامية، وبدأ تدريس العلوم الإسلامية في مختلف المؤسسات التعليمية الأوروبية).

أهم مخططات التغريب المعاصر:

1- ايجاد الإختلافات في داخل صفوف الأمة الإسلامية

حاول الغرب كثيراً في هذا القرن الحالي أن يكسروا شوكة و وحدة الأمة الإسلامية كان ذلك من أهم أهداف الغرب ومخططاته، فأنشئوا بعض الأحزاب والجماعات في داخل الأمة، وبثوا الفرقة والإختلاف فيما بينهم، وأظهروا له الحضارة الغربية في المخرج لهم.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- " فمن أعظم ما تخدم به هذه الأمة وتؤمن من المهازل والمآسي التي لا تكاد تنتهي هو إيجاد الوعي في طبقاتها ودهائها وتربية الجماهير التربية العقلية والمدنية والسياسية، ولا يخفى¹.

يوجد الكثير من المسلمين في العالم اليوم ولكن تأثير هذه الحضارة الغربية يكاد يكون معدومًا.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- " وذلك هو السر في أن العالم الإسلامي اليوم يتأرجح بين عقليتين وفلسفتين ووجهتين مختلفتين تتصارعان دائماً، وهذا الصراع ينتهي في أغلب الأحوال بانتصار فئة هي أكثر قوة وأكثر تسليحاً، إنه صراع طبيعي، وهو إن استحق الأسف فلا يستحق الاستغراب أبداً، بل كان موضع الدهشة والاستغراب إذا لم ينشأ هذا الصراع ولم توجد هذه النزعة إلى التجددو "التغريب"².

2- النفوذ الغربي في التعليم في المجتمع الإسلامية

السبب الأكبر لتأثير الحضارة الغربية على المسلمين هو نظامهم التعليمي، بفضل تطبيق نظام التعليم الغربي في معظم البلدان الإسلامية، يفتخر شبابنا اليوم بلغتهم، وأصبحوا غافلين عن تعاليم الإسلام، كما تضاءلت أهمية التعليم الديني في العصر الحديث، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك عندما تحتاج مؤسسة ما إلى مدرس لمادة الدراسات الإسلامية، يتم تقديم رسوم ضئيلة للغاية، وإذا كانت هناك حاجة إلى مدرس لمادة مستعارة من الغرب، يتم تعيين مدرس مقابل أجر كبير، بنفس الطريقة تم نظام التعليم الخاص بهم في البلدان الإسلامية، ولاشك أن معايير نظامهم التعليمي تختلف في الأساس عن معايير نظام التعليم في الإسلام .

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 252.

² - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 189.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "إذا كانت أمة هذه صفتها تتبنى نظام تعليم لأمة تختلف في الأساس والقيمة والمعيار يحدث هنالك صراع مستمر لا يفارق هذه الأمة في أي مرحلة من مراحل حياتها يجر إلى بناء واحد وهدم آخر، إلى تصديق واحد ونكذيب آخر، إلى إجلال واحد وازدراء آخر، وفي مثل هذه الحال يجب أن يحدث هناك نزاع عقلي، وتزعزع في العقيدة وانحراف عن الدين، وأخيراً قبول القيم والأفكار الحديثة مكان القيم والأفكار السابقة"¹.

وعندما يكون هناك اختلاف في نظام التعليم تبدأ التغيرات في المجتمع بالحدوث بشكل آلي، وفي المرحلة الأولى يكون هناك تغيير في العوامل الظاهرية، والنتيجة أخيراً أن النظرية الحديثة تظهر في كل الأمور الدنيوية والدينية، ومن ثم يتم تقديم حجج قوية حول صلاحها وتطبيقها.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "تلك هي قصة نظام التعليم الغربي، فإنه يحمل روحاً مستقلة وضميراً منفرداً تتجلى فيه عقيدة مؤلفيه وعقلية واضعية، وهو نتيجة التقدم الطبيعي لآلاف السنين، وتعبير عن أفكار أهل الغرب ومجموع أقدامهم وقيمهم، فإذا ما طبق هذا النظام التعليمي في بلاد مسلمة أو مجتمع إسلامي يحدث به قبل كل شيء، صراع عقلي ثم يتدرج ذلك إلى تزعزع العقيدة والردة الفكرية، وأخيراً إلى الردة الدينية، وذلك طبعي لكل من يستهدف لذلك"².

3- فصل السياسة عن الدين:

خطوة أخرى في الحضارة الغربية هي أنها حاولت فصل الدين عن السياسة، والتي نجحت فيها تماماً في الغرب أولاً، فصل الكنيسة عن السياسة، وإبعادها عن أسس المسيحية، ثم تحول إلى ديانات أخرى، والأهم من ذلك كله، هاجمت الإسلام، ويمكن رؤية تأثيرها في البلدان الإسلامية الحالية، على الرغم من أنها أصبحت اسمين مختلفين: جماعة دينية وجماعة سياسية، في الكثير من البلدان الإسلامية ومن الجدير بالذكر نادراً ما تسبب أي سبب آخر في إحداث هذا القدر من الضرر في العالم الإسلامي.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "بدأ النزاع والمنافسة بين البابوية والإمبراطورية في القرن الحادي عشر، فاشتدت بعنف وحمي وطيسها، وانتصرت فيها البابوية أولاً حتى إن هنري الرابع ممثل الإمبراطورية اضطر سنة 1077م أن يتقدم بخضوع نحو البلاط البابوي في قلعة كانوسا ولم يسمح له البابا بالدخول إلا بعد أن شفع له الرجال، فسمح له بالمثل بين يديه، فدخل الإمبراطور صاغراً حافياً لابساً الصوف

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص: 179.

² - المصدر السابق، ص: 179.

وتاب على يديه فغفر له البابا زلته، وكانت الحرب بين البابوية والإمبراطورية بعد ذلك سجلاً حتى ضعفت البابوية، وبقي الناس هذه المدة الطويلة يتنازعهم عاملان ديني وديوي وبقوا يزرعون تحت نيرين إمبراطوري وبابوي¹.

4- المساواة بين الرجل والنساء:

إن مفهوم المساواة بين الرجل والمرأة الذي قدمته الحضارة الغربية أثار جدلاً بين المسلمين، لأن الرجال والنساء بحسب معتقداتهم ليسوا متساوين في الإسلام، والحال أن الإسلام يعاملونها بالعدل والانصاف دون المساواة، فلكل حقوقه، وعلى كل واجباته، ولكل خصائصه، فلا يمكن أن نكلف الرجل بمهام المرأة، ولا يمكن أن نكلف المرأة بمهام الرجل، وإلا سيكون ظلماً عام الجانبين فلا يمكن المساواة بينهما بل يعاملان في الإسلام بالعدل والانصاف.

ضربت أزمة الغرب هذه أيضاً الهدف الصحيح، وأدت هذه الفلسفة دور الفساد في الأمة الإسلامية بأكملها، ونتيجة لذلك، لا تريد المرأة في الوقت الحاضر تربية أطفالها في البيوت، بل دائماً تخدم العالم الخارجي، وتتقدم للعالم بموضة وفخر مع اعتبار الشرف والمكانة التي يمنحها الإسلام على أنها غمضية، وقد أصبحت أيديولوجية عند كثيرين في العالم الإسلامي.

ورداً على سؤالٍ وجهه للشيخ الندوي-رحمه الله- قال: "لقد طالعت تاريخ الحضارات المختلفة والأمم والجماعات المختلفة، وأنا على وجه الخصوص أعرف الكثير عن صعودها وسقوطها، والسبب الأكبر الذي عانت منه الأمة هو تفكك نظام الأسرة، ولا يتم الحفاظ على توازن الحياة المنزلية، إن انهيار العلاقة بين الرجل والمرأة وانفصال المرأة عن الحياة الأسرية والتحول إلى حفلة شمعة هي من الأمور التي تسبب زوال الأمم والشعوب، نحن نرى مجتمعاتنا يتدهور بسرعة والمرض آخذ في الانتشار، ومع استمرار انتشار المرض، يتم فصل المرأة عن الحياة المنزلية ومسؤولياتها، وكذلك تربية الأطفال وجيل جديد، في هذه الحالة لا يمكن أن توجد العائلة الصالحة.... هذا هو السبب في أن مجتمعنا كله يعاني من القلق والتفكك الاجتماعي والانحلال الأخلاقي، ضعفت أسسها ولا يوجد استدامة، كان نفس الشيء هو الحال مع اليونان القديمة وروما وبلاد فارس، أخشى ألا يحدث نفس الشيء للأمم الشرقية"².

¹-ماذا خسر العالم، ص: 179.

²- متاع الدين والإستراتيجية للعلامة الندوي، المترجم: (متاع دين و دانش)، ص: 112.

5- وجود المستشرقين:

خطوة أخرى نحو الغرب هي وجود "المستشرقين" قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "إن تاريخ هذا الإستشراق قديم يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي بالوضوح"¹

يُشار بالمستشرقين إلى أولئك الموجودين في الغرب الذين تخصصوا في العلوم الإسلامية تحت رعاية الكنيسة، ثم كتبوا كتباً في الموضوعات الإسلامية، ولكن أدخلوا فيها مواداً مخالفة للمعتقدات والأيدولوجيات الإسلامية التي يقرؤها عامة المثقفين من المسلمين، ويتأثرون بها مع الانبهار والتعجب لها، ومن ثم لا يستسيغون قراءة الكتب الإسلامية الأصلية ولا ينتفعون منها للأسف، ويصبح يشيد بخدمات المستشرقين وكتاباتهم، ولا ينتبهون للأضرار الموجودة في تلك الكتب على الإسلام والمسلمين.

ولما كتبه هؤلاء عن الإسلام أغراض كثيرة، لكن من حيث الدين، هذا ما ذكره الندوي-رحمه الله-: "أما العامل الديني فواضح لاغموض فيه، وهو يهدف إلى نشر الديانة المسيحية ورجحانها على الإسلام، ويبعث في الطبقة المثقفة إعجاباً بالمسيحية وحرصاً عليها، ولذلك نرى أن الاستشراق و"التبشير" يسيران معاً في أغلب الأحوال، وأن عدد المستشرقين الأكبر أساقفة، وعدد كبير منهم يهود ديانة وجنساً"².

يعكس موقف ونظام الحكم لمعظم الرؤساء في البلدان الإسلامية الحديثة الحضارة الغربية، ويرجع ذلك غالباً إلى دراسة الكتب التي كتبها المستشرقون باسم الإسلام والتي أبعدهم عن الإسلام وقربتهم إلى الغرب.

كثير من المسلمين المثقفين في العصر الحديث يستخفون سنة الرسول الكريم ﷺ وذلك أنك ستجد كل ثاني رجل بلا حية وغافل عن أحكام الدين، وأيضاً ترى كل ثاني امرأة عارية، والسبب أن هؤلاء المستشرقين يقرؤون وينشرون المؤلفات المكتوبة عن الإسلام في المجتمعات الإسلامية.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولذلك فقد شعرت الدول الغربية بقيمة المستشرقين ومكانتهم شعوراً كاملاً وساعدهم زعماءها عن كل طريق ممكن، ولتحقيق هذا الغرض يصدر المستشرقون من مختلف أقطار الغرب عدة مجلات ورسائل حول العالم الإسلامي، ينشرون فيها مقالات تحليلية ومواد تحقيقية تبحث عن مشكلات العالم الإسلامي وميوله ونزعاته، ولا تزال تصدر مجلة "الشرق الأوسط" (Journal of

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 193.

² - المصدر السابق، ص: 193.

(Near East) ومجلة "العالم الإسلامي" (The Muslim World) من أمريكا، ومجلة (Lemond Musalmans) من فرنسا¹.

في وقت قصير بدأ المفكرون الغربيون المعروفون بالمستشرقين في تأليف كتب عن الفن الإسلامي، وبدأت كتبهم تلك ترن في كل الاتجاهات، وللأسف الشديد فإن من المسلمين من يستشهد بل ويتفاخر بكتب هؤلاء المستشرقين كدليل في دعم موقفهم.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "لقد قام المستشرقون بعملية التحقيق في كل موضوع من مواضع الكتاب والسنة والسيرة النبوية، والفقه والكلام كما تحدّثوا عن الصحابة الكرام والتابعين والأئمة المجتهدين، والمحدثين والفقهاء، والمشائخ والصوفية، ورواة الحديث، وعن فن الجرح والتعديل، وأسماء الرجال، وحجّة السنة، وتدوينها، ومصادر الفقه الإسلامي وتطوره في أسلوب لا يخلو عن التشكيك وإثارة الشبهات ويكفي لزعة العقيدة والترغيب عن الإسلام لرجل ذكي ليس له نظر عميق في هذا الموضوع"².

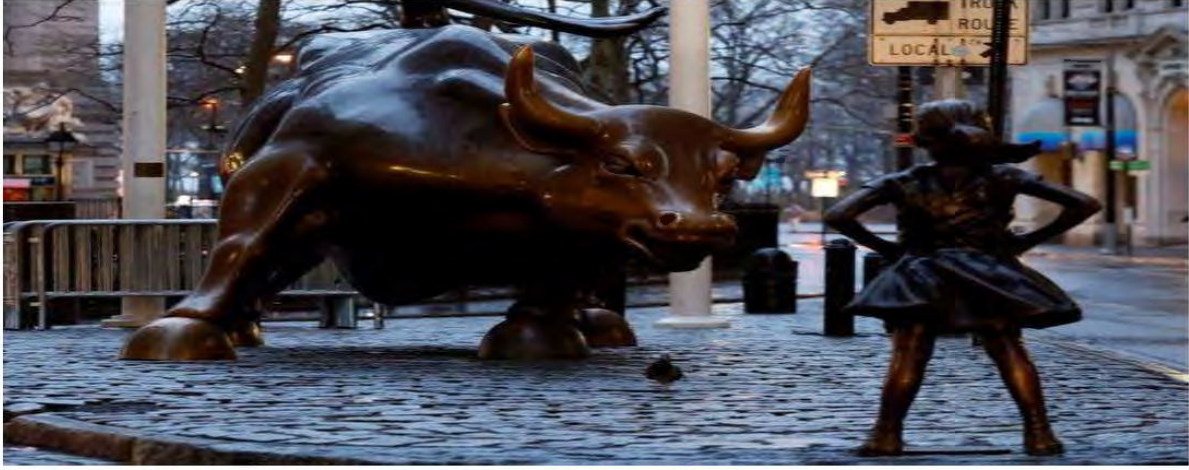
6: إظهار استبداد الرجل بالمرأة في الإسلام كذبا وزورا:

الغرب يُخيّل للناس أن الرجل في الإسلام ظالم والمرأة مظلومة ففي الصورة المرفقة في الأسفل المنصوبة على لوحة كبيرة في إحدى الدول الغربية (وقد أخذتها من موقع بي بي سي الإخبارية)³ تصوير رجل يشبه الثور المستبد وأمامه تمثال لفتاة يشبه امرأة مظلومة في الإسلام، ولا شك أن هذا خلاف ما عليه واقع الإسلام والمسلمين، ولكنها أكاذيب ومؤامرة ضد الإسلام.

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ص: 189-190.

² - المصدر السابق، ص: 197.

³ - <https://www.bbc.com/urdu/world-39205882>



قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في إلحاح هؤلاء بأن الدين مسألة شخصية ولا علاقة لها بالحكم، و الدعاوى الغربية في استبداد الرجل بالمرأة في الإسلام، ومسائل حجاب المرأة ودعوى أنه تذكّار لنظام الحرم القديم في الشرق وعلامة استبداد الرجل بالمرأة، وأن القضاء عليه خطوة أولى نحو الإصلاح والتقدم... كل ذلك نتيجة نظام التعليم الغربي وبيئته الفكرية وجوه العلمي والعقلي وتراثه التاريخي ليس غير"¹.

7- إعادة النظر في مسائل الدين والاجتهاد فيها حسب الظروف المعاصرة:

من مخططات الغرب أيضاً حثهم المسلمين على إعادة النظر في المسائل الدينية والاجتهاد فيها حسب ظروف العصر، قائلين بأن المسلمين المتقدمين قاموا بواجبهم، وكان الاجتهاد ضرورياً في ذلك الوقت لمعرفة الأحكام، وعصرنا تغيرت ظروفه وأحواله، ولا تمشي فيها، ولا يتوافق مع ظروفها الحالية الأحكام القديمة في الأنكحة والمواثيق وغيرها، فلا بدّ من الاجتهاد فيها لمعرفة أحكامها، وإصلاح ما لا يصلح فيها تمشياً مع ظروف العصر.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في دعاويهم الفارغة وقولهم البهت والإعتقاد الفاسد بأن قانون الوراثة والنكاح والطلاق اجتهاد فقهاء المسلمين في العصور المتوسطة ونتيجة طبيعية للمجتمع البدائي المحدود الذي وجد في القرنين السابع والثامن الميلاديين، وإدخال التغيير والإصلاحات في ذلك المجتمع الغربي بتطبيق المبادئ الغربية ومعاييرها عليه، فريضة الساعة وواجب الوقت... هو نتيجة نظام التعليم الغربي والعقلية الغربية².

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 188.

² - المصدر السابق، ص: 188.

8- التعويد على الكسل و صرف الانظار عن تحريم الربا والخمر وغيرها:

وبنفس الطريقة فإن خلق التراخي وضيق الأفق في قواعد الفقه هو أيضا فتنة واسعة الانتشار، ويزعم الغرب ضرورة أن يتبعها المسلم، فيؤدي ذلك إلى السلام والراحة في حياته، وتحسين أخلاقه. الضيق العقلي في عصرنا الحديث ناتج عن الكسل وعدم الاهتمام بالأمور الدينية، وخاصة في شبابنا، وعدم ممارسته.

من الأمور التي ذكرها الشيخ الندوي رحمه الله من مخططات الغرب لهدم المجتمعات الإسلامية، اجتهاد الغرب بكل وسائله في تعويد الناس على الكسل في أمورهم الدينية وصرف أنظمتهم من تحريم الربا وشرب الخمر وغيرها من الأمور والانغماس في الشهوات الجنسية المحرمة، ونشر الرذيلة على أخص الأخلاق الراقية والتطور والرفي¹.

9- اعتقاد القومية:

خطوة أخرى من خطوات الغرب هي الترويج للقومية، وكان أكبر تأثير لها أن أوروبا كلها أصبحت معسكرا منافسا للشرق وأصبح متعجرفا لدرجة أن الدول الأخرى أصبحت محتقرة في نظرها، إن الحكومات حقهم وحياتهم وشأنهم وليس لأحد حق في الحكومات.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولا يكون رادع من خلق ولا وازع من دين، وتولى القيادة رجال لا يعرفون غير القومية والمجد القومي غاية مرمى، ومن مقومات هذه الحياة القومية التي لا تقوم بغيرها، الكراهة والخوف، وذلك هو الجزء السلبي في دين القومية، فإن الحماسة القومية لا تظهر ولا تبقى حتى يكون للشعب ما يكرهه ويخافه، فلا يزال القائدون يثيرون الكامن من عواطفه، ويذكرون الخامد من حميته ويضربون على الوتر الحساس وهو الكراهة والخوف، فلولاهما لانقشعت سحابة القومية وتراجع سيلها"².

في العصر الحديث يتمثل جهدهم الأكبر في ترسيخ هيمنتهم على العالم بأسره، لأن التحيز الطائفي والقومي يقنعهم بالقيام بذلك، مستوحى من الغرب، تبنت دول مختلفة هذه النقطة، في الهند على سبيل

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 188.

² - ماذا خسر العالم، ص: 179.

المثال تستمر المنظمات الهندوسية المتطرفة، التي تزرع باستمرار بذور الكراهية ضد المسلمين على المستوى الوطني، في الاعتقاد بأنه إذا سُحح للمسلمين بالبقاء أحراراً، فسيكون ذلك بالنسبة للهندوس خطيراً كبيراً.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولا تختلف شعوب أوروبا الحاضرة ودولها في هذه الديانة القومية إلا في الصراحة والنفاق، وأن بعضها تقول وتفعل، وبعضها تفعل ولا تقول، فإن بذرة القومية والوطنية إذا أُلقيت في أرض فإنها لا تلبث أن تنشأ وتمد عروقها في الأرض ثم تصير شجرة، فدوحة تظلل الأمة، ولا يمكن لشعب أن يؤمن بالقومية، ثم لا يعتدي ولا يتناول أو لا يريد أن يعتدي ويتناول ولا يمقت الآخرين، ولا يزدريهم، كما لا يمكن أن يسرف الإنسان في الخمر، ثم لا يسكر ولا يهذي"¹.

وبنفس الطريقة روج لهذا الشعار في نظر الغرب العرب الذين اضطروا إلى تكبد خسائر فادحة، الشيخ الندوي-رحمه الله- يقول ذلك أثناء مخاطبته العالم العربي: "اسمحو لي ولا تؤخذوني في عصر القوميات، وفي العصر الذي أصبح العرب حاشا المؤمنين منهم - فيه يتناسون محمداً - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به من النعمة، وأصبحوا يؤسسون حياتهم، وسياستهم على الوحدة العربية، والقومية، والوطن العربي، ألم يكن ضلالاً بعد هدى، ضلالاً في العقيدة، والعمل، والأخلاق، والإجماع، وفوضى فكرية هائلة، وتفسخٌ خلقي واجتماعي لا يقلُّ - في العواصم العربية الكبرى - عن التفسخ الخلقي والاجتماعي في الجاهلية الأولى، وقد يفوقه بالتنظيم والإنتشار، وبأنه قد صار فناً، وصناعةً، وتجارة"².

10 - الإيمان بأهمية الخط اللاتيني وفوائده:

حاول الغرب كثيراً إحلال الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية من طريق إحياء التعصب اللساني بين القبائل التي تتكلم بلغات مختلفة في البلد الواحد، واستُخدم المستشرقون الذين نشروها من خلال أدبهم، فكانت النتيجة إزالة الأمة المسلمة من اللغة العربية، وإبعاد الناس من لغة القرآن والحديث.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "إذا هم يدعون الناس إلى إحياء الحضارات العتيقة الغارقة في التاريخ القديم، وإحياء اللغات البالية التي فقدت كل صلاحيتها للبقاء، ودفنت تحت أنقاض الماضي السحيق منذ آلاف السنين، ولم يكن الغرض يمثل هذه البرامج إلا أن يضطر حبل المجتمع الإسلامي وتتمزق وحدة الإسلام، وتواجه الحضارة الإسلامية واللغة العربية ضرراً، وتناول الجاهلية القديمة حياة من جديد،

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 178.

² - محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، ص: 737.

وقد نجحت كتاباتهم وجهودهم في إنشاء طائفة من تلاميذهم الذين قاموا بحركة إحياء الحضارة الفرعونية ولغتها في مصر، والحضارة الآشورية في العراق، والبربرية في أفريقيا الشمالية والفينيقية في سواحل فلسطين ولبنان، ووجد لها دعاة وأتباع¹.

الهدف الثاني للفتنة اللغوية هو أنه عندما ينقسم العالم لغويًا ويتعد المسلمون عن تراثهم الديني، فإنهم سيفرضون عليهم النص اللاتيني، وهو ما سيقبلونه بكل سرور، وفعلاً نجحوا في العديد من البلدان الإسلامية في سعيهم.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "كما أنهم دعوا إلى إتخاذ الحروف اللاتينية مكان الحروف العربية، وأثبت تلاميذهم ضرورته من حين لآخر، وجهرها بذكر فوائده وفضله، والمعلوم أن ذلك لا ينتج إلا حرمان الأمة العربية وجهلها بقراءة القرآن على وجه صحيح، وفقدان التراث العلمي- الذي لا يوجد له نظير في سعة- قيمته وأهميته، ولكي نعرف المكانة التي ينالونها في الشرق يجب أن نعلم أن المجامع العلمية الثلاثة في الشرق الأوسط أعني المجمع اللغوي في مصر، والمجمع العلمي العربي في دمشق، والمجمع اللغوي العراقي في بغداد لكل واحد منها عدد وجيه من الأعضاء المستشرقين الذين يستفاد من آرائهم ودراساتهم، ومما يدل على ضعف العالم الإسلامي والعربي وفقر وسائلها العلمية أن هذين العالمين كليهما يعتمدان على مؤلفات المستشرقين في المواضيع الإسلامية الخالصة منذ زمن بعيد"².

في العصر الحديث، هذه هي بعض أسلحة الغرب، وبمساعدها يوقع الفساد في الدول الشرقية وابتعادها عن الدين، لكن وفقاً لوجهة نظر الشيخ الندوي-رحمه الله-، يمكن للمسلم أن ينقذ نفسه إذا أراد أن ينقذ نفسه من أعمال الفساد وكيفية ذلك نسطرها فيما يلي:

مسؤولية الداعية إلى الله في العصر الحاضر:

هناك مشاكل في الوقت الحاضر ترد على الأمة من بلاد مختلفة، باسم الحضارة الغربية والتمدن الغربي والتطور والرقى؛ لهذا السبب من الضروري حلها في الوقت المناسب، وقد ذكر الشيخ الندوي-رحمه الله- ثلاثة مواقف تجاه الحضارة الغربية، 1- نصره الغرب وقبول ثقافته. 2- معارضوا الحضارة الغربية

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 201.

² - المصدر السابق، ص: 206.

ورافضوا قبولها. 3- أخذ ما يلزم من أشياء الضرورية والإختراعات الغربية النافعة وترك الباقي. والشيخ الندوي-رحمه الله- من انصار الموقف الثالث على أساس "خذ ما صفا ودع ما كدر."

بهذا يمكن للداعية أن يتجنب الأضرار الناجمة من مخططاتهم، وفيما يلي نذكر بعض الأمور التي يمكن للداعية أن يعالج بها تلك الأضرار:

1 - إظهار القدوة الحسنة في الدعوة، ولا سيما في المجتمعات التي يخالط فيها المسلمون والدعاة وغيرهم من الأجناس الأخرى، فالخلق الحسن سبب عظيم في هداية الآخرين، وعامل مهم في الرد على المتربصين بالدعوة ودين الإسلام، فالصدق والصبر، من أهم خصال المسلم والداعية التي لا يمكن لها أن تفارقه على الإطلاق.

2 - ولا ينبغي أن يتجاهل الداعي دور الوسائل الدعوية، التي يمكن استخدامها في إيصال الفضيحة والبر والخير إلى المدعويين، وكذلك العمل على استغلال وسائل الاعلام، لا سيما تلك الوسائل الاعلامية الحديثة، التي لم يعد دورها وتأثيرها وسعة انتشارها خافياً على أحد، فهي تصل إلى أكبر عدد من المشاهدين والمتابعين والمستمعين والقراء بأقل تكلفة وبأسرع وقت.

3 - العمل على تبليغ الدين وبيان مصدريه الوحي (القرآن والسنة)، ومحاولة إيصال هديهما ومثلهما وقيمهما العليا لجميع البشر، على إختلاف أجناسهم، وألسنتهم، ومعتقداتهم.

4- مواصلة العلم الجاد المحكم لإحياء القيم الإسلامية، وتثبيتها في النفوس مع الإستعانة بكل الوسائل المتاحة لذلك في هذا العصر، وما أكثرها من وسائل.

5- التصدي للهجوم على الإسلام بكل وضوح وصراحة، وهي حرب وضعت أوزارها منذ ظهر هذا الدين ، غير أن ضراوتها في القرن المنصرم، فتفاقت مآسيها، وأصبحت تُستخدم فيها أخبث الوسائل وأشدّها خداعاً ومكرًا، وأخطرها وأفضعها تدميرًا وفتكًا.

6- ومن مسؤوليتنا أيضًا قراءة وفهم علوم الغرب ثم الرد على الغرب بصوت الغرب، على الرغم من أن هذه المشكلة صعبة للغاية، إلا أن كلياتنا وجامعاتنا تمثل أصولًا قيّمة للغاية بالنسبة لها، يجب تحسين جودة الفكر الإسلامي والغذاء الروحي في هذه المجتمعات والكليات حتى يسهل تحضير عاصمة الإسلام.

7- في نظرنا القوة الحاسمة في العالم البشري هي قوة الأفكار والمفاهيم، وما سيعيد الإسلام إلى مكانته الأصلية في العصر الحديث، هو صحة الأفكار والمفاهيم الإسلامية والأهمية الكبرى للثقافة الإسلامية

فلسفة الحياة الإسلامية من كل الأفكار والمفاهيم الأخرى، معقولة وأفضل. الشرط هو تقديم الأفكار والمفاهيم الإسلامية بمنطق يمكن أن يفهمه الناس اليوم، إلى جانب النقد العميق للأفكار والمفاهيم الخاطئة.

8- أولئك الذين يفكرون بطريقة الشيخ الندوي رحمه الله، يجب أن يأخذوا بعين الاعتبار الحقيقة التاريخية المذكورة أعلاه وأن يفهموا جيداً أن نوع السلطة التي يحتاجون إليها مقارنة بالنظام الذي طغى عليه الزمن، هو تأثير الفكر الصالح في أذهان الناس والأفراد، لا تتحقق إلا نتيجة لتأثيرها العميق على شخصيتهم الفردية والجماعية. الطبيعة البشرية تمتح حكم الاستبداد، لكنها تتطلب أيديولوجية صالحة وقناعة عميقة لتعبئة قواها الهائلة في جهد منظم ضد الاستبداد.

9- يجب تصحيح ما يزعمه أصحاب الإعلام وعامة المثقفين بأن سبيل الرقي والتطور هي ما يقوم به الغرب والحركات اللادينية من ابعاد الناس عن الروحانيات والأخلاق والدين تأثيراً بما يقوم به الغرب، ودوائره من سفارات ودعاة في بلاد المسلمين، وبيان أن الماديات بدون الأخلاقيات يوقع الإنسان في المهالك والردى، وإحياء هذه المبادئ القيمة في الإسلام، ليست فريضة شخص أو مؤسسة، بل هي فريضة كل المسلمين.

10- في المرحلة التي تمر بها الحركة الإسلامية اليوم، لا يمكن كسب هذه المعركة بالقوة المادية فقط، قوتنا الحقيقية هي فلسفتنا الصالحة للحياة، والتفسير الصحيح والفعال لها والفهم الذي يفهم تماماً عقل ومزاج الحاضر مثل هذا التفسير والفهم المدعوم بالطابع الإسلامي الرفيع للداعي، يمكن أن تغير قلوب وعقول الناس من خلال الاستقلال عن الحدود الجغرافية والوطنية والعرقية.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله - : "وحل هذه المشكلة- مهما تعتقد وطال واحتاج إلى الصبر والمثابرة- ليس إلا أن يصاغ هذا النظام التعليمي صوغاً جديداً ويلائم بعقائد الأمة المسلمة ومقوماتها حياتها وأهدافها وحاجاتها، ويخرج من جميع مواده روح المادية والتمرد على الله، والثورة على القيم الخلقية والروحية وتعبد الجسم والمادة، وينفخ فيه روح التقوى والإنابة إلى الله، وتقدير الآخرة، والعطف على الإنسانية كلها، فمن اللغة والأدب إلى الفلسفة وعلم النفس، ومن العلوم العمرانية إلى علوم الاقتصاد والسياسة لاتسيطر إلا روح واحدة، يقصى استيلاء الغرب العقلي ويكفر بإمامته وسيادته، وتجعل علومه ونظرياته موضوع الفحص والدراسة الجريئة، ويوضح ماذا جنى نفوذ الغرب وسيطرته على الإنسانية والمدنية،

وتدرس علومه وحرية وتعتبر كمواد خامة (Raw material) نصنع منه ما يوافق حاجاتنا ورغباتنا، وعقيدتنا وثقافتنا"¹.

يمكن أن يكون هذا العمل وسيلة لتصحيح وتوحيد صفوفنا وتشتيت القوى المعارضة ونقل الرجال من قيادتهم إلى قيادتنا. يجب أن نركز على ذلك.

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 190-191.

المبحث الثاني: الإلحاد والزندقة

التمهيد:

يعتبر في جميع ديانات العالم التعريف بالله وإقراره، وعلاقة الإنسان به وخصائص الشخص الذي تربطه بهذه العلاقة أموراً أساسية، باختصار الدين هو شكل من أشكال الاعتراف بالله وعبادته، اليوم هو عصر العدوان الفكري على الدين والابتعاد عنه، ولكن حتى لو تم إنكار تعريف الله وتصور الله المستمد من الدين، فإن وجود "الله" في العلوم العقلانية والفلسفية موجود بشكل منطقي، من أجل حل مشكلة الفهم الديني لله وعلاقته به، قدمت الحداثة في شكلها الأول مفهوم "الإله المجهول" الذي لم يكن أكثر من مفهوم وهمي، أعطى التفكير المادي الإنسان الأخبار السارة بأنه كان حراً في ربط نفسه بهذا الافتراض عن "الله".

رفض الماديون المفهوم الديني عن الله بشكل صريح، لكنهم حافظوا على أسطورة التقوى والليبرالية من خلال تقديم مفهوم وهمي وعصامي عن "الله"، وبالتالي تحديث طريقة الإنسان للانفصال عن الدين، بمرور الوقت، جعلت التنمية الصناعية، والثقافة الصناعية، والتعليم الحديث، وانتشار العلم والتكنولوجيا، والأنظمة السياسية والاقتصادية الحديثة مسألة الله أمراً استثنائياً تماماً.

في العالم الحديث، أصبحت المكانة الدينية مثل تلك التي يتمتع بها الأمريكيون الأصليون الذين لديهم عقل وثقافة متخلفان.

في عالم اليوم أصبح الإلحاد مترسحاً في داخل الكثير من الأفراد، وأصبح الزندقة شكلاً رئيسياً وحركة لها إستراتيجية عدوانية ضد المعتقدات الدينية والمواقف غير الدينية.

لم يعد الإلحاد والزندقة قضية علمية أو فكرية، بل أصبحت وضعاً اجتماعياً وثقافياً اتخذ شكل حركة في بعض الأماكن، وهو يعمل وراءه القوى الرئيسية للسلطة السياسية ورأس المال.

أخذ الشيخ الندوي -رحمه الله- هذه القضية على محمل الجد، وباعتباره داعياً للإسلام في كتاباته وخطبه، وفي كتابه الشهير "ردّة ولا أبا بكر لها" أوضح هذه الفتنة بوضوح شديد وقدم حلاً لها. تحدث الشيخ الندوي -رحمه الله- ضد فتنة الردة على كل الجبهات تقريباً (تستخدم مفهوماً للإلحاد والزندقة) ووصفها بأنها تسلسل للحضارة المادية الغربية.

مفهوم الإلحاد والزندقة:

الإلحاد: مشتق من اللحد، ومادة "ل، ح، د"، تستعمل لمعنيين: الأول "اللحد" بمعنى القبر، كما ذكر صاحب "لسان العرب": "اللَّحْدُ واللُّحْدُ: الشق الذي يكون في جانب القبر موضع الميت"¹، والمعنى الثاني: الإرتداد والانحراف، كما ذكر صاحب "معجم اللغة العربية المعاصرة": "ألحد الشخص عن الدين"²، وأيضاً في قوله تعالى: (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا)³، أي "يقال ألحد الحافر ولحد إذا مال عن الاستقامة فحفر في شق، فالملحد هو المنحرف، ثم بحكم العرف اختص بالمنحرف عن الحق إلى الباطل"⁴.

والمراد هنا المعنى الثاني، أي: الرجل الذي ينحرف عن الدين.

وفي الإصطلاح: "إنكار لفاطر الكون العليم الخبير الذي قدر فهدى، وإنكار للمعاد وحشر الأجساد ووجود الجنة والنار والثواب والعقاب، وإنكار النبوات والرسالات وإنكار الشرائع السماوية والحدود الشرعية وإنكار الرسول الأعظم هو الذي فرض الله طاعته على جميع الخلق وحصر الهداية والسعادة في اتباعه"⁵، فكان كل من ينكر دينه يستهدف لسخط المسلمين الشديد وينفصل عن المجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه بطبيعة الحال وتنقطع بمجرد ارتداده بينه وبين ذوي قرابته ومجتمعه، هي اللادينية والإلحاد تلت غزو أوروبا للشرق الإسلامي، الغزو السياسي والثقافي، وهي أعظم ردة ظهرت في عالم الإسلام وفي تاريخ الإسلام، منذ عهد الرسول ﷺ إلى يوم الناس هذا.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: "إنهم (الأوروبي) بدأوا وساروا من نقطة الإلحاد والمادية، نظروا في الكون على أنه ليس له إله"⁶.

¹ - لسان العرب، 3/388.

² - معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/1996.

³ - سورة فصلت، الآية: 40.

⁴ - التفسير ابن كثير، 27/568.

⁵ - رَدَّةُ وَلَا أَبَا بَكْرٍ لَهَا للعلامة الندوي، ص: 7، مكتبة السداوي للنشر والتوزيع - القاهرة، المكتبة المكية، حي الهجرة

- مكة المكرمة، ط: 2، 1413 هـ - 1992 م، مطبعة المدني - المؤسسة السعودية بمصر.

⁶ - ماذا خسر العالم، ص: 199.

الزندقة!

الزندقة لغةً:

قال الخليل: الزنديق ألا يؤمن بالآخرة وبالربوبية¹

وقال الجوهري: الزنديق من الثنوية، وهو معرب، والجمع الزنادقة، والهاء عوض من الياء المحذوفة، وأصله الزناديق، وقد تزندق والاسم الزندقة².

وفي لسان العرب: الزنديق القائل ببقاء الدهر، فارسي معرب، وهو بالفارسية زند كراي، يقول بدوام بقاء الدهر، والزندقة الضيق وقيل الزنديق منه لأنه ضيق على نفسه³.

فلفظ الزندقة إذاً فارسي معرب، وهو يعني إنكار الربوبية، والقول ببقاء الدهر.

الزندقة اصطلاحاً:

لفظ الزندقة لا يوجد في القرآن، كما لا يوجد في كلام النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو لفظ أعجمي معرب أخذ من كلام الفرس بعد ظهور الإسلام، وعرب، وقد تكلم به السلف والأئمة في توبة الزنديق ونحو ذلك، وعرفوا الزنديق بأنه الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر⁴.

بداية الإلحاد والزندقة وتطورها:

لقد لحق الضرر الأكبر بالدول الإسلامية والإسلام، والناس هنا محاصرون في هذه الفتنة (الإلحاد والزندقة) لدرجة أنهم لم يعودوا يفهمون ماهية الإسلام الحقيقي وما هو الإلحاد، وهذا يعني أن الحضارة الغربية استخدمت تكتيكين لكسب وإخضاع العالم، أحدهما مكسب مادي مهما كانت الوسائل، والآخر

¹ - كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، 255/5، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

² - مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، 138/1، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط: الخامسة، 1420هـ / 1999م.

³ - لسان العرب، 147/10.

⁴ - الرد على الجهمية والزندقة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، 58/1، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط: الأولى.

هو الحرب الأيديولوجية التي تسمى الإلحاد، لا يعرفون حتى دينهم الحقيقي (الإسلام)، هذه الحضارة خلقت مجتمعاً من المستشرقين واستخدمته.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فقد حدث الإلحاد وظهرت الزندقة بتأثير الفلسفة اليونانية في العهد القديم فوجد من يحاربها بعقله الكبير وذكائه النادر وعلمه الغزير ودراسته الواسعة وشخصيته القوية، وظهرت الباطنية والملاحدة فوجد من يحاربها بالعلم والحكمة والبرهان وبقي الإسلام محتفظاً بنفوذه العقلي ومكانته العلمية ترتد عنه كل موجة عاتية، وينحسر عن طوده كل فيضان وكل سيل جارف"¹.

واليوم انتشرت فلسفة الغرب هذه في جميع أنحاء العالم، خاصة أنها أثرت بشكل كبير على المسلمين الذين يعيشون في الشرق، وكان الهدف الأكبر لهذه الحضارة الغربية التي نشأت من أوروبا هو المسلمون الذين نشروها تدريجياً.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله: "حملت أوروبا إلى الشرق الفلسفات التي قامت على إنكار أسس الدين وإنكار القوة المصرفة لهذا العالم، القوة الواعية التي أخرجت هذا العالم من العدم إلى الوجود ويدها زمام الكون (الإله، الخلق والأمر) وعلى إنكار عالم الغيب والوحي والنبوت، وإنكار الشرائع السماوية، وإنكار القيم الروحية والخلقية، منها ما تبحث في علم الحياة والنشوة والارتقاء، ومنها ما تتصل بالأخلاق، ومنها ما تدور حول علم النفس، ومنها ما موضوعها الاقتصاد والسياسة، ومهما اختلفت هذه الفلسفات في ألوانها وأهدافها وأسسها، فإنها جميعاً تلتقي على النظرية المادية المحضة إلى الإنسان وإلى الكون والتعليل المادي لظواهرهما وأفعالهما"².

وأيضاً قال في مقام آخر: "هذه ديانة الطبقة المثقفة الممتازة التي تملك زمام الحياة في أكثر البلدان الإسلامية، وإن لم تكن كلها طبقة واحدة في الإيمان بها والتحمس لها، وفيها ولا شك مؤمنون بالله متدينون بالإسلام، ولكن سمة هذه الطبقة التي تغلب عليها وفلسفة الحياة الغربية التي قامت على الإلحاد"³.

وقال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "إن هناك حلاً واحداً فقط للتخلص منهم وهو الشجاعة والعزم، "إنها قضية لا تطلب حرباً ولا تطلب تهيج الرأي العام، ولا تطلب ثورة، ولا تطلب عنفاً، بل إن العنف يضربها

¹ - إلى الإسلام من جديد، ص: 184.

² - رَدَّةٌ وَلَا أَبَا بَكْرَ لَهَا، ص: 6.

³ - رَدَّةٌ وَلَا أَبَا بَكْرَ لَهَا، ص: 8.

ويهيجهما، والإسلام لا يعرف محاكم التفتيش ولا يعرف الاضطهاد، إنما تطلب عزما وتطلب حكمة وتطلب صبرا واحتمالا وتطلب دراسة"¹.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله - : "وأكثر الذين هجروا الدين بصورة عامة، هجروه على أساس التناقض الذي حسبه حقيقة بديهيّة مسلمة، وثار البلاط الذي كان يتزعم الحكم الديني على الكنيسة التي كانت تمثل الدين، وتجرد عن سائر قيوده، فصارت الحكومات - بطبيعة المنطق - كفيل هائج مائج، تخلص من سلسله وقيوده، أو كجمل هائم، حبله على غاربه، هذا الانفصال النكد بين الدين والدنيا، وذلك العداء المشؤوم بين «رجال الدين ورجال الدنيا» فتح الباب على مصراعيه للإلحاد واللا دينية، وكانت فريسته الغرب أولا، والأمم التي دانت له في الفكر والعلم والثقافة، أو عاشت تحت رايته ثانيا"².

قال الشيخ الندوي - رحمه الله - : "التجأت الحكومات الاسلامية لتحقيق مشاريعها العمرانية كما تقول، أو لقضاء مآرب رجالها كما يقول الناس، الى الاستدانة من الدول الأجنبية، فخفت لذلك ورحبت به ورصدت لها بعض المال بشروط تجارية وامتيازات سياسية، وأقبلت البلاد الاسلامية تحلب ضروعها وتستخرج الذهب الوهاج، وماء حياة الصناعة والتجارة (البترول) من بطونها، وיתהافت الفقراء الذين أجهدهم الضرائب وتكاليف الحياة على أجورها وخدمتها تحافت الفراش على الضوء، والجياع على المائدة، وهكذا تصبح بلاد الاسلام بين أخطار من الإلحاد والاحتلال الأجنبي"³.

أسباب الإلحاد والزندقة:

هناك أسباب عديدة لانتشار الإلحاد والبدعة في الغرب ثم في الشرق، سيتم شرح الأسباب الشائعة أدناه:

1- الفكر الجديد أو ما يسمى بالتنوير

لهذا الفكر الحديث، تخلت الدول الأوروبية أولاً عن الكنيسة، ونأت بنفسها عن الدين، ثم لجأت إلى التحريفات والانتماءات في الكتب المقدسة في عصرها، وتبنت إيديولوجياتها ومعتقداتها التاريخية والجغرافية والمادية، ولهذا السبب غلب العقل على الدين وحل محله الإلحاد والزندقة، وبدأ هذا الصراع بين الدين والكنيسة في القرن الحادي عشر الميلادي، عندما كان الإمبراطور هنري الرابع في السلطة.

¹ - رَدَّةُ وَلَا أَبَا بَكْرَ لَهَا، ص: 9.

² - السيرة النبوية للعلامة الندوي، ص: 636.

³ - إلى الإسلام من جديد، ص: 152.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وبدأ النزاع والمنافسة بين البابوية والإمبراطورية في القرن الحادي عشر، فاشتدت بعنف وحمي وطيسها"¹.

وايضاً قال: "هنالك ثار المجددون المتنورون وعيل صبرهم، وأصبحوا حرباً لرجال الدين وممثلي الكنيسة والمحافظين على القديم، ومقتوا كل ما يتصل بهم ويعزى إليهم من عقيدة وثقافة وعلم وأخلاق وآداب، وعادوا الدين المسيحي أولاً والدين المطلق ثانياً، واستحالت الحروب بين زعماء العلم والعقلية، وزعماء الدين المسيحي، - وبلغت أصح الديانة والبوليسية - حرباً بين العلم والدين مطلقاً، وقرر الثائرون أن العلم والدين ضربتان لا تتصالحان، وأن العقل والنظام الديني ضدان لا يجتمعان، فمن استقبل أحدهما استدبر الآخر، ومن آمن بالأول كفر بالثاني، وإذا ذكروا الدين، ذكروا تلك الدماء الزكية التي أريقَت في سبيل العلم والتحقيق، وتلك النفوس البريئة التي ذهبت ضحية لقسوة القساوسة ووساوسهم، وتمثل لأعينهم وجوه كالحة عابسة، وجباه مقطبة، وعيون ترمي بالشر، وصدور ضيقة حرجة، وعقول سخيفة بليدة، فاشمأزت قلوبهم وآلوا على أنفسهم كراهة هؤلاء وكل ما يمثلونه، وتواصوا به وجعلوه كلمة باقية في أعقابهم"².

2 - التطور والتوسع الشديد في افكار الفلسفة والعلوم:

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 155.

² - المصدر السابق، ص: 158.

كان أحد أسباب ظهور الإلحاد هو أنهم طوروا كثيرًا في العلوم والفلسفة لدرجة أنه بدأ الغرب يعتبر كل شيء على أنه كمال يده، وتشمل هذه نظرية التطور⁽¹⁾ لداروين⁽²⁾، ونظرية فرويد للجنس⁽³⁾، ونظريات⁽⁴⁾ ماركس⁽⁵⁾ وإنجلز⁽⁶⁾ الرأس المالية، ونظريات دوركايم⁽⁷⁾ الاجتماعية⁽¹⁾.

¹ - نظرية التطور التي توصل إليها وأطلقها العالم تشارلز داروين عام 1859، بأن جميع الكائنات الحية منذ بدء الخليقة حتى الآن تتشارك أسلافًا مشتركة، وأن القرد هو السلف للبشر، مع غياب الحلقة التي تثبت هذا التطور. (<https://www.aljazeera.net/blogs/2019/8/18>)

² - تشارلز روبرت داروين، هو عالم طبيعه انجليزي مشهور بانه صاحب نظرية التطور، تشارلز داروين اتولد يوم 12 فبراير سنة 1809 في إنجلترا، وقد مات يوم 19 ابريل سنة 1882ء. (<https://arz.wikipedia.org/wiki/>)

³ - قيل في مفهوم هذه النظرية "فرويد": سيكون الدين عبارة عن ظاهرة نفسية أنتجها الإنسان من خلال عمليات لا شعورية، (النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، حسن بن محمد حسن الأسمرى، 223/1، أصل الكتاب: رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1433 هـ - 2012 م).

⁴ - إن نظرية المادية التاريخية الماركسية ترى أن المجتمع البشري في كل زمان، تحدده الظروف المادية — وبعبارة أخرى، فإن علاقات الناس مع بعضها البعض من أجل تلبية احتياجاتهم واحتياجات أسرهم الأساسية مثل الغذاء والكساء والمسكن عموماً، ادعى ماركس وإنجلز تشخيص ست مراحل متتالية من التطور في هذه الظروف المادية في أوروبا الغربية والتطور التاريخي الصحيح من وجهة نظر ماركس وإنجلز هو اختفاء الرأسمالية التجارية وكل المؤسسات التي تعيش في الشقوق، ليتبلور المجتمع في عمال ورأسماليين، أي إلى أشخاص مرتبطين بالعملية الإنتاجية ولا يخشون المخاطرة بالاستثمار فيها، (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، 296/6).

⁵ - كارل هاينريش ماركس (اتولد 5 مايو، 1818 - مات 14 مارس، 1883) كان فيلسوف و عالم اقتصاد سياسى ألماني ومؤرخ و منظر سياسى صاحب النظرية الماركسية و بيتنسب ليه تأسيس " الاشتراكية العلمية " ، ماركس الف كتاب راس المال هو و زميله فريدريك إنجلز كارل ماركس لخص رؤيته في الصفحات الأولى من البيان الشيوعي (مانيفيستو الحزب الشيوعي) نشره مع فريدريك إنجلز سنة 1848.

ماركس كان على علم بالفلسفه الألمانية و خاصة فلسفه هيغل و النظريات الاقتصادية اياميه فاستطاع ان يمزج بين الاثنين ويطلع منهم نظريه عن تطور النظم الاجتماعيه على اساس الاشتراكية العلميه.

(<https://arz.wikipedia.org/wiki/>)

⁶ - فريدريك إنجلز (1820-1895م)، كان فيلسوف و عالم اقتصاد سياسى ألماني شارك في تأسيس النظرية الماركسية مع صاحبه و رفيق كفاحه كارل ماركس. (<https://arz.wikipedia.org/wiki/1895>).

⁷ - دافيد إميل دوركايم بالفرنسية، (15 أبريل 1858 - 15 نوفمبر 1917) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي. أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا. أبرز آثاره «في تقسيم العمل الاجتماعي» (عام 1893)، و «قواعد المنهج السوسيولوجي» (عام 1895). أسس رسميًا الانضباط

قال الشيخ الندوي - رحمه الله -: " وهكذا انتشر الاتحاد والارتداد في الأوساط الاسلامية من غير أن ينتبه له الآباء والأساتذة المربون وأهل الغيرة لأن أهلها لم يقوموا في كنيسة، ولم يدخلوا في معبد ولم يسجدوا لصنم ويذبحوا لطاغوت، وكان ذلك دليل الارتداد والكفر والزندقة في العهد القديم.

وكان المارقون القدماء يخرجون من المجتمع الاسلامي وينضمون الى مجتمع الديانة التي يدينون بها جديدا، ويعلنون عقيدتهم وتحولهم بصراحة وشجاعة، ويحتملون كل ما يخسرونه في سبيل عقيدتهم الجديدة، ولا يلحون على البقاء في المجتمع القديم ليحافظوا على ما كانوا يتمتعون به من حقوق وحظوظ.

أما الذي يقطع صلته عن دين الاسلام اليوم فلا يريد أن يقطع صلته عن المجتمع الاسلامي، مع أن المجتمع الاسلامي هو المجتمع البشري الوحيد الذي يقوم على العقيدة ولا يتحقق هذا المجتمع من غير عقيدة، ويلحون على أن يعيشوا في مراكزهم متمتعين بثقة هذا المجتمع، متمتعين بالحقوق التي يخولها الاسلام، ان هذا وضع شاذ لم يعرفه التاريخ الاسلامي².

3- ردة جديدة⁽³⁾

كان الموقف العقلاني أن الإنسان سوف يلجأ إلى الله ويخضع للإرشاد الإلهي، لكن العالم الغربي، من ناحية جاهل إلى حد كبير بالدين الحقيقي، ومن ناحية أخرى لا يريد التخلي عن الانحراف الأخلاقي، فبدلاً من الرجوع إلى الله، جاء رد فعل جديد في شكل ما بعد الحداثة، في الواقع، لم يطور الإنسان الغربي بعد الوعي والحس الأخلاقي ليتمكن من الرد بطريقة متوازنة.

الأكاديمي لعلم الاجتماع - مع دو بويز وكارل ماركس وماكس فيبر. يُستشهد به عادة باعتباره المؤسس الرئيسي للعلوم الاجتماعية الحديثة. (<https://ar.wikipedia.org/wiki>)

1- تسخير "دوركايم" لوضع أفكار في علم الاجتماع تلغي صلة الدين بعالم الغيب، أو بقوى وراء المادة وطبيعتها، وتجعله ظاهرة اجتماعية، وأثراً من آثار ظروف اجتماعية عاشها الإنسان، وتثبت أن الدين من مفرزات العقل الجمعي في المجتمعات البشرية، (كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ)، ص: 107، دار القلم، دمشق، ط: الثانية، 1412 هـ - 1991 م).

2- إلى الإسلام من جديد، ص: 169.

3- إن الحماسة التي أصر بها العلماء الجدد على أفكارهم الخاصة والاستخدام الدؤوب للقوة والحكومة لفرضها خلق نفس ظروف الاستبداد الفكري كما هو الحال في أوروبا في العصور الوسطى، كانت النتيجة الحتمية لهذا الطغيان رد فعل قوي، و رد الفعل هذا يسمى ردة جديدة.

ليست ما بعد الحداثة اسمًا لفلسفة أو طريقة تفكير ثابتة ومتماسكة، بل هي اسم "إنكار كل الأفكار"، لقد أصيب رجل الغرب بخيبة أمل بسبب الفشل في العثور على الحقيقة، لذلك أعلن أنه لا يوجد شيء اسمه "الحقيقة"، لا توجد حقيقة كارثية في العالم، لا يمكننا معرفة الحقيقة، والعدالة، والحقيقة، والواقع بمعرفتنا، وكلها إضافية.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ولكن جرب العالم الإسلامي في العهد الأخير ردة اكتسحت عالم الإسلام من أقصاه إلى أقصاه ونبذت جميع حركات الردة التي سبقتها في العنف وفي العموم، وفي العمق، وفي القوة، ولم يخل منها قطر، وقلما خلت منها أسرة من أسر المسلمين، هي ردة تلت غزو أوروبا للشرق الإسلامي، الغزو السياسي والثقافي، وهي أعظم ردة ظهرت في عالم الإسلام وفي تاريخ الإسلام، منذ عهد ﷺ إلى يوم الناس هذا"¹.

والفرق بين الجديدة وردّة الجديدة (ما بعد الجديدة) هذا بالاختصار: إن العلماء الجدد يعتقدون أن النموذج المعتمد في أوروبا، القائم على الديمقراطية والحرية والمساواة، والاقتصاد الرأسمالي (أو الشيوعية في نظر الشيوعيين)، والتقدم التكنولوجي، وما إلى ذلك، هو حقيقة عالمية ويجب على العالم كله التخلي عن تقاليدها وقبول هذه الحقائق العالمية، هكذا بدأ مشروع تحديث العالم كله في القرن العشرين. لقد طُلب من المجتمعات التقليدية إنشاء الصناعات وبناء المدن وفرض قيم الحرية واعتماد أسلوب ديمقراطي للحكم واعتماد التكنولوجيا الحديثة وتصبح حديثة جدًا لدرجة أن هذا هو السبيل الوحيد للازدهار والتنمية.

و يذهب علماء الردة الجدد إلى التطرف وينكرون وجود الحقيقة العالمية بالنسبة لهم، سواء كانت حقيقة أم قيمة أخلاقية، شعورًا بالجمال أم ذوقًا، فإنهم جميعًا أمور إضافية.

أهم مخططات الإلحاد والزندقة المعاصرة:

1- إنكار الرسالات والوحي والمعاد

الإلحاد يعني الانحراف والإنكار، لذلك عندما انتقلت هذه الفلسفة من أوروبا إلى الشرق، كانت أول من أنكر الدين، وهذا يشمل إنكار رسالات الأنبياء والوحي والآخرة، وجعل الحياة هدفًا أصليًا كما يشتهي.

¹ - ردة ولأبأ بكر لها، ص: 5.

2- إنكار القيم الروحية والخلقية

والخطوة الثانية كانت إغراء الناس بالشهوات ونسيان القيم لنسيان القيم الروحية والأخلاقية وتعزيز القيم غير الطبيعية وغير الأخلاقية.

3- هيمنة الحضارة المادية الغربية على المجتمع الإسلامي

خطوة مهمة في هذه الفتنة الدجالية هي أنها حاولت إقناع العالم بحكم الحضارة الغربية في جميع ميادينها، سواء سياسياً، دينياً أو إقتصادياً.

4- كراهية الإسلام والتفرقة بين المسلمين

من خطوات الإلحاد تقسيم المسلمين بشتى الفرق وإذلالهم في نظر الأمم الأخرى.

5- الفساد الأخلاقي في الفرد والمجتمع

يسعى الإلحاد إلى تقويض القيم الإسلامية، على المستوى الفردي أولاً ثم على المستوى الجماعي، من أجل إضعاف المجتمع الإسلامي.

6- نشر الفلسفة الجديدة⁽¹⁾ في المؤسسات التعليمية والإبتعاد عن الفلسفة التعليمية الإسلامية

كانت الخطوة الأخيرة والأولى التي اتخذها الإلحاد هي تضمين المواد الغربية في مؤسساتنا التعليمية في منهج يهدف إلى جذب جيل جديد من المسلمين إلى الغرب وعزلهم عن الإسلام، أثبتت خطوة الإلحاد هذه أنها جيدة جداً بالنسبة له، وقد أوصلت الأمة الإسلامية إلى حافة الدمار.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "غزت هذه الفلسفات المجتمع الشرقي الإسلامي وتغلغلت في أحشائه وكانت أعظمها انتشاراً وأعمقها جذوراً وأقواها سيطرة على العقول والقلوب، وأقبل عليها زهرة البلاد الإسلامية وزبدتها عقلاً وثقافة، وساغتها وهضمتها ودانت بها كما يدين، المسلم بالإسلام والمسيحي بالمسيحية بكل معنى الكلمة، فهي تستमित في سبيلها وتقدس شعارها وتجل قاداتها ودعاتها وتدعو إليها

¹ - إن الدعوة الرئيسة لحركة العصرية هي المناداة بضرورة إعادة تفسير مفاهيم النصرانية التقليدية في ضوء ما يسمى معارف العصر. ويقول العصريون أن عقائد المسيحية الحالية قد نصت ضمن الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، ولا يمكن فهمها إلا في حدود تلك الفلسفة، وقد أخذوا هم على عاتقهم أن يعيدوا تفسيرها على ضوء الفلسفة الجديدة. (مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد خير، 112/1، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، ط:1، 1433 هـ - 2012 م).

في أدبها ومؤلفاتها، وتحتقر كل ما يعارضها من الأديان والنظم والعقليات وتؤاخي كل من يدين بها، فأفرادها أمة واحدة وأسرة واحدة ومعسكر واحد¹.

العمل الرائع الجديد للشيخ الندوي-رحمه الله- في العصر الحديث:

الشيخ الندوي-رحمه الله- بصفته داعية سلط الضوء على جميع جوانب الإسلام، وهناك منع الشيخ الفكر الإلحادي من دخول الأدب العربي، خاصة أن عمل الشيخ هذا أثبت أنه مفيد للغاية في إنقاذ الجيل الجديد من إغراء الإلحاد، لأن الحركة الإلحادية حاولت أيضاً أن تُدرج في الأدب العربي مادة كانت تقود جيلنا الجديد إلى الدمار والفجور، أدرك الشيخ هذا الخطر في الوقت المناسب ثم كتب كتاباً (مختارات من أدب العرب، نظرات في الادب) في الأدب العربي ولفت أنظار العالم كله إلى الإسلام.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في مقدمة هذا الكتاب: "مخطيء من يظن أن المكتبة العربية قد استنفدت وعصرت إلى آخر قطراتها، إنها لاتزال مجهولة تحتاج إلى اكتشافات ومغامرات، إنها لاتزال بكرة جديدة تعطي الجديد وتفجأ بالغريب المجهول، إنها لاتزال فيها ثروة دفيئة تنظر من يحفرها ويثيرها"².

ووصف هذه الفتنة بأنها أعظم فتنة في كل العصور: "إنها قضية العالم الإسلامي الكبرى، إنها مشكلة الأمة الإسلامية الكبرى، ردة تنتشر وتغزو المجتمع الإسلامي ثم لا ينتبه لها أحد، ولا يفزع لها العلماء ورجال الدين، لقد قالوا قديماً: "قضية ولا أبا حسن لها" وأقول: "قضية ولا أبا بكر لها" إنها قضية لا تطلب حرباً ولا تطلب تهيج الرأي العام، ولا تطلب ثورة، ولا تطلب عنفاً، بل إن العنف يضرها ويهيجها، والإسلام لا يعرف محاكم التفتيش ولا يعرف الاضطهاد، إنها تطلب عزماً وتطلب حكمة وتطلب صبراً واحتمالاً وتطلب دراسة"³.

تأثير الإلحاد والزندقة على المجتمع الإسلامي:

ألحق الإلحاد أكبر قدر من الضرر بالعالم الإسلامي ، لأن حاملي الإلحاد ومنهم أناس مثل كمال أتاتورك، وسبب سقوط الخلافة الإسلامية، وانقسمت الثروة العظيمة للخلافة العثمانية، حتى تم تقسيمها إلى خمسين

¹ - (انظر للتفصيل) "ردة ولاأبابكرها، ص: 7-8.

² - مختارات من أدب العرب للعلامة الندوي، 19/1، مؤسسة الصحافة والنشر، الهند، ط: 2011/1432م.

³ - ردة ولاابا بكر لها، ص: 9.

جزءًا، وظهر وجود إسرائيل النجس بين الدول الإسلامية، كان الطريق ممهدًا لانتشار الإباحية والفجور وكل شر في العالم، وتحول العالم كله إلى الجحيم باسم الديمقراطية والعملة.

قال الشيخ الندوي: "ووردت هذه الفلسفات مع الفاتحين الأوروبيين فخضعت لها العقول والنفوس البشرية وأذعن لها وقبلتها الطبقة المثقفة في الشرق وفيها من يفهمها وهو القلة القليلة وفيها من لا يفهمها وهم الكثرة الكاثرة ولكن كل مؤمن بها مسحور بسحرها يرى الطرفة والكياسة في اعتقادها ويرى ذلك شعار المثقفين الأحرار"¹.

وأيضًا قال: "وهكذا انتشر الإلحاد والارتداد في الأوساط الإسلامية من غير أن يبته له الآباء والأساتذة المربون وأهل الغيرة ولم يسجدوا لصنم ولم يذبحوا لطاغوت، وكان ذلك دليل الارتداد والكفر والزندقة في العهد القديم"².

لقد أدخلت هذه الفتنة المسلمين اليوم في فوضى أخلاقية وسياسية واقتصادية أبعدت المسلمين عن الإسلام، يبدو الأمر كما لو أنه خرج من الإسلام وارتقى إلى مستوى جديد، هذا هو السبب الأكبر لانحدار مسلمين اليوم.

قال الشيخ الندوي: "وبدأت هذه العقلية أو النفسية اللادينية تتسرب عن طريق الأدب والثقافة والصحافة والسياسة إلى الجماهير حتى أصبحت الشعوب الإسلامية وفيها كل خير وكل صلاح وكل استعداد وهي من أصلح الكتل البشرية في العالم خاضعة لهذه الطبقة بحكم ثقافتها وذكائها ونفوذها، وإذا بقي هذا الوضع يسرب الإلحاد والفساد إلى هذه الشعوب وإلى الطبقات التي تعيش في البادية والقرى وتعمل في المصانع والمزارع وصارت في طريق اللادينية والزندقة"³.

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

الحاجة إلى تجديد الإيمان:

في العصر الحاضر يجب حشد دعاة الإسلام لمنع فتنة الإلحاد والزندقة، ومن أجل إيقاظ الأمة الإسلامية، من الضروري إدخال العوامل التالية في حياتهم وحياة الناس:

¹ - ردة زلاوبا بكر لها، ص: 11.

² - أيضًا، ص: 12.

³ - المصدر السابق، ص: 20.

إن العالم الإسلامي في حاجة شديدة إلى دعوة إسلامية جديدة وإن هتاف الدعاة والعاملين فيه وهدفهم اليوم ولا يكفي الهتاف أنه لا بد من تصميم حكيم قبل العمل، لا بد من تفكير هادئ عميق كيف نرد الطبقة المثقفة التي تحتكر الحياة وتملك الزمام إلى الإسلام من جديد وكيف نبعث فيها الإيمان والثقة بالإسلام، وكيف نحررها من رق الفلسفات الغربية والحضارة العصرية ونظرياتها اللادينية.

من المهم لأتباع الإسلام حماية الحدود الدينية والتمسك بالمعتقدات ودعوة جيل الشباب إليها.

الحاجة إلى الإخلاص والإستغناء عن الأغراض الأخرى غير وجه الله تعالى:

يحتاج إلى رجال يكرسون أنفسهم لهذه الدعوة ويكرسون معارفهم ومهاراتهم وثرواتهم لها، وليسوا جشعين وطماعين في أي منصب أو شرف أو وظيفة أو حكومة، هدفهم الإخلاص، وتجنب الشهوة والأنانية والجنون.

الحاجة للمنظمات العلمية:

يحتاج العالم الإسلامي إلى منظمات علمية تهدف إلى إنتاج أدب إسلامي جديد قوي يعيد الشباب المتعلم إلى الإسلام بأوسع معانيه ويحررهم من عبودية الفلسفات الغربية التي يؤمن بها كثير منهم بوعي ودراسة،

الاستفادة من تجارب وخبرات العلماء السابقين في الدعوة إلى الله:

لقد استخدم العلماء في الماضي قدراتهم ومواردهم في الدعوة إلى الله، وتنظيم سيرهم في الحياة على أن الناس لديهم قناعة بعقيدهم ومبادئهم الإسلامية من الرجوع للكتاب والسنة، وتطبيق الشريعة الإسلامية، لذلك كانوا ناجحين مطمئنين في حياتهم بها، بخلاف الحال الآن، فكثير من المسلمين الآن للأسف يتمرد على العقيدة الإسلامية ويؤمن بالفلسفات الغربية.

وهذا واجب لا يمكن تأجيله أو تأخير، واليوم يواجه العالم الإسلامي موجة عنيفة من الإلحاد والزندقة تنتشر بين أبنائه الأعزاء.

المبحث الثالث: المادية



التمهيد:

المادية تعني المادة وحب الملذات الدنيوية والغذاء والراحة، هناك نوعان من أشكال الإنسان، أحدهما ظاهر والآخر! باطن إذا أصبح الشخص ظاهرياً، فقد في ألوان العالم، وإذا أصبح اللون الداخلي غامقاً، فإنه يصبح خالياً تماماً من ألوان العالم الباهتة والمؤقتة، تتمتع ألوان العالم بقوة مغناطيسية وهي جذابة وساحرة للغاية، إنها حقيقة محزنة أن كلا من الخريجين وغير الخريجين في العالم يفشلون فشلاً ذريعاً في الحياة العملية، الإيمان بالدار الآخرة ضعيف جداً وذهبت فكرة النعم والراحة في الآخرة، البركات المادية ومفهومها منتشران لدرجة أن القيم الروحية ماتت، بسبب النزعة المادية المتزايدة، أصبح المجتمع غير متوازن ويعاني البشر من الوحدة الفردية والشعور الجماعي بالحرمان، يتابع الرغبات، يأخذ مئات الرغبات في شكل الهوا ويترك هذا العالم الفاني، لكننا نعاني من هذا الفهم والحظ السعيد، وكأننا شربنا ماء الحياة الذي لم يشربه أحد من قبل.

في عاصفة المادية هذه أثير "الإيمان والعقيدة" أولاً، ثم تناثرت "الأخلاق البشرية" مثل الأوراق الصفراء في الهواء، ثم انتهت الأعمال الصالحة بسبب ضعف الارتباط بـ "الأسوة الحسنة"، ثم نشأ الاهتمام والأنانية في "الشؤون الاجتماعية"، ثم تسببت الاهتزازات في "السياسة والحضارة" في حدوث الزلازل والآل

تسونامي "المادية" الذي لا يعرف اسم التوقف، مؤيد للحياة الاصطناعية بعيداً عن الطبيعة، مجردة من مبادئ الصحة والعيش فقط من أجل الغذاء، وهي خالية من تعاليم الإسلام ، وقد جعلت العلم إلهها.

لقد أدت الأمراض المعدية مثل المادية إلى النفور عن الله و عن القرآن والسنة، كما عززت الأنانية واستغلال البشرية وانعدام العدالة الاجتماعية، أدت الثورة العلمية في القرن التاسع عشر ووسائل الإعلام بذلكاء وخبث إلى إبعاد المسلمين عن عقيدتهم ودينهم، وإبعادهم من الكتب القيمة إلى المواقع الاجتماعية، وانتزاع القرآن والصلاة من حياتهم وجعلتهم في العادة السيئة لصور السيلفي، والأمراض التي لاحصرها مثل عدم التسامح والقلق العقلي وعقدة الدونية. لا أعرف كم من الشباب المضطهد يبدو أنهم يقبلون ويستمتعون بفرح وتصميم عظيمين.

لقد وصف الشيخ الندوي-رحمه الله- ذلك جيداً في كتابه الشهير "الصراع بين الايمان والمادية"، كما شرح القضايا التي تواجه الأمة الإسلامية في الوقت الحاضر، منتقداً الحضارة الغربية ضد المادية، أوضح الشيخ أن هذه أيضاً مرتبطة بها.

مفهوم المادية: (Materialism)

المادية! مادتها "م د د" والجمع "الماديات"، والنسبة مادية والإسم منه مادّة، ويقابلها: الروحيّ، ومعنى الروح الذي ذكر الشيخ الندوي -رحمه الله-: "الروح التي تقهر المادة وتسخر الأسباب وتستنزل النصر"¹، وكما قال صاحب "المعجم اللغة العربية المعاصرة": "المادي: وهو مقابل للروحي أو المعنوي " يقال: اعتبارات مادية- مذهب مادي- أدبيا وماديا- تتجاذب الإنسان نزعات مادية وأخرى روحية" غير مادي: بلا جسد أو جسم أو شكل أو مادة"².

وأيضاً قال صاحب "معجم اللغة العربية المعاصرة": "من يقول بأنه لا يوجد إلا المادة، الذي يرجع كل شيء إلى المادة، صاحب النظرة المادية للأمور "فيلسوف مادي".

المادية: مذهب فلسفي يسلم بوجود المادة وحدها وبها يفسر الكون والمعرفة والسلوك "منفعة مادية."

¹ - من روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله، محمد علي محمد إمام، ص:22، مطبعة السلام، ميت غمر - مصر، ط: 1، 2005 م.

² - معجم اللغة العربية المعاصرة، 2077/3.

اللامادية: مذهب من ينكر وجود المادة ويقصر الوجود على الأذهان "ثقافة اللامادية- اللامادية الروحية".
المادية التاريخية: نظرية ماركسية تعتبر الأوضاع المادية الاقتصادية هي الأساس الذي تنشأ عليه الأوضاع والأفكار الاجتماعية والسياسية.

المادية الجدلية: الفلسفة الماركسية وتتلخص في اعتبار العالم كلا مكونا من مادة متحركة وحركة المادة فيه تصاعدية متطورة تموت فيها ظاهرة لتحيا أخرى¹.

كأن الإيمان بالمحسوسات، وعبادة الحياة الدنيوية، والاهتمام الشديد بالمنافع والملذات الدنيوية، واسم التطرف في حب الوطنية هو مادية.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وخصائصها (أي: المادية) وجدنا من المزايا التي تمتاز بها عن المدينيات الأخرى خصوصاً المدينيات الشرقية ما يلي:

(1) الإيمان بالمحسوس وقلة التقدير لما لا يقع تحت الحس.

(2) قلة الدين والخشوع.

(3) شدة الاعتداد بالحياة والاهتمام الزائد بمنافعها ولذائها.

(4) النزعة الوطنية.

ويمكن أن نحصر هذه المظاهر المشتتة في كلمة مفردة هي "المادية"².

بداية المادية وتطورها:

المادية: إذا نظرنا إليها من وجهة نظر دراسة مكثفة، فهي قديمة جداً، وموجودة في جميع العصور من الواضح أن أصل المادية قديم جداً، لكن تطورها وأكبر أثر لها ظهر في القرنين التاسع عشر والعشرين، عندما تولت المسيحية قيادة أوروبا في العصور المظلمة ولعبت دور اليهودية المتمردة بروح الانتقام، ثم وجهت هاتان الديانتان حضارة الإنسانية نحو حضارة مادية كاملة ومتطرفة، والتي كانت تحرر تماماً عن تعاليم وروحانيات الأنبياء عليهم السلام.

¹ - معجم اللغة العربية المعاصرة، 2078/3.

² - المصدر السابق، ص: 142.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "لقد كان للمسيحية المحرفة واليهودية دور متشابه في توجيه المدنية إلى المادية الرعناء المجردة من الروح وتعاليم الأنبياء، والتأثير في مصير الإنسانية على حدّ سواء، فقد بدأت الشعوب المسيحية التي تحرّرت من رقّ الكنيسة والبابوات، وضعف صلتها- إذا لم نقل تقطّعت كلياً- بالمسيحة السمحة، المؤسسة على التوحيد الخالص، فاتجهت اتّجهاً مادياً عنيفاً، أصبح يهدّد العالم ومصير الإنسانية بالاكشافات العلمية الحديثة، والمخترعات المدمّرة المبيدة، وفقد التوازن بين العلم والعاطفة والعقل والضمير، والصناعة والأخلاق"¹.

لقد سيطر اليهود على الحضارة المادية ورعايتها بشكل كامل في عصرنا الحاضر، من الأدب والتعليم والسياسة والفلسفة والتجارة والصحافة وكل موارد الإرشاد القومي في يده، ونتيجة لذلك أصبح عضواً مهماً في الحضارة الغربية.

يُظهر فحص العالم الحالي مدى ازدياد التأثير الدولي لليهود، ومن المؤكّد أنهم نجحوا، ويظهر تاريخ اليهودية مدى الإذلال الذي عانته، لكنها اليوم تحكم العالم فعلياً بعملها الجاد وتفانيها.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "إن هذه الحضارة وما تحوي عليه من علم و فن، ستبلغ نهايتها السلبية، وتصل إلى ذروتها في قوة التدمير، والهدم والإفساد، والتلبيس والتدجيل، على أيدي اليهود الذين مكّن لهم الغرب المسيحي - بغفلة منه وجهل بمراميمهم البعيدة وطبيعتهم الحاقدة - كل تمكين، وأتاح لهم كل فرصة لم يكونوا يحملون بها قبل قرون، وكانت في ذلك أكبر محنة للإنسانية وأكبر خطر على العالم، فضلاً عن العرب، الذين يكتوون بنارهم، فضلاً عن المنطقة المحدودة التي يجري فيها هذا الصراع الحاسم"².

خصائص الحضارة المادية:

1- رفض الإيمان بالله الخالق سبحانه وإنكار الغيب والآخرة:

ومن سمات هذه الحضارة المادية إنكار الإيمان بالغيب والآخرة وخالقها، وقد تغلبت اليهودية والمسيحية على هذه الحضارة ولكن كان عليهما تحمل ضياع البعد عن الدين وغرس القيم الأخلاقية لهذه الحضارة، ويظهر في كل مكان جانب من احتكار العالم الحاضر.

¹ - انظر: الصراع بين الإيمان والمادية للعلامة الندوي، ص: 15، دار القلم دمشق، ط1، 1418هـ/1997م.

² - المصدر السابق، ص: 17.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "وأعاد هذا الإنكار والتشنيع على عبّاد الحياة الدنيا ومنكري الآخرة، أو الغافلين عنها، فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا- الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾¹، وهكذا أحاطت عقيدة الآخرة، وعقيدة الإيمان بالغيب، والإيمان بفاطر هذا الكون، وقدرته المطلقة المسيطرة على كل شيء، المتصرف في كل شيء"²، بأول هذه السورة وآخرها، وبجميع جوانبها، وهي عقيدة و نفسية، وعقلية وطبيعية، تأبها المادية التي لا تعتمد إلا على الحس والمشاهدة والتجربة، والمنفعة.

2- التلبس والتدجيل في العصر الحديث:

من خصائص للحضارة المادية أنها روجت بشكل كبير للأكاذيب والتدجيل والتلبس في المجتمع اليوم، وهو ما أثر أيضا على الأمة الإسلامية، فالיום الكثيرون مبتلون بهذه العادة السيئة، ومعلوم من دلالات بعض الأحاديث أنه قبل ظهور الدجال بزمان طويل تبدأ فتن الدجال بالظهور، الدجال مشتق من الدجل، والدجل يعني الخداع والخداع الشديد، وسيكون الدجال على أعلى مستوى من التلبس والخداع.

قال الشيخ الندوي - رحمه الله :- "وقد اتّسمت الحضارة المادية في العهد الأخير بالتدجيل في كل شيء، والتلبس على الناس، وتسمية الأشياء بغير أسمائها، وتمويه الحقائق، وإطلاق الأسماء البراقة الخلابة للعقول على غير مسمياتها، وبكثرة الاختلاف بين الظاهر والباطن، والأول والآخر، والنظريات العلمية، والتجارب العملية، وهذا شأن الحروب والفلسفات، التي حلّت محل الأديان، وسحرت النفوس والعقول³، والكلمات التي أحاطت بها هالات التقديس والتمجيد، وحلّ حبّها واحترامها في قرارة النفوس، سويداء القلوب، وأصبح الشكّ في قدسيّتها، أو النقاش في كرامتها، ومكانتها علامة للرجعية، وإنكاراً للبداهة، والمشهود المحسوس"⁴.

وقال في موضع آخر مبينا علاج التدجيل والتلبس: - "فجاءت هذه السورة (الكهف) تشتمل على مادة تستأصل جذورها المادية التي قدّر الله أن يكون المسيحيّون أكبر مربّيها و دعاةها، والمشرّفين عليها، في رحلة التاريخ الطويلة، ثم يتولى قيادتها اليهود الذين حاربوا المسيح منذ أول عهده، ونافسوا المسيحية في

¹ - الكهف، آيت: 103-104.

² - الصراع بين الإيمان والمادية، ص: 19.

³ - مثل الحرية، والاشتراكية، والديموقراطية، ورفع مستوى المعيشة، والرفاهية، والحقوق الإنسانية، وحتى لفظ الحضارة والفنون الجميلة والدستور إلى غير ذلك من الشعارات.

⁴ - الصراع بين الإيمان والمادية، ص: 20.

جميع عهودها، وعلى أيديهم تبليغ هذه المادية ذروتها الأخيرة، وفيهم يظهر الدجال الذي يكون أعظم بطل من أبطال الكفر والإلحاد، والتدجيل والتلبيس"¹.

3- عبودية الدرهم والدينار

إن طلب الدنيا يعني اتخاذ كل طريقة ممكنة وغير شرعية للحصول على الدنيا، في العصر الحديث أثرت الحضارة المادية بشكل كبير على الأمة الإسلامية بهذه الفتنة، ونتائجها معروضة علينا، في البلدان الإسلامية، تُرى قصص هذه الأخلاق الرذيلة، وتُسمع كل يوم، كما اعتبر معظم المسلمين هذا العالم هدفهم الحقيقي ويسعدهم تحقيقه لدرجة أن نجاحهم يبدو أنه مرتبط بهذه الأسباب.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد كانت السمة البارزة للحضارة التي نشأت في حضارة المسيحيين، وشبّت وترعرعت تحت رعايتهم، الشغف الزائد بهذه الحياة المحدودة الفانية، والحرص على تمديدها وتزيينها، والمبالغة في إجلالها وتفخيم شأنها، والاتجاه إلى نفي كل ماوراءها، من مثل وقيم، وخيرات ونعم، والاقتصار على التنافس في السيطرة على أسبابها وطاقاتها وذخائرها"².

تأثير الحضارة المادية على المجتمع الإسلامي المعاصر:

أثرت الحضارة المادية على العالم كله أخلاقياً وأيديولوجياً، لكن المجتمع الإسلامي كان مستهدفاً بشكل خاص، مما تسبب في أضرار أكثر في البلدان الإسلامية من أي مكان آخر، والسبب الرئيسي هو أنه في الحضارة المادية الحالية، يشمل الفساد الأخلاقي آثار الحضارة اليونانية والرومانية.

فيما يلي نوضح هذه الأضرار الأخلاقية والأيديولوجية من خلال اقتباسات للشيخ الندوي:

1- عدم الاحساس الديني:

الآن علينا أن نرى كيف سيشفى الجسد وكيف ستتطور الروح، لذلك سيحتاج الجسد إلى طعام مادي وستحتاج الروح إلى طعام متعلق به، وهو قانون فطري أيا كان الإنسان فهو سعيد به.

إذا نظرنا إلى غذاء الروح نجد أن الروح شيء غير منظور، ولا يمكن أن يكون طعامها خبزاً وماء

¹ - الصراع بين الإيمان والمادية، ص: 20.

² - المصدر السابق، ص: 17.

الروح مخلوق من مخلوقات الله، وكذلك الملائكة مخلوقات الله المضيئة، فماذا يأكلون؟ ما هو نظامهم الغذائي؟ من المعلوم أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، خلقوا من نور، فكانت حياتهم بالنور أيضا عبادة الله وتنفيذ أوامره سبحانه.

الحضارة المادة خلقت شكوكا وحرمت الأمة الإسلامية بشكل كبير من غذاء الروح وأنشأت فئاما من الناس بسبب تلك الحضارة:

- 1- فئة واحدة لا تعرف التعاليم الصحيحة للدين.
- 2- بعض الناس يحصرون الدين في العبادة.
- 3- هناك بعض الناس الذين وضعوا الحاجة إلى الدين فقط لينال بركات الجنة وينكرون الحاجات الاقتصادية والاجتماعية للإنسان.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في بيان ذكر الآثار السلبية عند فقد الإحساس الديني: "لم يزل في الناس _ عدا حواسهم الظاهرة الخمس _ حاسة سادسة يسوغ أن نسميها بالحاسة الدينية، وكما أن الحواس الظاهرة لها دوائر عمل تحصل فيها محسوساتها الخاصة بها فللعين مبصرات وللأذن مسموعات الخ، كذلك هذه الحاسة الدينية لها ثمرات وتأثيرات هي من خواص هذه الحاسة التي لم تنزل لأهل الشرق ضربة لازب، وكما أن من فقد حاسة من الحواس الظاهرة بطلت محسوساتها الخاصة بها، فلا تحصل له بحاسة أخرى إلا بطريق خرق العادة، ولا تحل حاسة مهما كانت قوية وصحيحة محل الحاسة الأخرى، كذلك من فقد الحاسة الدينية لطارئ مؤثر أو حرما لنقص في الفطرة بطلت نتائجها الخاصة بها، وانعدمت في حقه , بحيث لا يستطيع أن يتصورها أو يصدقها، شأن الأعمى لا يبصر الألوان والأجرام المرئية، وقد يعاند ويكابر في إنكارها، وشأن الأصم الذي ليست الدنيا الصاخبة إلا مدينة الأموات عنده، ليس بها داع ولا مجيب؛ كذلك من حرم الحاسة الدينية جحد الغيب، وكابر فيما هو وراء الطبيعة وعاند في المعاني الدينية، وقسا على الرقائق والقوارع التي تهز النفوس، وترقق القلوب وتذرف العيون"¹.

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 202.

2- الغفلة عن رب العالمين وعدم السعي لرضاه سبحانه:

يظهر تاريخ المسلمين أن سر تقدمهم كان طاعة الرب سبحانه والسعي لنيل رضاه سبحانه لكن منذ قيام هذه الحضارة المادية صار المسلمون يتخلون عن دينهم شيئاً فشيئاً حتى وصل بهم الحال إلى ما وصل إليه الآن لهف وراء الدنيا وغفلة نيل رضا رب العالمين إلا ما رحم ربك وقليل ما هم.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وكان لا يزال بالعهد الراحل رمق وبقية من حياة تنازع الموت وتحاول البقاء، فكان لا يزال في الناس رجال يدعون إلى الدين وإصلاح النفوس وتركيتها وتهذيب الأخلاق وتصفيتها وهم تذكّار لسلفهم في زهدهم في الدنيا والإقبال على الآخرة والإخلاص واتباع السنة،

وكانت لا تزال لهم دعوة في الناس، والمسلمون يعدّون الاتصال بهؤلاء والتمسك بأهدابهم حقاً من حقوق الدين وواجباً من واجبات الحياة، وكان بعض الأغنياء والأمرء وأرباب الدنيا، لهم اهتمام زائد بحسن الخاتمة وأمور الآخرة وصلاح القلب وعمارة الباطن، ولكن كان هذا كله أشبه بالتهاب السراج قبل الانطفاء، فقد أصل الشجرة الدينية، وانقطعت عنها مادة الحياة، وهبَّ عليها إعصار فيه نار.

سرى الشك وسوء الظن في الأوساط الدينية والبيوت العريقة في الدين والعلم بتأثير المحيط وتأثير التعاليم الإفرنجية وضعفت الثقة بالله وبصفاته وبمواعيده، فأصبح الآباء يضمنون بأولادهم على الدين، ولا يخاطرون بأوقاتهم وقواهم في سبيل الدين وعلوم الدين، وأصبحوا يعلمونهم العلوم المعاشية واللغات الإفرنجية، لا رغبة في تحصيل المفيد النافع ولا دفاعاً عن الإسلام بل زهداً في الدين وفراراً من خطر المستقبل وخوفاً على أفلاك أكبادهم من الضياع واستسلاماً للدهر المتقلب، وتسلبت عليهم خوف الفقر حتى أصبحوا من خوف الموت في الموت.

وهكذا انقرض هذا الجيل وطوي هذا البساط، ولفظ هذا العهد الروحي نفسه الأخير، وتلاه عهد المادة، وأصبحت الدنيا سوقاً ليس فيها إلا البيع والشراء¹.

3 - عدم الاستقرار في الاخلاق:

وهكذا أثرت هذه الحضارة المادية والفلسفة الغربية بشكل كبير على الأخلاق الإسلامية وآدابها عند الكثير من المسلمين، حيث أن أساس هذه الفلسفة يقوم على ملذات العالم ورغباته، وابتعاد الإنسان عن الدين والقرب من الأخلاق الرذيلة، والدين خلق فإذا ضعفت الأخلاق ضعف الدين بالطبع.

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 211.

في العصر الحاضر اعتاد الإنسان الشرقي في كثير من الأوساط على نفس اللغة والأخلاق التي أوجدتها الحضارة المادية للغرب.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "ويرى القارئ ويلمس الروح المادي المتعشق للذة والهناء في آراء هذا المذهب ونزعاته من أخطأ وأكثرها إسفافاً إلى أرقاها وأكثرها تحليقاً، وهذا يختلف عن طبائع الشرق وشرائع السماء اختلافاً بيناً، وقد أثرت هذه النزعة المادية في فلسفة الغرب وأخلاقه وأدابه وحضارته تأثيراً عميقاً، ولا تزال مهيمنة على الحياة الغربية وآدابها حتى اليوم"¹.

4- البحث عن الدعة والراحة:

كان من آثار الحضارة الغربية المادية على الأمة الإسلامية أنها اعتادت الكسل وسهولة الجسم، وأصبحت الحياة المثالية البحث عن الدعة والراحة والأكل الجيد والرفاهية والعيش الرغيد واللهو واللعب فحسب.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "في القوة المادية والاقتصادية والحضارة للغرب ، تضاعف نمط الحياة البشرية فالأكل الجيد، واللباس الجيد، والاحترام والتميز في المجتمع، وكسب المجد في أعيننا أصبح هو المثالي. اختفت سيرة الأنبياء عن الأنظار، واختفى التأثير العقلي وسيطرة الأشخاص الذين يتسمون بالكمال العقلي والعلمي والروحي والإداري للدين والعالم، واختفت تلك الشخصيات من العقل، ... أصبحت السهولة والراحة سائدة للغاية، وتشغل الأنشطة التفرجية مساحة كبيرة من الحياة بحيث لا يوجد مكان للعبادة والشعائر الدينية والاحتياجات الروحية، إذا نظرنا إلى نظام الأزمنة للطبقة المتقدمة والحضارية في ذلك الوقت، فسنرى مثل هذا الاختلاف السيئ بين نظام الأزمنة لمثلي الحضارة الإسلامية القديمة ونظام الأزمنة هذا في القرن العشرين الميلادي."².

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

ذكر الشيخ الندوي-رحمه الله- رأيين في سياق سورة الكهف، الأول هو أن العالم ليس سوى اسم الأسباب الخارجية والمادية، وثانياً: هناك قوة (الله) وراء الأسباب الدنيوية التي تدفعها ، فالأسباب وحدها لا شيء،

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 223.

² - ماذا خسر العالم، (الأردية)، ص: 312-313، المجلس النشرية الإسلام، كراتشي، باكستان.

لقد تطورت الأيديولوجية الأولى كثيراً في عالم اليوم، لذا فمن مسؤولية دعاة الإسلام أن يوجهوا الناس إلى الفكر الثاني من خلال تفسير هذه السورة.

قبول النظرية الأولى وهي الاعتماد على الأسباب والمادة دون الاعتماد على الله تعالى شرك وعصيان فالواجب تعليم الأمة المسلمة الاعتماد على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب وعدم طغيان المادة على المسلم في الوقت الحاضر تنتشر كل هذه الحن من خلال التعليم، لذلك يحتاج نظامنا التعليمي إلى الاهتمام بالمعتقدات، حتى يقوم جيلنا الشاب على المعتقدات الحقيقية.

يجب غرس التاريخ الإسلامي في الوقت الحاضر، ويجب تدريس أحداث السلف الموحدين في كليتنا وجامعاتنا، حتى ينمي الجيل الجديد روح الإيمان وارتباطه بالله تعالى بعيداً عن الدنيوية، والمادة حتى ينتصروا بعون الله تعالى على كل أسباب الدنيا.

التعريف بالحضارة المادية وأهدافها، وفهم القضايا المادية الحالية (الفائدة على النظام المصرفي، والتأمين على الحياة، والنظام المالي من خلال الشركات متعددة الجنسيات، والثقافة المفتوحة، والنسوية، والتخطيط المستقبلي، والفوضى الجنسية) ومن مسؤوليتهم أيضاً إقناع المسلمين بوجود الخطر الكبير عليهم في المادية، بحيث يمكن للمسلمين أن يكونوا في مأمن من هذه الفتنة.

المبحث الرابع: الحرية المفرطة ومفهوم حقوق الإنسان

التمهيد:

موضوع "حقوق الإنسان" (Human Rights) شائع ومنتشر للغاية، يذكرونه في كل لقاء. كل مؤسسة، كل جمعية، كل بلد يناقش ذلك، الالفت أن من لا يحترم حقوق الإنسان، ويحرم الآخرين من حقوقهم الأساسية، ويقف في طليعة من يغتصبها، هم الذين ينادون بحقوق الإنسان ويطلبون من الآخرين احترام حقوق الإنسان بلا حياء.

يختلف مفهوم حقوق الإنسان كما يدرسه خاتم النبيين محمد ﷺ اختلافاً كبيراً عن المواقف والتصريحات الحالية لحقوق الإنسان، لقد اهتم الإسلام بإعطاء كل ذي حق حقه من الإنسان وحتى الحيوانات والمخلوقات غير الإنسان وقد ورد في ذلك عدد من النصوص في القرآن والسنة، كما سيأتي ذكرها إن شاء الله.

في القرن العشرين يعني 1946م، أُضيفت بعض الحقوق إلى الدستور باسم "الحقوق الأساسية" في فرنسا واليابان، وفي إيطاليا 1947م، وفي 1948م تبنت الأمم المتحدة ميثاق حقوق الإنسان تحت إشراف الأمم المتحدة، والذي يتضمن في الأساس ثلاثين بنداً، وتشمل هذه حق الناس في الحرية، وحق المواطنين في عدم الحبس الانفرادي، والحق في عدم التدخل في الحياة الخاصة، فضلاً عن الحقوق الاجتماعية الأخرى.

تكلم الشيخ الندوي -رحمه الله- عن حقوق الإنسان في الإسلام وعلم الناس احترام الإنسانية الاحترام الحقيقي غير المزيف، بل وأنشأ لهذا الغرض حركة مستقلة ونظم أفراداً للعمل على إيصال هذه الرسالة للناس باسم "رسالة الإنسانية" (پیام انسانیت) التي قامت على حقوق الانسان ولم يعجبهم ما تقوم به منظمة الامم المتحدة لحقوق الانسان لانها كانت مبنية فقط على التحيز إلى مجتمع دون آخر بالإضافة إلى نواقص وخلل كثير في محتوى وثائق الأمم المتحدة التي تنافي العدالة الاجتماعية¹.

ومن الانتقادات لتلك الأحكام في ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان يقال: إن هذه مجرد شعارات جميلة وشعارات طيبة مجرد تصريحات ولكن لا قوة تنفيذية وراءها، يعني لا نجد في الواقع شيئاً

¹ - انظر: مقالات الشيخ عن حقوق الإنسان: المترجم: تحفة إنسانية وإنسانيت كي مسيحيائي.

يطبقونه، وإن طبقوه جزئياً في بعض مجتمعاتهم لكن مجتمعات غيرهم لا سيما مجتمعات الدول الإسلامية فتلك الحقوق يسلبونها عنهم بكل وقاحة.

والإسلام يقدم تعاليمه بكل وضوح لرعاية حقوق الإنسان ويأمر بإعطاء كل ذي حق حقه بكل عدل وإنصاف، ويمنع من ظلم البشر على حد سواء بما يتوافق مع مقتضيات العقل الإنساني والفطرة السليمة، لكن للأسف هناك إشكال في بعض من يدعي اتباع تعاليم الإسلام حيث لا يطبقون هذه التعاليم الإسلامية السمحة كما يريدونها الإسلام، ولكن مع ذلك ولله الحمد مستوى انتهاكات حقوق الإنسان في الدول الإسلامية ليس مرتفعاً كما هو الحال في الدول غير الإسلامية، ولتدرك هذا الأمر على كل منا أن يراجع حياته ويحاول اتباع تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم، حتى لا يتفاقم الأمور أكثر.

مفهوم الحرية المفرطة و حقوق الإنسان

الْحُرِّيَّةُ: مصدر من "حَرَّ يَحْرُ"، والمادة (ح ر ر)، ومعناه العتق، كما ذكر صاحب "لسان العرب": "حر يحر حراراً إذا عتق، وحر يحر حرية من حرية الأصل، وحر يحر إذا صار حراً، والاسم الحرية"،¹.

المُفْرَطَةُ: إسم صفة، والمعنى "الغلو" كما قال: "فرط يفرط فروطاً. قال أعرابي للحسن: يا أبا سعيد، علمني ديناً وسوطاً، لا ذاهباً فروطاً، ولا ساقطاً سقوطاً أي ديناً متوسطاً لا متقدماً بالغلو ولا متأخراً بالتلو"²،

ومرادده الغلو في الحرية، وهذا المعنى المطلوب هنا.³

حقوق الإنسان! الحقوق جمع حق، والمادة (ح ق ق)، ومعناه الصدق يعني ضد الباطل، "حقق: الحق: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق، وليس له بناء أدنى عدد"⁴.

والمفهوم الإصطلاحي لذلك: الغلو والاستبداد في مسألة الحرية وحقوق الإنسان من الغرب، يعني التحرر والانفلات من كل القيم والأخلاق.

¹ - لسان العرب، 4 / 178.

² - المصدر السابق، 7 / 366.

³ - معجم اللغة العربية المعاصرة، 1 / 467.

⁴ - لسان العرب، 10 / 49.

تصور الأمم المتحدة (U.N) للحرية وحقوق الإنسان باختصار:

يجب دراسة ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان وتوضيحه "لاتفاقيات جنيف" (Geneva Conventions) بشأن قرارات ومقررات حقوق الإنسان على مرحلتين:

في المرحلة الأولى علينا تحديد الأجزاء التي نعتقد أنها تتعارض مع مبادئ وقواعد الإسلام، والتي لا يمكن لأحد أن يقبلها إلا بالتخلي عن معتقداتنا الدينية وقواعدنا وقيمنا الاجتماعية، بعد التحديد الواضح للأجزاء المعادية للإسلام من ميثاق حقوق الإنسان واتفاقيات جنيف (Anti-Islamic parts of the Charter of Human Rights and the Geneva Conventions)، نحتاج إلى نشرها على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم ونشرها عالميًا حتى يتمكن المثقفون حول العالم من فهم موقفنا فهما جيدًا.

و في المرحلة الثانية علينا أن نثبت علميًا ومنطقيًا صلاحية وأفضلية قواعد وأنظمة الإسلام والتقاليد والقيم التي يعلن أنها تتعارض مع حقوق الإنسان والتي تتعارض معها "ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان"

تقديم دراسة للأجزاء البارزة من هذا الميثاق:

صدر ميثاق عن الامم المتحدة في 10 ديسمبر، 1948م، يحتوي هذا الميثاق لحقوق الإنسان على ثلاثين بنداً، ويغطي جميع مجالات الحياة الاجتماعية تقريباً، في الدراسة الأولية للميثاق اخترنا لمناقشته بعض أحكامه التي من وجهة نظرنا تؤدي إلى الاختلاف مع بعض الشرائع والقواعد الإسلامية، ولكن قبل مناقشة هذه الأحكام، لا بد أن نفهم الفكرة الأساسية لميثاق الأمم المتحدة:

هذا الميثاق هو في الواقع تنويع للفلسفة الغربية للحياة والتنشئة الاجتماعية الغربية، مدفوعة بفكرة أن الدين معني فقط بالإيمان والعبادة والأخلاق، حيث يتمتع كل إنسان بحرية اختيار ما يريد في الإيمان والعبادة والأخلاق ويجب اعتبارها مسألة شخصية حتى لا تتدخل الدولة أو أي سلطة أخرى بأي شكل من الأشكال، ومع ذلك، فإن الدين لا علاقة له بالشؤون الاجتماعية للحياة البشرية، مثل السياسة والقانون والإدارة والتجارة والزراعة والاقتصاد، وفي هذه الأمور يمكن لكل أمة أن تتبنى أي نظام وفقاً لاتجاهاتها الاجتماعية أو الأكثرية بعيداً عن أي عبودية أو بصمة دين.

إنها تسمى علمانية ويطالبوننا بقبول تلك العلمانية، وخلفية هذه العلمانية هي نفسها خلفية الحضارة الغربية لأنها فتنة ولدت من الغرب نفسه، أي الانفصال بين المذهب والسياسة في أوروبا.

هذا هو السبب في أنه ولأول مرة في ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، أُعلن أن جميع البشر متساوون في الحرية والحقوق وكذلك في الاحترام، في حين أن الإسلام لا يعترف بأن جميع البشر يستحقون الاحترام على قدم المساواة. ومبدؤه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾¹، أن صاحب الخلق والدين يستحق الاحترام، ويفضل على غيره فإن "أكرم" صيغة اسم تفضيل، ومن لا تتفق أخلاقه مع القيم وسجايا الأخلاق، لا يحرم من حقوقه لكن لا يستحق الاحترام مثل صاحب خلق ودين فالمساواة بينهما ظلم اجتماعي وهضم لحقوق الآخرين.

في هذا السياق، إذا نظرنا إلى المادة 5 من الميثاق بعنوان "إنهاء العنف" وينص على أنه: "لا يجوز إخضاع أي شخص للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة"².

يبدو أنه وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، فإن العقوبة التي تُمنح لجرم يجب أن تكون خالية من مزيج من العنف والإذلال وأي عقوبة تحتوي على أي من هذه العناصر تعتبر انتهاكاً لحقوق الإنسان، لهذا السبب، تم إعلان عقوبة قطع اليدين والجلد والرجم ضد حقوق الإنسان، وعلى هذا الأساس، فُسرت العقوبة العلنية لجرم في المحكمة العليا الباكستانية على أنها انتهاك لحقوق الإنسان، بينما العقوبة في الإسلام على الجرائم غير الإنسانية سببها مفهوم أيضاً، الغرض من العقوبة الشديدة للجرائم هو تحذير المذنبين وتلقينهم درساً.

وفي المادة 16 من الميثاق قالوا: "للرجل والمرأة إذا صارا بالغين الحق في الزواج وتكوين أسرة دون أي قيد عرقي أو وطني، أو ديني، ولهما حقوق متساوية في الزواج وأثناءه وفي فسخه"³.

هناك بعض الأشياء التي يجب مراعاتها في هذا القسم وفقاً للتعاليم الإسلامية، بادئ ذي بدء، ما هو المقصود بـ "البلوغ"؟ فإنهم لا يبيحون زواج البنت قبل بلوغها سن الثامنة عشرة دون النظر لرغبتها في الزواج قبل ذلك، والإسلام راعي مشاعرها وسد حاجة شهوتها إذا تحركت شهوتها قبل ذلك، واستطاعت أن تتحمل عاقبة الزواج، ورغبت في الزواج فالإسلام يبيح لها ذلك حتى لا تقع في الحرام.

¹ - سورة الحجرات، الآية: 13.

² - انظر! ميثاق الأمم المتحدة، (النسخة الأردنية)، المادة: 5، إدارة المعلومات العامة بالولايات المتحدة، نيويورك.

³ - ميثاق الأمم المتحدة، (النسخة الأردنية)، المادة: 16.

ثانيًا: تعني عبارة "بدون أي تقييد للدين" بوضوح أنه يمكن للرجل المسلم أن يتزوج من أي امرأة غير مسلمة ويمكن للمرأة المسلمة أن تتزوج من أي رجل غير مسلم، وهو ما يتعارض تمامًا مع تعاليم الإسلام.

ثالثًا: إن فكرة المساواة في الحقوق للزواج تتعارض أيضًا مع الشريعة الإسلامية، لأن الإسلام وضع أولويات واضحة للطلاق ولم يعط حقوقًا متساوية لكليهما.

والغرب يطالب بأنه إذا كان لدى دولة ما قوانين عائلية ضد هذا المعيار، فعليها تعديلها وجعلها تتماشى مع هذا المعيار العالمي.

الوضع هو نفسه إلى حد ما مع أحكام ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان فيما يتعلق بحرية الضمير وحرية المعتقد وحرية الكلام وحرية التعبير التي تم التعبير عنها في هذه الكلمات في المادتين 18 و 19 من الميثاق: "لكل فرد الحق في حرية الفكر والوجدان والدين، وممارسة دينه أو معتقده، بشكل فردي وجماعي، أو ممارسة دينه أو معتقده في الأماكن العامة، ويشمل ذلك الحق في حرية العبادة والالتزام بها"، أيضاً "لكل فرد الحق في حرية الرأي والتعبير، ويشمل هذا الحق حرية اعتناق الآراء دون مضايقة، والبحث عن المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها عبر أي وسيلة إعلامية"¹.

بالنظر في هذين البندين ومراجعة الحقوق المزعومة لجميع الفئات والأقسام والجماعات نجد أنهم يطبقونها ويراعونها حتى في حق من خرج عن القيم والمبادئ والأخلاق أمثال: سلمان رشدي⁽²⁾ وتسليمه

¹ - المرجع السابق، المادة: 18 - 19.

² - سلمان رشدي واسمه أحمد سلمان رشدي (19 يونيو 1947 -)؛ روائي وكاتب بريطاني من أصل هندي كشميري، كانت روايته الرابعة آيات شيطانية (1988) موضع جدل كبير، إذ أثارت احتجاجات المسلمين في عدة بلدان. ووصل الأمر أن واجه رشدي العديد من التهديدات بالقتل، بما في ذلك فتوى المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران آية الله روح الله الخميني التي دعت إلى اغتياله في 14 فبراير من عام 1989. وضعت الحكومة البريطانية رشدي تحت حماية الشرطة. (<https://ar.wikipedia.org/wiki/>)

نسرين⁽¹⁾، وكذلك آسيا⁽²⁾ الباكستانية التي ارتدت عن دين الإسلام، دافع عن هؤلاء الحكومات الغربية ووسائل الإعلام على الدوام وقاموا بتشويه وانتقاد سلوك المسلمين فيما يتعلق بحقوق الإنسان.

وهذا هو هدفهم من رفع شأن حقوق الإنسان والدندنة حولها أن يثبوا الشكوك والشبهات حول الإسلام وأنه لا يراعي حقوق الإنسان بل هو دين الاستبداد والهمجية والوحشية، في حين أن العكس فقط هو الصحيح فالحقوق التي راعاها الإسلام للإنسان بل والمخلوقات كلها لا يصل إليها الغرب ولا إلى عشرينها، فحقوقهم كلها مزعومة فقط والحقيقة هي تزييف للحقائق واستبداد للآخرين وجعلهم تبع الغرب وثقافته وأن يسلخوا من دينهم وثقافتهم ويكونوا بلا هوية وبلا شخصية هم يتحكمون فيهم اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وسياسيا وعسكريا وغير ذلك من أنواع الحكم.

فيجب على الدعاة أن لا يغفلوا هذا الجانب ويبدلوا فريداً من الجهد في بيان محاسن الإسلام ومراعاته حقوق الإنسان على أكمل وجه، والدفاع عنه في ذلك بالأدلة والبراهين والأمثلة من الكتاب والسنة والواقع، والنصر سيكون حليفهم إن شاء الله على الباطل، والتاريخ شاهد على ذلك في الصراع بين الحق والباطل.

¹ - تسليمه نسرين مواليد 25 أغسطس 1962، كاتبة تحمل الجنسية السويدية من أصل بنغلاديشي وطبيبة سابقة، عاشت في المنفى منذ عام 1994. بدأت بكتابة الشعر في أواخر ثمانينيات القرن العشرين، لكنها حصلت على شهرة عالمية بحلول نهاية القرن العشرين بسبب مقالاتها ورواياتها التي ناصرت فيها المرأة وانتقاد الأديان بشكل عام ونقد الإسلام بشكل خاص بعد ارتدادها من الإسلام.

منذ أن غادرت بنغلاديش في 1994 بسبب تلقيها مكالمات تهديد، عاشت تسليمه في عدة دول؛ في حزيران (يونيو) 2011، عاشت تسليمه في نيو دلهي. تعمل تسليمه على بناء مفاهيم الإنسانية العلمانية، حرية الفكر، المساواة أمام القانون، وحقوق الإنسان عن طريق النشر وإلقاء المحاضرات والحملات التثقيفية.

[\(https://ar.wikipedia.org/wiki/\)](https://ar.wikipedia.org/wiki/)

² - آسيا بي بي هي امرأة مسيحية باكستانية أدينّت بالتجديف من قبل المحكمة الباكستانية، وحُكم عليها بالإعدام. في يونيو 2009 وقعت آسيا بمشادة كلامية مع مجموعة من النساء المسلمات، حيث قامت آسيا بشرب الماء من بئر في أحد مزارع التوت، حيث قالت النساء، بحسب بيبي، أن الماء أصبح نجساً لأن امرأة مسيحية لمستته. وبعدها حاولت النساء إقناعها لاعتناق الإسلام، وأجابت بيبي «المسيح قد مات على الصليب فداءً لخطايا المسيحيين، فماذا فعل النبي محمد من أجل المسلمين». اعتبر ذلك إساءة للنبي محمد، حيث أُلقي القبض عليها وتم سجنها. وفي نوفمبر 2010 حكم القاضي عليها بالإعدام. وأثارت قضية آسيا جدلاً في جميع أنحاء باكستان. وهي تُعتبر أول امرأة في باكستان يُحكم عليها بالإعدام بقضية تجديف.

[\(https://ar.wikipedia.org/wiki/\)](https://ar.wikipedia.org/wiki/)

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "فقد حدث الإلحاد وظهرت الزندقة بتأثير الفلسفة اليونانية في العهد القديم فوجد من يحاربها بعقله الكبير وذكائه النادر وعلمه الغزير ودراسته الواسعة وشخصيته القوية، وظهرت الباطنية والملاحدة فوجد من يحاربها بالعلم والحكمة والبرهان، وبقي الإسلام محتفظاً بنفوذه العقلي ومكانته العلمية ترتد عنه كل موجة عاتية، وينحسر عن طوده كل فيضان وكل سيل جارف"¹.

تأثير تصور الأمم المتحدة للحرية وحقوق الإنسان على المجتمع الإسلامي:

الحرية موضوع تتم مناقشته في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك الدول الإسلامية والعلمانية، حتى في المجتمعات الإسلامية، فالكثير من المسلمين للأسف يتبعون تعاليم الحرية الغربية، والتي هي في حقيقتها الانفلات والتحرر من القيم والأخلاق، ولا يتبعون تعاليم الحرية في الإسلام

والعمل على تشويه الشعارات الإسلامية والقيّم والمبادئ الإسلامية من قبل وسائل الإعلام المختلفة يخلق جواً من الشقاق والخلاف، وهذا هو السبب في أن الحرية المزعومة مثل حرية المجتمعات الغربية قد أبعدت المسلمين عن المجتمع الإسلامي وتعاليم الإسلام، فعلى الداعية أن يقف لتلك العواصف والموجات بكل قوة وحكمة، فهذه المزلق (الحرية المزعومة) سبيل للإلحاد والردة عن الدين والواجب في مثل هذه الحالات السير على خطى سلفنا الصالح والوقوف في وجه هذه الأعاصير وعدم إنجاح الغرب في أهدافه المشؤومة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: " فكان كل من يرتد عن دينه يستهدف لسخط المسلمين الشديد وينفصل عن المجتمع الإسلامي الذي يعيش فيه بطبيعة الحال وتنقطع بمجرد ارتداده بينه وبين ذوي قرابته الأواصر والأرحام، وكانت الردة انتقلا من مجتمع إلى مجتمع، ومن حياة إلى حياة، وكانت الأسرة تقاطعه وتهجره وتقصيه، فلا مصاهرة، ولا زواج، ولا إخاء ولا توارث وكانت حركات الردة تثير روح المقاومة في المسلمين والمقارنة بين الديانات، والدفاع عن الإسلام، وكل قطر من أقطار المسلمين ظهرت فيه حوادث الردة تحمس علماء المسلمين ودعاة الإسلام وحملة الأعلام فيه للرد عليها وتتبع أسبابها، وعرض محاسن الإسلام ومزاياه، واجتاحت المجتمع الإسلامي موجة عنيفة من السخط والاستنكار والقلق، وكانت هذه الحوادث المقيمة المقعدة للمسلمين وكانت الحديث العام والشغل الشاغل للعامة فضلا عن الخاصة وأهل الغيرة الدينية، هذا ما اتسمت به حوادث الردة، على ندرتها وشدوذها وعلى عدم تأثيرها في الحياة"².

¹ - ردة ولا أبابكر لها، ص: 18.

² - المصدر السابق، ص: 4.

الحرية المروّجة في الغرب وصلت إلى حد التدين بها، وهي في الأساس الحرية الجنسية، وإشباع غريزة الشهوة بلا قيود، وقد تأثر بذلك ضعف الإيمان من شباب الإسلام فأصبحوا لا يراعون للعشيرة ولا للأسرة حقوقها ولا يحفظون كرامتها بل يحاول إنشاء علاقة مع فتاة أجنبية على غرار الغرب ثم يصل الأمر بعد ذلك إما إلى زواج أو انفصال، مما يؤدي إلى نجاح الغرب في أهدافه الخبيثة مما ينادون به من مراعاة حقوق الإنسان.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في بيان تأثير الغرب على بعض المسلمين -لا سيما الذين درسوا في الغرب- بأشكال مختلفة منها: "الدعوة إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل وإلى السفور، وكون الفقه الإسلامي مقتبساً من القانون الروماني، ومتأثراً به في روحه وسبكه، والدعوة إلى إحياء الحضارات السابقة على الإسلام، وتمجيد العصر الفرعوني وتغني بحضارته وأدبه وأمجاده"¹.

هكذا يدعون للانحلال والانفلات الخلقي، ولكن الإسلام يدعو للمبادئ والقيم والأخلاق ففي المجتمع الإسلامي يعتبر الزواج بمثابة مدرسة يتعلم فيها الناس العيش معاً، يتعلمون أن يتسامحوا مع بعضهم البعض، ويتأقلمون مع طبيعة بعضهم البعض، ويتقبلون الاختلافات بقلب مفتوح، ويتعلمون أن يكونوا متسامحين وسعداء، عندما يولد الأطفال، تخلق لهم روح التضحية بالنفس، وفي المقابل، عزز المجتمع الغربي الاستقلال لدرجة أن الزواج تحول من "مدرسة عظيمة" إلى "علاقة زوجية"، ونتيجة لذلك لم تبقى أهمية الأسرة، إن تحويل قضية إسلامية شديدة الحساسية مثل الطلاق إلى كلمة من ثلاث كلمات من خلال وسائل الإعلام هي أيضاً حيلة من المناضلين الغربيين من أجل الحرية المزيفة، وقد أصابتهم الرياح السامة من الغرب بالطبع.

للأسف الشديد توقف الرجل المسلم عن التحضير عن التحرك والمرأة المسلمة كشفت القناع دون خوف، إن المجتمع الإسلامي كان يعتبر أساس المجتمع المثالي أمام العالم، صار الأمر بالعكس وأصبح المجتمع الغربي مثالا يحتذى به كثير من المسلمين، وتم هدم مناطق الازدهار في المجتمع الإسلامي، ولكن لما كان أسلافنا المسلمون مهتمين في حضارتهم ومجتمعهم واعتمدوا تراثهم التاريخي، قام المسلمون بالعديد من الاختراعات الخالدة، على سبيل المثال: مقياس الحرارة (Thermometer)، الإسطرلاب (Astrolabe)، ساعة البندول (Pendulum clock)، البوصلة المعروضة (Compass displayed).

¹ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص: 131.

في فكر الشيخ الندوي وراء كل هذا كانت أيديولوجية داروين المادية¹ التي أدت إلى ظهور مثل هذه المشاكل، والتي على أساسها صاغ الاتحاد الأوروبي هذه الحقوق.

قال الشيخ الندوي -رحمه الله-: "وكانت هذه النظرية (أي: المادية والحرية المفرطة) اتجاهاً جديداً لم يسبق في المسائل البشرية وما يتعلق بها، تقلب تيار الفكر وتصرف نظر الإنسان في الاستعلام والاستهداء في مسائله وفي تاريخه من الإنسان إلى الحيوان، وتجعله يعتقد أن هذا الكون سائر بغير عناية إلهية، وبغير أن تتداخل فيه قوة غير طبيعة، وأن لا علة في الكون سوى السنن الطبيعية، وأن الموجودات ترتقي من مراتب الحياة الأولى إلى مراتبها العليا بعمل فطري تدريجي عار من العقل والحكمة، وأن الإنسان وسائر أنواع الحيوان ليس من صنع صانع حكيم بل هو نتيجة نوايس طبيعية انتهت بها التنازع للبقاء وناموس بقاء الأصلح والانتخاب الطبيعي الذي هو سائر في الكون إلى إنسان ناطق ذي شعور.

إن مناقضة هذه النظرية للدين والعقل في المبادئ والغايات والنتائج الفكرية والخلقية وآثارها العملية واضحة، بل كان هذا ديناً جديداً يهدم الدين القديم من الأساس ويحل محله، فلا غرابة إذاً اضطرب لها رجال الدين وحسبوا لها كل حساب، وخافوا على مصير الدين في أوروبا².

مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

من أجل تجنب هذا الإغراء المادي، علينا أن نظهر إنجازاتنا في كل مجال، من الضروري استخدام كل تكتيك شرعي في تمجيد الإسلام، سيتم ذكر مسؤوليات الداعية المسلم أدناه حسب احتياجات المسلم اليومية في مواجهة هذه الأخطار:

¹ - المرتبط باسم "داروين" مثل: "الدارونية"، و"الدارونية الجديدة"، وأشهرها "الدارونية الاجتماعية"، وكانت جميعاً ذات شهرة في نهايات القرن وذات منحى مادي مُتلبس بدعوى علمية. الصلة بين الدارونية والمادية في صورتها الماركسية: نظراً لأن الدارونية أصبحت تمثل روح العلم في تلك المرحلة وهي في الوقت نفسه ذات تصور مادي، فهي بهذا الوضع ستكون كالمغناطيس الجاذب للمذاهب المادية (النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، حسن بن محمد حسن الأسمرى، 211/1، أصل الكتاب: رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع على نفقة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1433 هـ - 2012 م)

² - ماذا خسر العالم، ص: 170.

يجب على الدعاة الإسلام والمفكرين أن يدرسوا بعناية قرارات ومقررات لجنة جنيف لحقوق الإنسان في ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان وتفسيرها وتحليل كل بند من بنودها في ضوء التعاليم الإسلامية، ونشر عيوبها وعوارها في الناس.

الترتيب للمناقشات العلمية حول هذا الموضوع في المؤسسات الدينية والمدارس الدينية الكبرى، ووسائل الإعلام المختلفة.

على دعاة الإسلام في مراكز تعليم وتعلم القرآن الكريم، أن يجعلوا الأحاديث النبوية والمسائل الفقهية المتعلقة بهذه المواضيع جزءًا من خططهم التعليمية.

وعلى الكتاب الدعاة أن يعبروا عن آرائهم في هذه القضايا في الصحف الوطنية والمجلات العالمية.

هناك حاجة شديدة أن يعود المسلمون إلى أصولهم وأسسهم، ليتبعوا طريق أسلافهم ليخرجوا من هذا الذل والتبعية، وأن يقوموا من جديد.

المبحث الخامس: الإباحية

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على السيد الأمين أما بعد:

الإباحية في الأصل مأخوذة من "مباح"، ومرادفها "اللا دينية" و "العلمانية"، وهكذا يُستعمل في الأردية "لادينية"، وفي الإنجليزية يقال لها "scholarism"، والأستاذ الندوي رحمه الله عبّر عن هذا المصطلح (الإباحية) بـ "الحرية المطلقة"، كما في كتابه "ماذا خسر العالم (هر قسم کی آزادی) في النسخة الاردية)¹".

وقد أخبر النبي ﷺ الأمة بهذه الفتنة كما أخبرهم بغيرها من الفتن من بعثته المباركة إلى يوم القيامة، حتى تمتنع الأمة كلياً عن الضلال والخطأ واللا دينية والتكفير الذي يسبب الفتنة في العالم باسم الإباحية، و يشاهد عليها رواية النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها النبي ﷺ: (دعاة على أبواب جهنم، من أجاهم إليها قذفوه فيها)²، أي سيأتي وقت على الأمة يقف فيه فريق من الأوغاد على أبواب جهنم، سوف يدعونهم، ولا سيما المسلمين، من أطاعهم، سيلقون به فيه، أي في النار.

بأي وأمي ﷺ حذرنا من الخطر الكبير وفعلاً وقع الخطر كما أخبر، وكلمة "دعاة" تشير إلى تعدد أعداء الدين الملحد واللا ديني والإباحي، ولكل من هؤلاء مشاهد منذ فترة طويلة. وفيما يلي سنقدم لمحة موجزة عن أفكار الأستاذ الندوي حول الإباحية من خلال كتبه.

مفهوم الإباحية في فكر الأستاذ الندوي:

الإباحية هي في الواقع حركة ماسونية يهودية تهدف إلى إزالة الدين من جميع مناحي الحياة باسم حقوق الإنسان والمساواة والحرية والبحث والقانون الدولي والتعليم، وأن يدمنوا على المادية، وأن يحرموا من الروحانيات، ويقول إن اتباع الدين مخالف لحرية الإنسان، إذن فالسياسة والدين ضدّان والاقتصاد والدين ضدّان والمجتمع والدين ضدّان، فخرجوا بذلك عن الدين والطبيعة والفطرة، ووقعوا في انكار الحقائق.

¹ - ماذا خسر العالم للعلامة الندوي، المترجم: (انسانی دنیا پر مسلمانوں کا عروج و زوال کا اثر)، ص: 319، المجلس نشریات الإسلام کراتشي، ط: 11.

² - أخرجه البخاري، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، 51/9، الرقم: 7084.

قال الشيخ الندوي: "منذ قرون طويلة بدأنا ننظر الى أنفسنا كمجموعة بشرية موزعة في العالم، منتشرة في البلاد، ذات قوميات مختلفة، ولغات متنوعة، وثقافات محلية، محاطة بظروف، وأجواء خاصة، وامكانيات محدودة، تجمع بين فروعها المختلفة، وأسرها المتشعبة وحدتان اثنتان لا تالفة لهما، العقيدة والخضوع للغرب، والانحصر عليه في المعيشة والسياسة"¹.

لذلك اتباع أي دين غير صحيح على زعمهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾²، يشير استخدام كلمة "يصدون" في القرآن هنا إلى حقيقة أنها لن تخص زمن الرسول الكريم ﷺ، بل ستظل كذلك في كل عصر، وأشار إلى أنهم سيكونون في كل عصر وتلك سنة الله القائمة في هذا الكون فالصراع بين أهل الحق والباطل قائم حتى يوم القيامة.

أين وكيف بدأت الإباحية ؟

الإباحية هي في الواقع نتاج أوروبي، والسبب في ذلك كما نبه عليه الأستاذ الندوي أنه عندما جاء الإسلام وفتح أبواب العلم وانتشر تأثير الإسلام من الشرق إلى الغرب تفتحت أعين أهل الغرب، لأنه في القرن السادس عشر كان للمعبد والكنيسة تأثير كامل في أوروبا، وعندما رأى الأوروبيون في القرن السابع عشر الحرية الفكرية وتقدم المسلمين وضيق الأفق والتحيز لرجال الدين والملوك المسيحيين، حيث منعوا البحث العلمي واضطهاد من أبدوا آرائهم، وظهر لهم أن المسيحية كان، في الواقع، عقبة أمام تقدمهم.

لذلك في القرن السابع عشر، أعلن أهل الغرب كرههم للدين، وكان وخلف ذلك أيضاً المكائد والمؤامرات لأكثر الحركات التدميرية السرية في العالم، الماسونية، وهكذا عندما نجح أصحاب العلمانية و الإباحية، كانوا أعلن الآن يتحرر العقل ويتحرر الإنسان من عبودية الدين.

عندما ساد الإباحية في أوروبا، حلموا الآن بالسيطرة على العالم والإمبراطورية، وهكذا اتجهوا إلى الشرق وغزوا مصر في (1789م)، وبحلول مطلع القرن التاسع عشر اجتاحتها كل الشرق، واستولوا حتى على بعض المسلمين الماديين.

¹ - إلى الإسلام من جديد، ص: 93.

² - سورة النساء، الآية: 61.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "ليست الحضارة الغربية في القرن العشرين المسيحية وليدة هذه القرون المتأخرة التي تلت القرون المظلمة في أوروبا أو حديثة كما يتوهم كثير من الناس، بل يرجع تاريخها إلى آلاف من السنين، فهي سليل الحضارة اليونانية الحضارة الرومية قد خلفتهما في تراثهما السياسي والعقلي والمدني، وورثت عنهما كل ما خلفتا من ممتلكات ونظام سياسي وفلسفة اجتماعية، وتراث عقلي وعلمي، وانطبعت فيها ميولهما ونزعاتهما وخصائصهما، بل انحدرت إليها في الدم، فقد كانت الحضارة اليونانية أول مظهر رائع - حفظه لنا التاريخ - للعقلية الأوربية. وأول حضارة - سجلها التاريخ - قامت على أساس الفلسفة الأوربية تجلت فيها النفسية الأوربية، وعلى أنقاضها قام صرح الحضارة الرومية تحمل روحاً واحدة هي الروح الأوربية، وظلت الشعوب الأوربية طيلة قرون محتفظة بخصائصها وطبيعتها، وارثة لفلسفتها وعلومها وآدابها وأفكارها، حتى برزت بها في القرن التاسع عشر في ثوب براق يوهمك - بطلاوته وزهو ألوانه - أنه جديد النسيج ولكن لحمته وسداه من نسيج اليونان والرومان"¹.

وقال في موضع آخر: "ثم هنالك "الطابور الخامس" وهو ذلك الأدب المسلول المسموم الذي ولدته الثورة الفرنسية، وأرضعته الفوضى الخلقية والاباحية في أوروبا، وغذته الشيوعية، ذلك الأدب الخليع المستهتر، الذي ينبت في القلوب النفاق ويسقي غرس الشهوات، ويقوّض دعائم العمران، ويفسد نظام الأسرة، ويسخر من كل فضيلة، ويستتهن بكل أدب ونظام، ويّزّن للقارئ مذهب اللذة والانتفاع، وانتهاز الفرص، يلخص التاريخ ويوجز الفلسفة والعلم في حب المال والميل الجنسي، ويصور العالم كله، كأنه ليس الا ظهور هاتين العاطفتين، وليس وراء ذلك حقيقة علمية، ومبدأ سام أو غرض شريف.

وقد انتشر هذا الطابور في أنحاء العالم عن طريق الأدب والروايات والمجلات "والراديو" و "السينما" وتأثر به الحاضر والباد، وتحديث به العوائق في خدورها، وصار ينخر الحضارة الدينية والأدب الاسلامي حتى تسرب العطب اليوم الى لبابه"²

أنصار الإباحية في الغرب والشرق:

ومن بين الأشرار والمنحرفين الذين لعبوا دوراً كبيراً في انتشار الإباحية كان "داروين" في الغرب الذي أسس "نظرية التطور" باسم البحث والتي تعتبر أكبر خداع في العالم، بنفس الطريقة التي اقترح بها "فرويد" "نظرية

¹ - ماذا خسر العالم، ص: 141.

² - إلى الإسلام من جديد، ص: 153.

الجنسانية"، قدم "داركايم" أيضاً "نظرية العقل"، و"جون بول سارتر"⁽¹⁾ عرّف "نظرية الوجود"، ثم وضع "آدم سميث" أسس الرأسمالية "الرأسمالية"، ووضع "كارل ماركس" أسس "الشيوعية"، الذي كان جوهر وملخص جميع الأفكار المادية السابقة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وترى هذا الروح المادي في جميع نظم أوروبا السياسية والاجتماعية والخلقية التي ابتكرتها أو جددتها شعوبها لهذا العهد"².

وأيضاً قال: "وقد بلغ النظر المادي والفكر المادي في أوروبا درجة الاستغراق فيه والفناء ونسيان ما سوى القيم المادية، ولنضرب بذلك مثلاً بكارل ماركس (1818 - 1883 م) مؤسس الفلسفة الشيوعية"³.

وقال في نظرية داروين: "وكان تأثير هذه النظرية بعيداً عميقاً في الأفكار والحضارة والأدب والسياسة تراه وتلمسه في أخلاق الناس، وفي نزعات الرجوع إلى الفطرة وإلى العهد الذي كان الإنسان يعيش فيه على الفطرة عارياً حراً"⁴.

وفي الشرق، انطلق: ضيا جوك الب، ونامق كمال، وكمال أتاتورك، وطه حسين، ومصطفى كمال، وجمال عبد الناصر، وأنور السادات، وعلي باشا، والسر سيد خان، وجيراغ علي، وعناية الله المشرقى، وغلام برويز، وغلام قادياني، إلخ، لنشر أفكاره في الشرق، والآن هذا يسمى العمولة⁵.

¹ - جان بول سارتر (21 يونيو 1905 - 15 أبريل 1980) فيلسوف و كاتب و روائي و مسرحى فرنساوى. زعيم الفلسفة الوجودية فى القرن العشرين. شرح الوجودية فى كتابه الوجود و العدم (1943) و الوجودية (1946). ألف روايات الغثيان (1938) و عصر العقل (1945). كتب مسرحيات الايدى القذرة (1948) و لعنة الطونا (1956). ارتبط اسمه باسم صاحبه الكاتبة سيمون دى بوفوار. اتمنح جائزة نوبل فى الادب سنة 1964 لكن رفضها. (<https://arz.wikipedia.org/wiki>)

² - إلى الإسلام من جديد، ص: 168.

³ - ماذا خسر العالم، ص: 168.

⁴ - المصدر السابق، ص: 172.

⁵ - انظر الصراع بين الإسلام والفكرة الغربية، ص: 44-182.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وقد انتقلت هذه النفسية المادية إلى قادة حركات التجديد وبالأصح التغريب في الشرق الإسلامي وتواضعوا من عهد كمال إلى عهد جمال على الافتتان بالتقدم المادي واتخذوا القوة والرفاهية إلهًا يقدر ويعبد وبكفر بغيره"¹.

هدف الإباحية في فكر الأستاذ الندوي:

الهدف الحقيقي من الإباحية هو ربط الأمة الإسلامية بالمادية في العصر الحديث، وبعيدًا عن الإسلام، حتى تظل سيادة الغرب على حالها، لأن الفكر الإسلامي والروحانية الإسلامية والالتزام بالإسلام هو مفتاح نجاح وعلو المسلمين، لذلك يجب على المسلمين أن يركزوا اهتمامهم الكامل على الإيمان ومتطلباته، وألا يقعوا في فخ المادية، اللهم انا نسألك العفو والعافية في الدين و الدنيا و الآخرة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله-: "وكان من نتائج هذه المادية الجارفة، والتربية اللادينية التي ليس فيها نصيب للأخلاق ومحافة الله عز وجل، والإيمان بالآخرة أن أصحاب المراكز الكبيرة، ورجال السياسة"².

أنواع الإباحيين:

يمكن تقسيم الأفراد المتأثرين بالإباحية إلى ثلاث أنواع:

الأول: ومن هؤلاء الكفار وغير المتدينين الذين لا يعلنون الإسلام صراحة وعلانية، ينكرون أي دين، إذا كانوا مسلمين وقالوا مثل هذه الأشياء، فيعتبرون مرتدين.

ثانيًا: هؤلاء المنافقون المسلمون على ما يبدو يقبلون الإسلام لكن الكفر مختبئ في قلوبهم ويمكن التعرف عليهم بالإشارات وهذه هي العلامات:

أ. يسمون أنفسهم مصلحي الأمة أو مفكري الإسلام أو المجددين ، رغم أنهم يحاولون تدمير الإسلام وأسس الإسلام، فإن وضعهم هو عكس التعاليم والمطالب الإسلامية تمامًا، فهؤلاء الأشخاص هم الأكثر ضررًا على الإسلام والمسلمين.

ب. ويقولون إن التعاليم الإسلامية لا يمكن أن تصدر في العصر الحديث لأنها عفا عليها الزمن وليست ذات مصداقية، فليقبل المسلمون القانون الدولي لأن (نعوذ بالله من ذلك) هو الشريعة الإسلامية الوحيدة للمسلمين، وهي أكثر ربحية ونفعًا منها.

¹ - الصراع بين الإسلام والفكرة الغربية، ص: 225.

² - ماذا خسر العالم، ص: 172.

ج. إنهم ضحايا الفسق، يحاولون جعل الحرام حلالاً والحلال حراماً، ولا يدركون خطورة إثمهم.
د. وانظر باحتقار إلى أولئك الذين يمارسون الدين ويسخرون من الطقوس الدينية مثل اللحي والقبعات والجلباب، وما إلى ذلك، وأعتبر المؤمن أقل ذكاء.
هـ. بغض النظر عن اتجاه اتجاهها الأيديولوجي، وبغض النظر عن المكان الذي تهب فيه الرياح، فإن طبيعتها لا مثيل لها، على سبيل المثال، طالما أن روسيا هي المهيمنة، المؤيدة للشيوعية، والآن الولايات المتحدة هي المهيمنة، فهي متعصب الرأسمالية والديمقراطية.

ثالثاً: جهال المسلمين المتأثرين بمصطلحات مثل اللاأخلاقية والديمقراطية وحقوق الإنسان وحرية المرأة وحرية الرأي والدين والسياسة، والذين يسمون الآن بالمسلمين الغربيين، الذين يؤمنون بالإسلام ويقتنعون بواقعه نعم! ولكن بسبب بُعد المعرفة الدينية أو نقصها، تأثرت بهذه المصطلحات الجميلة.

الوسائل الحديثة لإنتشار الإباحية:

تبنت القوى المعادية للإسلام، وخاصة الصهانية والصليبيين، والمعروفين أيضاً بالشيوعيين، أساليب مختلفة لنشر الإباحية بين المسلمين:

أ. الترويج عبر وسائل الإعلام الإلكترونية والمطبوعة أن الإسلام هو سبب عصر الانحطاط، وأن تعاليمه تحتوي على تقاليد قديمة، لم يمارس في عصر التقدم المادي، وإن لم يكن على الإطلاق.
ب. إشاعة أن الإسلام دين دموي، أي أن تاريخه مليء بالقمع والظلم، ومع ذلك، فإن الواقع هو عكس ذلك تماماً، إذا درسنا التاريخ بعناية، فسنجد أنه في المائة عام الماضية، باسم الديمقراطية والإباحية، لم يكن هناك مثال واحد في الإسلام حيث كان هناك الكثير من القمع والظلم مذبح في العالم، التاريخ الإسلامي ليس دموياً وقاسياً، إذا كان تاريخاً قاسياً، فهو تاريخ أولئك الذين يرددون شعار العلمانية والإباحية، ولكن لكي يخفوا عيوبهم يلومون المسلمين.

ج. الزعم بأن القرآن والحديث النبوي نزل على جماعة وجيل معين، أو القول بأن القرآن والحديث -والعياذ بالله- ليس حقيقة، بل جمعه الإنسان، ويعلن القرآن أن الحقائق تنفي ذلك صراحة:
﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾¹، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ - إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾².

¹ - سورة إبراهيم، الآية: 2.

² - سورة النجم، الآية: 3، 4.

د. أن ينكر ويسخر من الإيمان بالغيب ويقول إن الطبيعة لا تعترف به، ويقول إن الملائكة والجن والجنة والنار والحساب والبرزخ والقدر والصعود والمعجزات والأنبياء إلخ، هذه كلها خرافات، لا حقيقة لها، ومع ذلك، فإن القرآن في أول سورة البقرة يصف المسلمين الأتقياء: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾¹، ولذا فهم مقتنعون (بأن النسخ له الأسبقية على العقل).

هـ. عسكرة القيم الأخلاقية في المجتمع الإسلامي ونشر الإباحية، ودمج مثل هذه المواد في المناهج التعليمية بحيث يحرم أبناء الأمة من الإيمان بالله والإيمان بالقيامة منذ الطفولة، ويصبحون مولعين بالجنس والمادية والأزياء، يجب أن يصنع الجو بحيث تصبح الرومانسية والفكاهة عادة لدى الشباب، مثل هذه الأفلام والمسلسلات يجب أن تصنع، وفيه يروج للضرب والقتال والشجار والفتنة والفساد والحب والفسق والإباحية ومع ذلك، فإن التعاليم الإسلامية تعلم الابتعاد التام عن الفسق والإباحي وشؤون الحب والفتنة والفساد.

و. في مواجهة التوحيد والتنوير، يتم محاولة انتشار ما يسمى بالاعتدال، والذي يمكن تسميته بعبارة أخرى الحداثة "Modernism"، في كل طبقة، وهو ما يتعارض تمامًا مع تعاليم الإسلام.

ز. يسمى العدوان الفكري المستمر على الإسلام بالثقافة وتبادل الثقافة، بحيث لا يكون الشعور بالعدوان الفكري على قيد الحياة، ويجب على المسلمين اعتناق الثقافة الغربية بكل إخلاص. ح. بدون دليل، يوصف الإسلام بأنه "إرهابي" والمسلمون متطرفون وقاسون وقاتلون وعديمو الرحمة، حتى يكره الناس الإسلام والمسلمين، ولا يزدهر الإسلام.

ط. يتم إدخال الخمر والقمار والربا والمحارم وتعميمها بين المسلمين بأسماء جميلة وجديدة، حتى لا يبقى التمييز بين الحلال والحرام، ويمكن للمسلمين التورط في شرائه وبيعه واستعماله دون خوف.

ي. الإسلام وتعاليمه كالحذ والتعزيرات ونحو ذلك، والاستهزاء بالشخصيات الإسلامية، كالرسول ﷺ وأصحابه والمجاهدين ونحوهم، وتشويه حياتهم وإثارة الشك فيهم ونحو ذلك، يملأ قلوب المسلمين بحب الإسلام والشخصيات الإسلامية وتعاليمه.

ك. لتعميم الأيديولوجيات الغربية الخاطئة، وبذل كل ما في وسعها لمنح أصحاب هذه الأيديولوجيات الكاذبة أعلى مكانة في مجال المعرفة والبحث، والقول إن هؤلاء الناس في

¹ - سورة البقرة، الآية: 3.

الواقع هم النجوم الساطعة في عالم العلم والبحث و لقد فعلوا خيراً للعالم، على الرغم من أن الواقع عكس ذلك، لأنهم باسم المعرفة والبحث ضلّلوا العالم، مثل داروين، وفرويد، ومارجو ليث، وكارل ماركس، ودوركايم، وجون بول وغيرهم، قد يكون هؤلاء الأئمة مضللين، لكن لا يمكن أن يكونوا محسنين للعالم.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله:- "إن شقاء الإنسانية في انفصال الغرب عن الشرق، وفي انفصال العلم عن الإيمان، وفي انفصال المؤسسات عن الأخلاق والغايات الصالحة، هذا الانفصال النكد الذي جرّ على مدينتنا شقاء طويلاً، والإيمان تقدم وتضخم في الشرق قديماً، والعلم تقدم وتضخم في الغرب حديثاً، والإيمان لا يزال ينتظر مرافقة العلم، والعلم لا يزال ينتظر مراقبة الإيمان، والإنسانية تنتظر التقاءهما وتعاونهما، في بناء المجتمع الجديد، وفي إنشاء الجليل السعيد"

وأيضاً قال: "إن ثروة الشرق، وهديته ذلك الإيمان الذي نبع وفاض في الشرق، وأخذ الغربيون منه نصيباً في بداية تقويمهم الميلادي، ثم نبع وفاض بقوة هائلة، قوة لانظير لها، في التاريخ في القرن السابع من تقويمهم، نبع في ركن بعيد من جزيرة العرب"¹.

أثر الإباحية في المجتمع الإسلامي:

الإباحية تسببت بأكبر قدر من الضرر للعالم الإسلامي، لأن المفكرين الإباحيين، بمن فيهم أشخاص مثل كمال أتاتورك، تسببت في سقوط الخلافة الإسلامية، وعانت إمبراطورية الإسلام العثمانية العظيمة من الانقسام بعد الانقسام، حتى أنها انقسمت إلى خمسين جزءاً، نشأ وجود إسرائيل غير المقدس بين الدول الإسلامية، تم تمهيد الفحش والفسق وكل شر منتشر في العالم الإسلامي، وأصبح العالم الإسلامي كله جحيماً باسم الديمقراطية والعملة.

قال الشيخ الندوي-رحمه الله- في بيان تمثيل الإباحية والأثر على المجتمع الإسلامي: "بينما نرى في رجال حكومة الجباية معاكسة القانون ورجاله والاجتهاد في معاجزته والتفلسف منه، والكبر والتجبر، والاثرة والخيانة، والنفاق والزور، وفشو الرشوة الى حد يدعو الانسان بين الركن والمقام أن لا يتلى منهم، فلا ينال الانسان حقه من العدل والراحة، ولا يتمتع بحقوقه المدنية الا اذا رضخ من ماله لهذا وقدم طعمة لذاك. ويستفحل الأمر ويجل الخطب، حتى لا يرى أحد في هذه الحكومة أنه خادم أمة وأمين حكومة، لا يعد نفسه الا جابيا - ولكن لنفسه وعياله - قد منحتة

¹ - الصراع بين الإسلام والفكرة الغربية، ص: 248.

الحكومة فرصة جمع الأموال، فلا يريد أن تفلته هذه الفرصة ويتخلف عن قافلة الجباة الشخصيين، وقد اشتد بها الجدد، وجد بها السير"¹.

وهذه الرذائل التي تنشأ بالإنسانية المطلقة، كما نرى في فكر الشيخ الندوي رحمه الله.

ما مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر؟

- 1- الدعوة بالعلم والحكمة.
 - 2- ادراك التحديات ووضع استراتيجيات مناسبة.
 - 3- القدوة الحسنة والقوة الاخلاقية.
 - 4- الاهتمام بالشباب واصلاحهم.
 - 5- الصبر والثبات.
- وما هي أهم التحديات التي تواجه الدعوة في العصر الحاضر؟

- 1- التشكيك في الثوابت الإسلامية.
- 2- الغزو الفكري والثقافي.
- 3- الإعلام التكنولوجي الحديثة.
- 4- الفرقة داخل الأمة.

وما هي الوسائل الدعوة الحديثة واهميتها؟

- 1- استخدام وسائل الإعلام الحديثة.
- 2- التفاعل عبر وسائل التواصل الاجتماعي.
- 3- اقامة الدورات والمحاضرات الإلكترونية.
- 4- ترجمة المحتوى الإسلامي.

¹ - إلى الإسلام من جديد، ص: 109.

ماهي صفات الداعية في العصر الحاضر؟

1- العلم الشرعي الراسخ.

2- الحكمة في الدعوة.

3- القدرة على الإقناع والحوار.

4- التجدد والتكيف مع العصر.

5- الصبر والاستمرار.

ونسأل الله أن يحفظنا من كل شر، ويرزقنا القدرة على كل طاعة، ويربط الأمة كلها بالإسلام،

آمين يا رب العالمين!

نتائج البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أما بعد، فبعد أن وفقنا الله عز وجل لإتمام هذا البحث فقد توصلت فيه إلى النتائج التالية:

كان الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله صاحب بصيرة وعلم وكان همه واهتمامه ينصب في مصلحة الأمة واصلاح المجتمع واستخدم لذلك أساليب شتى وطرق مختلفة تتوافق مع الشرع المطهر والعقل السليم والحكمة العالية التي ينبغي للداعي الناجح أن يتبناها في حياته الدعوية، وقد ترك رحمه الله تراثا عظيما من مؤلفات ومقالات ومحاضرات مسموعة ومرئية فيها فوائد قيمة لا سيما فيما يتعلق بالدعوة إلى الله عز وجل، ينبغي أن يستفاد منها، فقد ذكر بأسلوبه الرفيع ما يعاني منها الدعاة والمجتمعات من المشاكل ووضح علاجها وحلولها والمخرج منها:

1- ركز الشيخ أبو الحسن على الندوي -رحمه الله- في مسيرته الدعوية على سير السلف الصالح وعلماء الإسلام السابقين، وكيفية دعوتهم وما جاء عنهم في دعوتهم إلى الله وخدمتهم للإسلام والمسلمين لا سيما وقد كتب كتابات جميلة في المسيرة الدعوية لبعض العلماء على سبيل المثال: سيدنا عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - وإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - وإمام عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - وإمام أحمد سرهندي - رحمه الله - وإمام الشاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله - وغيره.

وتطبيق مناهجهم في العصر الحديث ومشاكلة مع مراعاة الفوارق الزمانية والمكانية وقد أعطت دعوته ثمارها بفضل الله ومنه.

2- حث الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله الدعاة على مراعاة الفوارق الزمانية والمكانية للمدعويين في الدعوة إلى الله استنباطا من منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته إلى الله في الفترة المكية والفترة المدنية وأن لكل فترة خصائصها وعلى

الداعية أن يطبق تلك الخصائص على ما يشبه كل فترة في هذا الزمان، وأن لا يختلط بينها.

3- الغرض من تنوع أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى الله، من الترغيب والترهيب والقصص والتاريخ والأمر والنهي والتفريق بين الدعوة السلمية وغير السلمية: فتح نوافذ قلب المدعو على الحقيقة وإزالة الشكوك والتشكيك، والإرشاد إلى أن نكون واضحين في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. لذلك فقد أوضح منهجيته في الدعوة بهذه الكلمات: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

4- من الأساليب الدعوية في الدعوة السلمية : الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن .

5- الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أعطوا الحكمة مع الكتاب مما يوضح أن الكتاب والحكمة شيئان مختلفان ولكن هناك علاقة عميقة وقوية بينهما وبين تعاليمهما، فكما أن وجود الحكمة ضروري لتعليم كتاب الله، كذلك وجود كتاب الله ضروري لتعليم الحكمة، والجمع بينهما في القرآن الحكيم يدل على أن تعليم الحكمة يخضع لتعاليم كتاب الله، وأن كل تعليم في القرآن مبني على الحكمة.

6- مما يحتاج إليه في الحكمة: الحجة الواضحة، والتجنب من الإكراه، والصبر والحلم في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

والموعظة الحسنة لا بد فيها من الرفق واللفظ في الكلمات، والإيجاز والبلاغة، واستعمال القصص والأمثال حسب الحاجة.

7- من آداب الدعوة التي ذكرها الشيخ أبو الحسن على الندوي-رحمه الله-

أن الحنان يسبق الدعوة، فقبل أن تدعو للإيمان لا بد أن يسبق ذلك حنانك عليه بكلمات رقيقة ولطيفة ؛ لتكسب مودته أولاً، ويطمئن لك ويستعد لسماع دعوتك، وتنتهز الفرصة المناسبة للانتقال إلى أن تدعوه للمقصود والهدف، وتختار من الدلائل

ما يناسب المقام، وتتفطن لما عند الخصم من الذكاء والبيان، والالتزام بطريقة القرآن في الإجمال والتفصيل حسب ما تقتضيه المسألة وحسب ما يقتضيه المقام، وعدم الإكثار عليه حتى لا يمل، وتحمل الأذى والصبر عليه، وغير ذلك من الضوابط التي ذكرها.

8- كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم سرية في أول أمرها، إلهاما من الله، لتعليم الدعاة من بعده، وإرشادهم إلى مشروعية الأخذ بالحيلة والأسباب الظاهرة.

9- من أهم البنود الدعوية في الغزوات والسرايا النبوية التي ذكر الشيخ الندوي: الإشعار بالوجود الإسلامي، وإظهار أن الهيمنة للحق، وحماية الدعوة الإسلامية وتأمين انتشارها، وبسط السلام في الأرض والدفاع عن المستضعفين، وهزيمة الكفر في حربه للإسلام، وتحقيق السيادة والاستخلاف في الأرض، وسرعة السيطرة على الأمور، وكسر شوكة من يكيدون له، وكشفت هذه الغزوات مكائد اليهود ودسائسهم وحقدهم على المسلمين، وإتقان الخطط العسكرية، والدعوة إلى الله بالرسائل إلى أمراء الجزيرة العربية، وغيرها.

10- من حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في خطاباته الدعوية للملوك والأمراء مراعاة ما يمتاز به كل ملك من العقيدة التي يدين بها، فصدر كتابه لهرقل والمقوقس بقوله: (من محمد عبد الله ورسوله) للدلالة على أن الأنبياء ليسوا إلا عبيدا لله سبحانه وتعالى، مثل سائر الناس؛ لأنهما كانا يدينان بألوهية المسيح وكونه ابن الله، والعياذ بالله تعالى، بينما صدر كتابه لكسرى أبرويز بقوله: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس) ولما كان كسرى وقومه من عبدة الشمس والنار وعندهم تصور خاطئ من النبوة والرسالة السماوية جاء قوله صلى الله عليه وسلم له في رسالته: (إني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا).

11- شارك الشيخ الندوي-رحمه الله- في نشاطات بعض كبرى الحركات الإسلامية الإصلاحية والدعوية المعاصرة، وجربها، وأبدى تقديره لخدمتها ومنجزاتها، وانتقد ما شاهد فيها من عيوب وانحراف، بأسلوب معتدل مقنع، وبحكمة وموعظة حسنة،

واتصل بكبار قادة الفكر في عصره، وانتقد أفكارهم ومناهجهم بمنهج متزن لا يثير الحفيظة والكراهية، وزودهم بنصائح وبمنارات إرشادية تنير السبل.

12- وفي الجزء الأخير من هذا البحث تم تقديم هذه الإقتباسات التي ذكر فيها الشيخ الندوي-رحمه الله- القضايا الدعوية المعاصرة، والتي وصف فيها أهداف الغزو الغربي على الإسلام بعناية شديدة، فقال: العصر هو لنشوء الحضارة الغربية التي تحاول فيها إضعاف الإسلام بكل الطرق، أحياناً بالإلحاد، وأحياناً بالمادية، وأحياناً باسم ميثاق حقوق الإنسان وأحياناً ضد الإسلام باسم اللادينية.

13- وخاطب كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي، وأطلعه على مسؤولياته، وكيف يجب عليه البقاء على اتصال بدين الإسلام، وكيفية إعلاء دين الله في هذا المجتمع الذي مليئ بالصعوبات والفتن، نعم سيكون كذلك وحلها التواضع الديني، والتطور الروحي، والإلمام بعلوم العصر الحديث وفنونه، حتى لو كان لا بد من مواجهة أتباع الفتنة بلغتهم في ضوء الإسلام، فإن الأمة الإسلامية ستواجه هذه الفتنة سوف تكون قادرة على منعها. والله الموفق

التوصيات

- 1- على المسلم أن يثق في نصر الله - عزوجل - للمؤمنين الصادقين.
- 2- على المسلم أن يكون يقظا فطنا لكل ما يحاك ضد المسلمين من مؤامرات صليبية صهيونية ماكرة.
- 3- لا ينبغي للمسلم أن يغتر بشعارات الغرب ومبادئه الزائفة التي افتنن بها بعض المستغربين من الحرية والديمقراطية واحترام لحقوق الإنسان، وأن كلها كذب لا حقيقة لها، فكم كشفت لنا وسائل الإعلام كذبهم زيفهم فيما يدعون، فكم من مشرد في الشوارع بلا حقوق ولا احترام، وكم من ظلم وقعوا فيه في البلدان الإسلامية، فعلى المسلم أن لا ينخدع بدعاويهم الكاذبة.
- 4- ينبغي للمؤسسات التعليمية والإعلامية : مدارس، جامعات، تلفزيون، صحافة، شبكة المعلومات "الإنترنت" توعية الأجيال الصاعدة بجميع التيارات والاتجاهات الوافدة للتعرف عليها وتوقي أخطارها.
- 5- يجب الكشف عن أصالة جوهر الإسلام وإيجابياته، وبيان رقي حضارته التي انتفعت بها البشرية.
- 6- ينبغي التعرف على أسباب تأخر مجتمعات الغرب وتخلّفها.
- 7- ينبغي تعميق وترسيخ الإسلام في قلوب المسلمين، وعدم عزله عن أي ناحية من نواحي الحياة، اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو فكرية.
- 8- ينبغي الدفاع عن قضايا الأمة الإسلامية المصيرية وعدم تهميشها.
- 9- من الواجب توضيح معنى الحرية الحقيقية وضوابطها المستقاة من شريعتنا الغراء لشباب وفتيات الأمة الإسلامية، حتى تكون للمسلم هويته وشخصيته المستقلة: عقيدة وسلوكاً وأخلاقاً.

10- يجب علينا النظرة الفاحصة الناقدة لكل ثقافة أو علم أو فكرة أو رأي واراد من غير المسلمين، وينبغي إخضانه لميزان الإسلام، فنقبل منه ما لا يتعارض مع أصولنا وقيمنا الإسلامية، ونرد ونرفض ما يتعارض معها.

11- الحفاظ على هويتنا الإسلامية بالحفاظ على لغتها العربية لغة القرآن.

وأخيراً: أرجو أن أكون قد وفقت في أعداد هذه المقالة على الوجه الذي يرضي الله سبحانه وتعالى، وأسأل الله السلامة والإسلام، والأمن والأمان، والنصر على الأعداء، والعزة للإسلام والمسلمين.

وآخر دعوانا عن الحمد لله رب العالمين

فهرس الآيات الكريمة

سورة الفاتحة			
94	7__1	اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ	1
سورة البقرة			
222	13	أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ....	2
158	33	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ	
208	38	ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً	
169	42	يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ...	
185	43	شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...	
256	44	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ	
83	46	وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا	
23	47	وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا	
261	47	مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ....	
213	48	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً	
64	48	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا....	
258	49	رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ	
260....259	86	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا....	
168	143	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا....	
45	171	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ	
165	277...210	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ....	
213	257	اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمُ....	
29	294	هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا	
300	162	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	
3	389	الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ	
(3) سورة آل عمران			
81	42	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ	

142	-64-43 222	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ	
138	46	هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ	
110	-85-84 168-88	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ	
187	86	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	
104	-90-87 215	وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ	
164	89	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا	
19	228-92	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ	
85	234-92	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ	
31	233-193	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي	
102	227	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ	
51	256	إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ	
7	271	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ	
195	328	فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ	
139	391	وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	
(4) سورة نساء			
165...163	89	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ	
131	77	كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ	
104	175	وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ	
58	210-182	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا	
136	227	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	
60	278	يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ	
61	385	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ	
(5) المائدة			
15	43	قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ	

3	-92-51 -194-86 234-209	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي	
118	175	إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ	
8	182	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ	
22....21	186	يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ	
41	209	آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ	
8	272-249	وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا	
116	256	وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ	
		اتَّخِذُونِي	
72	257	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	
72	257	وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ	
(6) الأنعام			
19	91	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ	
38	82	أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ	
162	92	قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ	
122	182	أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ	
165	182	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ	
153	213	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا	
29	225	وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ	
89	225	أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ	
(7) الأعراف			
55	13	ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً	
85	35	وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا	
116....115	49	قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ	
158	91	قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا	
9....6	280	فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ	
41	280	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا	

(8) أنفال			
61	38	وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا	
25	253	وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً	
39	302	وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ	
(9) التوبة			
71	216	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ	
218	128	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ	
(10) يونس			
10	13	دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ	
57	46	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ	
46	174	وَإِنَّمَا تُرِيتَكَ بِغُضِّ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ	
32	213	فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ	
(11) هود			
116	90	فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ	
75	230-190	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ	
40	231-191	وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ	
(12) يوسف			
108	90-87	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ	
37	100-99	لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا	
40	233-192	إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ	
(13) الرعد			
36	88	قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ	
17	323	فَأَمَّا الرَّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً	
(14) ابراهيم			
34	294	وَأَنَّا كُنْمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ	
2	389	كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ	
(15) الحجر			
89	-112 232-191	فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ	

94	112	وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ	
9	235-194	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ	
(16) النحل			
125	-38-37 91-85	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	
90	-241-90 248	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ	
36	92	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ	
89	92	وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ	
123....120	96	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا	
(17) الإسراء			
23	12	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ	
4	12	وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ	
41	37	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا	
70	245	وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ	
(18) الكهف			
6	174-40	فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا	
110	92	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ	
14...13	176	فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى	
28	218-212	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ	
43	97	وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ	
29	239	إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا	
(19) مريم			
43	97	يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ	
42	97	يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا	
(20) طه			
44...43	46	ادْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ	
(21) الأنبياء			

107	139	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا	
25	206	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ	
(22) الحج			
31	38	وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ	
78...77	90-85	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ	
41	-171-85 215	الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ	
39	131	أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا	
41	213	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ	
18	294	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ	
32	310	شعائر الله	
28	315	لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ	
(23) المؤمنون			
73	87	وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	
2..1	297	فَذُفِّلِحَ الْمُؤْمِنُونَ	
4	297	وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ	
(24) النور			
39	202	كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً	
36	296	تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ	
(25) الفرقان			
1	97	لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا	
(26) الشعراء			
119	40-219	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ	
73...71	97	قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظْلُهَا عَاكِفِينَ	
74	98	قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ	
14	101	وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ	
115...114	112	وَأُنذِرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ	

4	169	فَظَلَّلْتُ أَعْنَافَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ	
98...97	277	تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ	
(27) النمل			
48	34	وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ	
(28) القصص			
59	90	وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ	
87	91	وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ	
5	135	وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ	
83	182	تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَىٰ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ	
56	239	إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي	
(29) العنكبوت			
69	17	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا	
29	35	أَتَيْنَكُمْ لِنَأْتِيَنَّ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُوا فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ	
45	296	اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ	
(31) لقمان			
13	47	يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	
(33) الأحزاب			
4	13	وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ	
23	61	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ	
40	234-194	مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ	
46	214	وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا	
33	339	وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ	
(35) فاطر			

32	226	ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ	
(38) ص			
86	219	قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ	
20	282	وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ	
(39) الزمر			
3...2	40	فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ	
3	223	وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى	
(41) فصلت			
33	215	وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا	
40	254	إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا	
(42) الشورى			
53....52	91-88	وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	
11	99	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ	
21	233-192	أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ	
13	270	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ	
(43) الزخرف			
58	270	مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ	
(45) الجاثية			
24	225	وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا	
(46) الأحقاف			
31....29	123	وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ	
(48) الفتح			
28	89	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ	

26	274	إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ	
(49) الحجرات			
13	183	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى	
(53) النجم			
3	281	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى	
4....3	389	وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى	
(57) الحديد			
27	216	وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ	
(59) الحشر			
23...21	98	هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ	
(60) الممتحنة			
4	-230 190-321	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ	
(61) الصف			
8	132	يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ	
(62) الجمعة			
2	89	لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا	
(65) الطلاق			
3	242	وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ	
(66) التحريم			
6	125	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا	
(68) القلم			
4	243	وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ	
(71) نوح			
8...5	-191 231-219	قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا	

(73) المزمّل			
10	45	وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا	
(74) المدثر			
7...1	84-45	يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ - قُمْ فَأَنْذِرْ	
(103) العصر			
3...1	236	وَالْعَصْرِ - إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ.....	

فهرس الاحاديث المباركة

الإعداد	النص	المصدر	الصفحة
1	اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب	صحيح البخاري	13
2	خلقه القرآن	مسند أحمد	41
3	إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً....	صحيح مسلم	43
4	حلو المنطق فصلاً، لا نزر ولا هذر..	مستدرک حاکم	45
5	فوالله ما الفقر أخشى عليكم...	صحيح البخاري	60
6	التجديد	سنن أبي داود	77
7	فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته..	صحيح البخاري	89
8	من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله...	سنن الترمذي	89
9	من دل على خير فله مثل أجر فاعله...	صحيح مسلم	90
10	من دعا إلى هدى كان له من الأجر...	صحيح مسلم	90
11	لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً...	صحيح البخاري	92
12	يجيء النبي ومعه الرجلان...	مسند أحمد	93

116	صحيح البخاري	فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد	13
117	مسند أبو يعلى	إن قومك قد جاؤوني، فقالوا لي كذا وكذا...	14
120	مسند أحمد	فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الناس إذا وافى الموسم...	15
123	مجمع الزوائد	هل معك مما جاء به صاحبكم عن الله من شيء؟...	16
124	مسند أحمد	ومكافأته على حسن صنيعه...	17
126	الطبراني	اللهم إليك أشكو ضعف قوتي...	18
127	متفق عليه	بل أرجو أن يخرج من أصلاحهم من يعبد الله وحده.....	19
131	صحيح البخاري وأبو داود	فما رأينا منظرًا شبيها به...	20
132	صحيح البخاري	الله أكبر! جاء رسول الله، الله أكبر..	21
133	صحيح البخاري	حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدا...	22
135	زاد المعاد	فلما قويت الشوكة، واشتد الجناح...	23
139	صحيح البخاري	الآن نغزوهم ولا يغزوننا....	24
144	صحيح مسلم وسنن الترمذي	يدعوهم فيها إلى الإسلام....	25

26	فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتاك الله أجرَك مرتين...	146	متفق عليه، الترمذي وأبو داؤد، ومسند أحمد
27	فإن أبيت فعليك إثم المجوس....	146	الطبري، وبخاري، ومسند أحمد
28	اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني، وتعلم سري وعلايتي....	174	المعجم الكبير للطبراني
29	إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام	175	صحيح مسلم
30	اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة....	177	صحيح مسلم
31	أفلا أكون عبدا شكورا....	179	سنن الترمذي
32	إنا والله لا نُؤلي هذا العمل أحداً سأله	185	سنن الكبرى للبيهقي
33	ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم....	193	صحيح مسلم
34	أن لا يجمع أمتي على ضلالة...	198	مسند أحمد
35	وأنهاكم عن المنكر وآتيه....	210210	صحيح البخاري
36	رأيت ليلة أسري بي رجالا....	210	مسند أحمد
37	كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته...	211	صحيح البخاري
38	من دعا إلى هدى كان له من الأجر	219	سنن أبو داؤد

222	شعب الإيمان	المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم...	39
222	صحيح البخاري	أشد الناس بلاءً الأنبياء....	40
227	صحيح البخاري	إنك ستأتي قوماً أهل كتاب....	41
234	صحيح مسلم	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله.	42
235	صحيح مسلم	ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟..	43
240	مسند أحمد	أن لا يجمع أمتي على ضلالة...	44
240	صحيح البخاري	أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه	45
246	صحيح مسلم	يا بن آدم، مرضت فلم تعدني....	46
253	الترمذي	الراحمون يرحمهم الرحمن...	47
253	صحيح مسلم	إن الله كتب الإحسان...	48
256	الترمذي	والله إنك لخير أرض الله....	49
267	سنن لأبو داود والنسائي	قالوا: كنا نلعبُ فيهما في الجاهلية.	50
267	صحيح البخاري	فإنها أيام عيد، وتلك الأيام أيام منى....	51
275	صحيح البخاري	إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد....	52
276	الترمذي	ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه..	53

284	صحيح البخاري	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان....	54
304	مسند أحمد	وأمرنا أن نعبد الله وحده....	55
307	صحيح البخاري	تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم....	56
307	صحيح البخاري	مثل البخيل والمنفق كمثلي رجلين عليهما....	57
309	صحيح البخاري	لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت عن سرية....	58
312	سنن أبو داود	أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر....	59
312	صحيح مسلم	مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم	60
339	صحيح البخاري	من صام رمضان، إيماناً واحتساباً..	61
340	مؤطا إمام مالك	من قام رمضان إيماناً واحتساباً...	62
342	صحيح البخاري	ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته	63

الفهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام	الإعداد
15	الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه	1
15	قطب الدين محمد بن السيد المدني	2
15	عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني	3
19	خليل بن محمد بن حسين اليماني	4
19	حيدر حسن بن أحمد حسن بن غلام حسين خان الياغستاني الأفغاني الطوكي	5
19	نذير حسين الدهلوي	6
19	أحمد علي اللاهوري	7
19	حسين أحمد بن حبيب الله الحنفي المدني	8
20	أنور شاه بن معظم شاه الحسيني الحنفي الكشميري	9
20	سليمان بن أبي الحسن الندوي	10
21	عبد الماجد دريادي	11
39	محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي	12
57	عمر بن عبد العزيز بن مروان بن حكم	13
59	الحسن بن يسار البصري	14
61	عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون	15
62	أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان	16
66	أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني	17
68	علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري	18
70	محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي	19
71	أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني	20
73	جلال الدين الرومي	21
74	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية	22
76	أحمد الحنفي السرهندي الفاروقي	23
78	أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين المعروف بشاه ولي الله الدهلوي	24

25	أحمد بن عرفان بن نور الشريف الحسني البريلوي	82
26	محمد حميد الله الحيدر آبادي	134
27	هوذة بن علي الحنفي	141
28	حارث بن أبي ثمر الغساني	141
29	أحمد عز الدين البيانوني	213
30	ورقة بن نوفل بن أسد الشاعر	222
31	عبد العزيز بن عبد الله بن باز	233
32	الإسكندر	246
33	جنكيز	246
34	هولاكو خان	246
35	هتلر	246
36	جيبون	252
37	ايتش جي ولز	252
38	هيرالد ليمب	252
39	مقرون بن عمرو	253
40	راجا بيكراما جيت	254
41	سينت بولس	263
42	دراير	264
43	الراهب الإسكندري	265
44	ليكي	266
45	عبد القادر رايبوري	292
46	داروين	366
47	فرويد	366
48	ماركس	366
49	وإنجلز	366
50	دوركاييم	366
51	سلمان رشدي	387
52	نسرين	388

388	اسيا	53
396	چان بول سارتر	54
396	آدم سميت	55
396	كارل ماركس	56
119	أم جميل	57
142	جيفر بن جلندی وعبد بن جلندی	58

الفهرس الأماكن

الصفحة	الأماكن	الإعداد
14	تكية كلان	1
62	آسيا	2
62	أفريقيا	3
64	القارة	4
65	إسبانيا	5
85	ديكان	6
85	مرهتا	7
110	الغار الحراء	8
126	الطائف	9
128	وادي نخلة	10
134	المريد	11
142	البحرين	12
153	كابل	13
153	كاشغر	14
153	بخارى	15

المصادر والمراجع

1. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: 3، - 1420 هـ .
2. السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: 1420هـ)، دار ابن كثير - دمشق، ط: 12 - 1425 هـ.
3. أبو داود، في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المثة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. صححه الحاكم ووافقه الذهبي.
4. الأحاديث الصريحة في أمريكا (نئ دينا امريكايل صاف صاف باتيل)، ص: 136.
5. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
6. إذهب ربح الإيمان.
7. الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة للعلامة أبو الحسن علي الندوي، دار الكتب الإسلامية.
8. أريد أن أتحدث إلى الإخوان، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: 1420هـ).
9. الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 5، 1402هـ / 1983م.
10. الإسلام والحكم للعلامة أبو الحسن علي الندوي، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة. ط: الأولى، 1398 هـ - 1978 م. مقالات إسلامية في الفكر والدعوة للعلامة الندوي، إعداد: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير بيروت.
11. الإسلام والحكم للعلامة الندوي.
12. اسمعيات للعلامة الندوي.
13. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط: 9، 1421هـ - 2001م.
14. أصول الدعوة، كود المادة GDWH5073 : المرحلة: ماجستير، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.
15. أصول الدعوة، مناهج جامعة المدينة العالمية، كود المادة GDWH5073 :، الناشر: جامعة المدينة العالمية.
16. إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1423 هـ.
17. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: 7، 1419هـ - 1999م.
18. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، محمد علي محمد إمام، مطبعة السلام، ميت غمر - مصر، ط: 1، 2005 م.

19. إلى الإسلام من جديد.
20. الأمر بالمعروف لابن تيمية.
21. أهم موجّهات للفكر والدعوة، مولانا بلال عبد الحي الندوي، (دعوت و فکر کے اہم پہلو)، الأكادمي السيد أحمد شهيد رائ بريلي
22. البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: 1، 1422هـ.
23. بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد، د. علي محمد عبد الوهاب، ص: 115-117، دار عالم الكتب، ط: 2، 1421هـ / 2000م.
24. تاريخ الحركات الإسلامية في العالم، بوابة فيتو نسخة محفوظة 03 يناير 2018 على موقع واي باك مشين.
25. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ، دار التراث - بيروت، ط: 2 - 1387هـ.
26. التعريف بالإسلام، مركز قطر للتعريف بالإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - بقطر.
27. تعمير الإنسانية للعلامة الندوي.
28. التغريب والغزو الصّهيوني، عمر التومي الشيباني: مجلة الثقافة العربية، ليبيا، 1982.
29. تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، 1420هـ - 1999م.
30. التفسير السياسي للإسلام في مرآة، كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي وسيد قطب الشهيد، ندوة العلماء لكاناؤ، الهند، ط: 1399هـ.
31. التفسير السياسي للإسلام، للعلامة الندوي، دار القلم الكويت، ط: 3.
32. تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمام، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: 1، 1422هـ - 2001م.
33. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط: 1، 1418هـ - 1997م.
34. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: 68هـ)، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، دار الكتب العلمية - لبنان.
35. التوقيف على مهمة التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت - القاهرة، ط: 1، 1410هـ - 1990م.

36. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1414 هـ - 1994 م.
37. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط:2، 1384 هـ - 1964 م.
38. حجة الله البالغة، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ الشاه ولي الله الدهلوي (المتوفى: 1176هـ) المحقق: السيد سابق، الناشر: دار الجليل، بيروت - لبنان، ط:1، سنة الطبع: 1426 هـ - 2005 م.
39. حركة رسالة الإنسانية ودورها في مكافحة الطائفية والعنف، للعلامة واضح رشيد الندوي.
40. الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري (المتوفى: 182هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، الطبعة: طبعة جديدة مضبوطة - محققة ومفهرسة.
41. الداعية الكبير الشيخ محمد الياس الكاندهلوي ودعوته إلى الله للعلامة الندوي، دار ابن كثير - دمشق - بيروت، ط:1، 1424 هـ/2003 م.
42. الدعاء للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط:1، 1413 هـ.
43. الدعوة الإسلامية، أصولها ووسائلها وفقه الدعوة إلى الله، د. علي عبدالحليم محمود 113/1، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ط:3، 1412 هـ 1991 م. والمدخل إلى علم الدعوة: د. محمد أبو الفتوح البيانوني ص 184، مؤسسة الرسالة ط:2، 1414 هـ 1993 م. ومرشد الدعاة: الشيخ محمد نمر الخطيب ص 24 دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ط:1، 1401 هـ 1981 م.
44. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ)، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط:4، 1423 هـ - 2002 م.
45. الدعوة على القبائل التي كانت تسكن بين مكة والطائف، ووصل إلى الطائف راجلاً يدعو إلى التوحيد"، رحمة للعالمين، محمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: 1348هـ)، ترجمه من الأردية إلى العربية: د. سمير عبد الحميد إبراهيم، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض، ط:1.
46. الدعوة والفكر و العمل للعلامة الندوي، المترجم: (دعوة فكر و عمل)، مجلس التحقيق والنشر الإسلام، لكناؤ، الهند.
47. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)، المحقق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط:2، 1408 هـ - 1988 م.
48. ديوان درد، خواجه مير درد، الأكاديمية الأردنية، سند، كراتشي، ط:اولى، 1951ء.

49. رجال الفكر والدعوة في الإسلام.

50. الرد على الجهمية والزنادقة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى:

241هـ)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، ط: الأولى.

51. رِدَّةٌ وَلَا أَبَا بَكْرَ لَهَا للعلامة الندوي، مكتبة السداوي للنشر والتوزيع - القاهرة، المكتبة المكية، حي الهجرة

- مكة المكرمة، ط: 2، 1413 هـ - 1992 م، مطبعة المدني - المؤسسة السعودية بمصر.

52. رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن

نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، كتاب الهجرة وقد صحَّ

أكثر أخبارها، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1411 -

1990.

53. روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، للعلامة الندوي، و رجال الفكر والدعوة في الإسلام، للعلامة

الندوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: 2، 1428هـ/2008م.

54. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى:

751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، السابعة والعشرون، 1415هـ

/1994م.

55. سنن أبو داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط: 1، 1430 هـ -

2009 م.

56. سنن الترمذي.

57. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى:

458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، ط: 3، 1424 هـ -

2003 م.

58. السوانح المفكر الإسلام ، بلال عبد الحي الحسني الندوي، السيد احمد الشهيد اكادمي يو بي، ط: 3،

1435هـجري.

59. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر

والتوزيع بيروت - لبنان، 1395 هـ - 1976 م.

60. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى:

213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى

البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م.

61. سيرة عمر بن الخطاب، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)،

المطبعة المضيرة بالأزهر، القاهرة.

62. شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: 1351هـ)، المحقق: نصر الله عبد الرحمن

نصر الله، مكتبة الرشد الرياض).

63. الشيخ أبو الحسن الندوي كما عرفته، الشيخ يوسف القرضاوي.
64. الشيخ أحمد عز الدين البيانوني لمحات من حياته وتعريف بمؤلفاته، د. عبد المجيد البيانوني، الشاملة الذهبية.
65. الصراع بين الإيمان والمادية للعلامة الندوي، دار القلم دمشق، ط: 1، 1418هـ/1997م.
66. الصراع بين الإيمان والمادية للعلامة الندوي، دار القلم دمشق، ط: 1، 1418هـ/1997م.
67. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية.
68. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، المترجم: (مسلم ممالك میں اسلامیت اور مغربیت کی کشمکش)، مجلس التحقيقات والنشریات الإسلام، ندوة العلماء-لکناؤ، ط: 3، 1401هـ/1981م.
69. الصراع بين المذهب والعلم للعلامة الندوي، المترجم: (معركة مذهب و سائنس).
70. صورتان متضادتان للعلامة الندوي، دار البشير، جدة المملكة السعودية، 1991م.
71. طبقات ابن سعد.
72. العالم الجديد (الولايات المتحدة الأمريكية) للعلامة الندوي، الإدارة البحوث الإسلامية، لکناؤ، 2012.
73. العالم الجديد للعلامة الندوي.
74. العقيدة والعبادة والسلوك، للعلامة الندوي، دار القلم بيروت، ط: 3، 1403هـ/1983م.
75. غمز عيون البصائر، أحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (المتوفى: 1098هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1405هـ/1985م.
76. في مسيرة الحياة.
77. القادياني والقاديانية للعلامة الندوي، الدار السعودية جدة، ط: 3، 1968م.
78. قواعد و ضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، عابد الثبتي.
79. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
80. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط: 3، 1414 هـ.
81. ماذا خسر العالم بالخطاط المسلمين، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: 1420هـ)، مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر، طبعة شرعية جديدة منقحة ومحققة ومزودة.
82. ماذا خسر العالم، (الأردية)، المجلس النشریات الإسلام، کراتشي، پاکستان.
83. ماذا حدث للإسلاميين، د. أمل بوبكر وأوليفر روي، سن هيرست، لندن/منشورات جامعة كولومبيا، ط: 1، 2012م.
84. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م.

85. محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة لسماحة الشيخ أبي الحسن الحسني الندوي، سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير دمشق، ط: 1، 2001م.
86. محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، لأبي الحسن الندوي بترتيب: عبد الماجد الغوري. المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1420هـ/2000م.
87. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط: 5، 1420هـ / 1999م.
88. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط: الخامسة، 1420هـ / 1999م.
89. مختارات من أدب العرب للعلامة الندوي، مؤسسة الصحافة والنشر، الهند، ط: 1432/2011م.
90. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة بيروت، ط: 3، 1995م.
91. مسند أحمد.
92. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، المحقق: حدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: 2.
93. معجم اللغة العربية المعاصرة.
94. معجم اللغة العربية المعاصرة. د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط: الأولى، 1429هـ - 2008م.
95. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، 2، دار الدعوة.
96. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: 1، - 1412هـ.
97. مقالات الشيخ عن حقوق الإنسان: المترجم: تحفة إنسانية وإنسانيت كي مسيحائي.
98. من روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله، محمد علي محمد إمام، مطبعة السلام، ميت غمر - مصر، ط: 1، 2005م.
99. مناهج العلوم القانونية، أ/ حوبه عبد القادر، محاضرات في المنهجية للسنة الأولى، المركز الجامعي بالوادي، معهد العلوم القانونية والإدارية، السنة الأولى: 2010/2009.
100. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر.

101. الموطأ للإمام مالك.
102. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: مأمون بن محيي الدين الجنان، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1415 هـ - 1995 م.
103. ميثاق الأمم المتحدة، (الأردنية)، المادة: 5، إدارة المعلومات العامة بالولايات المتحدة ، نيويورك.
104. النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، رياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1420هـ/2000م.
105. النبوة والأنبياء في ضوء القرآن للعلامة الندوي، الدار السعودية، جده، الطبعة: 1387هـ.
106. النبي الخاتم للعلامة الندوي، تلخيص، المختار الإسلامي، ط: 1، 1395هـ/1975م.
107. نجات الإنسانية للعلامة الندوي، المترجم: (انسانيت كي مسيحائي)، التفريغ والترتيب: عبد الهادي الأعظمي الندوي، الأكاديمية سيد أحمد شهيد دار عرفات، تكية كالان، راي برلي.
108. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، (م11 نوفمبر 1942)، دار الاعتصام، ط: 5، 1952.
109. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: 0، 1900، الجزء: 2 - الطبعة: 0، 1900، الجزء: 3 - الطبعة: 0، 1900، الجزء: 4 - الطبعة: 1، 1971، الجزء: 5 - الطبعة: 1، 1994، الجزء: 6 - الطبعة: 0، 1900، الجزء: 7 - الطبعة: 1، 1994.

المصادر والمراجع (في الأردية والانكليزية)

1. دستور حیات للعلامة الندوي، (دستور الحياة).
2. متاع الدين والإستراتيجية للعلامة الندوي، المترجم: (متاع دين و دانش).
3. جهد مسلسل للعلامة الندوي، المترجم: (الجهد المسلسل).
4. تزكية و احسان يا تصوف و سلوك للعلامة الندوي، (التزكية والإحسان).
5. اسلام میں عورت کا درجہ اور اس کے حقوق و فرائض للعلامة الندوي، مترجم: (مقام المرأة في الإسلام وحقوقها وفرائضها).
6. اسلام کے تین بنیادی عقائد للعلامة الندوي، مترجم: (العقائد الثلاثة الأساسية في الإسلام).
7. دریائے کابل سے دریائے یرموک تک للعلامة الندوي، المترجم: (من نهر كابول إلى نهر اليرموك).
8. خواص، ملت میں ان کا مقام اور ذمہ داریاں للعلامة الندوي، (الخواص في الملة ومقامها ومسؤوليتها).
9. پاچا سراغ زندگی للعلامة الندوي، (خذ سر الحياة).
10. منصب نبوت للعلامة الندوي.
11. دین حق اور علمائے ربانی شرک و بدعت کے خلاف کیوں؟ (لماذا الدين الحق والعلماء الربانيين ضد الشرك والبدع للعلامة الندوي).
12. العقائد الثلاثة الأساسية في الإسلام للعلامة الندوي، المترجم: (اسلام کے تین بنیادی عقائد)، الترتیب: مولانا بلال عبد الحي الندوي، الأكادمي السيد أحمد شهيد، رائی بریلی، الهند.
13. Lecky History of European morals , vol:iv.
14. <https://asrehazir.com/mwameeznadvi-10>
15. <https://www.bbc.com/urdu/world-39205882>
16. OXFORD UNIVERSITY : OXFORD Advanced Learner's Dictionary.
17. Fifth Edition Islam At the Cross Road.
18. Conflict of Religion and Science.
19. History of European Morals ii, chapter vi.
20. History of European Morals. Part ii Chapter iv, from Constatine, – to Charlemagne
21. Genghis Khan, London London 1028.
110. World, London 1924 A Short History of the
111. The Decline and Fall of the Roman Empire, vol: vii, 3rd edition, London, 1909

, Introduction to Modern Philosophy by C. E. M. Joad. .112
B. R. Ambedkar Library Hyderabad Publisher: Dr.

فهرس الموضوعاتContents

3	المقدمة
6	أسباب إختيار الموضوع
6	الدراسات السابقة
9	مشكلة البحث:
9	منهج الدراسة:
9	أهداف البحث:
10	خطة البحث:
11	التمهيد و فيه أمران:
11	الأمر الأول: في مفهوم القضايا الدعوية تأصيلا و تفريعا
11	الأمر الثاني: في ترجمة حياة الشيخ أبي الحسن علي الندوي- رحمه الله- وجهوده ومآثره
15	الأمر الأول :
15	التعريف ب القضايا الدعوية
18	الأمر الثاني:
18	في ترجمة حياة الشيخ أبي الحسن علي الندوي- رحمه الله- وجهوده ومآثره
18	إسم الشيخ و كنيته:
18	حياته و أسرته:
20	حياته العلمية والعملية:
22	سلسة الشيوخ:
25	الكتابة والتأليف:
27	الرحلات:
28	محاضرات:
29	جهود الدعوية:
31	المناصب التي كُرم بها:
32	أشادة العلماء بالشيخ وثنائهم عليه:
33	وفاة الشيخ الندوي -رحمه الله-:
34	الباب الأول
35	الفصل الأول: منهجية الدعوة الإسلامية و تاريخها
35	التمهيد:
35	مفهوم منهجية الدعوة:
36	فريضة الدعوة:
38	محركات الدعوة:
38	حلول العلل الاجتماعية والمعضلات الأخلاقية:
40	حكمة الدعوة:
41	المبحث الأول: منهجية الدعوة السلمية وفقهها
76	التمهيد:

77.....	مفهوم المنهجية) للدعوة السلمية:
77.....	الدعوة السلمية وفقهها:
79.....	الدعوة بالقدوة العملية:
79.....	الإخلاص.....
80.....	محبة الإنسانية.....
81.....	أسلوب الدعوة السلمية حسب القرآن.....
81.....	أولاً/ الحكمة:
83.....	الحجة الواضحة.....
84.....	الإجتنب من الإكراه.....
84.....	الصبر والحلم.....
85.....	ثانياً/الموعظة الحسنة:
86.....	الرفق واللطافة في الكلمات.....
86.....	الإيجاز والبلاغة.....
87.....	دعم القصص والأمثال.....
88.....	ثالثاً/ الجدل بالتي هي أحسن.....
88.....	الحوار في القضايا المشتركة.....
89.....	امنح المخاطب الفرصة لتقديم حججهم أولاً.....
89.....	مع الأخذ في الاعتبار المستوى العقلي للمدعو.....
89.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:
41.....	المبحث الثاني: تاريخ الدعوة السلمية وفقهها.....
41.....	التمهيد.....
42.....	تميز التاريخ ومثابرة دعوة الإسلام السلمية:
46.....	الخلافة الأموية وأثرها:
47.....	القضايا الدعوية المعاصرة.....
48.....	جهوده الإصلاحية الدعوية:
48.....	2- سيدنا الحسن البصري- رحمه الله- (21 هـ - 110 هـ = 642 - 728 م).....
49.....	جهود الإصلاحية والتجديد في الدعوة السلمية.....
50.....	أتباع الحسن البصري-رحمه الله- وتلاميذه.....
50.....	الخلافة العباسية وأثرها.....
52.....	الجهود الدعوية في دور الخلافة العباسية من العلماء المصلحين والدعاة.....
54.....	ميزة تدوين الفقه.....
55.....	من أهم المسائل التي ركز عليها الإمام أحمد في دعوته.....
57.....	4- أبو الحسن الأشعري (260 - 324 هـ = 874 - 936 م).....
59.....	5- أبو حامد محمد الغزالي.....
59.....	القضايا الدعوية:.....
59.....	علاج المسئلة المذكورة عند الإمام الغزالي — رحمه الله.....

62.....	7- الشيخ جلال الدين الرومي
63.....	8- الإمام ابن تيمية
65.....	9- الإمام أحمد السرهندي
65.....	من أهم المسائل التي ركز عليها الإمام السرهندي:
67.....	9- الإمام الدهلوي
72.....	من المسائل التي ركز عليها الشيخ أحمد رحمه الله في دعوته
74.....	من جهوده الإصلاحية والدعوية التي جدد بها الدين وأحيا بها روح الإسلام في المجتمع
74.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر
76.....	الفصل الثاني: أسس الدعوة الإسلامية
91.....	المبحث الأول: أصول الدعوة في النصوص الشرعية
91.....	التمهيد:
91.....	معنى أصول الدعوة:
92.....	أولاً- حكم الدعوة إلى الله:
94.....	ثانياً- فضل الدعوة إلى الله:
94.....	ثالثاً- الغرض والغاية من الدعوة إلى الله
95.....	• الغاية العامة
96.....	• الغاية التفصيلية
98.....	أركان الدعوة إلى الله ثلاثة هي
100.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر
102.....	المبحث الثاني: أصول وضوابط الدعوة من خلال فكر الأستاذ الندوي
103.....	ضوابط الدعوة إلى الله عند الشيخ أبي الحسن علي الندوي رحمه الله:
105.....	ضوابط الدعوة إلى الله في فكر الشيخ الندوي من خلال كتبه:
105.....	1-الحنان يسبق الإيمان:
105.....	2- حسن الاختيار للدلائل المناسبة للمقام:
106.....	3- الاعتماد على الفطرة والواقع في الدعوة:
106.....	4- التقطن لما عند الخصم من الذكاء والبيان ومحاولة استنفاد طاقة الخصم في الحجة:
106.....	5- إثبات مفصل ونفي مجمل:
107.....	6- انتهاز الفرصة المناسبة للدعوة:
107.....	7- مخاطبة المدعو بما يطمئن إليه أولاً:
108.....	8- تنشيط النفوس لسماع الحديث بشيء لذيذ حبيب:
108.....	8- الانتقال الخفيف الرقيق إلى عرض الدعوة:
108.....	9- اختيار العبارات القصيرة والموجزة المناسبة للمقام:
108.....	10- مراعاة أحوال المدعويين وعدم إدخال الملل والسآمة عليهم:
109.....	11- محنة قوة النفس وقوة الإيمان، وتحمل الأذى:
109.....	12- الانتباه في الدعوة للخطر الداخلي قبل الخطر الخارجي:

110.....	13- تغليب الجانب الدعوي على الزعامة والسياسة:
110.....	14- الإحتجاج بالمشهود المعهود على الهدف المطلوب المنشود:
111.....	15- الإحتجاج بسنة الله التي لا تتغير:
111.....	16- الإعتبار بالتاريخ ومصير الأمم البائدة:
111.....	17- التخويف بالآخرة:
111.....	18- الضرب على الوتر الحساس:
112.....	19- الإهتمام بمعرفة عادات الناس والتعرف عليها:
113.....	الفصل الثالث: مراحل الدعوة الإسلامية في العهد المكي وفقهها
113.....	التمهيد:
114.....	المبحث الأول: المرحلة الأولى، في بداية بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أو في زمن الدعوة السرية.
114.....	التمهيد:
114.....	ما معنى الدعوة السرية؟
114.....	ثلاث سنوات من الدعوة السرية:
114.....	الرعي الأول للدعوة إلى الله:
115.....	من أسلم بعد ذلك من أشرف قريش؟
116.....	ما وجه السرية في بدء دعوة النبي صلى الله عليه وسلم؟
117.....	فإنكار المنكر أربع درجات:
118.....	أهداف الدعوة السرية إلى الله:
118.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:
120.....	المبحث الثاني: المرحلة الثانية، الدعوة الإسلامية الجهرية.
120.....	المرحلة الثانية، الدعوة جهاراً:
120.....	حسن أسلوبه صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله على "الصفاء":
121.....	إظهار العداوة من قومه والحماية من عمه:
121.....	الحوار بينه ﷺ وبين أبي طالب:
122.....	دعوة أبي بكر رضي الله عنه إلى الله:
123.....	اجتماع قريش لصد وفود العرب في الحج من استماع دعوة النبي صلى الله عليه وسلم:
124.....	قسوة قريش في الإضرار بالنبي صلى الله عليه وسلم:
124.....	كيف قبل حمزة بن عبد المطلب الإسلام ؟
125.....	أسلوب الدعوة الجديدة من المشركين العرب:
126.....	التدرج لدعوة المسلمين إلى أرض الحبشة بشكل الهجرة:
127.....	تعامل القريش مع المسلمين المهاجرين:
127.....	أسلوب الداعي في الدعوة إلى الله أمام السلطان:
128.....	خبرة وفد قريش:
129.....	اختيار الدعاء كأسلوب آخر في الدعوة إلى الله:
130.....	الدعوة الإسلامية إلى أرض الطائف:
133.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

134.....	الفصل الرابع: مراحل الدعوة الإسلامية في العهد المدني
134.....	التمهيد:
135.....	المبحث الأول: الدعوة داخل الجزيرة العربية
135.....	التمهيد:
135.....	ما معنى كلمة جزيرة العربية:
136.....	كيفية الدعوة إلى الله من الهجرة إلى زمن الحرب الإسلامي:
140.....	الدعوة إلى الله في الغزوات والسرايا:
140.....	أهم بنود الدعوة في الغزوات والسرايا النبوية:
140.....	1- الإشعار بالوجود الإسلامي
140.....	2- إظهار أن الهيمنة للحق
141.....	3- حماية الدعوة الإسلامية وتأمين انتشارها
141.....	4- بسط السلام في الأرض والدفاع عن المستضعفين
142.....	5- هزيمة الكفر في حربه للإسلام
142.....	6- تحقيق السيادة والاستخلاف في الأرض
143.....	7- سرعة السيطرة على الأمور
143.....	8- كسر شوكة من يكيدون له
144.....	9- كشفت هذه الغزوات مكائد اليهود ودسائسهم وحقدهم على المسلمين
144.....	10- إتقان الخطط العسكرية
144.....	11- الدعوة إلى الله بالرسائل إلى أمراء الجزيرة العربية:
147.....	المبحث الثاني: الدعوة خارج الجزيرة العربية
147.....	التمهيد:
148.....	ما وجه انتشار الدعوة في خارج الجزيرة العربية؟
148.....	متى بدأ انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية؟
149.....	الدعوة إلى الله بإرسال الخطوط والبعوث إلى السلاطين خارج الجزيرة العربية:
149.....	رسالة الدعوة إلى الله، إلى ملك الروم من رسول الله:
150.....	رسالة الدعوة إلى الله، إلى ملك الفارس " كسرى أبريز " من رسول الله:
150.....	رسالة الدعوة إلى الله، إلى ملك الحبشة " النجاشي " من رسول الله:
150.....	رسالة الدعوة إلى الله، إلى عظيم القبط " المقوقس " من رسول الله:
151.....	حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته بهذه الرسائل:
152.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:
154.....	الفصل الخامس: تقييم الأستاذ الندوي لواقع الدعوة في الحركات الإسلامية
154.....	التمهيد:
155.....	المبحث الأول: موقف الأستاذ الندوي من الحركات الدعوية في تاريخ الإسلام
155.....	سبب نشأة الحركات الدعوية والإسلامية؟
155.....	1- حركة السيد أحمد بن عرفان:
156.....	موقف الأستاذ الندوي:

157	2- حركة "دارالعلوم ديوبند":
157	موقف الأستاذ الندوي
158	3- حركة ندوة العلماء:
158	ملاحظة الأستاذ الندوي على هذه الحركة:
158	بيان الأستاذ للأستاذ الندوي محاسن هذه الحركة:
158	4- حركة الإسلامية للشيخ جمال الدين الأفغاني:
159	موقف الأستاذ الندوي:
159	5- حركة السيد أحمد خان:
160	موقف الأستاذ الندوي:
160	6- حركة الخلافة:
161	موقف الأستاذ الندوي:
161	7- حركة "رسالة الإنسانية" للشيخ الندوي:
161	موقف الأستاذ الندوي عن هذه الحركة:
162	8- حركة "الثورة الإيرانية":
163	موقف الأستاذ الندوي:
164	المبحث الثاني: موقف الأستاذ الندوي من الحركات الدعوية المعاصرة
164	التمهيد:
164	تجربة الأستاذ الندوي مع الحركات الإسلامية الدعوية المعاصرة وموقفه إزاءها:
164	1- حركة "جماعة الإسلامية":
164	موقف الأستاذ الندوي:
166	2- حركة "جماعة التبليغ":
166	اتصال الأستاذ الندوي بحركة جماعة التبليغ وموقفه إزاءها:
166	موقف الأستاذ الندوي:
168	3- حركة "الإخوان المسلمين":
168	موقف الأستاذ الندوي:
171	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:
171	1- ثقافة استهلاكية:
171	2- محو الهيكليات التنظيمية وأسلمة التجارة والأعمال:
172	3- تغير طبيعة العمل السياسي:
173	4- التحول أو الاستمرار:
174	الباب الثاني
174	خصائص الدعوة وأنواعها في فكر الأستاذ الندوي
174	الفصل الأول: خصائص الدعوة الزمانية في فكر الأستاذ الندوي
175	الفصل الأول: خصائص الدعوة الزمانية في فكر الأستاذ الندوي
175	التمهيد:

المبحث الأول: خصائص الدعوة في أزمنة التقهقر والخضوع.....	176
التمهيد:	176
معنى كلمة خصائص الدعوة في زمن التقهقر والخضوع:	176
1- الإلتجاء إلى الله في جميع مراحل الدعوة والجهاد:	177
2- التجرد من التفكير في المنافع المادية والثمرات العاجلة:	178
3- المثابرة على الدعوة والصبر عليها:	180
4- التجرد للدعوة والتفرغ لها بالقلب والنفس والوقت والقوة:	181
5- الإهتمام الشديد:	181
6- الإستعداد الروحي والشعوري:	182
7- الاستعداد الحربي والصناعي:	184
8- تبوء الزعامة في العالم والتحقيق:	185
9- التنظيم العلمي الجديد:	186
المبحث الثاني: خصائص الدعوة في الغلبة والإستعلاء.....	188
التمهيد:	188
خصائص الدعوة في فكر الأستاذ الندوي:	188
1- أنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة إلهية:	188
2- أنهم لم يتولوا الحكم والقيادة بغير تربية خلقية وتزكية نفس:	188
3- ويؤمنون بفضلته وشرفه على جميع الشعوب والأوطان:	189
4- والجمع بين الديانة والأخلاق والقوة:	190
5- إن الله يحب أن تؤتى رخصته كما يحب أن تؤتى عزائمه:	191
6- يعنون بتربية النفوس والأبدان:	192
مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:	194
الفصل الثاني: خصائص الدعوة المكانية في فكر الأستاذ الندوي.....	195
التمهيد:	195
المبحث الأول: عالمية الدعوة الإسلامية.....	196
1- العقيدة أولاً:	196
2- الإخلاص وطلب رضاء الله عزوجل:	197
3- الغيرة والحمية:	198
4- التركيز على جانب الآخرة:	198
5- الدعوة إلى حاكمية الله في الحياة الخاصة والعامة بمحبة ورضا:	199
6 – دافع الحب للداعي يكون خاضعاً لأحكام الشريعة متأسياً بأسوة الصحابة رضي الله عنه:	200
7- دين الإسلام آخر الأديان وبينه خاتم الأنبياء:	200
8- الدين محفوظ من التعريف والدعوة إليه تصون الأمة من التحريف:	201
9- الدعوة الإسلامية تحتاج إلى مناخ إسلامي والجو الإيماني:	201
المبحث الثاني: خصائص الدعوة في البلاد الإسلامية.....	203
التمهيد:	203

203.....	خصائص الدعوة لحماية الأقطار العالم الإسلامي من الفتن والتحديات المعاصرة في فكر الأستاذ الندوي:
203.....	1- تحريك الإيمان في نفوس الشعوب والجماهير المسلمة:
204.....	2- صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف:
204.....	3- تقوية الصلة الروحية والعقلية والعاطفية بالنبى صلى الله عليه وسلم والحب العميق له:
205.....	4-إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة:
205.....	5- قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب:
205.....	6- حركة علمية قوية دولية:
206.....	7- الحضارة عميقة الجذور في أعماق النفس الإنسانية وفي مشاعر الأمة وأحاسيسها:
206.....	8- معاملة الحضارة الغربية والإستفادة من العلم التي لديهم:
207.....	9-أقناع الحكومات بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية:
207.....	10- اتصال الدعوة إلى الالبلاد الغير إسلامية:
207.....	11- حركة إيمانية دعوية إيجابية قوية في العالم الإسلامي:
210.....	المبحث الثالث : خصائص الدعوة في الالبلاد الغير إسلامية
210.....	التمهيد:
211.....	خصائص الدعوة إلى الله في البلاد الغير إسلامية:
211.....	خصائص الدعوة أو سمات الدعوة الإسلامية يشتمل على ثلاثة جوانب:
212.....	1 - جانب العقيدة:
212.....	التوحيد المطلق لله تعالى:
213.....	القرآن العظيم:
213.....	السيرة النبوية:
214.....	2- جانب الشريعة:
214.....	الشريعة الإسلامية:
216.....	3- جانب الآداب والأخلاق:
216.....	العاطفة الدينية القوية في المسلمين:
217.....	العاطفة الدينية القوية تكون جسراً وحلقة وصل بين الداعي والمدعو:
218.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:
220.....	الفصل الثالث: أنواع الدعوة
220.....	التمهيد:
221.....	المبحث الأول: أنواع الدعوة من حيث الداعي/ المكلف بها
221.....	التمهيد:
221.....	تعريف الداعي/ المكلف بها:
221.....	أنواع الداعي:
222.....	فضائل الداعي إلى الهداية:
223.....	مسؤولية الداعي إلى هداية الله:
223.....	1- تملك الفكرة وسيطرتها على الداعي:
224.....	2- التجرد عن المطامع الدنيوية:

المبحث الثاني: أنواع الدعوة من حيث المدعو(أمة الدعوة، أمة الإنكار، أمة الإستجابة).....	229
التمهيد:	229
تعريف المدعو:	229
أنواع الدعوة من حيث المدعو:	230
أولاً- أمة الدعوة أو أمة الإنكار:	230
1- أهل الكتاب:	230
2- المشركون الوثنيون:	231
3- الجاحدون والملحدون:	233
ثانياً- أمة الإستجابة: (المسلمون)	234
حقوق المدعو على الداعي في الدعوة إلى الله:	235
أولاً: اختيار الداعي الوسائل والأساليب المناسبة والملائمة في دعوته مع المدعو:	235
ثانياً: الحرص على نصح المدعو رجاء هدايته:	235
ثالثاً : إتيان المدعو حيثما كان:	235
المبحث الثالث: أنواع الدعوة من حيث مادة الدعوة وموضوعها (الدعوة في الأمور الحتمية واللازمة و في التبرعات والفضائل).....	237
التمهيد:	237
التعريف بموضوع الدعوة في فكر الأستاذ الندوي:	237
خصائص الإسلام في فكر الأستاذ الندوي:	238
1- العقيدة:	238
2- طلب الإخلاص:	239
3- الغيرة والحمية:	240
4- التشديد على جانب الآخرة:	241
5- الحاكمية المطلقة لله تعالى:	242
6- مما تجب الإشارة إليه والتنويه به:	242
7- دعوة الإسلام دعوة أبدية خالدة	243
8- الدعوة الإسلامية دعوة إلى دين أصيل محفوظ ومصون عن التغيير والتبديل:	244
9- الدعوة إلى الإسلام دعوة إلى الأمور العملية ومنهج يجب تطبيقه في الحياة.....	244
مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:	245
الباب الثالث.....	247
منهجية الشيخ الندوي في القضايا الدعوية في العصر الحديث.....	247
الفصل الأول: التعددية الدينية و منهجية التعامل معها	248
التعددية الدينية.....	248
ما هي أهمية التعددية ؟	248
المبحث الأول: الأديان غير السماوية	250
التمهيد:	250
1- الإحسان إلى خلق الله:	251

252.....	2-التوكل والإطمئنان:
253.....	3- المحبة:
255.....	4-كرامة الإنسانية:
256.....	5- القضاء على الظلم:
258.....	6- العدل والإحسان:
261.....	7- الحرية والوطنية:
263.....	مسؤولية الداعي في العصر الحاضر:
265.....	المبحث الثاني: الأديان السماوية
265.....	التمهيد:
269.....	التعددية الدينية السلبية:
276.....	مسؤولية الداعي في العصر الحاضر:
280.....	الفصل الثاني: التعددية الفكرية داخل الفرق الإسلامية ومنهجية التعامل معها
280.....	التمهيد:
280.....	ماهي أسباب الاختلاف المذموم؟
281.....	الاختلاف في العقائد:
281.....	الاختلاف في المتشابهات:
282.....	الاختلافات الفروعية والإجتهادية:
282.....	التجاوز عن حدود الاختلاف:
283.....	الاعتدال في ذكر القواعد الفرعية:
283.....	الاختلافات والممارسات في القضايا العقائدية والنظرية:
283.....	اختلاف الرأي في النقد:
284.....	شكل فطيع من الفتنة بين القاديانية والسنة:
284.....	شكل فطيع من الفتنة بين الشيعة والسنة:
286.....	المبحث الأول: منهجية التعامل في العقائد الإسلامية
286.....	التمهيد:
288.....	الرد على الشرك:
291.....	الرسالة:
297.....	الرد على القاديانية:
298.....	الرد على الشيعة:
299.....	عقيدة الآخرة:
302.....	مسؤولية الداعي في العصر الحاضر:
304.....	المبحث الثاني: منهجية التعامل في العبادات
305.....	الصلاة:
308.....	فضائل المساجد:
309.....	الزكاة:
313.....	الجهاد:

317	الصوم:
322	الحج:
329	المبحث الثالث: منهجية التعامل في إصلاح المعاشرة
329	التمهيد:
330	الخطاب للعلماء:
332	مسؤولية الطلبة المدارس الإسلامية:
335	خطابه – رحمه الله- للعسكرية الإسلامية:
335	مسؤولية قادة الأمة:
339	أهمية دور النساء وفعاليتهنّ في الدعوة:
343	تزكية الباطن:
344	إخلاص العمل:
345	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:
347	الفصل الثالث: منهجية التعامل مع الظواهر الفكرية المعاصرة
347	التمهيد:
349	المبحث الأول: التغريب والتبعية الفكرية
349	فالإستشراق
349	وأما الإستغراب
349	وأما الإستعمار:
349	مفهوم التغريب:
351	بداية التغريب وارتقائه:
353	أهم مخططات التغريب المعاصر:
361	مسؤولية الداعية إلى الله في العصر الحاضر:
365	المبحث الثاني: الإلحاد والزندقة
365	التمهيد:
366	مفهوم الإلحاد والزندقة:
367	بداية الإلحاد والزندقة وتطوره:
369	أسباب الإلحاد والزندقة:
369	1- الفكر الجديد
370	2 – التطور والتوسع الشديد في افكار الفلسفة والعلوم
372	3- ردّة جديدة
373	أهم مخططات الإلحاد والزندقة المعاصرة:
373	1- إنكار الرسالات والوحي والمعاد
374	2- إنكار القيم الروحية والخلقية
374	3- هيمنة الحضارة المادية الغربية على المجتمع الإسلامي
374	4- كراهية الإسلام والتفرقة بين المسلمين

374.....	5- الفساد الأخلاقي في الفرد والمجتمع.....
375.....	العمل الرائع الجديد للشيخ الندوي-رحمه الله- في العصر الحديث:
375.....	تأثير الإلحاد والزندقة على المجتمع الإسلامي:
376.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:
378.....	المبحث الثالث: المادية.....
378.....	التمهيد:
379.....	مفهوم المادية:(Materialism)
380.....	بداية المادية وتطورها:
381.....	خصائص الحضارة المادية:
381.....	1- رفض الإيمان بالله الخالق سبحانه وإنكار الغيب والآخرة:
382.....	2- التلبيس والتدجيل في العصر الحديث:
383.....	3- طالب الدنيا.....
4- الاستعداد لظهور الدجال:	Error! Bookmark not defined.
383.....	تأثير الحضارة المادية على المجتمع الإسلامي المعاصر:
383.....	1- عدم الاحساس الديني:
385.....	2- عدم الإشتياق لرضاء الرب:
385.....	3- عدم الاستقرار في الاخلاق:
386.....	4- التسهيلات للجسم:
386.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:
388.....	المبحث الرابع: الحرية المفرطة ومفهوم حقوق الإنسان.....
388.....	التمهيد:
389.....	مفهوم الحرية المفرطة و حقوق الإنسان.....
389.....	حقوق الإنسان!
390.....	الدراسة لتصور الأمم المتحدة (U.N) للحرية وحقوق الإنسان باختصار:
394.....	تأثير لتصور الأمم المتحدة للحرية وحقوق الإنسان على المجتمع الإسلامي:
396.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:
398.....	المبحث الخامس: الإباحية.....
398.....	التمهيد:
398.....	مفهوم الإباحية "Scholarism" في فكر الأستاذ الندوي:
399.....	أين وكيف بدأت الإباحية "Scholarism"؟
400.....	أنصار الإباحية "Scholarism" في الغرب وا لشرق:
402.....	أنواع الإباحيين:
403.....	الوسائل الحديثة لإنتشار الإباحية:
405.....	أثر الإباحية في المجتمع الإسلامي:
406.....	مسؤولية الداعي إلى الله في العصر الحاضر:

